



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة - كلية الفقه

خلافة الأنبياء في الديانات الثلاث دراسة تحليلية مقارنة

رسالة قدمت إلى مجلس كلية الفقه / جامعة الكوفة

وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

من

الطالب فاضل عاشور عبد الكريم

بإشراف

د. وليد عبد الحميد فرج الله

2010 م

1431 هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة 62)

صدق الله العلي العظيم

درد و فراق

درد ... و فراق ...

درد من زانانی که حجابی بجز (علاء و الفضيلة)

دردی ... در تاقچه (ظرافة) ... فراق (جبار) ... (المینا) وضع

شكر و عرفان

أود أن أتقدم بجزيل الشكر وكامل الامتنان وعظيم العرفان، واقف وبكل إكبار وإجلال ووقفة شكر وثناء وعرفان لكل من أسهم في إتمام عملي في هذه الرسالة فجزاهم الله تعالى عني خير جزاء المحسنين.

واخص بالذكر الدكتور وليد عبد الحميد فرج الله ، الذي أشرف على رسالتي، وقد فتح لي بخبرته العلمية منافذ كبيرة في مجالي العلمي، وكان ذا شخصية اتصفت بالتواضع والبساطة والطيبة وحب المساعدة حيث كان لي مرشداً وناصحاً أميناً وذلك بمتابعته الدقيقة وتوجيهاته السديدة وتقويماته العلمية التي لا يجامل فيها ابداً، فضلاً عن دعمه المتواصل لي، فنسأله سبحانه وتعالى ان يبارك له خطاه ويسدد دائماً للخير جهده ومسعاه .

واشكر ايضاً بعض الأصدقاء الذين لم يدّخروا وسعاً في مساعدتي بالكتب والنصح والتوجيه وغير ذلك كثير، فأعانهم الله دائماً على فعل الخير، ووقفهم لمرضاته سبحانه وتعالى.

كما لا أنسى افراد عائلتي الكريمة التي تحملت الكثير من الظروف وعانت الأمرين من اجل إتمام عملي في الرسالة.

واخيراً اتقدم بالشكر والامتنان الى إدارة ومنسبي مكتبة الروضة الحيدرية الذين لم يألوا جهداً لمساعدة الباحث وخصوصاً سماحة السيد هاشم الميلاني ، وكذلك الاستاذ ضياء الجد ، وكذلك اوجه شكري وامتتاني للاخوة في المكتبة الصوتية لنفس المكتبة ، وجميع الاخوة كادر المكتبة لما ابده من مساعدتي خصوصاً في مجال مصادر الاديان المقارنة وفي الدخول لاستكشاف مواقع المسيحيين التي تفيد الدراسة وجاءت هذه كلها بشكل مجاني ، وكذلك اقدم الشكر والامتنان للاخوة في مكتبة الامام الحسن (ع)،واخص بالذكر سماحة العلامة الشيخ باقر القرشي ، وسماحة الشيخ حسين وسماحة السيد،واقدم شكري للاخوة في مكتبة الحكيم العامة، على تحملهم المشقة من اجل تهيئة المصادر وإبداء المساعدة بطيب نفس وروح شفافة.

والحمد لله والشكر أولاً وآخراً

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
3 -1	المقدمة .
6 -4	التمهيد .
70 -7	الفصل الاول : خلافة الانبياء في الديانة اليهودية .
57 -7	المبحث الاول : الخلافة في ديانة بني اسرائيل : مفهومها ، اهميتها ، مشروعيته ، دورها .
24 - 7	المطلب الاول : مفهوم الخلافة .
11 - 8	اولا : مفهوم النبوة .
11	ثانيا : مفهوم الخلافة .
16 - 11	ثالثا : مفهوم الكهانة .
16	رابعا : مفهوم رجل الله .
18 - 16	خامسا : مفهوم القضاة .
19 - 18	سادسا : مفهوم الملك .
22 - 19	سابعا : مفهوم الماشيح المنتظر .
24 -22	المنقذ السماوي في الفكر اليهودي .
37 -25	المطلب الثاني : اهمية الخلافة .
30	مميزات وواجبات الكاهن الاعظم (الخليفة) .
36 - 31	1- الحقوق المعنوية .
37 - 36	2- الحقوق المادية .
51 - 38	المطلب الثالث : مشروعية الخلافة .
38	اولا : الادلة النقلية (النصوص التوراتية ، المصادر اليهودية) .
40 - 38	1- ادلة مشروعية الخلافة في زمن موسى (خلافة هارون) .
42 - 40	2- ادلة مشروعية الخلافة في زمن موسى (خلافة يوشع ، خلافة اليعازر الكهنوتية) .
46 - 42	3- ادلة مشروعية الخلافة في عصر القضاة .
50 - 46	4- ادلة مشروعية الخلافة في عصر الملكية .
51	ثانياً: الأدلة العقلية.
57 - 52	المطلب الرابع : دور الخلافة .
53 - 52	اولا : دور الكاهن الاعظم في زمن موسى .
56 - 53	ثانيا : دور الخلافة من خلال سلطتها الزمنية والقضائية في زمن القضاة .
56	ثالثا : دور الخلافة من خلال سلطتها الزمنية والقضائية في زمن الملكية .
57	النتائج:

70 - 58	المبحث الثاني : الخليفة في الديانة اليهودية ، أهمية وجوده وكيفية تعيينه
63 - 58	المطلب الاول : أهمية وجود الخليفة .
68 - 64	المطلب الثاني: كيفية تعيين الخليفة .
70 - 69	النتائج :
196 - 71	الفصل الثاني : خلافة الانبياء في الديانة المسيحية .
169 - 71	المبحث الاول : الخلافة في الديانة المسيحية ، مفهومها ، اهميتها ، مشروعاتها ، دورها .
106 - 71	المطلب الاول : مفهوم الخلافة .
73 - 72	الخلافة والقيادة عند السيد المسيح .
84 - 73	اولا: الادلة النقلية على خلافة السيد المسيح .
84	ثانيا الادلة العقلية على خلافة السيد المسيح(ع) .
85 - 84	1- نظرية السمات .
86 - 85	2- اختياره لتلاميذه (خلفاءه) .
87 - 86	اعداد السيد المسيح لخلفاءه .
88 - 87	خلافة السيد المسيح .
88	القائلون بالتوحيد والقائلون بالتثليث.
91 - 88	اولا: القائلون بالتوحيد .
92 - 91	الموحدون واعتقادهم ببشرية السيد المسيح ونبوته .
95 - 93	الموحدون ورايهم في الخلافة .
95	عقائد اهل قمران وانظمتهم .
95	1-النظام عند الجماعة .
96 - 95	2-التوحيد الالهي والكتابي .
102 - 96	الصراع بين الخليفة الشرعي ومدعي الخلافة .
103 - 102	ثانيا: القائلون بالتثليث .
104 - 103	تعريف الخلافة في الفكر المسيحي .
105 - 104	اولا: تعريف الخلافة في الفكر الارثوذكسي .
106 - 105	ثانيا: تعريف الخلافة في الفكر الكاثوليكي .
106	ثالثا: تعريف الخلافة في الفكر البروتستانتى .
118 - 107	المطلب الثاني : أهمية الخلافة .
108	الآراء حول أهمية الخلافة .
108	اولا: أهمية الخلافة عند أهل التثليث.
115 - 108	1- أهمية الخلافة عند الفكر الكاثوليكي .
117 - 116	2- أهمية الخلافة عند الفكر الأرثوذكسي .
117	3- أهمية الخلافة عند الفكر البروتستانتى .
118 - 117	ثانيا: أهمية الخلافة عند أهل التوحيد .
148 - 119	المطلب الثالث : مشروعية الخلافة .
119	اولا: مشروعية الخلافة للقائلين بعقيدة التثليث .

119	1- أدلة الفكر الكاثوليكي على مشروعية الخلافة .
131 - 119	أ- أدلة الفكر الكاثوليكي من خلال الأدلة النقلية .
137 - 131	ب- أدلة الفكر الكاثوليكي من خلال الأدلة العقلية
142 - 137	2- أدلة الفكر الأرثوذكسي على مشروعية الخلافة .
146 - 142	3- مشروعية الخلافة عند الفكر البروتستانتى .
148 - 147	ثانيا: مشروعية الخلافة للقائلين بعقيدة التوحيد.
170 - 149	المطلب الرابع : دور الخلافة
157 - 149	أولا: دور الخلافة في زمن الرسل .
164 - 157	ثانيا: دور الخلافة في زمن الآباء الرسولين ومن بعدهم تابعيهم .
167 - 164	دور المجامع الكنسية وأسباب قيامها .
170 - 168	النتائج:
196 - 171	المبحث الثاني : الخليفة في الديانة المسيحية ، أهمية وجوده، وكيفية تعيينه.
173 - 171	المطلب الأول: أهمية وجود الخليفة
196 - 174	المطلب الثاني : كيفية تعيين الخليفة
176 - 174	أولا: التنصيب والاختيار الإلهي للخليفة .
179 - 176	ثانيا: العصمة .
180 - 179	ثالثا: وضع الأيدي على الخليفة المنتخب .
180	النظرة اللاهوتية للخلافة في الفكر المسيحي .
181 - 180	أولا: كهنوت المسيحيين
182 - 181	ثانيا: كهنوت خلفاء السيد المسيح (كهنوت الخدمة الراعوية) .
186 - 182	نظرة الفكر المسيحي للكهنوت .
185 - 182	أولا: الكهنوت عند البروتستانت .
186 - 185	ثانيا: الكهنوت عند الكاثوليك والأرثوذكس .
189 - 186	الصفات والشروط الأخرى التي يجب توافرها لخليفة السيد المسيح .
195 - 189	كيفية تعيين الخليفة من بعد خلفاء السيد المسيح (كيفية تعيين الآباء الأولون) .
196 - 195	النتائج
270 - 197	الفصل الثالث : خلافة الانبياء في الاسلام
243 - 197	المبحث الاول : الخلافة مفهومها ، اهميتها ، مشروعيتها ، دورها
203 - 198	المطلب الأول : مفهوم الخلافة .
212 - 204	المطلب الثاني : أهمية الخلافة .
211 - 205	أولا: أهمية الخلافة عند الإمامية .
212 - 211	ثانيا: أهمية الخلافة عند المذاهب الإسلامية .
230 - 213	المطلب الثالث : مشروعية الخلافة
222 - 213	أولا: مشروعية الخلافة عند الإمامية .
217 - 213	1- الاستدلال بالقرآن الكريم .
220 - 217	2- الاستدلال بالسنة الشريفة .

222 – 220	3- الأدلة العقلية .
222	ثانيا: مشروعية الخلافة عند المذاهب الإسلامية .
224 – 223	1- الاستدلال بالقرآن الكريم .
227 – 224	2- الاستدلال بالسنة الشريفة .
228 -227	3- الاجماع .
230 - 228	4- الأدلة العقلية .
241 – 231	المطلب الرابع : دور الخلافة
237 - 231	أولا: دور الخلافة عند الإمامية .
239 - 237	ثانيا: دور الخلافة عند المذاهب الإسلامية .
242 – 239	النتائج:
243	المبحث الثاني : الخليفة في الإسلام أهمية وجوده وكيفية تعيينه
205 -243	المطلب الأول : أهمية وجود الخليفة .
250 - 244	أولا: أهمية وجود الخليفة عند الإمامية .
250	ثانيا: أهمية وجود الخليفة عند المذاهب الإسلامية .
270 - 251	المطلب الثاني : كيفية تعيين الخليفة
258 - 251	أولا: كيفية تعيين الخليفة عند الإمامية .
262 – 258	ثانيا: : كيفية تعيين الخليفة عند المذاهب الإسلامية .
263	النتائج :
270 -263	المقارنة:
278 - 271	الخاتمة .
298 - 279	المصادر والمراجع
A – D	الملخص الانكليزي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على المبعوث للعالمين رحمة، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أنبياء الله المعصومين الذين وصفهم الله بقوله: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنِ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا فَخَلَفَ مِنْ بَدِهِمْ خُلَفَاءُ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا))⁽¹⁾وعلى أصحابهم المنتجبين وبعد:

تختلف الدوافع في الكتابة في أي موضوع ، فمنهم من يكتب بدافع البحث عن الحقيقة إلى مدافع عن فكرة معتقدا أنها تمثل الصواب، ومنهم من يبحث ويحلل ويناقش ويستنتج ، ليدعم ما يؤمن به مسبقا، إلى باحث من أجل رفعة وشهرة وشهادة، ودراستي في هذا البحث تتبع في أنني لم أجد من كتب في هذا الموضوع إلا إشارات هنا وهناك ،لذا فالباحث حاول ان يبحث عن الحقيقة متبنيا الراي الاول.

ويجد الباحث انه عند إنعام النظر في الديانات الثلاث أنها في حقيقة أمرها ديانة واحدة، جوهرها واحد، ولكنها ظهرت بتجليات عدة عبر الزمان الممتد للمسيرة الطويلة للديانات السماوية، فكانت نتيجة هذه المسيرة الطويلة هي تلك التجليات الثلاثة الكبرى(الديانات)، التي تحفل كل ديانة منها بصيغ اعتقادية متعددة ، فمع أن هناك تناظر واشتراك قائم ما بين اليهودية والإسلام في صلب القضية ،وهي قضية الخلافة ، إلا ان في المسيحية اختلافات وكذلك مشتركات فيما يخص موضوع الخلافة ،ومع هذا نجد أن الديانات الثلاث لها مشتركات ثلاث في الوقت المعاصر خصوصا فيما يعتقده اصحاب هذه الديانات في قضية الموعد المنتظر فاليهود يعتقدون بمجيء الماشيح المنتظر وهو من نسل داود ، والمسيحيون يعتقدون بالمجيء الثاني ، والمسلمون يعتقدون بقيام المصلح المنتظر (عج).

اهمية البحث: ان لعدم التطرق لهذا الموضوع شذني أن أكون من الباحثين حوله، حيث ان البحث لم تتطرق له الدراسات الاسلامية مع انه يوصلنا الى حقائق ملموسة تقرينا الى وضع متشابه جدا ومقارن ما بين الديانات بخصوص نظرية خلافة الانبياء.

جوهر فكرة البحث: كان لابد للبحث عن جواب لاشكالية، وهي هل ان الانبياء في الديانات السماوية الثلاث لهم امتداد من بعدهم للحفاظ على رسالتهم ودعوتهم وديموميتها خصوصا اذا علمنا انها رسالة الهية وليس مصدرها من الانسان؟

حيث ان البحث يحاول ان يقدم حلول عن اشكالية للصورة المشتركة والمقارنة حول نظرية خلافة الانبياء ما بين الديانات السماوية الثلاث، والتي تفيد هل ان هناك تنصيب واختيار وجعل الهي من خلال البحث في النصوص والمصادر المعتمدة في هذه الديانات بمعنى اخر في التوراة والانجيل والقران وكذلك من خلال المصادر الفكرية لكل ديانة، ام لا توجد، وبالتالي فهي نفس لفكرة الخلافة، لأن الأنبياء كما بعثوا هادين للناس ومعددين لهم لقبول وحي الله، فقد بعثوا أيضا لقيادة المجتمعات البشرية وجعلها تسير التشريعات القانونية وبالتالي فلا بد لرسالتهم ان تستمر من خلال التبليغ والمحافظة على تلك الرسالة.

منهج البحث: من جراء عنوان البحث حتم على الباحث أن تكون دراسته دراسة تحليلية مقارنة للنصوص الدينية في التوراة والانجيل والقران مع الاخذ بالاعتبار التوفيق بين ما حرف في التوراة والانجيل وما بين ما هو واقع يتطابق مع الدراسات الاسلامية مع هذا التحريف، وكذلك قدم الباحث منهج نقدي للنصوص التوراتية والانجيلية خصوصا فيما يتعلق بعدم تنزيه الانبياء وغيرها من الصور التي يريد الباحث ان يصل لموضوعه وهو خلافة الانبياء، وهذا تطلب من الباحث أن يرجع إلى مصادر اليهود والمسيحيين والتي هي قليلة جدا في هذا الموضوع ولم يعثر الا على القليل منها، مما جعل من الباحث ان يعتمد على النصوص الدينية لديهم ويقوم بتحليلها وفق منهج المقارنة.

صعوبات البحث: فقد لقي صعوبات من خلال هذا المنهج الذي يعتمد على تحليل النصوص والمصادر المتوفرة والنادرة جدا، فضلا عن ذلك فانه لقلّة المصادر قام الباحث بالسفر إلى شمال العراق وتحديدًا الى اربيل، وبالذات إلى كلية بابل الحبرية للاهوت والفلسفة، حيث التقى بالآباء والأساتذة فيها، وقد استفاد الباحث منهم جميعا، وقد تم تزويد الباحث بمصادر مهمة، وبعدها سافر الباحث للحصول على مصادر من مجلة الفكر المسيحي في بغداد وبعد معاناة للالتقاء بالدكتور يوسف مرقس توما الدومنيكاني ، تم لقاء الباحث معه، وقد أشار الباحث الى اللقاء الذي معه والذي استفاد الباحث كثيرا ، حيث تم الغاء الكثير من المفاهيم التي كتبها الباحث في بداية مشواره والتي بسببها تم تاخير كتابة البحث، وبعد لقاء الباحث معه تم اللقاء بعد ذلك مع المطران القس بطرس المطران في كنيسة مريم العذراء في بغداد، وكذلك تم لقاء الباحث مع المطران القس ماهر في كتدرائية الرسولين بطرس وبولس في بغداد، وكذلك الحضور لمحاضرات الاساتذة في جامعة بغداد الحرة للدراسات اللاهوتية والفلسفية، هذا فضلا عن الاتصالات مع المختصين اللاهوتيين عشرات المرات سواء عن طريق الرسائل أو الاتصالات الهاتفية، ولا أنسى جهد المشرف الدكتور وليد فرج الله الذي كان همه الوحيد في أن يصل بالموضوع لأفضل مستوى ؛ لأن الموضوع ليس بالسهل، بل هو من المواضيع الشائكة ،الذي يراد له وقت اكثر والمكتبة العربية مع الأسف فقيرة جدا ، ولذا جاءت دراسة تحليلية من المصادر المتوفرة، وكذلك من الموسوعات خصوصا ما كتبه صاحب موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، فقد استفدت منه كثيرا، ولا

أخفي فأن العلامة البلاغي قد استفدت منه كثيرا لحل وتفكيك النصوص التوراتية التي لم أفهمها إلا بصعوبة بالغة ولكن من خلال الموسوعتين الأنفتيين ذكرهما استطعت أن أفهم الموضوع وهذا تطلب مني الكثير من الأيام والليالي.

وهناك صعوبات أخرى منها أن خطة البحث قد كلفتني الكثير من الوقت ، فمدخلية البحث في فصل الإسلام ، قد اختلفت قليلا عن اليهودية وفي المسيحية ، ففي الإسلام هناك صورة واضحة للتوحيد والنبوة والخلافة ، بينما في فصل اليهودية وان كان هو الأقرب للإسلام من خلال مفهوم التوحيد والنبوة إلا أن بعض مفهوم النبوة كان فيه مشتركات لفظية مع المداليل الاصطلاحية لمفهوم الخلافة ، وهذا تطلب مني الكثير من الجهد والقراءة ، وصرف أكثر الأوقات لفهم المصطلحات المترادفة ما بين مراتب النبوة ودرجاتها ، وما بين مفهوم الكهانة (الإمامة) ، ولا يخفى أن الطوائف اليهودية لكثرتها لم يستطع أن يتطرق لها الباحث ، بينما في فصل المسيحية فان الباحث قام بتطبيق نظرية الخلافة على السيد المسيح عليه السلام ، تمهيدا للحصول على نتائج تبين وجود هذه النظرية من خلال النصوص الانجيلية لخليفته من بعده .

خطة البحث وقد قام البحث على عدة افتراضات ، أجاب عليها الباحث فاستدعى ذلك أن يشمل البحث بعد المقدمة على تمهيد منهجي بين يدي البحث انتظم : تعريف بشكل مبسط بالديانات الثلاث ، واشتمل على ثلاثة فصول ، تحدثت في الفصل الاول عن خلافة الانبياء في الديانة اليهودية ، وقد قسمت الفصل الى مبحثين ، المبحث الاول تناولت فيه عن الخلافة مفهومها واهميتها ومشروعيتها ، ودورها . ثم تحدثت في المبحث الثاني عن الخليفة كيفية تعيينه واهمية وجوده ، وقد طبقت نفس هذه المنهجية على الفصل الثاني وهو خلافة الانبياء في الديانة المسيحية ، وكذلك طبقتها على الفصل الثالث ، الذي كان بعنوان خلافة الانبياء في الاسلام ، ثم اختتمت الدراسة بخاتمة انقسمت الى ""المقارنة حول خلافة الانبياء في هذه الديانات السماوية الثلاث ، ثم اهم النتائج التي ابرزتها هذه الدراسة ، واخيرا قدمت بين يدي اساتذتي مقترحات حول السبل للنهوض في واقع دراسات الاديان المقارنة"" ثم اخيرا المصادر والمراجع .

تمهيد تاريخي

إن البحث حول خلافة الأنبياء ليس بالبحث اليسير وذلك لغور معنى الخلافة والإمامة ، كيف لا ، وأدنى معرفتها أنها عدل النبوة، إلا انها ليست بنبوة، والبحث حول الخلافة قد يكون اشق من البحث حول التوحيد، وذلك لأن التوحيد يعني اثبات الألوهية ،ونفي الشرك في مقام الذات ،وهذا ماتعقدته الديانات الثلاثة ، بينما الخلافة والإمامة فإنها تمثل جانب آخر من الإيمان بالله ،وهو جانب الانصياع والطاعة لمن أمر الله بطاعتهم، وتعتبر ممارسة اعتقادية، وعملية للإيمان ، لذا كان من المهم الاهتمام بها واعطائها الأولوية في البحث ، لإثبات أن الحق تعالى أبقى هذا الاتصال بين الأرض والسماء، عبر الرسالات السماوية ، وخصوصا الديانات الثلاث الكبرى.

ولأن الدراسة تختص في الديانات السماوية الثلاثة ، اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام ، يرى الباحث انه وعند النظر للمسيرة الإسرائيلية وحركتها أن الدين الإلهي الذي بعث به موسى نزل في وقت بدت فيه أعمال الكفار كالحجب المتراكمة التي بعضها فوق بعض تخنق نور المعرفة في القلوب.وقامت فيه الحاجة الانسانية للأمن والطعام بالهبوط بالإنسانية إلى درك اسفل سافلين ويعود ذلك إلى العقائد التي رفع الشيطان أعلامها حول الأرباب المتعددة من كواكب وأوثان وأصنام.

هنا نزل الدين الإلهي على موسى ليقود بني إسرائيل إلى صراط الله الحميد ، ويكونوا هم بدورهم حجة على غيرهم، لقد انعم الله تعالى على بني إسرائيل نعماً عديدة تبدأ بنعمة وجود موسى بين ظهرانيهم وهدايتهم إلى دين الله وتمر بنجاتهم من آل فرعون وتنتهي بانزال التوراة وتشريع الشريعة التي تزهو بسنة اجتماعية هي أحسن السنن وهي مئة التوحيد ، تأمرهم بطاعة الله ورسوله ومن خصهم بالكهانة التي هي صاحبة المكانة الرفيعة، بكونها الوساطة والشفاعة بين الرب وبينهم، لتطهيرهم من الذنوب ، وخلصهم الدنيوي والأخروي، وفي خيمة الاجتماع بين لهم موسى أن الأخلاق الفاضلة تحتاج إلى عامل يحرسها ويحفظها في ثباتها ودوامها ،وهذا العامل هو التوحيد ، ويبيّن أن اركان المجتمع الصالح لا تثبت إلا برجال تحددهم الدعوة بصفات حددتها الشريعة الموسوية وقد عرفهم النبي موسى ولم يكن من عنده انما هو أمر من الله سبحانه. وفي الوقت الذي بين موسى لهم طرق الخير أخبرهم بالغيب عن ربه انهم سيختلفون من بعده وسينحرفون ، مما سوف يوجب لعنة الله عليهم وقد وقع ما أخبر به موسى، وبرزت قيادات هدفها التصارع على الملك حيث ان بني إسرائيل زاغوا عن الطريق المرسوم لهم ، والالتزام بطاعة

قربى موسى الذين هم سبل النجاة لهم، بل العكس عملوا بني إسرائيل أن أبعادوا هؤلاء التلة من المكانة الرفيعة فما لبثوا أن هاجمتهم الأمم المجاورة . وبينما كانت المسيرة الإسرائيلية تتخبط في دروب الانحراف ، بعد أن أبعادوا قربى موسى ، وتأثروا بدين الأمم المجاورة وعكفوا على عبادة العجول ، جاء السبي الآشوري ومن بعده البابلي ، وفي أرض السبي تغذت المسيرة من الثقافات العنصرية ومن عقائد لا تؤمن بما وراء الحس ، ولا ينقاد أتباعها إلا إلى اللذة والكمال المادي ، وفي المجتمع اليهودي تلبست هذه الثقافات بلباس الدين و ظهرت مقولات الأخبار التي تصف اليهود بأنهم المخصوصون بالكرامة الالهية ولا تعدوهم إلى غيرهم، ويروا ذلك بان الله جعل فيهم النبوة والكتاب والملك ،وأخذوا من أفواه أحبارهم ان الدين الموسوي لا يعدو بني إسرائيل إلى غيرهم وعلى هذا فهو جنسية بينهم، ولما كانت هذه الكرامة أمراً خص بني إسرائيل ، فالانتساب الإسرائيلي هو مادة الشرف وعنصر السؤدد والمنتسب إلى إسرائيل له التقدم على غيره ، تحت قيادة الحس والمادة أصبح القوم لا يقبلون قولاً إلا إذا دل عليه الحس.

وعلى امتداد هذا الفقه تناقست الملكات الانسانية قولاً وفعلاً وكفر اصحابها بنعمة الله وأنتج هذا التناقض العديد من الفتن المهلكة.

ومع هذا كان هناك المصلحون من ذرية هارون أخي موسى ،وباقي خلفاء الأنبياء الآخرين الذين يقيمون بناموس(التوراة) موسى، ومن لطف الله تعالى بعباده بعث فيهم المسيح عيسى بن مريم ولكن بني إسرائيل كذبوه وطالبوه بأن يعيد لهم الملك ان كان هو المسيح حقاً، وكانت مقولة شعب الله المختار وأرض الميعاد، أصلاً أصيلاً في الصد عن سبيل الله لأن الفطرة تقول بأن الأرض يورثها الله من يشاء من عباده، والله تعالى لا يصطفي أحداً بالاستخلاف أصطفاء جزافاً ولا يكرم أحداً إكراماً مطلقاً من غير شرط ، ولا قيد ، لأن الكرامة الإلهية ليست بذاك المبتذل السهل التناول حتى ينالها كل ناعق ، بل يشترط في نيلها الوفاء بعهد الله وميثاقه والتقوى في الدين فاذا تمت الشرائط حصلت الكرامة ، وهي المحبة والولاية الإلهية التي لا تعدو عبادة المتقين، وأثرها النصر الإلهية والحياة السعيدة التي تعمر الدنيا وتصلح بال أهلها وترفع درجات الآخرة.

بعث السيد المسيح (ع) في منطقة فلسطين ليحمل الشريعة السماوية الثانية التي نسخت بعض احكام الشريعة اليهودية وامضت البعض الآخر منها، في حركة تصحيحية لمجمل الوضع المتردي لشعوب المنطقة وللشعب اليهودي بشكل خاص حيث عمل المسيح عيسى وحواريه بجهود حثيثة لنشر تعاليم الشريعة الجديدة، ولتكوين مجتمع جديد تسوده شريعة الله وإحكامه ولكن مجامع الكنيسة، والنخبة الرومانية الحاكمة نصبوا له العدا، وسعوا في إجهاض دعوته بكافة الوسائل المتاحة لديهم من اشاعة الأكاذيب والافتراء والتهديد بالقتل للسيد المسيح الذي مثل الخط الطبيعي لقيادة الانبياء عبر التاريخ

ولنظرية القيادة السماوية التي حمل صفاتها وسماتها بكل تفاصيلها، ليضطلع بدور القائد الذي يعمل على هداية الناس وتنظيم أمورهم وإيجاد واقع جديد فيه رضى الله.

وفي هذا الصدد سعى اليهود باغراء الزمرة الحاكمة بقتل النبي عيسى (ع) على عاداتهم في قتل الانبياء والخروج على تعاليم السماء رغم انه جاءهم بخير الدنيا والآخرة وبالعقيدة السمحاء الخالية من أي تحريف او تشويه مما صنعتها الفرق اليهودية كالصدوقية والفريسية وغيرهما من الفرق اليهودية، فكان نتيجة ذلك ان سعوا في صلبه واجهاض دعوته ولكن الله نجّاه من كيدهم ولتستمر الدعوة بعد ذلك مع تلامذته، فلقد وجدت في زمن المسيح قيادة قامت بالحفاظ على رسالة المسيح ، ولتكون قد هيأت لرسالة خاتمة، فقد اضطهد اليهود تلاميذ عيسى، وقد أخبرهم عيسى بذلك ، ثم ظهر بعد ذلك من ادعى انه رأى المسيح بعد رفعه وهو بولس الذي تكر التوراة الحالية ،بولسان بولس نفسه انه قد اضطهد أصحاب السيد المسيح ، ولكنه مارس الدعوة بماله من ذكاء وما له من جاه، فألغى الشريعة النصرانية داخل الحي النصراني وشكك في أحقية اسماعيل بن إبراهيم (ع) في الميراث ، وعلى هذا الأصل صد عن سبيل النبي الخاتم وبشارته في التوراة والانجيل ثم توجه بقاقلته نحو الأمم بتغيير ما نزلت به الشريعة على السيد المسيح (ع) ودخول بولس بدعوته إلى ساحة الأمم بانحراف الديانة بسببه يعطي كرهه لتعاليم المسيح أولاً، وإنشاء قاعدة تكون في خدمة أهدافه ،وأهداف اليهود البعيدة ثانياً، والصد عن سبيل الدعوة الخاتمة ثالثاً، وذلك لأن المسيح كان يبشر في نفس الوقت بالنبي الأممي وامته الأممية ، وهذا يعطي ان الدعوة الخاتمة دعوة عامة متوجهة إلى البشرية كافة، وبولس بصفته كان الاول في الديانة اليهودية كما قال عن نفسه، كان يعلم ان الرسالة الخاتمة ستخاطب الأمم ، لهذا تقدم نحو الأمم ليضع وقوده الذي يسير القافلة نحو اهداف محدودة،ويكون عائقاً أمام دعوة محددة، وبعد جهد متواصل أصبح بولس عنواناً للمسيحية ،وصارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه منسوبة إليه، ومما يذكر أن الشواهد الكتابية لهذه المسيرة هي : أناجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا، أعمال الرسل، الرؤيا.

ويتناول الزمن والبعد عن عصر النبي عيسى فتح رجال الدين المسيحي الباب للاجتهد في اصول الدين المسيحي بمساعدة الاباطرة الرومان الذين اقرروا بعقائد جديدة عارضة على الشريعة المسيحية الاصلية عملت على تأليه المسيح وادعاء تجسيد الاله النبي عيسى (ع) مما حمل معه محاذير عقائدية كثيرة تتناقض ومقتضيات العقل والنقل عبر التاريخ، فاقترضى هذا الامر شريعة جديدة لتصحيح هذه العقائد، فكانت الشريعة الاسلامية، هي الشريعة الخاتمة وكان دستورها الخالد هو القران الكريم الذي حفظه الله من التحريف.

الفصل الأول

خلافة الأنبياء في الديانة اليهودية

المبحث الأول: الخلافة: مفهومها وأهميتها ومشروعيتها ودورها.

المطلب الأول/ مفهوم الخلافة.

المطلب الثاني/ أهمية الخلافة.

المطلب الثالث/ مشروعية الخلافة (الأدلة النقلية والعقلية).

المطلب الرابع/ دور الخلافة.

المبحث الثاني: الخليفة: أهمية وجوده وكيفية تعيينه.

المطلب الأول: أهمية وجود الخليفة .

المطلب الثاني: كيفية تعيين الخليفة .

المبحث الأول

الخلافة في الديانة اليهودية

مفهومها، أهميتها، مشروعيتها، دورها.

يتناول هذا المبحث شيئاً من التفصيل حول خلافة الأنبياء من ناحية مفهوم الخلافة، مفصلاً القول في أهم العقائد التي تخص الموضوع، حيث إن الديانة التي نزلت على النبي موسى توضحت فيها أهم أصول الديانة وهي التوحيد والنبوة، ولكن التوحيد تبناه الفكر اليهودي بصورة كان يعتمد على فكر ضيق بحيث أصبح الرب يعتبر مختصاً لبني إسرائيل وحدهم، وسمى الرب بـ(يهوه)⁽¹⁾، وفي هذا المبحث يبين البحث مفهوم الخلافة في الديانة اليهودية، حيث تم تعريفه لغة واصطلاحاً، ثم بين أهمية هذه الخلافة في هذه الديانة وضرورتها، لما تشكله الخلافة في الفكر اليهودي لأهم أصل من أصول الديانة اليهودية، ثم بين البحث الأدلة التي من خلالها استدل الفكر اليهودي على شرعية خلافة النبي موسى (ع) والتي امتدت حتى ظهور الديانة التي نزلت على النبي عيسى (ع)، ومن ثم إعطاء بيان للدور الذي لعبته الخلافة. فكان على البحث في خلافة الأنبياء في الديانة اليهودية أن يحدد مفهوم الخلافة وأهميتها وضرورتها ومشروعيتها ودورها عموماً في الفكر اليهودي.

المطلب الأول

مفهوم الخلافة في ديانة بني إسرائيل

⁽¹⁾ موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، عارضه باصوله العربية والعبرية، د. حسين اتاي، مكتبة الثقافة الدينية: ص 10، والطبعة الانجليزية، M.Malmanides: The gaidefar the preplexool, transby, Mefridlandf New York, p,10.

وردت مفاهيم عديدة في الفكر اليهودي دلت على مفهوم الخلافة ، فاحيانا يعرف بالكاهن ويكون على رأس الزعامة الدينية ، واحيانا يعرف برجل الله أي المبلغ عنه ،ناهيك عن وجود من يعلم الغيب عندهم ويطلق عليه اسم الرائي . وقد تمتع اصحاب هذا المنصب بسلطة دنيوية واسعة فمنهم من كان ملكا يحكم باسم الله ، ومنهم من كان قاضيا يفصل في الخصومات ، ولتحديد مفهوم الخلافة عند الفكر اليهودي لابد من توضيح المفاهيم التي دلت عليه وعلى النحو الاتي :

اولا: مفهوم النبوة:

ومن المفاهيم التي تشترك مع مفهوم الخلافة والتي تحمل مدلولات ذلك في الفكر الديني اليهودي هو مفهوم «النبوة» والتي تعني في العبرية (الحدس) بالأحداث التي سوف تقع في المستقبل تماماً كالذي يتنبأ بالأحوال الجوية، فهو متنبئ جوي لأنه يتكهن بما سيحدث من تغيرات في الطقس، ثم تطورت دلالة الكلمة لتعني الأخبار بارادة الرب، فالنبي هو الذي يوحى إليه الرب بارادته ليبلغها للناس، أي انه هو المتحدث باسم الرب⁽¹⁾.

لقد أعطى الفكر اليهودي في القرون الوسطى تعريفا للنبوة فيه اختلافات شانه شأن المتكلمين المسلمين والمفكرين المسيحيين⁽²⁾، فقد انتهى موسى بن ميمون⁽³⁾، بصدد مسألة النبوة ان فيها ثلاثة آراء: الأول: هو رأي العوام الذين يعتقدون ان الله يختار من يشاء من الناس يبعثه نبياً، ولا فرق بين ان يكون هذا الشخص حكيماً أو جاهلاً عجزواً أو صغيراً.

الثاني: هو رأي الفلاسفة القائل بان النبوة ملكة انسانية خالصة بلغت أقصى كمالاتها.

الثالث: وهو ما يرجحه ابن ميمون اذ يرى ان النبوة غير ممكنة دون تربية وتدريب تعطي صاحبها امكانية التنبؤ والتي تحولها ارادة الله من القوة إلى الفعل⁽⁴⁾.

ويذكر بعض الباحثين، ان هناك تيارات خاصة في الفكر اليهودي طورت مواقفها من النبوات ، فالبعض قصر النبوة على المجال العلمي أي على تبليغ الله لوصاياه من أجل الفعل الانساني، حيث ان الفعل قادر على تزويد الانسان بكل الحقائق النظرية: نظرية للخلاص⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ظ: د. محمد بحر عبد المجيد - اليهودية: ط مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة - سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - العدد 20- 1422 هـ- 2001 م - ص 25.

⁽²⁾ هناك تماثل لدى المفكرين المسيحيين واليهود في رؤية كل منهما لمسألة النبوة، فقد تساءل القديس توما الاكويني عما إذا كانت النبوة معرفة أم معجزة؟ وانتهى إلى انها تقوم- أولاً- في المعرفة ثم المعجزة. ظ: ميخائيل ضومط: توما الاكويني دراسة ومختارات : المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1956، ص 115، وظ: م.ن، ميخائيل ضومط توما الاكويني دراسة ومختارات 1983 م - 1430 هـ متقبس من موقع مكتبة الملك فهد الوطنية.

⁽³⁾ يعد أحد جسور الوصل الحضاري بين الشرق والغرب، وهو مفكر يهودي، عاش في وقت الحضارة الأندلسية، ولد 503 هـ 1135 م- وتوفي 603 هـ 1204 م ويعتبر أكبر فيلسوف يهودي ظهر في القرون الوسطى.

⁽⁴⁾ موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، عارضه باصوله العربية والعبرية، د. حسين اتاي، مكتبة الثقافة الدينية: 219-220.

⁽⁵⁾ هذا الرد يتبناه موسى مندلسون، ظ: علي مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ (محاولة في

بينما يرى البعض الآخر ان الوحي في اليهودية لا يعني غير ان الانسان حامل للعقل⁽¹⁾، بمعنى ان النبوة يمكن ان تكون من خلال التدريب فهي ليست اصطفاء من قبل الله سبحانه .

وفي هذا تناقض واضح واضطراب لقضية النبوة ،لان النبوة يستحيل ان تتطور فابراهيم (ع)لايمكن القول بان نبوته غير مكتملة في الفكر اليهودي والسبب هو ان هذا الفكر لم يجعلونه في مصاف الانبياء بل هو يعتبر من اهم الاباء لبني اسرائيل مثله في ذلك كموسى وهارون ويوشع. في هذا تناقض واضح مع مفهوم النبوة الذي يعني العمل الالهي من خلال الانبياء ويبدو ان هناك تكليفا انسانيا من الرب للشخص المختار من النبوة، فضلا عن تهيئته ليكون مقبولا لدى الامة ،بمعنى ان الاختيار الالهي الصريح لشخص النبي يقوم على ادراك الرب لضرب من الاختيار الانساني المضمحل لذات الشخص .

وكان الشعب كي يتحقق قصد الوحي وكما يراه بعض العلماء ،في حاجة لا إلى نبي واحد فقط بل إلى سلسلة متصلة من الأنبياء ، من إبراهيم إلى موسى، ومن صموئيل إلى ناثان ومن ايليا إلى عاموس...الخ في ظاهرة لا مثيل لها ابدأ⁽²⁾. ولما كان ما بين هؤلاء الأنبياء قد نصت التوراة على نص خلافتهم الصريح والجلي سواء لهارون وذريته⁽³⁾، أو يوشع فامر موسى(ع) بان يأخذ يوشع فانه ذو روح بل أوصاه بكيفية طريقة تنصيبهم ان يجعله امام اليعازر الكاهن ، وامام الشيوخ وامام الجماعة كلها⁽⁴⁾. لذا فالمفهوم ان يعبران عن معنى واحد فالنبي اللاحق يكون خليفة للنبي السابق⁽⁵⁾، فهو نبي وخليفة وخليفة معاً، كما هو الحال لهارون وبعد وفاته كان النبي يوشع خليفة لموسى(ع) عندما نصبه امام اليعازر وامام ... وامام الجماعة، ثم نجد أن التوراة تعطينا مصداقا آخر لهذا الاندماج لمفهوم النبوة والخلافة وكذلك بخلافة النبي يشع للنبي ايليا⁽⁶⁾ فتقول التوراة ،((فَلَمَّا سَمِعَ اِيلِيَّا لَفَّ وَجْهَهُ ... فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اَذْهَبْ رَاجِعًا فِي طَرِيقِكَ اِلَى بَرِّيَّةِ دِمِشْقَ، وَاَدْخُلْ وَاَمْسَحْ حَزَانِيْلَ مَلِكًا عَلٰى اَرَامَ، وَاَمْسَحْ يَاهُوَ بَنَ نَمِشِي مَلِكًا عَلٰى اِسْرَائِيْلَ، وَاَمْسَحْ اَلِيْشَعَ بَنَ شَافَاطَ مِنْ اَبْلِ مَحُوْلَةَ نَبِيًّا عَوْضًا عَنْكَ))⁽⁷⁾، فعلا فقد نصبه خليفة له وهو نبي من قبل ، حيث تقول التوراة ،((فمضى من هناك فلقى اليساع ،بن شافاط وهو... مع الثاني عشر فخر نحوه ايليا ورمى إليه بردائه...))⁽⁸⁾.

ان الانبياء قد بينت التوراة نبوتهم ، فابراهيم تبين التوراة نبوته عندما تقول((فَالآنَ رُدُّ امْرَأَةِ الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ

(1) وهذا الرأي يتبناه (هرمان كوهن) احد المفكرين اليهود، ظ: م.ن، ص71.

(2) ظ: م.ن:ص 97.

(3) ظ: العهد القديم سفر اللاويين 8: 2، ظ: سفر الخروج39: 1-32،ظ:سفر الخروج40: 12-15.

(4) ظ: م.ن،سفر تثنية الاشرع 34 : 9.

(5) وهذا ماشار اليه النبي (ص) بقوله لعلي يا علي انتي مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لاني بعدى .

(6) تقول التوراة في معنى خلافة النبي ايليا((ومسحت ملوكا للمجازاة وانبياء خلفا لك))،م.ن،سفر يشوع بن سيراخ 48 : 8.

(7) م.ن ، سفر ملوك أول 19 : 9 - 16.

(8) العهد القديم، سفر التكوين 11 : 19 - 21.

نَبِيِّ، فَيَصَلِّي لِأَجْلِكَ فَتَحِيًّا))⁽¹⁾، وكذلك، بينت التوراة نبوة موسى ((وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ موسى(ع) الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ...))⁽²⁾ وكذلك بينت التوراة، نبوة هارون اخي موسى(ع) وخليفته من بعده، تقول التوراة ((فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلَهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونَ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ...))⁽³⁾، وكان الأنبياء في عصر القضاة قد اختاروا من بعدهم خلفاء وهؤلاء ايضاً انبياء كما حصل، لصموئيل عندما عين ملكاً على بني إسرائيل.

مما تقدم يتبين ان مفهومي النبوة والخلافة يعبران عن معنى واحد في شخص واحد، فالنبي اللاحق خليفة للنبي السابق فهو نبي، وخليفة معاً، وجاء من بعد اليعازر، ابنه فينخاس وقد جدد الرب العهد له، عندما أغار للرب، مما يبين سمو ورفعة شخصيته، فهو يمثل السلالة المتصلة لهارون لذا كان بني اسرائيل يلجأون إلى هؤلاء باعتبارهم الوسطاء بين الرب والناس، والدليل على مكانتهم هو تجديد الرب عهده معهم، فقد أعطى لهارون، ومن ثم لبني هارون ومن ثم لفينخاس، لذا تقول التوراة ((إن فينخاس... قد ردّ غضبي عن بني إسرائيل إذ غار غيرتي في وسطهم فلم أفن بني إسرائيل بغيرتي، لذلك قل له: ها انذا أقطع معه ميثاق سلام، فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوتي أبدي لأنه غار الله وكفر عن الإسرائيليين))⁽⁴⁾.

ويذكر المفكرون اليهود انه قد تطلق لفظة الملك على النبي بدليل نص التوراة ((وصعد ملك الرب من الجلجال إلى موضع الباكين، وبعث ملكاً وأخرجنا من مصر))⁽⁵⁾.

إما عصمة الأنبياء عند الفكر اليهودي فانه يدعي إن النبي لم تثبت له العصمة إلا فيما أرسل به فقط، أما غير ذلك من أمور أخرى غير أخلاقية فأنهم يشككون في عصمة الأنبياء، منها⁽⁶⁾، يذكر العهد القديم، انه كان داود نفسه قد وقع في خطيئة مشابهة بزناه مع بتشبع⁽⁷⁾، وداود النبي تاب ورجع

(1) م.ن، 7: 20، 17: 1-8

(2) م. ن، سفر تثنية الاشتراع 34: 10

(3) م. ن سفر الخروج 7: 1-2، وهناك نصوص تشير لنبوة موسى ظ: العهد القديم، سفر هوشع 12: 13.

(4) م. ن، 25: 11-13.

(5) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 286-287 و 425.

(6) ابن كمنون، تنتقيح الابحاث للملث الثلاث (اليهودية - المسيحية - الاسلام)، ص 47، وفيما اورده الباحث فيه وجهة نظر، فقد وردت نصوص عدة في العهد القديم تحت الإنسان على الطاعة والالتزام وتبين أثر الطاعة للأفراد والمجتمع، ((وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياها التي أنا أوصيك...))، وأما عقوبة المعاصي من قبل الرب فهي ((إن لم تسمع لصوت... معلوناً تكون في المدينة)). كما ركزت التوراة على قضية التوحيد (... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي)). كما أوجبت التوراة كفارات مقدرة مفصلة على كل نفس تخطئ سهواً، ورد ذلك في سفر الخروج 29: 14 واللاويين 4: 3 والعدد 7: 16 وفاوتت في العقوبة بين الكاهن والمسؤولين وعمامة الناس، فغلظت ذلك في حق الكاهن ظ: سفر اللاويين 4: 3 وإن سها كل جماعة إسرائيل وأخفى أمر عن أعين المجمع وعملوا واحدة من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها وأنموا ثم عرفت الخطية بها يقرب المجمع ثوراً بين بقرة ذبيحة خطية، ظ: سفر اللاويين 4: 13-16 وفي عقوبة الردة، ورد الأمر بالقتل حداً لكل من يتقرب لغير الله أو يكذب على الله أو يتخذ آلهة من دون الله، ظ: سفر الروج 13: 1-17، ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل، ظ: سفر اللاويين 24: 15-21.

(7) ظ: العهد القديم، سفر صموئيل ثاني، الاصحاح الحادي عشر باكملة.

إلى الله بدموع كثيرة وتوبة صادقة. ورغم أنه نبي إلا أنه بشر، وغير معصوم من الخطأ قد يصيب وقد يخطيء، وليس ذلك إنتقاصاً من قدر الأنبياء⁽¹⁾.

يقول بن كمنة⁽²⁾: ((وأما داود وسليمان فلم يكونا من المعصومين عن الخطأ عندهم لأنهما لم يكونا من المرسلين ، وإنما تجب عصمة النبي المرسل، فيما أرسل فيه، وفيما عدا ذلك ففي العصمة شك))⁽³⁾. ثم يستدرك بن كمنة ان تجاوز داود وولده سليمان بالقول لعلهما لم يستكثرا من الذهب والفضة لنفسه ، بل لصرفه في مصالح الأمة وذلك غير منهي عنه. إلا ان تجاوزه في استكثاره من النسوان، فهو قد أخطأ بتجاوزه على هذه الفريضة⁽⁴⁾.

ثانياً: مفهوم الخلافة:

ولغة مأخوذة من خلفه يخلف خلافة وخليفتي وخلفه في اهله جعله خليفة عليهم وخلف فلانا بقي بعده⁽⁵⁾ ، اما اصطلاحاً فهي تعني الذي ينوب عن غيره لغيبة المنوب عنه اما لموته واما لعجزه⁽⁶⁾، وفي العهد القديم دلت على هذا المعنى في كثير من النصوص نذكر منها: ((فقال الرب لموسى(ع) خذ يشوع... خلفاً لك))⁽⁷⁾، وكذلك تذكر التوراة ان الخلافة عند بني اسرائيل يمكن ان يكون المتصدي لها وهو المختار من قبل الله ان يكون نبيا كما هو الحال عند خليفة النبي ايليا الا وهو النبي يشع ، تقول التوراة ((ومسحت ملوك للمجازاة وانبياء خلفاً لك))⁽⁸⁾

ثالثاً: مفهوم الكهانة:

هو احد المفاهيم التي تشترك مع مفهوم الخلافة وهو في اللغة العربية مشتقاً من اسم فاعل من كهن

(1) شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع كنيسة الانبا تكلا، الكنيسة الارثوذكسية.

(2) وهو سعد بن منصور بن كمنة اليهودي من الذين عاشوا في القرن السابع الهجري .

(3) بن كمنة، تنقيح الأبحاث للثلاث للملث الثلاث ، اليهودية ، المسيحية ، الإسلام، ص 47.

(4) فيما أورده بن كمنة نظر لأن التوراة ذكرت بحق نبوة داود، وبين كمنة يعترف بذلك تماماً فكيف من كشف الله له له ان يتجاوز على الفرائض.

(5) ظ: المعلم بطرس البستاني ، محيط المحيط:، باب الخاء، 1: 580- 584 (د.ت)، وظ: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي، تاج العروس، تح: علي شيري: 12: 184 ، 1994م، منشورات دار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

(6) ظ: الفيروز ابادي ، القاموس المحيط، ط2، 134هـ، مطبعة الحسينية المصرية، ص119.

(7) ظ: العهد القديم، سفر العدد 27: 19-23. ومفهوم الخليفة هنا واضح، فان يشوع هو الخليفة من بعد موسى وهو رئيس الجماعة بعد وفاة موسى وللمزيد من التعرف على هذا المصطلح في نصوص العهد القديم، راجع : سفر صموئيل الثاني 7:

12، سفر ملوك الثاني 2: 9، سفر اخبار الايام الأول 17: 11 ، سفر ملوك الثاني 11: 22 ، سفر الخروج 29: 30 .

(8) م. سفر يشوع بن سيراخ 48 : 8 .

يكهن كهانة ولغويا يعني إذا أفضى بالغيب وحدث به⁽¹⁾، وهو في العبرية كهن وفي السريانية كهنا، والجمع كهنة وكهان⁽²⁾، وهو في الاصطلاح ((الذي يكرس نفسه لخدمة الدين ، متوسطا بين الله والناس))⁽³⁾، في حين عرفته التوراة بانه: ((الشخص المخصص لتقديم الذبائح))⁽⁴⁾ .

ومما سبق يتضح ان الكاهن قد جمع بين تلك المهام ، ويمكن ملاحظة ذلك من كهانة هارون ، اذ تقول التوراة ((فَيَكْفُرُ عَنِ الْقُدْسِ مِنْ نَجَاسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ. وَهَكَذَا يَفْعَلُ لِخِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ الْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ فِي وَسْطِ نَجَاسَاتِهِمْ))⁽⁵⁾، وفي نص اخر ((وقال موسى(ع) لهارون خذ المجمرة ... واذهب بها مسرعاً الى الجماعة وكفر عنهما فان الغضب قد خرج من لدن الرب ... فاخذها هارون ووقف بين الموتى والاحياء فكفّت الضربة))⁽⁶⁾، وكذلك فانه ، يقوم باهم عمل وهو تفسير الشريعة اذ جاء في نص التوراة ((وكلم الرب هارون :خمرا ومسكرا لا تشرب انت وبنوك... للتمييز بين المقدس والمحلل وبين الخير والظاهر ولتعليم بني اسرائيل جميع الفرائض التي كلم الرب فيها بيد موسى))⁽⁷⁾، وبدونه لا يمكن شغل هذه الاعمال ولا تصح الطقوس معها من بقية افراد بني اسرائيل فالكاهن كانت له منزله كبيرة اذ كان يتكلم بلسان روح القدس⁽⁸⁾.

ان تاريخ الكهانة لدى اليهود تعود الى ظهورهم في التاريخ ، إذ كان كل رب أسرة عبرانية، وأول الذكور فيها يقومان بدور الكهان، و((قد ظل هذا الوضع قائماً حتى زمن خروجهم من مصر أو الهجرة منها حين انحصرت الكهانة في قبيلة اللاويين))⁽⁹⁾، لأن آباؤهم رفضوا عبادة العجل الذهبي⁽¹⁰⁾، ولكن لما سنّ النظام الجديد ، عند نزول التوراة ، امر الرب ان يقوم موسى(ع) بتتصيب هارون وذريته للخلافة من بعده ، اذ قال: ((وقرب اليك هرون اخاك وبنيه معه من بين بني اسرائيل ليكهن لي...))⁽¹¹⁾ وقد جعل في هذا النظام ممارسة الكهنوت مقتصرًا على السلالة الرسمية "هارون وذريته"، وكان يحق لكل ذكر من

(1) ظ: بن منظور، لسان العرب ،مادة (كهن)، ط1، دار صادر، بيروت،(د.ب.ت)، 13: 362-363.

(2) جورج مسوح، الكهنوت في الكتاب المقدس، مقتبس من شبكة المعلومات، الانترنت موقع المحبة الارثوذكسي، الأرض المقدسة.

(3) زكي شنودة، المجتمع اليهودي، ط ،مكتبة الخانجي- القاهرة، (د.ب.ت) ص127.

(4) ط:البستاني، بطرس(1870م- 1286هـ)،محيط المحيط،(مادة كهن): 2: 1851، بيروت، لبنان، وظ: م.ن.؛ ط تيبورس_لبنان، 1987، ص796 ، وظ: شبكة المعلومات، الانترنت ، مقتبس من قاموس الكتاب المقدس: مادة كهن نقلاً من موقع (كنيستي).

(5) ظ:م.ن.، سفر اللاويين 16: 16، وظ: سفر حزقيال 45: 18-20، وظ:العهد الجديد،رسالة رومما30: 25.

(6) م.ن.، سفر العدد 16: 46-50.

(7) العهد القديم ، سفر اللاويين 8 : 10 – 11 .

(8) يعتبر موسى بن ميمون ان الكهانة احدى مراتب النبوة ،بل جعلها في المرتبة الثانية من مراتب النبوة ، ظ: موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص436.

(9) المسيري ، د. عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: 4: 185.

(10) العهد القديم،سفر الخروج 32: 25-35 ، ظ: 33: 1-6. لمزيد من التفاصيل بشأن عبادة العجل الذهبي راجع المطلب الثالث من هذا الفصل ، ص.

(11) م.ن، 28: 1- 5 ، وظ: القس عماد عبد المسيح ، مفهوم الكهنوت الكتابي.

هذه الذرية ان يصيح كاهناً بشرط ألا يكون فيه عيب أو تشويه جسدي، وكان البكر منهم فقط يمكنه أن يكون كاهناً عظيماً فيقرب بذلك خبزها كما جاء في التوراة: ((وكلم الرب موسى(ع) قائلاً كلم هرون قائلاً اذا كان رجل من نسلك في اجيالهم فيه عيب فلايتقدم ليقرب...لاني انا الرب مقدسهم))⁽¹⁾

فالكاهن الأعظم⁽²⁾ قد اختاره الله عندما خاطب الرب موسى(ع) قائلاً ((كلم بني إسرائيل وخذ منهم فرعاً، فرعاً من كل بيت أب من جميع زعمائهم ... بيوت إباثهم أي اثني عشر فرعاً واكتب اسم كل واحد على فرعه⁽³⁾) واما اسم هارون فاكتبه على فرع لاوي ... فالرجل الذي اختاره يفرخ فرعه، فاصرف عني تدمرات بني إسرائيل التي يتدمرونها عليكما فكلم موسى(ع)بني إسرائيل فسلمه كل من زعمائهم فرعاً فرعاً من كل زعيم على حسب بيوت اباثهم، فوضع موسى(ع)الفروع أمام الرب... وكان في الغد أن موسى(ع)دخل خيمة الشهادة، فإذا فرع هارون الذي هو بيت لاوي قد افرخ ... وازهر وانضج لوزاً))⁽⁴⁾.

مما تقدم يتبين ان الرب قد اختار هارون وكرسه تكريساً⁽⁵⁾ خاصاً واعطاه سلطاناً الهياً واعطاه امكانية امكانية التكفير عن الخطايا. وعند ذلك تيقن الشعب ان الرب قد اختار بيت هارون وحده للكهانة⁽⁶⁾. ولأنها منصب للقيادة والخلافة الدينية التي وضعها موسى(ع) لخليفته من بعده هارون وذريته⁽⁷⁾ أصبحت في زمن موسى(ع) هي أهم مفصل لديانة بني إسرائيل.

وعندما استقر داود في اورشليم ((قال الرب لسيدي: اجلس عن يميني حتى اجعل أعداءك موطأً لقدميك ... أقسم الرب ولن يندم إن أنت كاهن إلى الابد على رتبة ملكصادق))⁽⁸⁾. وبالتالي فان داود من من خلال هذا النص التوراتي قد جمع في شخصه وظيفتي الكاهن والملك وقد أعلن الأنبياء في العهد القديم انه ستقترن السلطة الملكية مع السلطة الكهنوتية⁽⁹⁾.

وهذا يعني ان داود قد قام مقام الخلافة ((خلافة النبي صموئيل)) عندما تم تعيينه من قبل النبي صموئيل بامر الهي⁽¹⁰⁾.

⁽¹⁾ العهد القديم، سفر اللاويين 21: 16-22.

⁽²⁾ الكاهن الأعظم هو: لقب اطلق اول مرة على هارون ومن ثم استلمه من بعده ذرية هارون من قبيلة لاوي.

⁽³⁾ ان الكلمة العبرية (قته) تعني العصا والسبب في بن واحد، كلمة (فرع) تدل على معنى (العصا) اصل السلالة فقد كان المترجم للكاتب المقدس قد ترجمها لتعني معنى العصي، ظ:الرهبانية اليسوعية،الكتاب المقدس، ترجمة جمعية الكتاب المقدس لبنان، ط4، 1995، دارالكتاب المقدس في الشرق الاوسط، هامش رقم3 ص315.

⁽⁴⁾ العهد القديم، سفر العدد 17: 1-9.

⁽⁵⁾ التكريس ، بمعنى التنصيب .

⁽⁶⁾ لويس جنز برج ، اساطير اليهود: ترجمة حسن حمدي السماحي: ج3، 311 – 314 ، ط1 ، 2007 ، دار الكتاب العربي العربي دمشق، القاهرة.

⁽⁷⁾ ظ: سفر الخروج 28: 1، سفر اللاويين 8: 1-36 ، 9 ، 10 ، 11 ، 12.

⁽⁸⁾ العهد القديم ، سفر المزموز 110.

⁽⁹⁾ ظ: م.ن، سفر ارميا 33: 14-22 ، ظ: سفر زكريا 3-6 وللزيد للتعرف على (ملكصادق) راجع الفغالي، الخوري بولس، المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم مادة ملكصادق: 1254، ط1، 2003، المكتبة البولسية جماعية الكتاب المقدس، بيروت- لبنان.

⁽¹⁰⁾ ظ: العهد القديم ، سفر صموئيل اول 10 : 1، وظ: 16 : 1.

من ذلك يتبين ان الكاهن ، هو الخليفة ، وهو بذلك يختلف عن الكاهن الذي ظهر في فترات من التاريخ اليهودي ، فلما كان مفهوم الكهانة هو سلطان الهي واختيار من الرب⁽¹⁾ ، يرى الباحثون ان الكهانة التي جاءت ما بعد مملكة داود وسليمان وبالتحديد عند انقسام المملكة في زمن رحبعام ويريعام ابني سليمان اللذان تقاسما المملكة إلى مملكة الشمال وهي مملكة إسرائيل ومملكة الجنوب يهوذا، قد تزعمها كهنة، لم يكونوا من سلالة هارون ومن جماعة الرب⁽²⁾، ثم وصل الأمر بيريعام ان أقام كهنة من عامة الشعب من غير بني لاوي⁽³⁾، وستكون ملازمة للملوك من بعد في حكمهم وهو بهذا سوف يكون قد سبب خطيئة لأن الشعب ذهب إلى بيت أيل وإلى الموضع الثاني في دان لعبادة العجول⁽⁴⁾، وبالتالي فان كهنة الرب من ذرية ذرية هارون وبني لاوي قد طردهم يريعام⁽⁵⁾ وفروا إلى بيت الرب ، وقد أقام يريعام كهنة يختصون بعبادة العجول والطقوس الأخرى.

ويجد الباحث ان لفظتي (النبى) و(الكاهن) متقاربتان من بعضهما البعض بشكل يختلط فيه المفهومان، ويصعب التفريق بينهما خصوصاً ، في الفكر اليهودي. فيجد الباحثين ان هناك خطأ بين وظيفة الأنبياء ووظيفة الكهنة في الطقوس الدينية التي كانت تقوم في المعابد والهيكل⁽⁶⁾، ويبدو هذا الازدواج في أسفار الأنبياء من التوراة، كما في سفر اشعيا حيث يربط (الكاهن والنبى)⁽⁷⁾ وكما في سفر ارميا حيث يربط بين (الكهنة والأنبياء)⁽⁸⁾.

وهناك نصوص تبين ان الكهنة بعد زمن داود وسليمان وبعد ان آلت الملكية من عبادة الله الى عبادة العجول والاوثنان وبما ان العبادة لابد لها من كهنة يقومون بعمل الطقوس الكهنوتية جاءت العبادة بما تتناغم والحاكم (الملك) الذي شجع على هذه العبادة لاجل ان لا يذهب بنو اسرائيل الى اورشليم حيث الهيكل المركز الديني الذي اسسه داود للعبادة ، واكمل بناءه الملك سليمان ، وقد جعل له كهنة مختصين له من قبيلة لاوي ومن ذرية هارون خلفاء موسى ، ولما كان هؤلاء ضمن مملكة يهوذا وملكها هو رحبعام الذي انفصلت في عهده مملكة داود وسليمان الى مملكتين مملكة يهوذا بقيادة رحبعام ، بينما كان الجزء الشمالي هو مملكة الشمال بقيادة اخيه يريعام الذي بعد انفصاله عن المملكة التي فيها الهيكل مركز العبادة ، "عبادة بني اسرائيل" ، حيث وجود الكهنة الحقيقيين من بني لاوي ومن ذرية هارون خصوصاً قام بانشاء معابد شبيهة لما موجود في الدول المجاورة. وكرس لهذه المعابد كهنة وانبياء يختصون بالطقوس الكهنوتية لاجل

(1) م.ن ، سفر العدد، 17: 16-20.

(2) كان يريعام يعمل لهدف سياسي لقد استند إلى تقليد قديم يظهر في حادثة (عجل الذهب) في سفر الخروج من الإصحاح، الإصحاح، 3، ظ: العهد القديم الألف ياء والياء، سفر الملوك الأول حاشية رقم (3) ، ص655.

(3) ظ: م.ن ، سفر الملوك الأول 12: 26-30.

(4) ظ: م.ن 12: 29-0.

(5) ظ: م. ن ، سفر الإخبار الثاني 13: 8-12 ، 11: 13-17.

(6) بنو إسرائيل، محمد بيومي، 5: 44.

(7) العهد القديم، سفر اشعيا، 28: 7.

(8) ظ: م. ن، سفر ارميا، 26: 7.

التقرب الى الله عن طريق عبادة البعل وعشتاروت، لذا فعندما يتحدث الباحثون في هذه المسألة ويقولون ان الكهنة في نصوص التوراة يذكرون دائماً قبل الأنبياء، فيما عدا المواضع التي يدور السياق فيها عن النبوة، ويعزون السبب، بقولهم ((لان الحديث فيها يكون أكثر اتصالاً بالنبى عنه بالكاهن))⁽¹⁾. ويقولون ان السبب في ذلك هو لأن الكهنة كانوا أكثر أهمية في المعبد، وكان الأنبياء تبعاً لهم وملحقين بهم، ويستدلون على ذلك انه من اجل هذا تقول التوراة ((انه عندما يتعثر الكاهن يتعثر النبي تبعاً له))⁽²⁾.

وهذا كله كلام يجب التفريق فيه بين الكهنة الذين بيّنهم الباحث وهم الكهنة الذين عينهم يريعام ومن بعده من ملوك بني اسرائيل الذين جعلوا من الكهانة طقوس مختصة لعبادة الاوثان، وبين الكهنة من بني لاوي الذين قد اوصى الرب بهم بان لهم الخلافة والكهانة فريضة ابدية دهرية مدى اجيالهم⁽³⁾ هنا يتضح دور هوشع⁽⁴⁾ عندما أراد ان يربط بأن الكهنة والأنبياء قد نصبهم يريعام الملك لإقامة الشعائر الخاصة بعبادة العجول (البعل) وليس لعبادة الرب يهوه.

لذا تتهم التوراة المدعون للنبوة الذين تنبأوا كذبا وافتراءً، بأنهم آله في أيدي الكهنة ليمدوا سلطانهم على الشعب⁽⁵⁾، كما ان تبعية النبي للكاهن وكونه دونه منزلة يظهران في النص التوراتي، جاء فيه ((أنهم من صغيّريهم إلى كبيرهم كل منهم مولع بالريح، ومن النبي إلى الكاهن كل منهم يعمل بالكذب))⁽⁶⁾، فجاء النبي في مقابل صغيّريهم وبالكاهن في مقابل كبيرهم⁽⁷⁾.

من ذلك كله نستنتج ان هناك فرقاً واضحاً بين كهنة الرب وخلفاء موسى (ع) الذين انضوا تحت راية الدين وكانوا مشعلاً، لأجل استمرار الرسالة السماوية ، لذا لا بد من التمييز بين هؤلاء الثلاثة من الكهنة والكهنة الذين تولوا هذا المنصب ولم يكونوا خلفاء مختارين من قبل الرب .

فبعد متابعة النصوص التوراتية نجد ان ادوار خلفاء موسى (ع) كهارون وذريته، ويوشع والأنبياء الاخرين امثال ايليا واليشع، وعظماء الكهنة ، كبقى ،وعزّي ، وصادوق، وذريته من بعده نجد ان هؤلاء كان الرب يخاطبهم بلسانه اكثر من مرة للقيام باعباء الخلافة على جميع الابعاد والمجالات⁽⁸⁾، وهو ما يعني انهم انبياء وينفس الوقت خلفاء للأنبياء.

نعم هناك اختلاف واضح بين تلك الثلاثة المؤمنة ، وبين الكهنة الذين غيّروا العبادة من عبادة الرب

(1) ظ: بيومي ،محمد مهران، بنو اسرائيل(النبوة والأنبياء) ، 5 : 45 ، وظ: العهد القديم ، سفر ارميا 23 : 32-34.
(2) ظ: العهد القديم، سفر هوشع 4 : 5، وهوشع هو نبي لبني إسرائيل منذ عام 753 حتى عام 715 ق.م، وقد بدأت نبوته مع نهاية ملك يريعام الثاني ودامت نبوة هوشع حتى عام 722 ق.م، وهنا يوجه هوشع الاتهامات إلى القادة الدينيين فمن كانوا هؤلاء القادة، وللمزيد من التعرف على الموضوع ظ: التفسير التطبيقي الكتاب المقدس، ص 1714.
(3) م.ن، سفر الخروج 40 : 12 - 15 ، 29 : 9، وظ: سفر العدد 25 : 10 - 13.
(4) النبي هوشع ارسل إلى المملكة الشمالية بالخصوص ظ: العهد القديم سفر هوشع: 1.
(5) ظ: م.ن ، سفر ارميا: 31.
(6) م . ن ، 6 : 3، ثم قارن، بسفر اشعيا 9 ، 14.
(7) وظ: م.ص سجال: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، ترجمة الدكتور حسن ظاظا بيروت 1967 ،ص 36.
(8) تقول التوراة ثم قال الرب لموسى ((قل لهارون: خذ عصاك ومديدك على مياه المصريين...))، العهد القديم، سفر الخروج 7: 19-20، ثم يقول الرب مباشرة لهارون ((فقال الرب لموسى وهارون خذا...)) سفر الخروج 9 : 8 .

إلى عبادة العجول، واستمر هذا الحال إلى مرحلة السبي البابلي لقد كانت الكهانة باعتبارها السلطة الدينية، متداخلة تماماً مع السلطة الزمنية، كما هو الحال في عصر القضاة (1250-1020 ق.م)، وبظهور عصر حكم الملوك أصبح رئيس الدولة (الملك) هو الكاهن الأعظم ولكنه لانشغاله كان يعين مندوبين عنه لممارسة هذه المهمة، فبدأ يظهر شئ من الانفصال بين السلطتين، ومع هذا ظل الكهنة قريبين من السلطة الدنيوية⁽¹⁾. ومرتبطين بها أشد الارتباط، كما هو الحال عند صادق، وذريته.

مما تقدم يتبين ان الكهانة عرفت منذ أول نشؤ الفكر اليهودي، وانه أصبح هو المفهوم الذي له الريادة في القيادة الدينية والروحية وأحياناً السياسية، وبالتالي فان الكهانة عندما نصبت من قبل الرب أثناء التجلي لموسى(ع) وتلقيه لوحى الشهادة كانت من أهم الوصايا الخطرة التي أوصى بها الرب لموسى(ع) ان ينصب خلافته وكهنته من بيت لاوي عموماً ومن أخيه وذريته خصوصاً⁽²⁾.

ومن هذا فان الكهانة لها منزلة عظيمة لدى اليهود وتعد اول المفاهيم التي لها ذات المعنى عندهم .

رابعاً: مفهوم رجل الله :

ويطلق على الرجل الذي يمارس السلطة الروحية والزعامة الاجتماعية بين اليهود⁽³⁾ ومن النصوص التوراتية التي ورد فيها هذا المصطلح النص الاتي : ((فتقدم بنو يهوذا إلى يشوع وقالوا له بلسان ... ،فَقَالَ لَهُ "هُوَذَا رَجُلُ اللَّهِ" فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مُكْرَّمٌ، كُلُّ مَا يَقُولُهُ يَصِيرُ... ما قال الرب لموسى رجل الله في شأني وشأنك))⁽⁴⁾، ويتوضح رجل الله أيضاً عند صموئيل⁽⁵⁾، وكذلك عند النبي اليسع وهو خليفة خليفة إيليا النبي⁽⁶⁾، إذ جاء في العهد القديم ((فرجعت إلى رجل الله اليسع فقال: روعي ببقي الزيت وأوفي وأوفي دينك، وعيشي أنت وابنك بما يبقى))⁽⁷⁾، ومن هذا نلمس الجانب المشترك بين مفهومي رجل الله وخليفة النبي .

خامساً: مفهوم القضاة : لقد وضع النبي موسى (ع) أساساً آخر لمفهوم الخلافة وهو لايتعارض مع الخلافة التي مع أعطائها لهارون فقد وضع أسس القضاء حين مرّ على حميه(يثرن)⁽⁸⁾ فقال : ((ان الشعب يأتي إلي ليستشير الله فإذا كانت له قضية يأتيني فأقضي بين ...وأعرفهم فرائض الله فقال لموسى(ع)حموه ليس ما تصنعه بحسن فانك تنهك نفسك كثيراً...))⁽⁹⁾ .

(1) هؤلاء الكهنة ونعني بهم الذين باعوا آخرتهم بديانهم وهذا الزمن هو ما بعد زمن داود وسليمان، ظ: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: 4: 185.

(2) ظ: العهد القديم، سفر الخروج: 28، 32، 40.

(3) ظ: حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، الاسكندرية، 1977، ص80-81.

(4) العهد القديم، سفر يشوع 14: 6، وينظر: م. ن، سفر تثنية الاشرع 33: 1.

(5) ظ: م. ن، سفر صموئيل اول 9: 6 و10.

(6) وذلك عندما طلب اليسع من نبيه ايليا ان يكون له نصيباً من روحه ليكون خلفاً للنبي ايليا، ظ: م. ن، سفر ملوك الثاني 2: 9-15.

(7) م. ن، 4: 7 وللمزيد من التعرف على مصطلح(رجل الله) راجع: 4: 9، 16، 27، 40، 5: 8.

(8) يثرن في التوراة هو شعيب (ع) في القرآن وهو نسيب موسى حيث زوجه احدى بناته ولعل في هذا التدبير "القضاء" مبادرة من يثرن، وهو أول ادوار تنظيم الشعب، ظ: الكتاب المقدس، الألف باء والياء: مجموعة من المؤلفين، هامش رقم (7) ص183.

(9) العهد القديم، سفر الخروج 18: 15 ما بعدها.

ان كلمة قاضي في الغالب تشير إلى ما يمكن تسميتهم بشيوخ القبائل وهؤلاء أشخاص جمعوا بين السلطة الدينية والدينية وسيطروا على أمور بني اسرائيل قبل وبعد وفاة يشوع وحتى بعد قيام حكم شاؤول أول ملوك القبائل العبرانية⁽¹⁾. وهناك صلة من موسى(ع) للقاضي الذي يتم تعيينه بانه يجب عليه الالتزام بآداب وسلوك ينبغي ان تتوفر عنده⁽²⁾، ومع وجود هارون عمل بتعيين القضاة في سيناء ثم تلاه النبي يوشع الذي استمر على هذا التعيين .

يعتبر القاضي خليفة أقامه النبي موسى(ع) واستمر عليه يوشع النبي وهذه الخلافة والزعامة لهؤلاء القضاة يصفها العلماء بأنها كانت زعامة كاريزماتية شخصية، وذلك للتمييز بينها وبين السلطة الأبوية (السياسية) التي تبناها شيوخ القبائل ورؤساء العائلات من ناحية وبين السلطة الكاريزماتية المؤسسية التي ظهرت بعد ذلك في عصر الملكية من ناحية أخرى وتتبع السلطة الكاريزماتية من الايمان بأن الشخص صاحب الكاريزما ، يتمتع بحضور خاصة يسبغها عليه الاله ويتجلى الأوريم والتيميم، التجليات الدينية المختلفة والروح البطولية التي تنبض بداخله وتمتاز الزعامة الكاريزماتية بأنها عفوية وذاتية، دون أي ارتباطات بالأنساب أو المكانة الاجتماعية ولا تنتقل بالوراثة، ويؤدي التطلع الى ظهور مخلص في أوقات الضيق والأزمات الى احتشاد الشعب حوله حال ظهوره بطريقة حرة، ومن خلال صحوه دينية قومية فان النظام السياسي في هذا العصر اتسم بالضعف لأن النظم الاجتماعية الثابتة والحياة اليومية تتجمع في أيدي رؤساء العائلات ومؤسسة الشيوخ، وكذلك فان الصلاحية البطريكية-السياسية، أخذت تضعف نتيجة استقرار بني اسرائيل على الأرض وتكيفهم مع السكان الحضريين من اهل كنعان⁽³⁾، من هذا تذكر مصادر من خارج التوراة ، ان مصطلح قاضي هو مصطلح قديم ويفيد معنى الحاكم والوالي⁽⁴⁾.

مما تقدم يتبين ان كلمة قاضي (شوفيط) سواء لدى القضاة الكبار أو الصغار لا يعد كونه اشارة الى زعامة الشعب، التي تشمل تلقائياً على صلاحية التحكيم والحسم في القضاة، الى جانب تخليص الشعب وتحريره من سيطرة الأعداء.

وفي هذا العصر تتضح القيادة الدنيوية في شخصية يوشع، والتي جمعت معها القيادة الدينية، حيث يظهر الترابط بين صنفى القضاة، بصورة واضحة عندما كان مخلصاً لبني اسرائيل حيث كان يقضي ويحكم بين الأسباط⁽⁵⁾، كذلك تتوضح دمج السلطتين في هذا العصر في أواخر عصر

(1) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: 4: 146.

(2) العهد القديم ، سفر تثنية الاشرع 1: 16 وما بعدها.

(3) مالمات، ابراهام، وحبيم قدمور، العبرانيون وبنو اسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، الأثرية، ترجمة: د. هوشاد عبد الله الشامي، ط1، 2001، منشورات المكتب المصري، ص66، 114.

(4) م.ن، ص168-169.

(5) العهد القديم، سفر يوشع، 17: 14.

عصر القضاة عند صموئيل، ويوشع وهو خليفة موسى⁽¹⁾، يعتبر كرئيس لبني إسرائيل وصفه يشوع بن سيراخ⁽²⁾ ((بانه المحارب، خلف موسى(ع) في وظيفته النبوية))⁽³⁾ وبعد ان استقر الأمر بيوشع، عمل في القضاء إلى جانب القيادة الامامة والحكومة⁽⁴⁾ فاجتمعت له قيادة السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية والعسكرية⁽⁵⁾ وكان إلى جانبه مجلس صغير يتألف من رؤساء القضاة الذي أسسه النبي موسى(ع) من قبل وبعد وفاة يوشع، اتجهت قبائل إسرائيل إلى رؤساء وشيوخ قبائلها التي تم اقرارها قبل يوشع في القيادة والقضاء⁽⁶⁾ وبذلك بدأت خلافة القضاة في البروز.

سادساً: مفهوم الملك :

هو احد مفاهيم الخلافة عند بني اسرائيل والذي بدا ظهوره بعد ان اختار صموئيل "شاوول" ملكاً على بني إسرائيل ليكون خليفته السياسية والتشريعية والقضائية ، اذ ورد في التوراة : ((اجتمع الشيوخ وجاءوا إلى صموئيل... وقالوا له أنت شخت... فأقم علينا ملكا يقضي... حقوق الملك عليهم...))⁽⁷⁾ ، وكان لمفهوم الملكية قسمين هما :

القسم الأول: ويتمثل بالملكية الالهية ويقصد بها الاختيار الالهي الذي اختص في ثلاثة شخصيات هي:

أ- شاوول: وهو من الذين اختارهم الله ، لقيادة بني اسرائيل ، ودل عليه نص التوراة الخاص بالنبي صموئيل⁽⁸⁾ ، والذي جاء فيه : ((... فَقَدَّمَ صَمَوِّيلُ جَمِيعَ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَ سِبْطُ بَنِيَامِينَ ، ثُمَّ قَدَّمَ سِبْطُ بَنِيَامِينَ حَسَبَ عَشَائِرِهِ ، فَأَخَذَتْ عَشِيرَةُ مَطْرِي، وَأَخَذَ شَاوُولُ بَنُ قَيْسَ . فَفَتَّشُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَوْجِدْ . فَسَأَلُوا أَيْضًا مِنَ الرَّبِّ: «هَلْ يَأْتِي الرَّجُلُ أَيْضًا إِلَى هُنَا؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا قَدْ اخْتَبَأَ بَيْنَ الْأَمْتِعَةِ». فَرَكَّضُوا وَأَخَذُوهُ مِنْ هُنَاكَ، فَوَقَفَ بَيْنَ الشَّعْبِ، فَكَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ مِنْ

(1) وهو متفق على نبوته في الفكر الديني اليهودي، ظ: أحمد حسن قواسمة، والاستاذ زيد موسى أبو زيد، موسوعة الفرق في الاديان السماوية الثلاثة، المسيحية واليهودية والاسلام ، ط1 2009م-1430هـ ، ص114.

(2) ظ:سهيل زكار، المحذوف من التوراة ، ط1، 1426هـ- 2006م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ص448.

(3) العهد القديم، سفر يشوع بن سيراخ 46: 1-5، وظ: سفر يشوع 1: 1 وما بعدها.

(4) ظ: م . ن سفر مكابيين أول 2: 55، وظ: المدخل إلى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي: 2: 242-246

(5) ظ: لويس جنزبرج، اساطير اليهود ، ترجمة حسن حمدي السماحي 4: 12، ط1، 2007 ، الناشر دار الكتاب العربي: دمشق-سوريا القاهرة- مصر، ظ: م . ن: 13-14.

(6) ظ: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهاينة: 4: 146.

(7) م.ن، سفر صموئيل اول 8: 4-11، لقد كان هناك لقضية الملك طريقة حددتها النصوص التوراتية وللمزيد راجع 9: 27-26 وظ: 10-11، ظ: 9-10-16.

(8) صموئيل: وهو الابن الذي وهبه الرب لام عاقر ونذرتة امه لله خادما وهو الذي دعا الرب بين يدي عالي الكهنة وقد فسر عالي حلم صموئيل بان له شان كبير.

كَتَفَهُ فَمَا فَوْقُ. فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَرَأَيْتُمْ الَّذِي اخْتَارَهُ الرَّبُّ، أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي جَمِيعِ الشَّعْبِ؟» فَهَتَفَ كُلُّ الشَّعْبِ وَقَالُوا: لِيَحْيِ الْمَلِكُ!))⁽¹⁾.

لقد تركزت الملكية وهي (خلافة الانبياء)، في الفكر اليهودي، على خصائص وسمات مفادها ان الخلفاء لديهم خصائص وسمات شخصية تجعلهم يختلفون عن غيرهم من الأفراد وتؤهلهم لأن يكونوا قادة ومنها خصائص جسدية كما هو الحال عند شاول⁽²⁾ وداود⁽³⁾ ونجد أن القرآن الكريم قد أيد هذه السمة والخاصية⁽⁴⁾، حيث تركز الآيات القرآنية كما هي الحال في نصوص العهد القديم على السمات الجسدية في الاختيار الالهي للملكية، كبسطة في الجسم، وكذلك ركزت على سمات وخصائص عقلية .

ب - داود⁽⁵⁾، وفي زمن داود اضطلع الملك بوظيفة كبير الكهنة⁽⁶⁾، ويذكر المفكرون اليهود انه قد تطلق لفظة الملك على النبي بدليل نص التوراة ((وصعد ملك الرب من الجلجال إلى موضع الباكين، وبعث ملكا وأخرجنا من مصر))⁽⁷⁾.

ج - سليمان⁽⁸⁾

القسم الثاني: ويتمثل في بعض الملوك الذين حكموا مملكتي الجنوب والشمال والذين لم يكن مجيئهم نتيجة الاختيار الالهي اذ ترك معظمهم الديانة اليهودية واتجه إلى عبادة الاوثان والأصنام فضلا عن عبادة العجل وصارت الوثنية هي الديانة الرسمية للدولة⁽⁹⁾، فانفصلت بذلك القيادة الدينية عن القيادة السياسية⁽¹⁰⁾.

مع ذلك فان بعض الملوك الذين حكموا الامة كانوا خلفاء من الله عليها وما تسمية الملك الا مفهوم جديد اضيف الى مفاهيم الخلافة اقتضته الضرورة السياسية .

سابعاً: مفهوم الماشيح المنتظر:

ان ((الماشيح لغة: هو كلمة عبرية تعني "المسيح المخلص"))⁽¹¹⁾ ومنها "مسيحيوت" أي المشيحانية وهي الاعتقاد بمجيء الماشيح والكلمة مشتقة من الكلمة العبرية "مشح" أي "مسح" بالزيت المقدس ،

(1) صموئيل الأول 10: 17-27 ، وظ: المنخل إلى الكتاب المقدس (المجموعة الكتابية) الخوري يولس الفغالي 2: 265

2، 1995، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت- لبنان.

(2) ظ: العهد القديم، سفر صموئيل اول 9: 2، ظ: صموئيل اول 10: 23+، من 14: 47 - 48.

(3) م . ن . 48: 34 - 36، 17: 50.

(4) ظ: البقرة: 247.

(5) لقد مسح النبي صموئيل مسحة ملوكية بطريقة سرية، ثم اجتمع قبيله يهوذا ومسحوا داود ملكا عليهم، ظ: العهد القديم،

سفر صموئيل الأول 16: 1-3، وظ: سفر صموئيل الثاني 2: 1-5 .

(6) ظ: العهد القديم، سفر صموئيل الثاني 12: 6-19.

(7) دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، عارضه باصوله العربية والعبرية، د.حسين اتاي، مكتبة الثقافة الدينية وص 286-287.

287.

(8) لقد مسح صادوق الكاهن عنما ارسله داود واوصاه بان يمسح سليمان ظ: العهد القديم، سفر الملوك الأول 1: 28-53.

(9) واول من فعل ذلك هو ابن سليمان "ياريعام" ظ: م. ن. 12: 26-33.

(10) ظ: الكتاب المقدس الألف باء والياء "سفر الملوك الاول" 12: 1-33.

(11) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : ج 3، ص 227.

وذلك على عادة الشعوب القديمة كان بني اسرائيل يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما، علامة على المكانة الخاصة الجديدة، وعلامة على ان الروح الإلهية أصبحت تحل وتسري فيهما، فقد أشار ملاخي بالبداية التي عندها نصب الله هارون كاهنا وجعلها من بعده في "بنيه" وهؤلاء ذروة سبط لاوي ثم بين لهم أن عهد الله مع هؤلاء وليس مع غيرهم ثم أخبرهم بأن الله سيرسل اليهم واحدا من هذا السبط ليسوق قاعدة السبط ومن ورائها بقية الأسباط ((ها أنذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق ، ويأتي بعتة إلى هيكله السبط ... فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمه بالبر...))⁽¹⁾، وقد أشار سفر ملاخي إلى بعثة آخر الأنبياء في سبط لاوي وهو المسيح عيسى بن مريم فيعيد التوبيخ لجماعة بني إسرائيل في النصوص السابعة من السفر فتذكر التوراة: ((ها أنذا مرسل رسولي⁽²⁾ فيعبد الطريق أمامي ... وملاك العهد الذي ترضون به))⁽³⁾، ويعد هذه الإشارات تحدت عن اليوم المخوف الذي ينهي المسيرة البشرية وأخبرهم بأن الله قبل هذا اليوم سيبعث إلى البشرية النبي إيليا ومهمته هي فتح أبواب الرحمة قبل أن يضرب الله المستكبرين⁽⁴⁾ ويحرقهم ((فهوذا يأتي اليوم المعتقد كالتنو... ثم قال ها أنذا أرسل إليكم إيليا⁽⁵⁾ النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف فيرد الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آباءهم لئلا آتي واضرب الأرض بلعن)⁽⁶⁾. وهناك نص مهم والذي يشير الى الماشيح المنتظر عند الفكر اليهودي :

((وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعْيشَ أَمَامَكَ!»). 19 فَقَالَ اللَّهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمَ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. 20 وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أَبْرَأُكَ وَأُثْمِرُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. ائْتِنِي عَشْرَ رِبَيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. 21 وَلَكِنْ عَهْدِي أَقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ». 22 فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْكَلَامِ مَعَهُ صَعِدَ اللَّهُ عَنِ إِبْرَاهِيمَ))⁽⁷⁾ ، وفي نص آخر وبالتحديد في سفر اشعيا يتبين مفهوم الماشيح المنتظر بصورة اكثر، يقول العهد القديم ((6لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابنا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا، مُشِيرًا، إلهًا قديرًا، أبا أبديا، رئيس السلام. 7 لننمو رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد. غير رب الجنود تصنع هذا))⁽⁸⁾.

هذا))⁽⁸⁾.

(1) العهد القديم، سفر ملاخي 3: 1 - 6، وظ: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : 1856.
(2) وفي التفسير التطبيقي للكتاب المقدس يشير النص إلى أن هناك رسولان في هذه الآية، الأول يفهم منه أنه يوحنا المعمدان وهي إشارة موجودة في العهد الجديد، كما في سفر متى 11: 10، وكذلك في سفر لوقا 7: 27، والثاني هو المسيح الذي من أجله قد أعد كل من ملاخي ويوحنا الطريق، ظ: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص: 1856.
(3) م.ن، سفر ملاخي 3: 1، متى 11: 10، وما بعدها وظ: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس .
(4) ظ: سعيد أيوب، ابتلاءات الأمم: 114.
(5) إن إيليا الذي رفع إلى السماء سيعود وهذا ما يخبرنا به سفر الملوك الثاني 2: 11 - 13، وهذه العودة المشار إليها هنا ستبقى من ميزات النظرية اليهودية للأزمنة الأخيرة، راجع سفر أخنوخ، بينما نجد شرح يسوع أن إيليا عاد في شخص يوحنا المعمدان. ظ: الكتاب المقدس الألف باء والباء هامش رقم (9): ص 2030.
(6) سفر ملاخي 3: 19 - 24، وظ: سفر عاموس 5: 18+، العهد الجديد، انجيل، لوقا: 1: 78، لو: 8: 12 وما بعدها.
(7) العهد القديم، سفر التكوين 17: 18-24.
(8) م.ن ، سفر اشعيا 9: 6 - 8.

لقد أعلن ملاخي للشعب إن الله سيرسل رسوله نبيا يكون مثل إيليا⁽¹⁾ ولقد كشف بنو إسرائيل برامجهم وثقافاتهم التي تدعو إلى انتظار ابن داود الذي يعيد مملكة داود التيهي عنوانا لعهد الله لإبراهيم ثم ان البحث إذا نظر في نسل داود كما جاء في التوراة يجد ان فاتحة النسل جاءت من الزنا. ولما كانت المقدمة عندما ذكر العهد القديم بأن يهوذا قد زنى بامرأة وهي تامارا فهذه المقدمة لا تؤهل النسل في الدخول في جماعة الرب، كما ذكرت التوراة أيضاً وهو قوله((لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب للجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب))⁽²⁾.

عندما جاء المسيح بن مريم عليه السلام كانت التعاليم والتفسير الشفهية للتوراة تغمر الساحة وتمد أتباعها بوقود انتظار ابن داود وعندما لم يأت المسيح لبني إسرائيل بما تشتهي أنفسهم رفضوه وتآمروا عليه، وبعد عصر المسيح (ع) أراد النصارى إثبات دعوة المسيح أمام بني إسرائيل فألحقوا المسيح⁽³⁾ بنسل داود ليجعلوا بني إسرائيل بهذا الإلحاح من الخارجين على المسيح عليه السلام وترتب على هذا الإلحاح إشكال هو أنهم جعلوا للمسيح عليه السلام أربعة أجداد من الزنا ، ومن كان كذلك فقد خرج من حزب الله كما صرح العهد القديم، والأجداد هم : مؤاب، فارص، بن عمي، سليمان⁽⁴⁾، ولو كان من الضروري إعطاء المسيح نسبا وهو وحيد مريم وليس له أب بيولوجي، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط⁽⁵⁾ ، وعودا على ذي بدء فإن(بني إسرائيل) كان عهد الله لهم ان أمرهم بطاعة ذرية هارون هارون أي الطاعة لكهانة هارون ومن بعده لكهانة بنييه⁽⁶⁾ وقد امتحنهم الله بهذه الأمانة، وشاء الله أن تختتم هذه الإمامة بآل عمران، هذه الخاتمة ذكرت القوم بالإمامة عندما ختم العهد القديم المسيرة بسفر ملاخي⁽⁷⁾ الذي أكد على ان الخاتمة يحمل عمودها الفقري نفس الأسماء التي وردت في المقدمة ولا تلتفت تلتفت لأقوال الفرق العديدة التي أفرزها التفسير الشفهية للتوراة⁽⁸⁾ .

أن بني إسرائيل قد وضعوا نسب الماشيح المنتظر مع أهوائهم، وقبل ظهور المسيح (ع) كان مجتمع بني إسرائيل يزخر بالفرق منها الفريسيين والصدوقيين ، وهناك السنهدين وهم السلطة القضائية والدستورية العليا وهناك العشارين والكتبة⁽⁹⁾ وقبل بعثة المسيح (ع) كانت الفرق الإسرائيلية تتصارع على رقعة الاختلاف والجميع يتجه نحو هدف واحد وهذا الهدف نسجته الفتن المتعددة، وفي النهاية جاء أمير

⁽¹⁾ ظ: م.ن، 3: 23، وظ: سفر الملوك الاول 17 - 21، متى 17: 1 - 13.

⁽²⁾ العهد القديم، سفر تثنية الاشرع 23: 1 - 3، سفر نحيا 13: 1 - 3.

⁽³⁾ ظ: حنا، دراسات توراتية، ط2، 2006م، داررام، للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا- دمشق، ص354.

⁽⁴⁾ ظ: العهد القديم، سفر التكوين 19: 3 - 38، وهو كيف ان لوط زنا سكرانا بابنتيه فولدت له مؤاب الكبرى والصغرى بن عمي، وظ: تثنية الاشرع 23: 2 - 3، وظ: سفر التكوين 38: 6 - 30، وظ: صموئيل اول: 12: 7 - 23، وظ: تثنية الاشرع

23: 1 - 2.

⁽⁵⁾ ظ: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي: 105.

⁽⁶⁾ ظ: ابتلاءات الأمم : سعيد أيوب: 118.

⁽⁷⁾ ظ: سفر ملاخي 2: 1 - 6، 3: 1 - 3.

⁽⁸⁾ ظ: سعيد أيوب، ابتلاءات الأمم: ص119(بتصرف)

⁽⁹⁾ ظ: مفاهيم الأسفار الإلهية: 56

السلام وهو الذي يعيد مجد مملكة داود والوعد الإلهي لإبراهيم، وهذه المملكة يشرف على مكوناتها العديد من المؤسسات التي تعتمد على التفسير الشفهي للناموس، لذلك كانت هناك أجواء مشحونة بالرفض لكل منهج لا يخلص بني إسرائيل من حكم الأجنبي⁽¹⁾، لذا اعتمدوا على المقولات السالف ذكرها والتي منها المسيح المخلص، ولما أتى المسيح (ع) وظهر لهم وأعلن انه المسيح الذي تنتظره بني إسرائيل قاوموا دعوة عيسى، وألقوا القبض عليه وحكموا عليه بالإعدام⁽²⁾، وطلبوا إلى الحاكم إعدامه صلباً، باعتباره من مدعي المشيحانية⁽³⁾ ومن ثم دخلت فكرة المسيح المخلص فيما يشبه مسألة الصراع بين الديانة النصرانية وديانة بني إسرائيل في نظرية العالم ومن هو الذي سيرث الأرض ويهيمن عليها مسيح بني إسرائيل أم مسيح النصارى⁽⁴⁾.

ومن خلال مسيرة بني اسرائيل تعددت آرائهم حول فكرة المنقذ السماوي(الماشيح المنتظر).

المنقذ السماوي في الفكر اليهودي:

لقد انقسم الفكر اليهودي خلال مسيرتهم حول المنقذ السماوي (الماشيح المنتظر) الى اراء متعددة ، فقسم قالوا انه يهوه ، وقسم قالوا انه موسى، وقسم آخر قالوا انه كورش ، وقسم قالوا انه ايليا ، وقسم آخر قالوا انه المسيح المنتظر "ابن داود" يقول العهد القديم لاثبات ذلك ((11وَمُنْذُ يَوْمٍ أَقَمْتُ فِيهِ قُضَاةً عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَقَدْ أَرَحْتُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ. وَالرَّبُّ يُخْبِرُكَ أَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا. 12مَتَى كَمَلْتُ أَيَّامَكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُنْبِتُ مَمْلَكَتَهُ. 13هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ. 14أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا. 16وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الْأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الْأَبَدِ))⁽⁵⁾ .

ويقول المسيحي ان للماشيح المنتظر((مجال دلالي يضم عددا كبيرا من المدلولات تتعايش كلها جنبا إلى جنب داخل التركيب الجيولوجي التراكمي للفكر الديني الإسرائيلي))⁽⁶⁾ فكلمة الماشيح تشير إلى ملوك

(1) ظ: سعيد أيوب: ابتلاءات الأمم: 121.

(2) ظ: شلبي ، أحمد، اليهودية 1: 223، ط13، مكتبة النهضة المصرية حسن محمد وأولاده، 9 - القاهرة .

(3) ظ: العهد الجديد، سفر متى 22 : 41 ، 24 ، 26.

(4) ظ: نظرية القيادة عند اليهود : 161.

(5) العهد القديم ، سفر صموئيل الثاني 7: 11 – 16 .

(6) المسيحي ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، 2، ص221

ملوك اليهود وأنبيائهم، بل كانت تشير أيضاً إلى قورش ملك الفرس⁽¹⁾ أو إلى أي فرد يقوم بتنفيذ مهمة خاصة يوكلها الإله إليه⁽²⁾ وهناك أيضاً المعنى المحدد الذي اكتسبته الكلمة في نهاية الأمر إذ أصبحت تشير إلى شخص مرسل من الإله يتمتع بقداسة خاصة⁽³⁾.

ويبدو للباحث ان مفهوم (الكاهن) ينطبق تماما مع خليفة موسى باعتباره زعيما للسلطة الدينية، كما حصل لهارون وذريته والدليل وصية الله لموسى اثناء التجلي ونزول الشريعة والوصايا في الجبل والنصوص كثيرة كما اشار اليها الباحث سابقا.

ثم ان هارون الكاهن الاعظم قد اسندت اليه الخلافة والكهانة الالهية اثناء فترة غياب موسى ، وقد اعطى الباحث الادلة على نفي صنع العجل وحاشا هارون من ذلك عقلا ونقلا، والكاهن الاعظم لم تقتصر الخلافة عند هارون فقط وانما استمرت لاليغازر وفيحاحس وعزّي ويقي واحيطوب الى ان وصل الى صادوق، وفي زمانه تحقق للكاهن الاعظم ان تسلم السلطتين الدينية والزمنية ، عندما شارك داود في الاستشارات السياسية والاقتصادية .

وكذلك فان مفهوم النبي قد انطبق على خليفة النبي فهارون نبي وهو ما اثبتته التوراة، وكذلك فان يوشع نبي وهو خليفة موسى(ع)، وكذلك فان داود اعتبره الفكر الديني اليهودي من الانبياء ولايختلف عنه شاؤول في ذلك ولما عرفنا ان الاثنين خليفان للنبي صموئيل نخلص الى ان النبي هو خليفة للنبي السابق وهذا ما ينطبق على اليشع خليفة النبي ايليا.

ومفهوم القاضي، والملك، يشتركان في ذلك ايضا ، اما مفهوم الرائي فيبدو انه بعيد عن مفهوم الخلافة اطلاقا، وكذلك فان هناك مفهوم السنهدين ، وهي القيادة والخلافة التي برزت في عظيم الكهنة، رئيس جمعية السنهدين⁽⁴⁾، من حين ظهور هذه الجمعية إلى ما بعد المسيح عيسى بن مريم(ع). **والسنهدين** هو المجلس الأعلى للشعب اليهودي في زمن المسيح والإصدارات السابقة . ويرجع أصل هذا التجميع في المشنا للشيوخ السبعين ومنهم موسى، ولكن هذه المحكمة ربما كانت مؤقتة. ويتألف من رؤساء الكهنة، أو رؤساء الطبقات⁽⁵⁾ وكان رئيس هذه الهيئة على غرار ناسي، واختير في الاعتبار سماحته في قيمتها والحكمة. في كثير من الأحيان، إن لم يكن بشكل عام، وتمنح هذه تفوق على رئيس الكهنة. نائب الرئيس، ودعا في التلمود "والد من بيت الحكم"،

(1) ظ: طوني مفرج، موسوعة المجتمعات الدينية : 1: ص231.

(2) يوجد في سفر المزامير الكثير من الإشارات يمثل فيه بني إسرائيل هم شعب من المشحاء، ظ: العهد القديم، سفر المزامير: 22، 23.

(3) ظ: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج3، ص233.

(4) ينظر: المدخل إلى الكتاب المقدس: الخوري بولس الخوري: ص213 وقد عاصرت هذه الجمعية بقيادة هلال من الفرقة الفريسية ظهور المسيح (ع) وكان لها دور مؤثر في تحريك اليهود والسلطة الحاكمة الرومانية ضده (ع) والحكم عليه بالصلب.

(5) سميث، وليم، والدكتور سميث "تعريف لسنهدين سميث" قاموس الكتاب المقدس. الكتاب المقدس history.com - سميث ؛ 1901، موسوعة الكتاب المقدس (ISBE) الكتاب المقدس على الانترنت (ترجمة الملك جيمس)، وط: شبكة المعلومات ، الانترنت، مقتبس من موسوعة الكتاب المقدس القياسية الدولية، موقع:

جلس عن يمين الرئيس. بعض الكتاب يتحدث عن الرئيس الثاني للرئيس، ولكن هذا لم يؤكد بما فيه الكفاية. في حين جلس في الدورة السنهدرين في شكل نصف دائرة ، ويبدو أن السنهدرين تمارس قدرا من السلطة خارج حدود إسرائيل. ووفقا لقوة القدس الجمارا عقوبة الإعدام إلحاق اتخذ بعيدا عن هذه المحكمة قبل أربعين عاما من تدمير القدس. ويدل على هذا ويوافق مع هذا الجواب من اليهود لبيلاطس⁽¹⁾.

فهو يمثل خليفة موسى عند الفكر الديني اليهودي الا اننا عندما نبحث في هذه الشخصية وهو منصب زعيم المجلس الديني الاعلى لم يتسلم هذا المنصب الامن وافق اعضاء مجلس السنهدرين ولما كان هؤلاء اغلبهم لم يطبقوا تعاليم موسى نفهم من ذلك ان ذلك الشخص هو خليفة بالاسم وليس له خلافة فعلية مع تلة خلفاء الانبياء .

يتبين ومن خلال هذه المصطلحات ان "مفهوم الخلافة" في الفكر اليهودي هو الخليفة للنبي ويتمتع بسلطات النبي فيتولى الزعامة الدينية ويكون كاهنا ،ومبلغا عن الله فهو من رجال الله ،وله سلطة دينية فيكون حاخاما، ويقذف الله في قلبه فيمكن أن يكون رائيا لتنبؤه بالمغيبات،أما سلطته الدنيوية ،فهو يمكن أن يكون ملكا يحكم باسم الله أو قاضيا يقضي بالخصومات ،وظهر في تاريخ اليهود افراد ادعوا تلبسهم بتلك الصفات ، فمنهم من يدعي الزعامة الدينية أي الكهانة ، وبالتعاون مع المتنفذين "الملوك" ، الرؤوساء" ،وهناك من يدعي بالإخبار بالمغيبات من السحرة فيدعي انه رائي ويدعي انه رجل الله ، وهناك من يدعي انه نبي وهو كاذب ، وهناك من وصل إلى الحكم فأصبح حاكما ليصادر سلطات الكاهن الحقيقي او الخليفة الحقيقي، ومن هنا نفهم التشويش والاضطراب فيما يتعلق بمنصب الخليفة وشخصه ودوره في الديانة اليهودية ، حتى وصل الأمر أن يطلق لفظ الكاهن الأعظم على الخليفة الشرعي وعلى مدعي الخلافة زورا وبهتانا الأمر الذي استغل الظروف والعوامل الداخلية والخارجية للأمة اليهودية . وفي الاخير لا بد من القول ان بعض تلك المفاهيم جاءت الى الخليفة نتيجة للمهام الموكلة له سواء سياسية وهذا واضح من خلال مفهوم الملك او ادارية كما هو الحال في مفهوم القضاء او دينية وهي تمثلت في بقية المفاهيم من كاهن وحاخام .

(1) جون ماير عادوا 19: 31، نقلا عن الكتاب المقدس على الانترنت (ترجمة الملك جيمس).

المطلب الثاني

أهمية الخلافة في ديانة بني اسرائيل

ان لخلافة الانبياء في ديانة بني اسرائيل أهمية كبيرة على جميع الأبعاد السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من الأبعاد التي تصب في مصلحة بني اسرائيل.

فلو تتبعنا النصوص التوراتية لادوار خلفاء موسى(هارون وذريته، يوشع) لوجدنا ان هؤلاء كان الرب يخاطبهم بلسانه اكثر من مرة للقيام باعباء الخلافة والقيادة على جميع الابعاد والمجالات ، بمعنى انهم كانوا انبياء يوحى اليهم ،فالرب يأمر هارون ان يذهب الى فرعون ويقدم له البراهين والمعجزات⁽¹⁾ كي يخلص الشعب لذا فهي قضية سياسية لانقاذ الجماعة الاسرائيلية من عبودية فرعون.

تذكر التوراة أن موسى(ع) بعد أن أقام حجته أشهد الله تعالى على بني إسرائيل، وأخبر بالغيب عن ربه أن المسيرة من بعده ستختلف وستفترق وسترتكب جرائم تستحق عليها لعنة الله، تقول التوراة ((أمر موسى(ع)اللاويين حاملي عهد الرب قائلا: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب هناك شاهد عليكم،لأنني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب. فكم بالحري بعد موتي. اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم. لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض.لأنني عارف إنكم بعد موتي تزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به.ويصيبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب))⁽²⁾.

وفي هذا البيان إشارة إلى انقلاب القوم على الخط الرسالي الذي يقوده أبناء هارون، فبعد موت موسى(ع)عليه السلام يبدأ الفساد ويزيغون عن الطريق الذي أوصاهم به، وهذا يستوجب أن يصيبهم الشر في آخر الأيام، لأن الوند الذي تم دقه عند البداية لم يبليه الزمان وأصبح له جذور عند النهاية وتذكر التوراة أن موسى(ع)عليه السلام ذكرهم في هذا اليوم بالله الذي خلقهم واستخلفهم. وذكرهم بأيام الله وكيف

(1) تقول التوراة ثم قال الرب لموسى((قل لهارون:خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين..))،العهد القديم،سفر الخروج

7: 19-20، ثم يقول الرب مباشرة لهارون((فقال الرب لموسى وهارون خذا ماء رحتيكما من سخام الاتون...))،ظ: 9: 8.

(2) العهد القديم، سفر التثنية 31 : 24 – 28.

يأخذ الله الأمم الظالمة⁽¹⁾، وتذكر التوراة تحذيرات نطق بها موسى(ع) على مسامع القوم⁽²⁾. ولأهمية الخلافة استمرت الكهانة من ذرية هارون امتداداً لرسالة موسى(ع) فقد كان الخليفة لموسى(ع) من بعد هارون⁽³⁾ الذي توفي قبل موسى(ع) مما جعل موسى(ع) ان ينصب خادمه وفتاه يوشع للقيادة الدنيوية ، وتم تعيين يوشع كرئيس شرعي بعده⁽⁴⁾ وقد تميز النص على دور يوشع العسكري والسياسي ويشبه الى حد بعيد دور داود⁽⁵⁾ . نعم لقد امتاز النص الى التمييز بين السلطات السياسية والحربية الى يوشع وبالسلطات الكهنوتية المحصورة باليعازر وهو الكاهن الأعظم من بعد وفاة أبيه هارون فالكاهن يطلب للرئيس وهو بذلك يساعد على القيام بواجبه من أجل شعبه⁽⁶⁾ ، لقد كان يوشع نبيا وخليفة لموسى، بينما نجد اليعازر هو الكاهن الاعظم من بعد ابيه.

ويبدو ان استلام وجمع السلطتين بيد يوشع واقتصار اليعازر على الخلافة الدينية كانت بسبب ان يوشع كانت له نبوة بالاضافة للخلافة.

ثم جاء دور فينحاس ، ثم من بعده أبنه "بقي" وتستمر الخلافة والقيادة الدينية من ذرية هارون حتى مجيء المسيح⁽⁷⁾ ، ومن ثم جاء دور الاحبار الربانيون.

وفي زمن عصر القضاة وبعد أن تمزقت الوحدة الدينية واختلف الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءهم العلم، وبعد أن جرت الروح العسكرية حاملة للعدوان في جسد المسيرة، لم تجف الساحة من الأنبياء والمصلحين الذين حملوا مشاعل الفطرة على امتداد الطريق، ومن هؤلاء طالوت ويسميه العهد القديم (شأوؤل). اصطفى الله طالوت وزاده بسطة في العلم والجسم، فكان علمه منارا في ساحة ليس فيها علم يرى، وكانت قوته معجزة في ساحة يختار أهلها الزعيم وفقا لصفاته الجسمية ومقدرته العسكرية، ويضاف إلى هذا وذلك أن طالوتا جاء إليهم بما ضيعوه على طريق الاختلاف والافتراق، لقد جاء ومعه تابوت موسى(ع) فيه سكينه من الله وبقية مما ترك آل موسى(ع) وآل هارون، لعل المسيرة إن تتذكر وتتدبر وتؤمن، فعندما أخبرهم نبيهم بملك طالوت ،حكموا الحس في الأمر، واعترضوا بأنهم أحق بالملك منه وأنه لم يؤت سعة من المال، فحمل الرد إليهم: أن الملك وهو استقرار السلطة على مجتمع من الناس، الغرض

(1) العهد القديم، سفر التثنية : 32.

(2) م. ن: 31 : 24 - 28

(3) توفي هارون قبل موسى فكان لابد من تعيين خليفة لموسى ظ: م. ن، سفر العدد 20 : 22 - 29.

(4) العهد القديم ، سفر يوشع 31: 23، وظ: م. ن: 16 - 18.

(5) العهد القديم ، سفر صموئيل اول 18: 13 - 16.

(6) ظ: أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفغالي: سفر العدد الفصل العاشر الاستعداد لاقسام أرض الموعد.

(7) ظ: مملكة الكهنوت في زمن المسيح، موقع الفغالي: أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفغالي.

منه أن يدبر صاحبه المجتمع تدبيراً يوصل كل فرد من أفرادهِ إلى كمالهِ اللائق به، ويجمع الناس تحت إرادة واحدة فلا يزاحم فرد فرداً، ولا يتقدم فرد من غير حق ولا يتأخر فرد من غير حق، والذي يحقق هذا المطلب أمران: (أحدهما): العلم بجميع مصالح الناس ومفاسدها (وثانيهما) القدرة الجسمية على إجراء ما يراه من مصالح المملكة.

ثم إن أهمية الخلافة تكمن بقيامها بدور الوساطة والشفاعة، عندما يتوسط بين الرب والناس، لابتعاد شبح الضربة التي قامت على الشعب عندها يقف هارون بين الجموع هناك تكف الضربة⁽¹⁾ ثم يأتي البعد الاجتماعي لهارون عندما يشارك الجماعة في سرائها وضررائها في البرية، ثم يأتي البعد العسكري بمشاركته في الحرب⁽²⁾.

لذا فهو الوسيط بين الله والبشر⁽³⁾. ونجد هذه الأبعاد تنطبق على يوشع في كافة المجالات فيوشع هو الذي يكون الدولة لأول مرة للجماعة الاسرائيلية⁽⁴⁾ ويوشع هو الذي يقوم بتوصية الشعب بعدم ترك الطقوس الدينية وتحذير الشعب من نسيان الشريعة⁽⁵⁾، أما القضايا الاجتماعية فإنه يقوم بالتنظيم المدني لتقسيم الأراضي التي فتحوها وتقسيمها بالعدالة على أسباط بني اسرائيل⁽⁶⁾.

ويبدو أن الكهانة باعتبارها السلطة الدينية، متداخلة تماماً مع السلطة الزمنية، كما هو الحال في عصر القضاة، ويظهر حكم الملوك أصبح رئيس الدولة (الملك) هو الكاهن الأعظم ولكنه لا تشغاله كان يعين مندوبين عنه لممارسة هذه المهمة، فبدأ يظهر شيء من الانفصال بين السلطتين، ومع هذا ظل الكهنة قريبين من السلطة الدنيوية⁽⁷⁾. ومرتبطين بها أشد الارتباط، كما هو الحال عند صادق، وذريته.

لقد كانت وظيفة الرسل والكهنة عند بني اسرائيل هي أن يكونوا واسطة بينهم وبين الله وبلغه الحرب الموجودة في داخل أعماق بني اسرائيل، وإذا كان اله بني اسرائيل عندهم هو رب الجنود كان النبي في بني اسرائيل يعتبر بمثابة أركان حرب جيش بني اسرائيل المحارب⁽⁸⁾.

وفي خيمة الاجتماع بين موسى (ع) لبني اسرائيل أن الاخلاق الفاضلة تحتاج الى عوامل يحرسها ويثبتها ويديمها، وهذا العامل هو التوحيد ثم انه (ع) أوضح أن المجتمع الصالح له أركان وهذه الأركان

(1) ظ: العهد القديم، سفر العدد 17: 9-13.

(2) ظ: م. ن، سفر الخروج 17: 8-12 .

(3) ظ: العهد القديم، سفر الخروج، 29: 42.

(4) ظ: العهد القديم، سفر يشوع من الاصحاح الاول الى الاصحاح الثاني عشر.

(5) ظ: م. ن، الاصحاح 23 بأكمله.

(6) ظ: م. ن من الاصحاح 13 الى الاصحاح 19.

(7) قسم من هؤلاء الكهنة باعوا آخرتهم بديناهم وهذا الزمن هو ما بعد زمن داود وسليمان، ظ: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: 4: 185.

(8) ظ: عبد الغني عبود، اليهود واليهودية والاسلام: ص 39 ط دار الفكر العربي القاهرة ط 1982.

لا تستقر ، الا برجال تحددهم الدعوة لهم صفات خاصة منها الرسوخ في العلم ، ثم بين لهم ان الاحكام الشرعية وتفسيرها وفق الزمان والمكان موقوفة على هارون وبنيه⁽¹⁾ ، وموسى(ع) ، وفي الوقت الذي كان يبين لهم ما يفيدهم لما فيه الخير والصالح ، اخبرهم بالغيب من ربه بانهم سيختلفون من بعده⁽²⁾ وسينحرفون⁽³⁾ وسيفعلون ما يوجب لعنة الله عليهم⁽⁴⁾ ، وفعلوا فقد وقع ما قاله لهم نبيهم (ع) وظهرت قيادات قيادات هدفها التصارع على الملك وكان اختيار هذه القيادات يتم نتيجة لصفات القائد الشخصية واحيانا الجسمانية ولم يتم الاختيار الى عامل الاصاله او المركز الديني، وتحت قيادة هذه الزعامات تسلت ثقافات عبادة العجول وبعث وغيرها التي هي حصيلة عبادة الامم الوثنية الى بني اسرائيل وعندما بعث داود ابعدهم مرة ثانية عن عبادة المادة فقام بتوحيد الدولة، الا ان بعد حكم ابنه سليمان (ع) تدهور الوضع وانقسمت الدولة المتوحدة الى مملكتين لا قوة لهما ولا مهابة ، مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها اورشليم ، بينما كانت مملكة اسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم ثم السامرة واشتعلت الحروب بينهما .

ثم ان التوراة الحاضرة ، بينت ان موسى(ع) قد اوكل هذا العلم الى هارون وبنيه ولا يمكن ان يتعدى الى غيرهم فهم وحدهم الذين يفسرون الشريعة فحسب⁽⁵⁾ .

ولما كان العلم بالله هو اشرف العلوم وهو ذروة كل العلوم فان الله ذكر من عباده طائفه ليحملوا هذا العلم الرفيع ، وليبينوا مراده واسراره للناس، لما علمناه ان الشيطان قد اخذ على عاتقه القعود على الصراط المستقيم ، ليزخرف العلوم ويصدّ عن العبادة الحق⁽⁶⁾ وفي عهد خيمة الاجتماع كان ال عمران وعلى راسهم "هارون وبنيه" هم وحدهم الذين لهم السبق في تفسير الشريعة التي جاء بها موسى(ع) ، فتذكر التوراة ان الله تعالى طهرهم واعطاهم فقه هذا العلم الرفيع وهذا الاختيار وتذكر التوراة بالقول ((تقدم هارون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع ... وتمسحهم كما مسحت اباهم ليكونوا لي... لتصير لهم مسحتهم كهنتا ابديا مدى اجيالهم))⁽⁷⁾ وتذكر التوراة ان موسى(ع) فعل ما امر به الله⁽⁸⁾، وفي مرتبة

(1) ظ:العهد القديم، سفر اللاويين 1: 9 ، 8:1 - 14 .

(2) ظ:م.ن 26 : 3-8 .

(3) ظ:م.ن: سفر التثنية 31 : 24-29 .

(4) ظ:م.ن: 38 : 15-36.

(5) العهد القديم سفر اللاويين 1: 9 - 11 ، 13 - 14 .

(6) سعيد أيوب، ابتلاءات الامم، ط2، 1419 هـ - 1999م، مصر- القاهرة ، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ص48، وظ:سعيد بيروت، ص48، وظ:سعيد ايوب ، ابتلاءات الامم ، تأملات في الطريق إلى المسيح الدجال والمهدي المنتظر في اليهودية والمسيحية والإسلام ، سلسلة الرحلة الى الثقلين(31) إعداد مركز الأبحاث العقائدية، ص48 ، مقتبس من موقع:

(7) العهد القديم ، سفر الخروج : 40 : 11 - 15 .

(8)ظ: م.ن، سفر اللاويين 8 : 1 - 12 .

هارون وبنيه الفقهية تذكر التوراة ان الله كلم هارون وامره بحفظ الشعائر التي علمها له لتعليم بني اسرائيل الفرائض التي فرضها الله ((كلم الرب هارون: خمرا ومسكرا لاتشرب انت وبنوك... للتمييز بين المقدس والمحل وبين الخير والظاهر ولتعليم بني اسرائيل جميع الفرائض التي كلم الرب فيها موسى)⁽¹⁾، وكان الله قد بين الشريعة لموسى (ع) وهارون تارة ويوصي موسى (ع) بان يبين هارون وبنيه امور من الشريعة تارة اخرى⁽²⁾.

وكلم الرب موسى (ع) قائلا ((كلم هارون وبنيه قائلا هذه شريعته نبيحة الخطية))⁽³⁾ وبعد ان تم التطهير والتعليم وعلمت الجموع منزلة هارون وبنيه من موسى (ع) تقول التوراة ((ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم... ودخل موسى (ع) الى هارون الى خيمة الاجتماع ثم خرجا وباركا الشعب))⁽⁴⁾، وتذكر التوراة اسماء بني هارون الذين اختارهم الله ليعلموا الشعب⁽⁵⁾.

وذكرت ان هؤلاء لهم حق تفسير الشريعة ((وتوكل هارون وبنيه فيحرسون كهنوتهم والاجنبي الذي يقترب يقتل))⁽⁶⁾. من هذا النص التوراتي يتبين ان لأهمية الخلافة انها قد اختارها الله ولا يمكن لأي كان أن يتقدم لها إلا من كان من اختاره الله وهم هارون وذريته وكذلك يوشع⁽⁷⁾، فالذي يقترب لهذا المنصب ولهذه القيادة فان مآله القتل سواء في ظل الحكومة الموسوية، او بعدها، لان الرب اوصى بهارون، ومن بعده لذريته وهي ((فريضة ابدية دهرية لمدى اجيالهم))⁽⁸⁾.

من الملاحظ ان التوراة قد اخبرت بان سبط الاول وهو جد موسى (ع) وهارون مهمته هي خيمة الاجتماع وحفظ اثاره وما يعلم به، وان الله وهب هؤلاء لهارون وبنيه⁽⁹⁾ لذا فان موسى (ع) وهارون هما ابنا عمران وفي ذرية هارون اودع الله فقه الشريعة التي جاءت بها رسالة الموسوية وهذه الذرية من الذين

(1) العهد القديم، سفر اللاويين 8 : 10 - 11 .

(2) ظ: م. ن 11 : 1 .

(3) م. ن 6 : 24 .

(4) م. ن 9 : 22 .

(5) م. ن، سفر العدد 3 : 22 .

(6) م. ن 3 : 10 .

(7) العهد القديم، سفر يوشع، الاصحاح الاول الى الاصحاح الثاني عشر .

(8) م. ن، سفر الخروج 40 : 12 - 15، 29 : 9، وظ: سفر العدد 25 : 10 - 13 .

(9) ظ: العهد القديم، سفر العدد 3 : 5 .

اصطفاهم الله على العالمين ومنها مريم ابنة عمران وابنها المسيح⁽¹⁾، وكانت خاتمة الشجرة الاسرائيلية، ان سبط لاوي جد موسى(ع) وهارون يقول فيهم الله كما ذكرت التوراة ((يخدمون خدمة المسكن فيحرسون كل امتعه خيمة الاجتماع وتعطي اللاويين لهارون وبنيه منهم موهوبون له هبه من عند بني اسرائيل))⁽²⁾، اما هارون بن عمران وبنوه فيقول فيهم ((وتوكل هارون وبنيه فيحرسون كهنتهم والاجنبي الذي يقترب يقتل))⁽³⁾ من هنا تم تحديد القاعدة ، وذروتها .

لقد كان للدور الكهنوتي أهمية قصوى فقد كان على عاتقه أن يكون له دور الوسيط والشفيع، عن بني اسرائيل⁽⁴⁾ فضلا عن القيام بعملية التطهير⁽⁵⁾، وكان هذا أهم وأخص واجب فقد كان يشمل تطهير البيوت⁽⁶⁾ وتطهير المذنبين من آثامهم⁽⁷⁾ وتطهير المرضى⁽⁸⁾.

ان قضية تطهير المذنبين من آثامهم هي اخص واجب يقوم به الكاهن الأعظم ويمثل أعلى دور له لما له من اعتقاد جازم بأن هذا الرجل له الوساطة الفعلية بين الرب يهوه وبين الشعب تقول التوراة ((فَيَكْفُرُ عَنِ الْقُدْسِ مِنْ نَجَاسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ. وَهَكَذَا يَفْعَلُ لِخِيْمَةِ الْجَمَاعَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ فِي وَسْطِ نَجَاسَاتِهِمْ))⁽⁹⁾.

لقد كان الهدف من اسناد هذه المهمة الى الكهنة أن يغرس في نفوس الشعب ان الكهنة هم المصدر الأساس للطهارة في كل شئ⁽¹⁰⁾ وهذا ما نص عليه سفر اللاويين كثيراً من نحو ((كلكم كهنة بني هارون وقل لهم... مقدسين يكونون لالههم))⁽¹¹⁾.

(1) ظ: سعيد ايوب، ابتلاءات الامم : 10 - 18 من 32 - 59 .

(2) العهد القديم، سفر العدد 3 : 5 .

(3) م.ن 3 : 10 .

(4) العهد القديم ،سفر العدد: 16: 42-48 وظ : سفر اللاويين 16: 15-18.

(5) ظ: عماد عبد السميع :الاسلام واليهودية: 119.

(6) ظ:العهد القديم ،سفر اللاويين 14: 52- 53.

(7) ظ: م.ن سفر العدد: 17: 27 وظ: م.ن سفر اللاويين 16: 16، ط.

(8) ظ: م.ن سفر اللاويين 14: 1-20، ظ: العهد الجديد، انجيل متي 4-8.

(9) م.ن 16: 16، ظ: م.ن، سفر حزقيال 45: 18-20 وظ: العهد الجديد، الرسالة الى اهل روما 30: 25.

(10) ظ: عماد عبد السميع، الاسلام واليهودية: 199.

(11) العهد القديم ،سفر اللاويين 21: 1- 6، ظ: سفر حزقيال 44: 25- 27.

ولا يعتبر هذا دليلاً كافياً على قدسية الكاهن الأعظم وإن أمانة هذا الرجل جاءت بالنص حيث اختير بلسان نبيه⁽¹⁾ ، وبالتالي فهو معصوم من الخطأ.

مما تقدم يتبين ان لأهمية الخلافة انها قد اختارها الله ولا يمكن لأي كان أن يتقدم لها إلا من كان اختاره الله وهم هارون وذريته فالذي يقترب لهذا المنصب ولهذه القيادة فان مآله القتل، اضافة لذلك فان الخليفة يمثل الوسيط والشفيع لبني اسرائيل ، وهذا يعني ان هناك ضرورة ملحة لوجود من يتوسط بين الرب وبين جماعة الرب.

مميزات وواجبات الكاهن الاعظم (الخليفة) :

بينت التوراة اهم مميزات الكاهن الاعظم وهي على النحو الاتي :

1. انفرد الكاهن الاعظم ومساعدوه بميزة دخول خيمة الاجتماع وكان عليهم ان لا يشربوا خمرًا عند دخولهم اليها⁽²⁾.

2 . لا يجوز لأحد من الكهنة أن يشارك في تشييع ميت⁽³⁾.

3 . نهت الشريعة الإسرائيلية الزواج بالزانية للكاهن الأعظم بل حتى المطلقة بل يجب عليه أن يتخذ عذراء قومه فلا يندس بين شعبه إلا انها أجازت له الزواج بالأرملة.

4 . تمنع الشريعة الكهنة (مساعدى زعيم السلطة الدينية) من دخول قدس الأقداس ويسمح للكاهن الأعظم فقط ولمرة واحدة في يوم الكفارة من كل عام⁽⁴⁾.

وقد فسرها⁽⁵⁾ علماء الكتاب المقدس ((لأن قدس الأقداس هو مسكن الله في الأرض أو هو موضع ظهور مجده لشعبه))⁽⁶⁾، وقد استوصوا هؤلاء العلماء السبب من خلال سفر اللاويين⁽⁷⁾.

ويمكن توضيح اهمية الخلافة من خلال مسؤوليات الكاهن الاعظم وعلى النحو الاتي :

(1) وذلك عندما تمرد قورح ابن يصهاب وهو من قبيلة لاوي وقد اجتمع هو وجماعته البالغ عددهم 250 رجلا واعترضوا على تنصيب هارون خليفة لموسى عند ذلك تقول التوراة ((فلما سمع موسى سقط على وجهه وكلم قورح وكل جماعته غدا يعلم...))، ظ:م.ن، سفرالعدد16: 1-8 وفي نص اخر((قرب انت وسائر اخوتك بني لاوي معك وانتم تطلبون الكهنوت ايظا...فما هو هارون حتى تتذمروا عليه))، ظ:، سفرالعدد16: 1-11.

(2) العهد القديم، سفر اللاويين 21 : 8 ، 9.

(3) م.ن 21 : 1 ، 4: 21، 10 – 11 ، 21 : 10 - 15.

(4) م.ن 16 : 2.

(5) عبد السميع د. عمار علي: الاسلام واليهودية دراسة مقارنة في سفر اللاويين: 197.

(6) قاموس الكتاب المقدس : 718 ، مادة قدس، ط1، دارالثقافة بالاتفاق مع رابطة الانجيليين بالقاهرة 1995.

(7) العهد القديم، سفر اللاويين 16 : 2.

مسؤولية الكاهن الأعظم اتجاه الامة :

لقد تحددت وظيفة الرسل وخلفائهم عند بني اسرائيل، في أن يكونوا واسطة بينهم وبين الإله وبلغة الحرب_ الكافية في أعماق بني إسرائيل_ إذ كان إله بني إسرائيل عندهم هو (رب الجنود) فان النبي في بني إسرائيل يعد بمثابة أركان حرب جيش بني إسرائيل المحارب⁽¹⁾.

وان الاموال التي تعطى للكاهن الاعظم (خليفة النبي) ،من نذور ، وافداء من الزروع وقرابين ، واعشار ، وغيرها كان يتم صرفها، في مصالح الامة⁽²⁾. مما يبين ان الكاهن الاعظم يقود الامة في اغلب جوانب الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية .

ثم ان الفكر اليهودي يوضح ان للكاهن الاعظم مجموعة من الحقوق تبين مدى اهمية الخلافة .

حقوق والتزامات الكاهن الاعظم المادية والمعنوية:

لقد نصت الشريعة اليهودية ان للكاهن الأعظم مجموعة حقوق والتزامات وهي على صنفين هما :

1- الحقوق المعنوية :

2- الحقوق المادية :

1- الحقوق المعنوية :

وتبرز في طاعته والانقياد له ، اذ تذكر التوراة في سفر اللاويين ((فتحسبه مقدساً، لأنه يقرب خبر الهك، مقدساً يكون عندك))⁽³⁾ مما يفهم من هذا النص المعنى البسيط من الاحترام والتقدير للعالم ، ولكن طريقة حديث سفر اللاويين وغيره عن قدرات الكاهن في الصفح وتكفير الذنوب ومحو الخطايا، وعلاج الأمراض و قيامه بدور الوسيط بين الله وبين الشعب تبين ان الذي يفهمه اليهود من هذا النص لا يقف عند حد التقدير والاحترام⁽⁴⁾ .

ولأهمية القيادة الدينية لبني إسرائيل لم تنته هذه القيادة على امتداد المسيرة الإسرائيلية فبعد عصر القضاة قامت الملكية وأعطت الدور المميز للكاهن الأعظم ثم كان الدور بعد خليفة داود (سليمان الحكيم) وبناء الهيكل⁽⁵⁾ الذي يعتبر رمزا من رموز العبادة الإسرائيلية، حيث ابتدا بناء الهيكل في عهد سليمان عام

(1) د.عبد الغني عبود:اليهود واليهودية والإسلام : 39، ط1، دار الفكر العربي،القاهرة 1982 نقلا عن عبد السميع د.عمار علي: الاسلام واليهودية دراسة مقارنة في سفر اللاويين،ص198.

(2) م.ن ،ص47.

(3) العهد القديم، سفر اللاويين، 21: 8.

(4) تذكر الكاتبة اليهودية (مريم جميلة) ان أول ما يبدأ به في التعليم الديني اليهودي هو سفر الاحبار (اللاويين) وذلك لما فيه من تركيز على غرس قداسة الاحبار في نفوس اليهود منذ البداية،(الأطفال) ظ: الاسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين202، نقلاً د. محمد يحيى ، رحلتي من الكفرالى الايمان (قصة اسلام الكاتبة الامريكية اليهودية سابقاً المهتدية مريم جميلة ، ط : المختار الاسلامي- القاهرة 1985م ، ص78.

(5)المسيحي، موسوعة اليهود واليهودية : المجلد الرابع :ص118.

عام 960 ق.م ، ولقد تم هدم الهيكل اول مرة عند سقوط المملكة الجنوبية عام 586 ق.م. أما مرحلة الهيكل الثاني، فتبدأ عام 516 ق.م مع عودة اليهود من بابل إعادة تشييد الهيكل، ثم جاء تحطيم الهيكل مرة ثانية عند تحطيم تيتوس له عام 70 م⁽¹⁾ .

والهيكل: كلمة يقابلها في العبرية "بيت همقداش"، أي "بيت المقدس"، أو "هيخال"، وهي كلمة تعني "البيت الكبير" في كثير من اللغات السامية "الأكادية والكنعانية وغيرهما". والبيت الكبير أو العظيم هو الطريقة التي كان يُشار بها إلى مسكن الإله ، ومن أهم أسماء الهيكل "بيت يهوه"، لأنه أساساً مسكن للإله وليس مكاناً للعبادة (على عكس الكعبة مثلاً). ومن هنا، ورغم أنه كان مصرحاً للكهنة بل لعبيد الهيكل بالدخول فيه، فلم يكن يُسمح لهم بالتحرك فيه بحرية كاملة. ولم يكن يُسمح لأحد على الإطلاق بدخول قدس الأقداس إلا الكاهن الأعظم في يوم الغفران. والهيكل أهم مبنى للعبادة الاسرائيلية، ومركز العبادة القربانية المركزية. وبعد هدمه عام 70م، لم يحل محله مبنى مركزي مماثل. وكان يحج إليه اليهود في أعياد الحج الثلاثة: عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد المظال. وبعد العودة من بابل، كان السنهدين يجتمع في إحدى القاعات الملحقة به.

وفي بداية عباداتهم كان بني اسرائيل، يحملون في تجوالهم تابوت العهد الذي كان يُوضع في خيمة الشهادة أو الاجتماع. ومع استقرارهم في كنعان كانوا يُقدّمون الضحايا والقربان والهبات للآلهة في هيكل محلي أو مذبح متواضع مبني على تل عال يُسمّى «المذبح» أو «المحرقة». وكان هذا الوضع تعبيراً عن استقلالية القبائل وعلاقتها الفيدرالية. ومع هذا كان تابوت العهد يُعدّ مركز العبادة الاسرائيلية. وبعد تدمير شيلوه (1050 ق.م)، وبعد استيلاء الفلسطينيين عليه أحضره داود إلى جبل صهيون في القدس حيث بنى خيمة له. وقد ظهرت مراكز العبادة الاسرائيلية في أماكن مختلفة، ولكن أياً منها لم يفلح في أن يصبح مركزاً دينياً لكل القبائل العبرانية المتناثرة. ولذا فمع تركز السلطة في يد الملوك تركزت العبادة القربانية نفسها في مكان واحد هو الهيكل في القدس. والتي كانت تقع على الحدود بين عديد من القبائل، كما أنها لم تكن تابعة لأي من القبائل باعتبار أنها من المدن التي تم الاستيلاء عليها مؤخراً. ولكل هذا، أصبحت القدس مركزاً دينياً للقبائل العبرانية، ومن ثم لعبادة اسرائيل القربانية. وتاريخ بناء الهيكل هو أيضاً تاريخ تحوّل عبادة بني اسرائيل (البدوية المتجولة أو القبلية الفدرالية) إلى العبادة القربانية المركزية (المستقرة).

(1)المسيري، موسوعة اليهود واليهودية : المجلد الرابع : ص127.

وفي فترة انقسام المملكة بقيت القيادة الدينية قائمة إلا انها قد انقسمت وظهرت بوادر الشعوذة والسحر في تلك الفترة مع وجود القيادة الدينية إلا انها لم تأخذ مكانها وموقعها فيزيابيل قتلت الكثير منهم ومن الأنبياء حيث استبدلوا مكانهم الكهنة الذين كانوا يطيعون الملك لأجل مصالحهم واستمرت القيادة الدينية حتى السبي البابلي وهدم الهيكل فقد كانت أشبه بصمام الأمان في ذلك الزمان عندما يداهمهم الكرب لأن بني إسرائيل لم يعطوا مكانتهم وفي المهجر قام القوم بإعادة أمجادهم وكان هناك الكاهن الأعظم في بابل حيث رجع له الدور الرئيس في القيادة الدينية.

إن قيادة وزعامة السلطة الدينية والروحية من آل هارون كانوا يحملون الأخلاق التي عملوا من اجلها لخدمة خيمة الاجتماع فلما كانت وصية الرب لموسى (ع) بأن الكهنوت والإمامة لذرية أخيه من بعده لهم ((فريضة أبدية دهرية))⁽¹⁾ وذلك لما علم منهم الخير والصلاح والسداد في تصديهم لنزع فتيل الشهوة من الشعب وخير دليل مظلوميتهم وعدم سفك الدماء للحصول على المكاسب السلطوية في فترة عبادة العجل وما بعدها وهو حق لهم لأنه من أمر الرب يهوه لذرية هارون الذين امتنعوا عن عبادة العجل .

لقد ذكر الباحث بأن الزعيم الديني أهم وظيفة ملقاة على عاتقه هي تفسير الشريعة⁽²⁾، وهذا العمل يقوم فيه الكاهن بتوضيح الأحكام الواردة في الشريعة وتفسير مقاصدها لذلك يقول ول ديوارنت: ((ولم يكن أحد غير الكهنة يستطيع أن يفسر الطقوس والأسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ))⁽³⁾ ولم تكن مهمة تفسير الكهنة للشريعة المقدسة.

لقد كانت علاقة الرجل المقدس . بكل الظروف الاجتماعية المحيطة بإسرائيل هي المدعاة للتدخل المباشر من جانب هؤلاء التلة كان لهم التدخل في الجانب السياسي فقد بدأ يوشع الهجوم على أريحا ((بإذن من الرب))⁽⁴⁾، وعين صموئيل⁽⁵⁾ شاؤول على إسرائيل⁽⁶⁾ بإذن من الرب، ثم عين داود باذن من الرب، وقام اليشع وهو خليفة النبي إيليا بناءً على تعليمات نبيه بالمعارضة ضد آخاب⁽⁷⁾.

وتذهب التوراة الحالية إلى ان النبي ايليا عهد إلى خليفته اليشع⁽⁸⁾ باسم الرب يهوه أن يمسح حزائيل ملك دمشق رغم أنه ليس إسرائيلي وليس عابدا ليهوه لأن رب إسرائيل. قد أراد أن يجعله سيف على رقاب

(1) العهد القديم، سفر الخروج 40 : 12 - 15، وظ: م.ن، سفر العدد 25 : 10 - 13.

(2) ظ: عماد علي عبد السميع، الإسلام واليهودية: ص 199.

(3) وول ديوارنت ، قصة الحضارة: 2 : 346.

(4) العهد القديم، سفر يشوع 11 : 12.

(5) ظ: محمد بيومي ، بنو إسرائيل : 5 : 83.

(6) ظ العهد القديم: سفر صموئيل أول 9 : 16، 3 : 7، 10، ثم قارن سفر صموئيل الأول 8 : 4.

(7) ظ: سفر ملوك الثاني 9 : 1 وما بعدها .

(8) ظ: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، حاشية سفر الملوك الأول 18 : 20 - 46 ، ظ: الكتاب المقدس الألف ياء والباء، مدخل إلى سفر الملوك ص 621.

شعبه الآثم الشرير⁽¹⁾. لقد كانت اهمية الخلافة تكمن، عند الأزمات السياسية ، وعند مداهمة الخطر لمملكة إسرائيل من قبل الغزو الأجنبي كانوا أشد القوم قسوة على أعداء إسرائيل وأكثر القوم عنفا على أعداء الله⁽²⁾، فيما يعتقدون حيث يقومون بأخطر الأدوار حين تدق طبول الحرب وهناك مثل سائر على (اليشع) خليفة النبي ايليا هوانه ((مركبة إسرائيل وفرسانها))⁽³⁾.

لقد كان دور الكهنة في ديانة بني إسرائيل أشبه بالمصلحين اليوم⁽⁴⁾ الذين يعملون لإيقاظ أمتهم بعد أن أوغلت الامة بالمادة والشهوات فقاموا ببيت الروح في نفوس أبناء شعبهم لقد اعتبر الفكر اليهودي حادثة السبي إلى بابل عام 586 ق.م هي بمثابة كارثة قومية لا تقارن بغيرها من الكوارث ولقد كانت عقيدة الذين نفوا ذا مستوى غير لائق في العمق والروحانية بحيث دب فيهم اليأس من تمكين مجتمع جديد وحياة جديدة خارج فلسطين، وهنا لعب خلفاء موسى (ع) دور المصلحين ببيت الأمل فنادوا بأن الرب في النهاية لن يترك شعبه في المنفى إلى الأبد وانها لا بد أن ترجع إلى حياة جديدة وان تقدي نفسها من الأسر⁽⁵⁾.

ان من اهمية الخلافة ان تعين "خليفة النبي" لم يكن يترك بامر الناس وانما جاء بجعل الهي ، وذلك عن طريق النص الالهي، فمثلا، أن الملك شاؤل قد نُصب بأمر الرب⁽⁶⁾ وكذلك الملك داود قد نصب بأمر الرب⁽⁷⁾ وكان المنقذ والمنصب ، والمعين هو الله، عن طريق النبي صموئيل لكلا الملكين⁽⁸⁾ ، لذا فالملك يعتبر شخصية مقدسة بعد أن تمّ مسحه من قبل النبي، فلا بد من احترام المسحة التي نالها⁽⁹⁾، ابتداءً من داود يتحدد مركز الملك بالنسبة إلى الله: يتخذ ابنه له بالتبني⁽¹⁰⁾، ((أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا))⁽¹¹⁾، وكذلك هو مؤتمنا على سلطاته وقائما مبدئيا على رأس جميع ملوك الأرض⁽¹⁾ .

-
- (1) ظ: العهد القديم، سفر ملوك اول 18: 20 - 46 ، 19: 21 ، 18: 16 ، وظ: سفر الملوك الثاني 3: 20 ، وظ: سفر دانيال 9 : 21 ، وظ: سفر التكوين 32: 29 وظ: ف ب ماير ، حياة ايليا : ص 113.
 - (2) ظ: محمد بيومي مهران ، بنو إسرائيل ، النبوة والانبياء : 5 : 86.
 - (3) سفر الملوك الثاني 13: 14 ، وظ: تك 50: 1 ، وظ: سفر الملوك الثاني 2: 12.
 - (4) ظ: بنو إسرائيل : 5 : 89.
 - (5) ظ: العهد القديم ، سفر حزقيال 37: 1- 4 ، ظ: سفر التكوين 2: 7 ، ظ: سفر المزمور 104: 30 ، وظ: 20: 40 وما بعدها، ظ: العهد الجديد، الرسالة إلى أهل روما 8: 11.
 - (6) ظ: م.ن ، سفر صموئيل الاول 9 : 15 - 16 ، اصم 10: 1 ، 23: 10 - 25.
 - (7) ظ: م.ن 16: 11 - 13 ، راجع اصم 16: 1.
 - (8) ظ: م.ن 10 : 1 ، وظ: اصم 16: 1.
 - (9) ظ: م.ن 24 : 11 ، 26 : 9.

(10) ظ: لجنة مؤلفين، ترجمة: المطران الصونيوس نجيب: معجم اللاهوت الكتابي، مادة ملك، ط5، 2004، دار المشرق، ش. م.م ، بيروت- لبنان: 764 - 769 ، وظ: الخوري بولس الفيغالي، المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، مادة ملك، ط1، 2003، جمعية الكتاب المقدس، بيروت، لبنان، ص 1246 - 1255.

(11) ((أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا)) هي صيغة تبين، كما في العهد القديم، سفر مزمور 2: 7 ، 110 : 3، وظ: سفر المزمور 89 : 31 - 34 ، ظ: سفر الملوك الاول 5 : 19 ، وظ: سفر صموئيل الثاني 8: 19، وظ: سفر أخبار أول 17 :

وفي عصر الملوك وابتداء من داود الملك أصبحت للخلافة أدوار مهمة فالملك هو المؤتمن على السلطان وقائما مبدئيا على رأس جميع ملوك الأرض⁽²⁾، لذا فهو إن ظل أميناً، يعده الله في بيته، فينبغي أن يضمن الرخاء لشعبه عن طريق انتصاراته على العدو النازح من الخارج وان يجعل العدل يسود في الداخل⁽³⁾.

إن الرأي السائد بين فقهاء اليهود⁽⁴⁾ ان الملكية تخالف روح الدين الاسرائيلي وان تعيين الملك أمر يقف ضد إرادة الرب وان الشكل الأمثل للحكومة هي حكومة غير ملكية ولذلك فعندما استولى الحشمونيون على الحكم (164ق م) رفضوا بادئ الأمر أن يتخذوا لقب (ملكا) كما رفض الغيورون الملكية ولم يرتضوا إلا بالإله ملكا⁽⁵⁾.

ولمجيء الملكية التي جاءت وفق مرسوم الرب لعدة قضايا مهمة ومنها التنظيم جاء لتنظيم العبادة الوطنية والتي نتجت عنها ان أصبح النظام الكهنوتي في أوج عظمته فقد نظم الملك العبادة⁽⁶⁾ فصار الكهنة موظفين لديه وقد امن للاويين الدور الكبير في تنظيم العبادة ولما كان صادوق من اللاويين فقد ساعد اللاويين الملك على تثبيت عرشه وظلوا يخدمونه بشكل لافت وهذه الخدمة لم تكن عبادية فحسب بل سياسية وعسكرية وعالجوا علاقات داود باللاويين انطلاقا من لوائح المدن اللاوية⁽⁷⁾ التي أعادوها إلى زمن الملكية الداودية فقالوا: حين أقام داود العبادة الوطنية ، سلم بعض المدن إلى اللاويين كانوا أمناء لداود فعرفوا بغيرتهم ليهوه وكفأتهم في إقامة شعائر العبادة.

مما تقدم يتبين ان من اهمية الخلافة في الفكر اليهودي انها جاءت من اجل تنظيم العبادة ولتكوين مجتمعا تربطه اوامر الاخوة الايمانية من خلال علاقتهم بالله بالتزامهم باوامر النبي وطاعتهم له ولخليفته الذي نصب لهم ،والذي يعوا بالالتزامات الاجتماعية عن طريق التجمعات واللقاءات في مراكز العبادة والالتزام بالشريعة الموسوية بعد الاخذ من الانبياء تفسير الشريعة وحفظ الناموس .في كل مايتعلق في

11 - 14، وظ: الكتاب المقدس الألف باء والياء هامش رقم (5) ص 588.

(1) ظ: م.ن، سفر المزمور 89 : 28 .

(2) ظ: م.ن 89 : 28، وظ: 2: 8 - 12 ، 18: 44 - 46.

(3) ظ: م.ن: 20 - 21، 45: 84، 72: 7-1 و 12-14، وظ: سفر الامثال 16: 12.

(4) ظ: موسى بن ميمون ،دلالة الحائرين ،ص411، وظ: بن كمونة، تنقيح الابحاث للملث الثلاث (اليهودية -المسيحية- الاسلام)، ص75 .

(5) ظ: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية : المجلد الرابع : 286.

(6) ظ: الخوري بولس الفغالي ،الفصل السادس الكهنوت في زمن الملوك(دراسات بيبلية):، مقتبس من موقع مؤلفات واعمال الخوري بولس الفغالي.

(7) ظ: العهد القديم، سفر يشوع 21، وظ: م.ن سفر اخبار الايام الاول 16: 39-66، سفر العدد 35: 2-8.

شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية، وغيرها.

لقد حدد ملاخي القيادة الشرعية لخلافة أنبياء بني إسرائيل حيث بين ان الباب الذي ابتداءً بتتصيص التعيين الإلهي في سبط (لاوي) وجاء منه موسى(ع) وهارون وبنوه⁽¹⁾ وهو نفس ما نص عليه آخر قيادة هدى لمسيرة بني إسرائيل⁽²⁾، وقال (ملاخي) في قيادة الهدى التي ينبغي على المسيرة انتظارها ((إني أرسلت إليكم هذه الوصية ليكون عهدي مع لاوي قال رب الجنود: كان عهدي معه للحياة وأعطيته إياها فاتقاني ... ، شريعة الحق كانت فيه والإثم لم يوجد من شفتيه سلك معي في السلام والاستقامة وأرجع كثيرين عن الإثم لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة، لأنه رسول رب الجنود (...))⁽³⁾.

ذكر الباحثون في دراسة العهد القديم إذا أردنا أن نتعرف إلى كهنوت أورشليم خلال الملكية كان على الباحث أن يعود إلى التاريخ الاشتهاعي⁽⁴⁾ وكذلك يجب علينا العودة إلى التاريخ الكهنوتي .

ويرى الباحثون في خلفاء⁽⁵⁾ صادوق للكهانة (الإمامة) أنهم يحددون مختلف لوائح الأنساب⁽⁶⁾. لذا يقول المفكرون: من الملاحظ أن هناك مزيجا بين مختلف المجموعات التي تلقاها المؤرخ الكهنوتي أو ألفها فالمعلومات الأكيدة تتداخل فيما عرف من قبل، وان هناك صعوبة لتقديم تاريخ متواصل للكهنوت في زمن الملوك في الكتاب المقدس إلا انه يشير إلى بعض المحطات فيقول خلف عزريا صادوق⁽⁷⁾ وذلك في زمن يوشافاط (870 - 848 ق.م).

ان لاهمية الزعامة والقيادة الدينية في الفكر الديني اليهودي ،جعلوا تنصيب لقب الحاخام له أهمية

(1) ظ: ابتلاءات الأمم: سعيد أيوب، 103، ظ: سفر الخروج 28: 1 - 5 ، 28: 4 - 43 ، 29: 1 - 9.

(2) ظ: م.ن.

(3) العهد القديم، سفر ملاخي 2: 4 - 9، تثنية 21: 5، متى 23: 13 ، 15، تثنية 18: 1، وسفر ملاخي 33: 8 - 11 ، عدد 25: 12، 12، تثنية الاشتهاع 21: 5.

(4) ظ: العهد القديم ،سفر يشوع، باكملة ، ظ: سفر قضاة، باكملة ظ:سفر صموئيل الأول وسفر صموئيل الثاني، باكملة.

(5) ظ: أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفغالي: موقع فغالي، الكهنوت في الحقبة السابقة للملكية لخلفاء صادوق الكهنوتي في الحقبة السابقة للملكية.

(6) ظ:العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول5: 27 - 41، 6: 35 - 38، عزرا : 1 - 5.

(7) ظ:م.ن ،سفر ملوك أول 4: 2.

كبيرة، إذ تتمثل مسؤولية الحاخام في تفسير الشريعة الشفوية (التلمود)، والوعظ والارشاد واسداء المشورة وإقامة الشعائر اليهودية والتعليم، بل إن لأهمية هذا اللقب قد جعل منه ان يعدّ حجة في القوانين الإسرائيلية، إلا انه بالرغم من ذلك فإنه ليس من المطلوب لكل من يحملونه ان يمضوا في دراسة مساق موحد وغالبا ما تقوم مدارس تدريب الحاخامات الحديثة التي يطلق عليها الاسم العبري (يشفوت) بتدريس الكتاب المقدس لليهود والتلمود والفلسفة الإسرائيلية وتاريخ الإسرائيليين وأدبهم وقد يقوم الحاخامات بمفردهم بتدريب الطلاب لحمل هذا اللقب والتصديق على خبراتهم بحمله⁽¹⁾.

لقد استطاعوا تشكيل الملامح السياسية البارزة لحكومات بني إسرائيل المتتالية في فلسطين وأصبحوا المحرك لها، ومفاتيح الكثير من القضايا وذلك لدورهم الأساسي في تأسيس الفرق الدينية والمدارس الأهلية والأحزاب السياسية وقيادتها وإصدار الفتاوى وتبرز أهمية الحاخامات من خلال النصوص التشريعية لديانة بني إسرائيل الواضحة التي رفعت مكانتهم واحاطتهم بالقداسة والعصمة⁽²⁾ ومنها:

1. من يحتقر كلمات الربانيين يستحق الموت

2. ان كل الربانيين حتى أيامنا هذه متمنطقون بالسلطة الإلهية⁽³⁾.

3. كلمات الربانيين هي كلمات الله الحية.

4. مخافة الربانيين هي مخافة الرب نفسها

وهذه النصوص أعطت الحاخامات أحجاما وأدوارا في المجتمع اليهودي امتدت إلى دوائر القرار في قمة الهرم السياسي اليهودي المعاصر في فلسطين.

لقد أخذ الربيون والحاخامات تعاليمهم ومبادئهم من الفريسيين الذين كانوا متسلطين على الشعب أيام المسيح يحضونه على اتباع ظواهر شريعة موسى (ع)، ويحفظون لأنفسهم تفسير التقاليد المتصلة إليهم⁽⁴⁾، وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف أحد الحاخامات المسمى يوضأس أن تلعب أيدي الصانع

(1) ظ: صالح، نضال، علاقة الديانة اليهودية بالمشروع الصهيوني والتكوين السياسي لدولة إسرائيل، شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع:

<http://www.nidal.saleh@azet.st>

(2) ظ: الجحى، عبد الله، الحاخامات وأثرهم في حياة اليهود، (الانترنت)، موقع رجال الدين في حياة الإسرائيليين.

(3) ظ: بولس حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية: 22 - 26.

(4) ردهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة من الفرنسية د. يوسف حنا نصر الله: 41.

الصناع بهذه التعاليم، فجمعها في كتاب سماه المشناه⁽¹⁾، ثم علق علماء بني إسرائيل على المشناه حواشي كثيرة وشروحات مسهبة دعوها باسم (غامراه)⁽²⁾، او (جمراه).
ومما يلاحظ على اليهود انهم يحرصون دائماً على الاعلاء من مدى تقوى الحاخام (الكاهن) وقدراته على الاتيان بالمعجزات والتكهن بالمستقبل⁽³⁾.
مما تقدم يتبين ان للخلافة اهمية كبيرة على جميع الابعاد السياسية منها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية قديماً وحديثاً.

2- الحقوق المادية :

ذكرت التوراة ان الرب اله اسرائيل ، وزع الاعمال واختص سبط اللاويين بالأعمال الدينية⁽⁴⁾ ، وقد وزع كذلك الحقوق والاملاك على اسباط بني اسرائيل ولم يكن من حق سبط اللاويين ان يمتلك كغيره من الاسباط وفي مقابل هذا كانوا يعفون من الضرائب فرضة الرؤوس.

وفيما ياتي ابرز حقوق الكاهن الاعظم المادية :

أ- النذور كان كل نذر يقدمه بنو اسرائيل هو من حق هارون وبنيه ، فتقول التوراة ((كل محرم في اسرائيل هو لك))⁽⁵⁾ وفي نص اخر تقول ((كل محرم هو قدس اقداس للرب))⁽⁶⁾. وهذا يعني انه نصيب للكهنة⁽⁷⁾. الابكار من كل شئ، سواء ابكار الناس أو ابكار الحيوانات أو ابكار الثمار والزرع⁽⁸⁾. وبشأن ابكار الثمار والزرع جاء في التوراة ((تأتون بحزمة...الى الكاهن))⁽⁹⁾ ، وفي نص اخر ((كل فاتح رحم من كل جسد جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك))⁽¹⁰⁾، أي لهارون⁽¹¹⁾.

ب- ان جزءا من القرابين المقدمة للمعبد كانت للكاهن ، ولهذا جاء بشأن ذبيحتي الخطيئة والاثم ((ذبيحة الاثم كذبيحة الخطيئة لها شريعة واحدة الكاهن...))⁽¹²⁾

(1) وكلمة المشناه معناها الشريعة المكررة لأن الشريعة شريعة موسى المرصودة في الخمسة كتب أما الغرض من المشناه فهو إيضاح وتفسير ما التيسر في شريعة موسى وتكملة الشريعة على حسب ما يدعون وقد زيد في القرون التالية على كتاب المشناه الأصلي شروحات أخرى صار تأليفها في مدارس فلسطين وبابل، ظ: م.ن، ص41.

(2) ظ: م.ن، وظ: الشرقاوي، الكنز المرصود في فضاء اليهود : 15.

(3) ظ: انتجر ، د. صموئيل، اليهود في البلدان الاسلامية ، سلسلة عالم المعرفة عدد مايو(1995): (وهو مؤرخ اسرائيلي) بارز ولد عام 1919 ويعمل استاذ للتاريخ اليهودي في الجامعة العبرية بالقدس ص306 نقلا عن علي عماد ، الاسلام واليهودية دراسة مقارنة في سفر اللاويين ، ص206 .

(4) العهد القديم، سفر الخروج 28: 1.

(5) م.ن، سفر العدد 18: 14.

(6) م.ن، سفر اللاويين 27: 28.

(7) ظ: وليم مارش: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ببيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 1973م، ج2: 213، وظ: الاسلام واليهودية ص205 وظ: محمود عبد الرحمن قدح، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة مقتبس من شبكة المعلومات الدولية ، الانترنت <http://www.shamela.ws> .

(8) العهد القديم، سفر اللاويين 27: 26.

(9) م.ن 23: 10.

(10) م.ن، سفر العدد 18: 15.

(11) ظ: الاسلام واليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين: 207.

(12) العهد القديم، سفر اللاويين 7: 7.

ت-الاعشار: كما كان من حق هارون وذريته وباقي الكهنة من بني لاوي ان يأخذوا العشر من نتاج بني اسرائيل سواء الزروع او الحيوانات⁽¹⁾ ، واما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدساً للرب⁽²⁾، فهو معاش الكهنة ((لأنهم مفرزون لخدمة الرب وليس لهم ميراث في بني اسرائيل))⁽³⁾.

ومن الجدير بالذكر ان الاموال التي تعطى للكاهن الأعظم "خليفة النبي" لم يصرفها على نفسه بل كان يصرفها في مصالح الأمة⁽⁴⁾ فهذه الأموال ليست ملكاً صرفاً للكاهن الأعظم فالقول بان الكاهن تجبى تجبى له هذه الاموال ويقوم بصرفها على نفسه وخاصته بعيد عن الصواب والدليل ان فلسفة هذا الحكم لم يدونها بشر انما هي أوامر ربانية، ولما علمنا ان هذا الكاهن الأعظم هو من ذرية هارون قد كانت الاموال عندما تأتي إليهم فانهم يكرسونها لبعد آخر سواءً كان بعد انساني أو اجتماعي أو غيره . ومن أهميتها، ان الله جعلها مقترنة مع الوصايا والتعاليم (الناموس)، فعندما صعد موسى(ع)الجبل اعطاه الوصايا بالإضافة إلى ذلك أمره أن يكرس هارون أخوه وذريته لأن يكهن للرب ويقدم له ويكون المطهر والشفيع والوسيط بين الجماعة والرب.

ومن أهميتها انه لا يمكن ان يقترب إليها كل من هب ودب حتى لو كان ملك اليهود بذاته إن لم يكن من ذرية هارون .

(1) هم بلا شك من نسل هارون (الذي هو عضو في قبيلة لاوي)، وهم يشكلون طبقة الكهنة، اما باقي نسل لاوي فيشكلون طبقة ادنى من طبقة بني هارون في الكهنة. ظ: مجموعة من العلماء ، الكتاب المقدس، ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان، ط4، 1995، دار الكتارلاب المقدس في الشرق الاوسط ص1257.

(2) ظ: العهد القديم، سفر اللاويين 27: 30.

(3) م.ن 27: 32.

(4) ظ: بن كمنون، تنتقيح الابحاث للملث الثلاث (اليهودية -المسيحية-الاسلام)، ص47.

المطلب الثالث

مشروعية الخلافة

ان مسألة القيادة بعد النبي موسى(ع) في سلسلتها الهرمية ، وفي امتدادها النظري والعملي ذات أهمية بالغة الحساسية وخصوصا في نوعية القادة المتعاقبين على منصب القيادة في ظروف حرجة ومنعطفات تاريخية خطيرة ومراحل انتقالية مفصلية بين مرحلة البداوة ومرحلة الزراعة ومرحلة الملكية ، وما بعدها في بني إسرائيل اذ ان ((الغاية التي خرج من أجلها بنو اسرائيل من أرض مصر إقامة كيان سياسي وسط الأمم الوثنية))⁽¹⁾ التي كانت تعيش في فلسطين وجوارها وقد شرط الله عليهم شروطا معينة وأخذ عليهم العهود لأجل تحقيق هذه الغاية وهي: ((إن سرتم على فرائضي ... وعملمت بها أنزلت أمطاركم في أوانها... وأنميكم وأكثركم وأثبت عهدي معكم))⁽²⁾، ((وإن لم تسمعوا ولم تعملوا بجميع هذه الوصايا ونبذتم فرائضي... أنقض عهدي معهم))⁽³⁾ وهذه المبادئ هي التي وضعها الرب لهم لكي يسيروا عليها، كما اخذ عليه موثيقا لتطبيقها ولذلك ارسل عليهم موسى وخلفاءه لأجل تثبيت العهد وتنفيذ تلك المبادئ . ومن هنا جاءت المشروعية الخلافة ، والتي دلت عليها الادلة العقلية واخرى ادلة نقلية مستمدة من النصوص التوراتية.

أولاً: الادلة النقلية(النصوص التوراتية ، المصادر اليهودية):

1- أدلة مشروعية الخلافة في زمن موسى:

واول دليل عليها هو استدعاء الرب لموسى(ع) بالصعود الى الجبل اذ انزل عليه كلاً من وثيقة العهد وتعاليم الناموس (الشريعة) والوصايا التي كتبها ، والتي اكدت على تنصيب اخيه هارون بالخلافة وكذلك ذريته من بعده وقد بين نص التوراة ذلك اذ جاء فيه: ((أما انت فقرب اليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني اسرائيل ليكون لي كاهناً هارون وناداب وابيهو والعازار وايتامار بني هارون))⁽⁴⁾، ومن هذا فالنص يدل على ان تنصيب هارون كان بامر الهي وهذه مشروعية واضحة في خلافته .

(1) علي بو سليمان: نظرية القيادة عند اليهود: 52.

(2) العهد القديم ، سفر تثنية الاشرع 30 : 15 - 19.

(3) م.ن، سفر اللاويين 26: 3 - 46، م.ن، سفر أرميا 17: 19 - 27، سفر أشعيا 1: 19، م.ن، سفر عاموس 9: 13، والقرآن الكريم يوافق هذه النصوص التي ذكرها العهد القديم، قال تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ)، سورة البقرة: 40.

(4) م.ن، سفر الخروج 28: 1، سفر اللاويين 8 ، 12 . -

وهناك نص آخر يدل على تنصيب الرب لهارون بالخلافة فعندما نصب موسى(ع) هارونا اعترض عليه عدد من أقاربه وهم قورح (1) وداثان وابيرام فلما سمع موسى(ع) ذلك الاعتراض قال : ((غدا يعلم الرب من هو له (2) ومن المقدس فيقربه اليه فالذي يختاره يقربه اليه ضعوا هذا وخذوا لكم مجامر قورح وكل جماعته امام الرب غداً فأى رجل اختاره الرب فهو المقدس كفاكم يا بني لاوي ... وخاطب الرب موسى(ع) وهارون قائلاً انفراداً عن هذه الجماعة لاني سافنيها، وفتحت الأرض فاها فابتلعتهم، هم وبيوتهم وجميع رجال قورح وجميع اموالهم وخرجت نار من عند الرب فأكلت الرجال المنتين والخمسين الذين قربوا البخور)) (3).

ومن النصوص الأخرى التي يستدل بها الفكر الديني اليهودي على مشروعية خلافة هارون ما جاء في التوراة ((وأقم هارون وبنيه ليحافظوا على كهنتهم، وأي غيرهم تقدم فليقتل)) (4)، أي أن الذي يقترب من هذا المنصب الإلهي مصيره الموت (5) ، وفي ذلك تحذير على الساعين لبلوغ هذا المنصب من غير ذرية هارون ، وان من يقترب له سوف يقتل وهو دليل على خطورته ، كما يدل النص على ان الخلافة تستمر في أعقاب هارون وهي ((فريضة أبدية لمدى أجيالهم)) (6) .

فضلا عن ذلك بينت التوراة أن الخلافة تكون بعد هارون(ع) في ذريته فجاء فيها :((والبس هارون ثياب القدس واسمه وقدسسه ليكون لي كاهناً وقدم بنيه وألبسهم قمصاناً، وأمسحهم كما مسحت اباهم ليكونوا لي كهنة، لتكون لهم مسحتهم كهنوتاً أبدياً مدى أجيالهم)) (7).

وهنا لا بد ان نبين ان هذه المشروعية جاءت لاهداف الهية واضحة في قيادة الامة وتوجيهها فلا بد من تعيين قائد محنك وراع صالح ، يأخذ بزمام أمرها ويحفظها عن الانحراف ، وهذا ماحدث في امة موسى (ع) فعندما اراد الاخير الاعتزال عن قومه أربعين ليلة لمناجاة ربه سبحانه لم يترك أمته دون الخليفة ، بل عين هارونا خليفة وأميراً في غيابه، وهذا ما ذكرته النصوص التوراتية فالتوراة تذكر في سفر الخروج وقال الرب لموسى(ع) ((إصعد إلي الى الجبل وأقم هنا حتى أعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم فقام موسى(ع) ويشوع مساعده وصعد موسى(ع) الى جبل الله)) (8).

ومن الجدير بالذكر ان صاحب المشروعية يجب عليه ان يؤدي طقوساً خاصة عند تنصيبه، فلا بد

(1) قورح: هو قروح بن يصهار بن قهات بن لاوي هو داثان وابيرام ابنا الباب وابو بن نالت من بني اوبين ثاروا وقاموا على موسى هما ومنتان وخمسون رجلاً من بني اسرائيل. واجتمعوا على موسى وقالوا لهما كفاكما ان الجماعة كلها مقدسة والرب في وسطها فما بالكما تترفعان على جماعة الرب)، وقد قام قورح بالثورة لانه اعتبر نفسه بكر العائلة وانه كان وان يرد الى الكهنوت السابعة ولم يقبل بهذا الاصلاح لكنه عوقب هو وابناءه . ظ : الخوري بولس الفيغالي ، المحيط الجامع: مادة قورح: 983-983.

(2) يقصد به هارون من ينصب بالخلافة، ظ: م.ن .

(3) العهد القديم سفر العدد 16: 1.

(4) م.ن: 3: 10.

(5) ظ: م.ن: 1: 51.

(6) م.ن: 18: 8، 25: 10 13 0، وظ: م.ن، سفر الخروج 29: 9، 40: 12 - 15.

(7) ظ: م.ن، سفر الخروج 4: 13-15 ، والغريب ان بعد هذا الاهتمام بالامامة لهارون وذريته من حين تنصيبه ووصية الرب عند العهد والتجلي لموسى وكيفية وصف اللباس واوصافه وكذلك ان الذي يقترب من ذلك سوف يقتل واذا بالتوراة تناقض ذلك تماماً عندما تذكر بان هارون هو الذي صنع لبني اسرائيل مدعيًا انه الههم الذي اخرجهم من مصر، ظ: م.ن سفر الخروج 32: 1-6، ثم قارن ان القرآن الكريم يشير باصبع الاتهام الى شخص آخر وهو السامري، والسؤال الذي يلقي بضلاله على التوراة الحالية انه كيف يمكن تصور اتهام التوراة لهارون بصنع العجل وهو ابو الأئمة الذين عندهم حتى الآن من شروط الحاخام ان يرجع نسبه الى هارون، ظ: مصطفى كمال عبد العليم، د. سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ط1، 1416 هـ-1995 م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 59-60.

(8) م.ن: 24: 13.

ان يلبس ثياب خاصة ، اذ أمر موسى(ع) بصنع ثياب لهارون وبنيه فجاء التوراة ((أما انت فقرب اليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني اسرائيل ليكون لي كاهناً: هارون وناداب وابيهو والعازار وايتامار بني هارون واصنع ثياب قدس لهارون أخيك تكون ثياب مجد وبهاء، وكلم انت كل يد ماهرة ممن ملأتهم بروح المهارة، فيصنعوا ثياب هارون لتقدسه ليكون لي كاهناً))⁽¹⁾.

كذلك يدخل خيمة الاجتماع ، فتقول التوراة((تقدم هارون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع ، وتغسلهم بماء وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي،وتقدم بنيه وتلبسهم اقمصة وتمسحهم كما مسحت اباهم ليكهنوا لي ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبديا مدى أجيالهم))⁽²⁾ وتذكر التوراة ان((موسى(ع)فعل ما امر به الله))⁽³⁾فضلا عن ذلك عليه ان يعلم بني اسرائيل الفرائض التي علمها له الرب فذكرت التوراة((وكلم الرب هارون قائلاً:خمرا وسكرا لاتشرب انت وبنوك...للتميز بين المقدس والمحلل وبين الخير والظاهر ولتعليم بني اسرائيل جميع الفرائض التي كلم الرب فيها بيد موسى))⁽⁴⁾.

وقد خص الرب بعد هارون بنيه من ابناء لاوي فصارت المشروعية فيهم اذ جاء في التوراة: ((كلم بني اسرائيل وخذ منهم فرعاً وفرعاً من كل بيت أب من جميع زعمائهم على حسب بيوت ابايهم أي اثني عشر فرعاً واكتب اسم كل واحد من فرعه واما اسم هارون فاكتبه على فرع لاوي لان فرع فرعاً واحداً يكون لكل من بيوت ابايهم وضع الفروع في خيمة الموعد امام الشهادة حيث اجتمع بكم، فالرجل الذي اختاره يفرخ فرعه فاصرف عني تدمرات بني اسرائيل التي يتدمرونها عليكما فكلم موسى(ع)بن اسرائيل فسلمه كل من زعمائهم فرعاً، فرعاً⁽⁵⁾ من كل زعيم على حسب بيوت آبايهم فوضع موسى(ع)الفروع امام الرب في خيمة الشهادة وكان في الغد ان موسى(ع)دخل خيمة الشهادة فاذا فرع هارون الذي هو بيت لاوي قد أفرخ وبرعم وازهر وانضج لوزاً))⁽⁶⁾.

2- : أدلة مشروعية الخلافة في زمن موسى (خلافة يوشع) (خلافة العازر الكهنوتية).

أ- يبدو ان الخلافة انقسمت بعد موسى(ع) الى سياسية ودينية ،فالسياسية كانت ليوشع بن نون⁽⁷⁾ وبينت التوراة مشروعيتها⁽⁸⁾ فجاء فيها ان((يوشع يمثل المصداق الاشد استعداداً من حيث الكيف والأين، والأين، والمتى، والوضع، والفعل، والانفعال، والاضافة، لقبول منصب الخلافة والقيادة بعد النبي

(1) م.ن: 28: 1-5 ، وهذا الثوب مكون من أفود، وصدرة وجيه وعلامة التقديس هي ان يصنع له، زهرة من ذهب خالص.

(2) العهد القديم ،سفر الخروج : 40 : 11 - 15 .

(3) م.ن: سفر اللاويين 8 : 1 - 12 .

(4) م.ن: 8 : 10 - 11 .

(5) بمعنى سلمه كل واحد (كل سبط او رئيس سبط من الاسباط الاثني عشر) سلموه (عصا) او (فرعا) .

(6) العهد القديم ،سفر العدد 17 : 1-8

(7) يشوع بن نون هو:

أ-رجل من قبيلة افرايم وليس من قبيلة لاوي التي تفرعت منها القيادة الدينية لهارون وذريته ظ: م.ن ، سفر يشوع 8: 13.

ب-خادم موسى، وقد شاركه في رسالته الدينية، ظ: م.ن ، سفر الخروج 24: 13 ، 32: 17.

ت-باسمه حرس خيمة الاجتماع، ظ: م.ن 33: 11.

(8) ظ: الخوري بولس الفيغالي، المدخل الى الكتاب المقدس:الفصل العاشر(الاستعداد لاقتسام ارض الوعد)موقع الخوري بولس الفيغالي.

موسى(ع))⁽¹⁾، وجاء في العهد القديم ((وخذلك يشوع بن نون، فإنه رجل فيه روح، وضع يدك عليه وأوقفه امام اليعازار الكاهن والجماعة كلها، وأوصه بحضرتهم واجعل مهابتك لكي تسمع له جماعة... كلها فبأمره يخرجون وبأمره يدخلون))⁽²⁾، ((ويقف يشوع امام العازار الكاهن الاعظم ابن هارون فيسأل له بقضاء الاوريم امام الرب))⁽³⁾. ولا بد ان نذكر ان يوشع تميز بخصيصة تمثلت في كونه الاكثر حضوراً في متابعة الوحي⁽⁴⁾ فجاء في التوراة، ((ويقف على باب الخيمة وكان الرب يكلم موسى، كان مساعده يشوع بن نون الفتى لا يبرح الخيمة))⁽⁵⁾. وكان يذهب مع موسى(ع) الى جبل حوريب، حيث يتلقى النبي (ع) الوحي⁽⁶⁾، كما ان الرب اعطاه وعدا بان يجعله عوناً له⁽⁷⁾.

ويبدو ان المشرع له من الرب لتولى الخلافة كان لابد من ان يتمتع بصفات معينة ، وهذا ما يلاحظ على يوشع مثلا اذ كان يتمتع بشخصية قابلة للشدة والضعف وكان ماهراً في تطبيق القانون وهو الأعم بكلم مسائل الدين والشريعة وذلك لرجوع الجميع اليه وترادف الوحي عليه⁽⁸⁾ وهناك صفات قيادية تمتع بها بها اذ كان بالغ عاقل، يتمتع بصحة الرأي حر سليم الأعضاء شجاع، صاحب نجدة ، فضلا عن ذلك كان الامهر في التعاطي مع الشأن الاداري والتنظيمي والقيادي⁽⁹⁾.

ب- اما الخلافة الدينية فكانت الى العازار بن هارون ولها ايضا المشروعية من الرب ، فعندما حضرت الوفاة لهارون امر الرب موسى(ع) بأن يلبس ملابس هارون لإلغازار ابنه⁽¹⁰⁾ الذي كان يرافقه وبذلك اصبح إلغازار بن هارون "الكاهن الاعظم" لشعب بني اسرائيل عندما نصب خيمة الاجتماع على قمة جبل جرزيم⁽¹¹⁾، الجبل الجنوبي لمدينة نابلس "شكيم" وظلت الخيمة على هذا الجبل المقدس يكهن فيها نسل هارون بالوراثة فكهن فيها العازار بن هارون وفي نحاس ابنه، وابيشع وشيشي وبعده (بقي)⁽¹²⁾ ولمدة 260 سنة ولما آلت خلافة الكاهن الاكبر بعد (بقي) الى ولده عزّي ولما كان عزّي عند موت أبيه في سنّ الثالثة والعشرين أي دون سنّ الثلاثين التي يسمح له استلام هذا المنصب الكهنوتي الرفيع، كان حينئذ عالي الكاهن من نسل ايثامار أخي فينحاس بن هارون وكيلا على العشور والذبائح والتقدمات.

كانت رئاسة الكهنوت الاعظم في نسل فينحاس بن هارون⁽¹³⁾ حيث جدد الرب العهد مرة ثانية مع فينحاس ولذريته⁽¹⁴⁾، ولما كان عزّي الوارث الشرعي قاصراً⁽¹⁵⁾ ، وكان عالي متوكّلاً على الذبائح

(1) علي بوسليمان : نظرية القيادة عند اليهود: 92، ط1، 2002م.
(2) العهد القديم، سفر العدد 27: 18 وما بعدها، وظ: سفر التثنية 33: 8 ، ظ: 34: 9، ظ: مجموعة من المؤلفين : الكتاب المقدس (الالف باء والياء): 333 - 334، ط 7، 2004م، دار المشرق، ش.م. م، بيروت- لبنان، وظ: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس مقدمة سفر يشوع ص220 .
(3) العهد القديم، سفر العدد 1: 47-49.
(4) وذلك عند صعوده مع موسى لتلقي الوصايا والعهد وتفسير الشريعة والوحي الشهادة، حيث هو الوحيد الذي كان مع موسى(ع)، ظ: العهد القديم ، سفر الخروج 19: 20-25 .
(5) م.ن، 33: 9-11، ظ: م.ن: 34: 34. المدخل الى الكتاب المقدس: الفصل العاشر: الخوري بولس الفيغالي: ج: 2: 120.
(6) ظ: م.ن: 32: 15 وما بعدها وظ: 24: 12 وما بعدها.
(7) ظ: م.ن، سفر تثنية الاشتراع 31: 32، وظ: سفر يشوع 1: 16-18، وهذا النص يشدد على دور يشوع الحربي الذي يشبه الى حد بعيد دور (داود) ظ: سفر صموئيل الاول 18: 13-16.
(8) ظ: م.ن ، سفر يشوع بكامله، وظ: موقع المكتبة العربية المسيحية، سفر يشوع.
(9) ظ: علي بو سلمان :نظرية القيادة عند اليهود: ص100.
(10) ظ: العهد القديم، سفر العدد: 20: 22 - 29.
(11) ظ: موقع المتحف السامري ((جرزيم))، مقالة بعنوان: (تاريخ السامريين).
(12) ظ: سامي البديري :التكوين التاريخي لمسيرة بني اسرائيل ومسيرة بني اسماعيل (ندوة فكرية اقامها مركز تراث النجف في قاعة جامعة الكوفة) .
(13) بسبب غيرته للرب نال من الرب الكهانة العظمى له ولذريته،ظ: العهد القديم، سفر العدد 25: 6-9، وظ: سفر المزمور 106: 3.
(14) ظ: م.ن، 25: 11-13 ، وظ: م.ن: سفر اشعيا 54: 10.
(15) لم يبلغ السن القانوني لاستلام الكهانة العظمى، ظ: موقع المتحف السامري (جرزيم) مقال بعنوان: تاريخ السامريين.

والتقدمات والعشور، وقد أثرى منها وجمع مالا كثيراً طمعت نفسه الى رئاسة الكهنوت نظراً لتقدمه في السن وصغر عزي، أنف ان يكون خاضعاً لعزي وهو دونه سناً، فقال لبطانته، لست أطيق ذلك على نفسي فاطلب اليكم ان تخضعوا له وجعل يرشوهم ويحرضهم على العصيان حتى اجتمع اليه عدد كبير فجاهدوه وانقادوا إليه ويأتمروا بأمره واقسموا له يمين الطاعة والولاء.

إلا انه بعد مضي سنين استلم عزي الكهانة العظمى ، والتي استمرت، لحين وصول صادوق في فترة الملكية، ومن ثم ذرية صادوق.

3- أدلة مشروعية الخلافة في عصر القضاة: تستخدم كلمة «قاضي» (بالعبرية: شوفيط) في الفكر اليهودي لتشير إلى معنيين، عام وخاص: فالمعنى العام هو القاضي الذي يحكم بين الناس، وبهذا المعنى يكون موسى أول القضاة، ثم خلفه في القضاء رؤساء العشائر وشيوخ المدينة. ولكن كلمة «قاضي» لها معنى آخر في تاريخ بني اسرائيل، فهي تشير إلى ما يمكن تسميتهم «شيوخ القبائل». وهؤلاء أشخاص من الكهنة المحاربين جمعوا بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية⁽¹⁾، وسيطروا على أمور قبائل بني اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون وحتى قيام حكم شاول أول ملوك قبائل بني اسرائيل ، ((وهي فترة تمتد حسب سفر القضاة نحو أربعة قرون. ولكن عند الرجوع لواقعة الخروج أو الهجرة من مصر والتي حدثت عام 1275 ق.م، وأن شاول تُوِّج ملكاً عام 1020 ق.م، فإن هذا يعني أن عصر القضاة لم يزد على قرنين ونصف من الزمان))⁽²⁾.

وفي هذا العصر أي عصر القضاة "Judges" ، اختلف الباحثون في تحديد هوية الخلافة والقيادة لمن، فبعض الباحثين ذكروا ان يوشع بن نون بعد وفاته لم يوص بالخلافة من بعده على خلاف ما كان من أمر موسى(ع) الذي أوصى ان يكون خليفته يوشع بن نون.بينما ذكر قسم اخر من الباحثين بان يشوع قد شكل كياناً سياسياً متكوناً من الكهنة بدأت هذه القيادة في الترجمة العملية للغاية التي سعى إليها هؤلاء ليبدأ بعدها معالم كيان سياسي جديد بالظهور أخذ يشد عوده يوماً بعد يوم في حركة تصاعدية بقيادة أشخاص من الكهنة المحاربين جعلهم قضاة عرفوا بعنوان القضاة وفي هذه المرحلة سادت القيادة التي نص عليها النبي موسى(ع) في القيادات التي عينها النبي عليه السلام لهارون وذريته ، ومن ثم القيادات التي عينها يوشع والتي مثلت المجلس القيادي برأسته في الكيان السياسي الجديد. وهؤلاء القضاة الاثني عشر هم: عتثيل⁽³⁾، واهود⁽⁴⁾، وشمجر⁽⁵⁾، ودبورة وباراق⁽⁶⁾، وجدعون وابيمالك⁽⁷⁾، وتولع⁽⁸⁾، وبائير⁽⁹⁾،

(1) ظ: المسيري، د. عبد الوهاب ، ج4، ص116.

(2) ظ: م.ن: ص116-118.

(3) ظ: العهد القديم، سفر القضاة، 3: 7-11.

(4) ظ: م.ن: 3: 12-30.

(5) ظ: م.ن: 3: 31.

(6) ظ: م.ن: الاصحاح 4 و5.

(7) ظ: م.ن: 6: 1-9، 57.

(8) ظ: م.ن: 10: 1-2.

وبائير (1)، ويفتاح (2) وابصان (3)، وايلون (4)، وعيدون (5)، شمشون (6)، يعتقدون ان هؤلاء جاءوا كلهم بعناية بعناية إلهية حل عليهم الروح.

وقد انتقلت الخلافة الى هؤلاء القضاة الكهنة باعتبار ان استعدادهم للقيادة العامة اقوى من غيرهم، لأنهم رؤساء القبائل الالف الذين تعتبر سلطتهم على من دونهم من رؤساء المائة وهؤلاء اناس حل عليهم الروح فعملوا باسمه، فالقاضي ليس من يحكم ويفصل (7) في قضية بين خصمين بل هو الذي يتم الامر، ويفرغ منه والذي ينفذ العهد ويبلغ الهدف (8)، بينما في سفر القضاة، القاضي هو انسان اقامه الرب ، فقام بعمل تحريري قاوم العدو، ونظم عملية الدفاع عن الارض ومنع الهجمات عن سكانها فقاد الشعب الى النصر، فالقاضي ((هو رئيس محلي طرد الغزاة واعاد السلام الى البلاد)) (9). بل ان كلمة قاضي لها معنى اوسع اوسع فهي لا تعني القائد الحربي فقط بل القائد السياسي أيضا (10)، وهو ما تقرأه الأحداث بفضل دور عالي الكاهن عندما كان قاضياً في اسرائيل اربعين سنة و ((كان دوره في شيلو في وقت غاب فيه الحاكم)) (11)، وكذلك يأتي دور صموئيل الذي مارس سلطته على بني اسرائيل ثم يذكر هذا الفريق ان هؤلاء القضاة هم الذين حملوا الامانة من يشوع، واصلوها الى الملوك (12)، ففي زمن يشوع كان زمن الامانة لله، واما زمن القضاة فزمن خيانة الشعب لربه (13)، لقد سادت الفوضى بين بني اسرائيل في فلسطين وارثد كثير منهم عن العقيدة اليهودية الى الوثنية، فنهض عدد من الزعماء المحليين وتصدوا لذلك وحاربوا دفاعاً عن الكيان الديني والاجتماعي (14) وكان الفرج والخلص على أيدي أشخاص تبعتهم العناية الالهية وهؤلاء هم القضاة (15).

والفريق الثاني فهو الفريق الذي لا يعتقد ان هؤلاء جاءوا كلهم بعناية إلهية حل عليهم الروح بل هم أناس عاديون، بل تم انتخابهم على حساب البنية الجسمانية (16).

-
- (1) ظ: م.ن: 10: 3-5.
 - (2) ظ: م.ن: 10: 6- 12 والإصحاح السابع.
 - (3) ظ: م.ن: 12: 8-10.
 - (4) ظ: م.ن: العهد القديم، سفر القضاة 12: 11-12.
 - (5) ظ: م.ن: 12: 13-15.
 - (6) ظ: م.ن: 13: 1-16، 31.
 - (7) فضلاً عن ذلك ان سلطة هؤلاء تستمد شرعيتها من تقرير النبي موسى لرئاستهم القبلية، ظ: العهد القديم ، سفر الخروج، سفر الخروج، 18: 15، 33: 7، وظ: سفر العدد 11: 14، وظ: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: 4: 146
 - (8) هذا ما هو متعارف عليه في اللغة العربية.
 - (9) الخوري بولس الفغالي، الدراسات في الكتاب المقدس (القسم الثاني من سفر القضاة، تاريخ القضاة، الاثني عشر) مقتبس من موقع الخوري بولس الفغالي ، وظ: سفر القضاة 3: 7-16، 31.
 - (10) ظ: العهد القديم، سفر عاموس 2: 3، وظ: تاريخ القضاة الاثني عشر مقتبس من موقع بولس الغيفالي.
 - (11) تاريخ القضاة الاثني عشر، مقتبس من موقع الفغالي، دراسات في الكتاب المقدس.
 - (12) ظ: م.ن، وظ: العهد القديم، سفر القضاة 3: 7-16، 17.
 - (13) ظ: م.ن، يذكر السيد سامي البدري ان القضاة، هم الذين وصفهم القرآن الكريم والأحاديث بأنهم نقباء بني اسرائيل الاثني عشر، لقاء الباحث مع العلامة السيد سامي البدري في مؤسسة تراث النجف 2009/5/25.
 - (14) ظ: مصطفى كمال عبد العليم، و د. سيد فرج راشد ، اليهود في العالم القديم، ص71 ، وظ: لويس جينزيرج اساطير اليهود: ، ترجمة: حسن السماحي، ص31.
 - (15) ظ: هل لليهود حق ديني في فلسطين 1: 97-103، ط1، 2004م. منشورات بسان للنشر والتوزيع والاعلام.
 - (16) ظ: العهد القديم، سفر القضاة: 1-13، قصة شمشون وغيره من القضاة، ظ: سعيد أيوب، ابتلاءات الأمم ص91.

ويبدو للباحث ان هؤلاء هم فعلا زعماء لبني اسرائيل من خلال الظرف السياسي والاجتماعي الذي تلبسوا فيها هؤلاء، الا ان القيادة الدينية والروحانية والتي كانت من ادوارها المهمة هي ان تقوم بدور الوساطة بين الرب والجماعة الاسرائيلية كانت في زمن هؤلاء القضاة متحققة وموجودة في ذرية هارون المتمثلة في اول زمانهم "زمن القضاة" لاليغازر⁽¹⁾ ومن بعده ابنه فينحاس⁽²⁾، ثم ياتي دور باقي⁽³⁾، ومن ثم يجيء دور عزّي⁽⁴⁾، واستمرت القيادة الدينية لذرية هارون لزمن الملكية متمثلة في صادق⁽⁵⁾.
لذا فان القضاة كانت لهم القيادة الدنيوية وان كان بعضهم تحققت عنده الكهانة، وفي اواخر عصر القضاة وفي زمن النبي صموئيل اندمجت السلطتين عند النبي صموئيل⁽⁶⁾.

والتوراة توضح بان هؤلاء مختارين من قبل الله للخلافة، وبالتالي لا بد من تمتعهم بصفات قريبة من صفات الانبياء، فيما اذا لم يكونوا من الانبياء بل ان اندراج صموئيل النبي ضمن قضاة بني اسرائيل⁽⁷⁾ يوجب الظن بان هؤلاء القضاة كانوا انبياء بلباس قضاة باستثناء ماورد ذكرهم من النساء القضاة، فهؤلاء القضاة كانوا شديد الوطأة والقوة وكانوا يمسون بزمام السلطة جيداً وكانوا اصحاب منعة وقوة وبأس⁽⁸⁾. والملاحظ في مسألة القضاة ان هؤلاء كانوا على قسمين:

القسم الأول: أفراد يعملون في القضاء والفصل بين المتخاصمين في المدن والقرى ومرجعهم الى الكهنة اللاويين والقاضي الرئيس⁽⁹⁾ بمعنى الرجوع الى الأعلم فالأعلم.

القسم الثاني: القاضي الجامع لمنصب القضاء والقيادة والحاكمية حيث ذكر تحت عنوان المخلص في عبادات العهد القديم⁽¹⁰⁾، ((وَأَقَامَ الرَّبُّ قُضَاةً فَخَلَّصُوهُمْ مِنْ يَدِ نَاهِييَهُمْ))⁽¹¹⁾. والقضاة بعد وفاة يوشع انضم هذا الجيل إلى آباءه⁽¹²⁾ إلا إن الجيل الذي جاء بعدهم لم يعرف الرب وابتعدوا عن العمل الذي عمله إسرائيل ((وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وسجدوا لها وأغاضوا الرب فحمر غضب الرب عليهم فدفعهم بأيدي ناهيهم نهوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم فضاق بهم الأمر جدا))⁽¹³⁾. هذا وقد ورد ارتداد بني إسرائيل كثيرا في التوراة⁽¹⁴⁾ لذا نتيجة لانحرافهم سلب الله عليهم من لا

(1) ظ: العهد القديم، سفر العدد 20: 22 - 29، وظ: سفر العدد 27: 18 وما بعدها، وظ: سفر يوشع 1: وما بعدها، وظ: سفر التثنية 8: 33.

(2) بسبب غيرته للرب نال منه الكهانة العظمى له ولذريته، ظ: م.ن، سفر العدد 25: 6-9، وظ: سفر المزمور 106: 3.

(3) ظ: الخوري بولس الفغالي: سفر العدد الفصل العاشر الاستعداد لاقسام أرض الموعد: موقع الخوري بولس الفغالي.

(4) ظ: موقع المتحف السامري (جرزيم) مقال بعنوان: تاريخ السامريين.

(5) العهد القديم سفر اخبار الايام الاول 6: 8، سفر ملوك اول 1: 32.

(6) النبي صموئيل لم يكن من ذرية هارون وانما من ذرية افرائيم، وفي زمنه تم تحقيق القيادة الدينية والدنيوية وذلك باختياره ملكا لبني اسرائيل، ظ: العهد القديم، سفر صموئيل الاول 8: 10 وما بعدها.

(7) وهو نبي بني اسرائيل الوارد ذكره في القرآن الكريم ظ: سورة البقرة: 247.

(8) ظ: العهد القديم، سفر التثنية 17: 18 وما بعدها.

(9) ظ: م.ن.

(10) ظ: م.ن، سفر القضاة 6، 15: 36-37.

(11) ظ: م.ن: 2: 16

(12) ظ: م.ن: 2: 10 - 15، ظ: سفر التثنية 28: 15 - 46.

(13) م.ن: 11-15.

(14) ظ: م.ن: 3: 3-15، 5: 7-9، 6: 1-5، 8: 9، 10، 11، 12، 13، 16.

يرحمهم، ومكن العماليق الكنعانيين منهم فساموهم سوء العذاب بألوان الذل والهوان إلى أن وصل الأمر أنهم قد سلبوا منهم مقدساتهم ومنها التابوت الذي كان أقدس شيء لديهم حيث فيه الألواح التي نزلت على موسى(ع) وفيه عصاه وملابسه وملابسه كما يذكر(1)، لذا حاولوا النهوض من جديد عندما صرخوا للرب فجاءهم رجال خلصوهم من أعدائهم كان هؤلاء قسم منهم موحدون الا ان القسم الثاني تذكرهم التوراة بأنهم عاشروا النساء لكن على العموم فان القوم عندما ابتعدوا عن الطريق المستقيم بتوحيد الله سلبوا الله عليهم من لا يرحمهم وعندما يعودون لسابق عهدهم في التوحيد يقوم الرب بإرسال رجال يخلصونهم ، إلا أن هؤلاء لم تكن وظيفتهم ترتقي لمستوى الملكية((وفي تلك الأيام لم يكن ملك لإسرائيل كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه))⁽²⁾. الا ان بعض المفكرين يعتقد ان هؤلاء القضاة كانوا مؤتمرين بأمر الله فهم مخلصون لبني إسرائيل ويضيف:وهؤلاء هم بالأساس اثني عشر قاضيا يمكن أن يكون هم النقباء الإثني عشر الذين ذكرهم الحديث الشريف((إن الأئمة من قريش عدتهم كعدة نقباء بني إسرائيل)).

واستمر الحال على مدى قرنين من الزمان وعلى امتداد خمسة عشر قاضيا ينقلب القوم بين الخطيئة والتوبة فعندما يخطئون يسلط عليهم من الأمم المجاورة لأنهم عبدوا البعليم والعشتاروت⁽³⁾ ، وقد اختلفت الروايات في تعداد القضاة وفي مسيرتهم القيادية والعسكرية والقضائية .

من هذا كله يبدو للباحث أن بني إسرائيل عندما حل بهم التفكك في هذه الفترة والخطر الذي داهمهم من قبل الفلسطينيين بصورة خاصة إضافة إلى ما رأوه من أعلى درجات الأبهة عند الأمم الذين من حولهم وإبراز النبوة بشكل واضح عند صموئيل⁽⁴⁾ مع العلم ان (الكهنة من بني لاوي) وهم ذرية هارون عليه السلام كانوا متواجدين بشكل قوي تبيينها التوراة عند(ملك الرب)⁽⁵⁾ ألا وهو فينحاس ومن بعده بقي الا ان كاتبي التوراة لم يعطوا هؤلاء الأئمة دورا بارزا لحاجة في نفس يعقوب، كل هذه العوامل أجبرت القوم على الالتفاف حول قائد واحد يستطيع أن يجمع شملهم تحت حكومة موحدة ليتمكنوا من التصدي لأعدائهم فنصبوا عليهم (شاؤول بن قيس) ملكا ينضون تحت لوائه.

والملاحظ أن هذا الانهيار الذي حصل في نهاية عصر القضاة والذي جاء بسبب الابتعاد عن الرب، وكذلك الغرور بسبب الفتوحات العسكرية في البداية وكما ذكرنا فان للردة الدينية⁽⁶⁾ والابتعاد عن شريعة موسى(ع)كل ذلك جعل من القوم يطلبوا من النبي صموئيل أن يعين لهم ملكا لما عانوه ولما أدركوا ما يحمل هذا الرجل من صفات.

فالعهد القديم يحدد بان الذي عين طالوت هو صموئيل النبي وهذا القسم من القضاة هو المعروف بالقضاة الكبار الذين حكموا الى بداية تأسيس النظام الملكي.

وأما من جاء بعد هؤلاء حتى عصر الملكية فنقول عنهم النصوص((فلما أقام الرب قضاة كان الرب

(1) ظ: طويلة، عبد الوهاب، مغالطات اليهود: 249.

(2) العهد القديم، سفر القضاة: 2: 16 - 17.

(3) البعليم والعشتاروت ، ظ: م.ن: 2: 10 - 15.

(4) ظ: م.ن: 7: 3 - 7، 7: 10.

(5) وهو فينحاس بن العازر بن هارون، ظ: موسى بن ميمون: دلالة الحائرين: 398.

(6) ظ: العهد القديم ، سفر القضاة: 2: 11 - 15، 4: 1 - 3، 5: 7 - 9، 6: 1 - 5.

مع القاضي فكان يخلصهم من أيدي أعدائهم أيام القاضي... وإذا مات القاضي كانوا يرجعون إلى الفساد⁽¹⁾، أي إن اختيار القائد لم يكن بيد الأسباط أو بني إسرائيل وإنما كان بيد الله يعين للقيادة من يشاء ، نعم المصاديق التي تعنونت بعنوان القضاة⁽²⁾ بعضها غير واضح المعالم ولا يمكن الموافقة على الذهاب إليه لنفي القرآن بأن الله أرسل أنبياء نساء⁽³⁾ ولكن الباحثين اذا وصلوا إلى المقطع الزمني الذي حكم به النبي يوشع بالمقطع الزمني الذي ابتدأت به فترة الملكية في بني إسرائيل بتعيين نبي بني إسرائيل طالوت ملكا على بني إسرائيل أمكنهم استكشاف أن المقطع الزمني المفقود بينهما والذي مثل فترة انتقالية مهمة في حياة بني إسرائيل سادت فيه قيادات اندرجت في سباق التعيين مهما كان وصفها وعنوانها أنبياء أو أوصياء استنادا إلى النصوص الواردة في سفر القضاة مع التحفظ على بعض العناوين التي ورد ذكره في هذا السفر وفي مرحلة الملكية طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يكون عليهم ملكا .

4- : أدلة مشروعية الخلافة في عصر الملكية.

اما الادلة على مشروعية خلافة عصر الملكية والتي جاءت بعد القضاة مباشرة ،والذي جاء بتصويبهم على يد النبي صموئيل، وتحققت الخلافة بشخصها للنبي شاوول ومن بعده النبي طالوت. تقول التوراة ((فاجتمع شيوخ إسرائيل... كسائر الأمم...))⁽⁴⁾ فهذا المصداق يبدو الأشد استعدادا للتلبس برتبة الملكية والخلافة والقيادة الفعلية ، لأن المرحلة تقتضي قيادة تتمتع بكيف نفساني وجسماني قابل لخوض تحديات المرحلة الكبيرة الشاملة على المستوى الداخلي والخارجي التي تحيط ببني إسرائيل ؛ لأن الملك موجود في رتبة متقدم فيها على كل الرتب باستثناء مقام النبوة و الوصاية وهو المحرك لسائر قطاعات المجتمع وبالتالي فهو الفاعل عن قصد واختيار لسياسة البلاد الداخلية والخارجية.

ويظهر من النصوص التوراتية أن تعيين شاوول كان بأمر الله: بعد أن توضح كيف كان طلب الشيوخ من صموئيل بجعل ملكا عليهم ثم إن الرب أوحى لصموئيل أن اسمع لصوتهم⁽⁵⁾ ثم ان الرب كشف في أذن صموئيل من هو الرجل الذي يصبح عليهم ملكا وبعد ذلك كان ترتيب وقائع كيفية التنصيب⁽⁶⁾ للملك فوقف الملك شاوول بين الشعب⁽⁷⁾ .

والباحث عند قراءته للنصوص التوراتية التي تبين تعيين شاوول بامر الرب وبتنصيب النبي صموئيل فانه يجد ان هناك ادلة تبين مشروعية القيادة وخلافة الانبياء في ديانة بني اسرائيل ،حيث تذكر التوراة ان

(1) م.ن: العهد القديم ، سفر القضاة 2 : 11 - 15 ، 4 : 1 - 3 ، 5 : 7 - 9 ، 6 : 1 - 5.

(2) ظ: علي بو سلمان : نظرية القيادة : 57.

(3) ظ: م.ن: 58. وهو مايتفق عليه العلامة سامي البديري ، ظ: البديري ، سامي ،مجلة ميقات الحج، مقالة بعنوان (دعوة ابراهيم واسماعيل عند رفع القواعد من البيت)، العدد الأول ،ص46.

(4) العهد القديم، سفر صموئيل الاول 8 : 10+، ويتحدث القرآن عن شاول ،سورة البقرة :247.

(5) م.ن.

(6) م.ن: 9 : 15 - 16.

(7) م.ن : 10 : 23 - 5 ، 9 : 2 ، وظ: سفر ملوك أول: 1 : 39 ، سفر الملوك الثاني : 11 : 12.

القوم قد تحفظوا على تعيين الملك شاؤول ، فالتحفظ لجعل شاؤول ملكا من قبل بني بلّيعال⁽¹⁾ قالوا في حق شاؤول: ((كيف يخلصنا هذا؟ واحتقروه فلم يقدموا له هدية))⁽²⁾.

ومن المعلوم أن الذي يقدم هدية للملك إنما هم الأشراف والرؤساء الذين يدبرون أمر العامة في طلب الملك وتبريكه⁽³⁾، وأما هتاف الشعب بقولهم (يحيى الملك)⁽⁴⁾ فيجوز أن يكون بعد اعتراض الملأ والرؤساء والرؤساء على تمليك طالوت، وبعد أن غلبتهم آراء الجمهور انقيادا لصموئيل فتم القرار على تمليكه ويجوز أن يكون من عامة الشعب ما عدا الرؤساء ،والعهد القديم على ما به من الخلل لا يعارض القرآن الكريم في هذا المقام، كما توهمه البعض بل هو مع انحلال نظامه يحاول المعنى الذي ذكره القرآن الكريم ولكنه لم يحسن بيانه .وكما ان التوراة أوضحت ذلك بأن القوم طلبوا ملكا عليهم لذا فان الملكية التي منّ الله بها على بني إسرائيل⁽⁵⁾ اختلفت عن الملكية التي اكتسبوها بالقوة كما هو شأن ملوك الأرض وهذه الملكية تكون ناشئة من الانتهازية واللامسؤولية والجشع والطمع والجري وراء الاستعلاء والنساء والفساد والظلم والعدوان وسبب الاختلاف لأنها من جانب الله سبحانه وتعالى، فلا تفرعن فيها ولا استكبار ولا عدوان فيها ولا فساد، ويبدو ان شاؤول هو نبي أيضاً في التوراة فهناك نصوص تجعله ما تؤيد ذلك⁽⁶⁾.

ويبدو للباحث ان الملوكية في زمن شاؤول اطلقت للتعبير عن المحافظة على الاصطلاح الرائج بين الناس في موضوع الحاكمية، حيث انه لم يكن يوجد بينهم أي لون من الحاكمية الا الملوكية فاستعار سبحانه هذه اللفظة للتعبير عن حاكميتهم المعطاة لهم مع الفارق الكبير والبون الشاسع بين الحاكميتين والامتلاكين⁽⁷⁾. وبالتالي فهذه الملوكية التي وصف الله بها ثلثة من الأنبياء تختلف جدا عن الملكية التي هي تأتي عن طريق الظلم والقهر والتغلب بالقوة على رقاب الناس مما تصف بها جميع ملوكيات الأرض. حيث ان هذه الملوكية التي وصفت من قبل القرآن والتوراة لثلة من الأنبياء تختلف جداً عن الملكية

(1) كلمة شتم ، شتم بها الكهنة أولاد عال الكاهن ظ: العهد القديم ، سفر صموئيل الأول: 2: 12، ولداود ،ظ:سفر صموئيل الثاني 16: 17، وظ: الشيخ البلاغي، موسوعة الشيخ البلاغي : 4: 648.

(2) العهد القديم، سفر صموئيل اول 10: 27.

(3) ظ:البلاغي: موسوعة العلامة البلاغي، ط1، 1428 هـ 2007م مركز العلوم والثقافة الإسلامية قسم إحياء التراث الإسلامي: ج3: 125-126.

(4) العهد القديم، سفر صموئيل اول 10: 24.

(5) ظ: السبحاني ،جعفر: مفاهيم القرآن: 2: 60، ط4، 1413هـ، مؤسسة الصادق(ع)،قم، مطبعة مهر .

(6) تقول التوراة: فلما أدار شاؤول ظهره من عند صموئيل بدل الله قلبه وتمت له تلك الدلائل كلها في ذلك اليوم، ومنها انه جاء إلى جبعة استقبله جماعة من الأنبياء، فحل عليه روح الله فتنبأ بينهم فلما رأى جميع الذين عرفوه انه يتنبأ مع الأنبياء، قال بعضهم لبعض، (ما جرى لابن قيس شاؤول أيضاً من الأنبياء)، لذلك يقول المثل: أشاؤول أيضاً من الأنبياء، ولما انتهى شاؤول من التنبؤ جاء الى المذبح على التلة،ظ: العهد القديم، سفر صموئيل اول 10: 9 – 13، ظ: بنو إسرائيل: محمد بيومي، مهران: 5: 44.

(7) ظ: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن: ج2: 60.

المطلقة الوراثية التي تستلزم الاستعلاء والطغيان وقد جعل الله الملكية التي تم ذكرها في القرآن والتوراة أنها جعلت لرجل صالح من الأنبياء، وليست مما حُصّلت بالقهر والتغلب بالقوة على رقاب الناس مما تتصف بها جميع ملوكيات الأرض وبالتالي فإن القوم (بني إسرائيل) عندما طلبوا من نبيهم صموئيل لم يدركوا ان الاختيار الإلهي للملك هو نزولاً للاصطلاح الراجح بينهم لما شاهدوه ان الدول المجاورة لا تستقر إلا بالملك، فالمملوكية التي كانت للأنبياء تفتقر عن الملوكيات الدارجة المتعارفة في أمرين:

أ- اقتران العصمة والصفات الكريمة العليا مع صفة المملوكية في الأنبياء دون غيرهم من ملوك الأرض .

ب- ان المملوكية التي اتصفت بها الانبياء كانت معطاة من الله سبحانه لا انهم اكتسبوها بالقوة والقهر كما هو شأن ملوك الأرض .

ان اقصى ما يمكن أن يقال حول توصيف الله سبحانه لبعض الأنبياء الصالحين بالمملوكية: ان التاريخ وان كان يشهد على ان المملوكية وان كانت مقرونة بالاستكبار والتفرعن والفساد ، غير أنه لم يكن يتبادر من تلك الكلمة في عصر نزول القرآن . ما يتبادر في العصور المتأخرة عن نزوله وبالأخص في هذه الأعصار الأخيرة⁽¹⁾، إن الملكية بكل أنواعها مرفوضة من قبل الشرائع السماوية وخاصة الوراثية منها لما في ذلك من الفساد وضياع الحق والعدل كما أثبتته التجارب البشرية⁽²⁾. بينما الملكية عند طالوت (وشاؤول) و(داود) كانت ناشئة من حاكمية الله سبحانه حيث تفسر التوراة ان تنصيب شاعول كان بأمر الرب⁽³⁾ وفي القرآن الكريم يذكر الله سبحانه وتعالى ذلك بما يعني أن تنصيبه في المفهومين جاء عن طريق النص وكذلك عن طريق موضع تأييده برعاية الضوابط والسنن والتي نص عليها في الشرائع السماوية في مجال الحكم والحاكم⁽⁴⁾.

إن المتتبع في المصادر القرآنية والنصوص التوراتية الحاضرة يجد ان الحكومة تقوم بأحد أمرين ولكل واحد ظرفه الخاص⁽⁵⁾:

1- التنصيب الإلهي على الحاكم الأعلى بإسمه وشخصه وهذا فيما لو كان هناك نص أو نصوص على حاكمية شخص معين على الأمة كما في هارون وذريته⁽⁶⁾ عليهم السلام ، وكذلك تنصيب يوشع⁽⁷⁾ وشاؤول⁽⁸⁾ .

2- التنصيب الإلهي على صفات الحاكم الأعلى وشروطه ومواصفاته الكلية اذا لم يكن هنالك

(1) ظ: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن: 61.

(2) ابن خلدون، المقدمة: ص185 - 186.

(3) العهد القديم، سفر صموئيل الأول 8 : 4 - 6 ، 8 : 9 ، 8 : 10 ، 9 : 15 - 16 ، 10 : 1.

(4) السبحاني، مفاهيم القرآن: 2: 66.

(5) م.ن: (بتصرف)، 2، ص66 .

(6) ظ: العهد القديم، سفر الخروج 40 : 12 - 15.

(7) ظ: م.ن، سفر العدد 27 : 18 - 20 ، 34 : 9.

(8) ظ: م.ن، سفر صموئيل أول: 8 : 4 - 6 ، 8 : 9 ، 9 : 15 - 16.

تتصيص على الشخص او كان ولكن الظروف تحول دون الوصول إليه والانتفاع بقيادته⁽¹⁾.
مما تقدم يتبين ان الحاكمية تصيضية منه سبحانه مطلقاً فهي إما بالتصيص على الشخص المعين
أو التصيص على المواصفات الكلية⁽²⁾.

وعند ملاحظة النصوص التوراتية الواردة حول خلافة النبي صوئيل فان تلك النصوص تؤيد فكرة
التصيص على الخليفة⁽³⁾.

وفي زمن داود وسليمان هناك صورة غير واضحة لتنظيم الكهنة و"الخلافة" للزعامة الدينية لكن
الكاهنان الرئيسان منهما (ابياثر) و(صادوق) ووجود هذين الكاهنين يعكس ظروف خلق دولة تضم تقاليد
مختلفة لم يكونا محتكرين كل الكهنوت⁽⁴⁾.

لقد قاسم صادوق حراسة تابوت العهد، فصار اسمه يرد قبل اسم أبياتر، وربطه المؤرخ الكهنوتي
بسلالة العازار الكهنوتية⁽⁵⁾، وبالتالي بهارون .

تذكر التوراة عظماء الكهنة بالقول: ((وبنو لاوي: جرشوم وقهات ومراري، وبنو قهات: عمرام ولد
صادوق، وصادوق ولد أخيمعص، وأخيمعص ولد عزريا، وعزريا ولد يوحنان، ويوحنان ولد عزريا، وهو
الذي كهن في البيت الذي بناه سليمان في اورشليم،

لقد عرف ان صادوق قد ارتبط(بأفود⁽⁶⁾ العراف) بينما عرف أبياتر انه قد ارتبط بتابوت العهد إلا أن
خبر الخلافة⁽⁷⁾ لا يتركز على المسائل العبادية⁽⁸⁾ بل هو يعطينا⁽⁹⁾ معلومات عن الدور الذي لعبه
الكاهنان في قضايا الدولة⁽¹⁰⁾ حيث كان صادوق بجانب سليمان مع النبي ناتان وقائد الحرس بنايا وان
الذي قدم المسحة الملوكية لسليمان هو صادوق⁽¹¹⁾، وهناك لائحة سليمان تقول ان(خليفة) صادوق هو ابنه
(عزريا)⁽¹²⁾ وان لقب كاهن الذي أعطي لزايبود يبقى غير أكيد.

لقد عرف العهد القديم بأن الملوكية تمثل الرب حيث يمثل الرب يهوه ملك بشري⁽¹³⁾ وقد كان التعيين من
قبل الرب وصموئيل وسيطه بالنسبة للملك شاؤول وبعده داود، وهذا يعني مادام التعيين صادرا بأمر الرب فان

(1) ظ: مفاهيم القرآن، السبحاني: 2: 70.

(2) م.ن.

(3) قارن مع ما ذكره القرآن الكريم نجد أن هناك آيات واضحة ترد حول القيادة، ظ: مفاهيم القرآن، السبحاني 169.

(4) ظ: الكهنوت زمن الملكية، مقتبس من شبكة المعلومات، الانترنت، موقع:

أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفيغالي،
<http://www.pawfeghali.org>

(5) ظ: العهد القديم سفر اخبار الايام الاول 34: 5، 6: 38، 3: 24.

(6) ظ: الخوري بولس الفيغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، (مادة افود) ص 125.

(7) ظ: موقع أعمال ومؤلفات بولس الفيغالي، الكهنوت في زمن الملكية.

(8) بمعنى ان قيادته لا تتركز على الطقوس الدينية وتفسير الناموس وتطهير المؤمنين بل تشمل احياناً الأمور السياسية في
ذلك الوقت، ظ: م.ن، وظ: المسيري، د. عبد الوهاب المسيري، ج3، ص178.

(9) والمقصود فيه المصدر والمرجع الكهنوتي والذي هو من المصادر الأربعة المتكون من التوراة ظ: الفيغالي، الخوري
بولس، دراسات ببليوية، ج1، ص234.

(10) ظ: العهد القديم، سفر صموئيل الثاني 19: 12 - 15.

(11) ظ: م.ن، سفر الملوك الاول 1: 39.

(12) تعرف إلى العهد القديم مع الآباء والانبياء، مقتبس من موقع:

<http://create-answer.com/mwade3/4.htm>

(13) ظ: الكتاب المقدس الألف باء والياء، سفر الملوك الاول ص523.

الملك لا شك قد تعين للزعامة الدينية والسياسية. ويعتبر شاول (طالبوت) أول الملوك المؤثرين على مستوى الحكم والإدارة والقيادة الملكية في بني إسرائيل، أما أسفار العهد القديم فتحدثت عن قيادة داود بأنها من القيادة التي تعتره روح القدس⁽¹⁾ أي قيادة تربية من درجة النبوة ومنفصلة بتعاليم الأنبياء⁽²⁾.

مما تقدم يتبين ان النبي صموئيل يعتبر هو الذي نصب الملك شاول ونصب من بعده داود وهذا يعني ان الملك هو خليفة للنبي عليه السلام والدليل على ذلك ما ورد في العهد القديم لما أمر الرب النبي صموئيل أن يقوم بمسح شاول بالزيت وكذلك داود⁽³⁾ وهنا يطرح السؤال من الذي خلف داود الملك فنقول فنقول إن تشديد الرب يهوه على صموئيل بمسح الملوك واختيارهم دلالة على رضى الله عنهم ثم نقرأ في العهد القديم في نبوءة ناتان⁽⁴⁾ إن هذه النبوة مبنية على تعارض: لن يصنع داود هيكل للرب⁽⁵⁾ بل الرب هو الذي يصنع بيتا (سلالة) لداود ((من يوم أقيمت قضاة على شعب إسرائيل وسأريحك من جميع أعدائك، وقد أخبرك الرب أنه سيقم لك بيتا، وإذا تمت أيامك واضطجعت مع آباءك ، أقيم من خلفك من نسلك الذي يخرج من صلبك وأثبت ملكه فهو يبني بيتا لاسمي⁽⁶⁾ وأنا أثبت عرش ملكه للأبد أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا))⁽⁷⁾ حيث يروي النص كيف آلت خلافة داود إلى سليمان بالرغم من بقاء بقاء خليفة لشاول (مريبعل) ومعارضة شابع⁽⁸⁾، لذا فقد نصبت الدسائس في بيت داود لكي تخرج الخلافة⁽⁹⁾ من داود لسليمان ابنه إلى آخرين⁽¹⁰⁾، مع العلم أن سليمان لم يولد بعد⁽¹¹⁾. لقد تحققت الخلافة الدينية (الإمامة والكهانة) لذرية هارون بأوسع مجالاتها في فترة الملكية عندما أصبح صادوق الكاهن الأول في أورشليم⁽¹²⁾، واعطى اسمه لعائلة كهنوتية هي عائلة الصادوقيين التي صارت وحدها شرعية⁽¹³⁾، ولكي تكون لصادوق صفة شرعية، ربط نسبه باليعازر بن هارون وصار صادوق ابن أحيطوب⁽¹⁴⁾، وقد يكون ابنه أقيمعص⁽¹⁵⁾.

مما تقدم يتبين ان هناك ادلة نقلية من التوراة توضح مشروعية خلافة الانبياء في الفكر الديني

(1) ظ: نظرية القيادة :علي بو سلمان :60.
(2) ظ: علي بو سلمان، اسس علم الكلام اليهودي:84
(3) ظ: العهد القديم، سفر صموئيل أول 9: 16.
(4) ظ: م.ن: سفر صموئيل الثاني 7: 1 - 11 ، ظ:م.ن: سفر اخبار الايام الاول 17 : 1 - 15، ظ:م.ن: سفر ملوك الاول 5: 4، ظ: م.ن: سفر التثنية 10: 12.
(5) ظ: م.ن ،سفر صموئيل الثاني 7: 5، ظ: سفر ملوك الاول 8: 16 و 27، وظ: سفر اشعيا 66: 1، وظ: العهد الجديد، سفر اعمال الرسل 7: 48.
(6) إن هذه الآية التي تشير إلى سليمان تعد إضافة وبناء على ذلك يرقى الوله النبوي إلى عهد داود ، ظ: مجموعة العلماء ،الكتاب المقدس الألف باء والياء: هامش رقم 4 ص 588.
(7) العهد القديم،سفر صموئيل ثاني 7: 11 - 25، وهذا نص بصيغة تبين كما في سفر مزمو 7: 2.
(8) ظ:م.ن ، سفر صموئيل ثاني 20 : 1 - 3، وظ: الكتاب المقدس الألف باء والياء: هامش رقم (1):590.
(9) ظ: أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفيغالي،دراسات دينية، الكهنوت في زمن الملوكية مقتبس من موقع أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفيغالي.
(10) ظ: م.ن: سفر صموئيل الثاني 9: 1 - 13.
(11) ظ: م.ن: 12: 15 - 25.
(12) ظ: م.ن، سفر الملوك الأول 1: 32 - 40.
(13) ظ: م.ن، سفر حزقيال 40: 46، 44: 15، 48: 11، وظ: م.ن، سفر سي 51: 12.
(14) ظ: م.ن، سفر اخبار الايام الأول 5: 38، وظ: المحيط الجامع في الكتاب المقدس، مادة صادوق 742.
(15) ظ: م.ن، سفر الملوك الأول 4: 15.

اليهودي ،وان الانبياء من بعد النبي موسى(ع) ،هم يعتمدون بشكل كلي على ناموس ،وشريعة موسى(ع)، ثم ان هؤلاء الانبياء كهارون ،ويوشع ،وصموئيل ، وشاؤول ، وداود ، وإيليا ، واليشع ، وغيرهم هم انبياء ، وبنفس الوقت خلفاء ، فالنبي اللاحق يكون خليفة للنبي السابق.ويتبين ايضا ان ذرية هارون ، من اليعازر وفينحاس وبقي وعزي وصادوق ، واحيطوب ، ويوحنان ، واخيمعص ، قد تصدوا للخلافة الدينية ، ولكن بعض منهم قد تدخلوا في القضايا السياسية كما حصل لصادوق وذريته.

ثانيا: الأدلة العقلية :

لقد تركزت الخلافة والقيادة في الفكر اليهودي على خصائص وسمات مفادها ان الخلفاء والقادة لديهم خصائص وسمات شخصية تجعلهم يختلفون عن غيرهم من الأفراد وتؤهلهم لأن يكونوا خلفاء وقادة ومنها خصائص جسدية كما هو الحال عند شاؤول⁽¹⁾ وداود⁽²⁾ هي الحال في نصوص العهد القديم على السمات السمات الجسدية في مصداق القيادة كبسطة في الجسم ، وكذلك ركزت على سمات وخصائص عقلية ، اهتمت التوراة على سعة الأفق والذكاء والقدرة على الحكم الصحيح لنفاذ البصيرة والجرأة والثقة⁽³⁾ . ثم تأتي السمات العامة والسمات الاجتماعية التي تكون ملامحها في التركيز على مسألة التقوى والزهد في الكسب وكون القائد حاكما بالبر وحاكما بالعلم يقضي الله بمعنى انه يركز على دور القيم الروحية والأمانة والنزاهة وتحمل المسؤولية ((... أتقياء لله أهلا للثقة يكرهون الكسب...))⁽⁴⁾ لذا فإن نظرية الخلافة التي أسسها النبي موسى عليه السلام كانت تحمل خصائص وسمات القائد الذي ينبغي أن يشغل منصب الخلافة من حيث كونه ماهرا ويتمتع بالتقوى ، أهلا للثقة ، زاهدا في الدنيا ويكره الكسب فضلا عن وجود صفات أخرى لمن دقق النظر جيدا كالذكورة ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، وسلامة البدن والشجاعة ، والنجدة ، والأعلمية.

(1) ينظر: م.ن ، سفر صموئيل اول 9 : 2 ، ينظر: صموئيل اول 10 : 23+ ، من 14 : 47 - 48.

(2) م . ن . 48 : 34 - 36 ، 17 : 50.

(3) ينظر: م.ن ، سفر الخروج 18 : 15+ ، ينظر: صموئيل اول 18 : 15 ثم قارن بما ذكره القرآن الكريم الأنبياء آية 78 - 79 وسورة القصص في الآية 15 ، 25.

(4) سفر الخروج 18 : 15+ ، وظ: تثنية الاشرع 14 : 16+ .

المطلب الرابع

دور الخلافة في الديانة اليهودية

كان للخلافة دورٌ كبيرٌ في مسيرة الشعب اليهودي برزت من خلال ممثليها فالأوامر التي كانت تصدر عنهم تعد تشريعاً ثابتاً لا يمكن ان يجري عليه تغييراً ، ولما علمنا ان النبي اللاحق هو خليفة النبي السابق فان الانبياء، كهارون خليفة موسى، ويوشع الذي جمع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وكذلك شاؤول والنبي داود، خلفاء النبي صموئيل بدليل الامر الالهي له بان ينصبهم على التوالي ، والنبي سليمان خليفة ابيه النبي داود، يثبت كلهم كانوا انبياء، وانهم لعبوا ادواراً في الحياة الدينية والسياسية، ولاننسى ادوار ذرية هارون الذين كرسوا للخلافة الدينية.

لقد مرت الخلافة عبر المسيرة الاسرائيلية بمراحل مختلفة وعند البحث لدور الخلافة في الديانة اليهودية نجد ان الاوامر التي تجري باشراف من قبل الخليفة المنصب، نجد انها أوامر شرعية ثابتة لايعتريها تغيير او اختلاف، ولايمكن ان تتأثر باختلاف البيئة والمحيط ، وقد جعله الله أفضل منصب من بعد موسى (ع)، لأنه الوسيط، بين الله وعباده من جماعة الرب لذا كان جل اهتمام الرب في ان يرفعه للمقام الرفيع من حيث كيفية التصيب والتقدیس والبهاء والرفعة، لذا فان دور الكاهن الأعظم في الفكر اليهودي كان مهماً بل يعتبر ان دور الكاهن الأعظم لا يضاويه أي دور الا دور النبي موسى فقط، ثم يأتي الحديث عن دور الخليفة للسلطة الزمنية، ومن ثم يأتي الحديث عن دور القاضي وخصوصاً في فترة عصر القضاة والتي امتدت من مئة وخمسين سنة الى مائتين وخمسين سنة، ثم يأتي دور الملك (خليفة النبي) في زمن ملكي والتي امتدت من آخر قضاة بني اسرائيل وبالتحديد من زمن صموئيل النبي الذي على عهده تم اختيار أول الملوك لبني اسرائيل والذي طلبه الشعب، لأنهم رأوا وشاهدوا المناطق المجاورة متمسكة من خلال وجود الملك.

لذا في هذا المطلب يقسم دور الخلافة حسب وظيفة الخليفة حيث ان هناك اَوار بارزة ومهمة لكل واحد من هؤلاء وحسب الفترة الزمنية الممتدة من تاريخ الفكر اليهودي.

اولا: دور الكاهن الاعظم في زمن موسى عند الفكر اليهودي:

ان دور الخلافة هو دور الاصلاح في الامة وهذا الدور ينقسم الى اربعة اقسام:

1- الدور السياسي: لقد كان لهارون دوراً كبيراً في الأحداث المحيطة بخلص بني اسرائيل من فرعون⁽¹⁾ وإن كان هذا الدور في هذا المقطع دوراً نبوياً.

في الضربات العشر⁽²⁾ هناك عنصر آخر يعطي صورة مسبقة عن مخطط الله الذي أوكل الأنبياء باعلانه، فرسل الله "كموسى(ع)، وهارون(ع)" يذكرهما الخبر الكهنوتي ويحتلان مكانة خاصة جداً، يقول الله لموسى: ((أنت أقمتهك إلهاً لفرعون وأخوك هارون ... نبيك)) في هذا النص يتبين ان الرب يمنح لقب (نبي) لهارون⁽³⁾، وهنا يتبين ان الاعمال التي تمت لخلص شعب إسرائيل ، تمت بواسطة هارون، غير انه يبقى خاضعاً لموسى، كما لإلهه⁽⁴⁾، ولقد كان دور القيادة عند موسى(ع) وهارون في اطلاق بني اسرائيل من فرعون وما كان من قسوته هي أوامر الهيئة من الرب، وهو لعظمة اله إسرائيل وبيان واضح لدور هارون القيادي والسياسي لخلص شعبه من فرعون⁽⁵⁾.

2- الدور العسكري، حيث يأتي دور هارون العسكري عندما حارب العماليق،. وأمسك بيدي موسى، مع حور، في واقعة رفيديم، محققين النصر لجماعة بني اسرائيل⁽⁶⁾.

3- ثم يأتي الدور الديني لهارون، ففي أول الشهر الأول من السنة الثانية تم عمل قبة العهد أو ((خيمة الاجتماع))⁽⁷⁾، أو المقدس كما يسمونه، وتم أيضاً صنع التابوت ثم يأتي الدور الكهنوتي من تفسير وتعليم الشريعة⁽⁸⁾ والوساطة بين الرب والشعب وتقديم الذبائح وتقريبها لأجل تطهير ذنوب الشعب⁽⁹⁾.

4- ومن ادوار الخلافة انها كانت تطهير خطايا الشعب فبدعاء الزعيم الديني وتضرعه إمام الله ليشفع عن خطايا الشعب وهذا ينقلنا عن دور الانبياء بالنص التوراتي لإبراهيم الخليل حيث نرى إبراهيم(ع) أنه صلى من أجلك ((والآن ردّ امرأة الرجل فإنه نبي وهو يدعو لك فتحيا وان لم تردها فاعلم

(1) ظ: أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفيغالي ، من العبودية الى العبادة، دراسات ببلية، سفر الخروج، ج6: مقتبس من شبكة المعلومات، الانترنت، موقع: أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفيغالي <http://www.pawfeghali.org>

(2) سبق أن أشار البحث إلى هذه الضربات: ظ: العهد القديم، سفر الخروج 7: 20 وما بعدها.

(3) ظ: الخوري بولس الفيغالي: في رحاب الكتاب (العهد الأول) دراسات ببلية، ط1، 1998، المكتبة البولسية، جونبة - لبنان، ج1، ص 145 - 146.

(4) ظ: م.ن: 146.

(5) ظ: المطران، الدبس، يوسف، تاريخ الشعوب المشرقية في الدين والسياسة والاجتماع ج2، ص98.

(6) م.ن، 17: 12 وظ: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: سفر الخروج، 17: 8 - 14.

(7) م. ن، 40: 1 - 5.

(8) ظ: م.ن: سفر اللاويين 10: 11.

(9) ظ: الخوري، بولس الفيغالي، المدخل الى الكتاب المقدس، دراسات ببلية: ج2، ص31، 75.

أنتك موتا تموت أنت وجميع من لك))⁽¹⁾ وهذا التضرع أمام الله حتى يأتي بالفرج، فضلاً عن دور تطهير النجس من خطاياهم⁽²⁾.

ومن الأدوار الرئيسية للكهنة الأعظم مباركة الشعب ((كلم هارون وبنيه قائلاً: هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم يباركك الرب ويحرسك يضيء الرب بوجهه عليك و... يرفع الرب فأبارككم))⁽³⁾.

ثانياً: دور الخلافة (السلطة الزمنية والقضائية) في زمن القضاة:

ثم يأتي دور يوشع ابن نون والذي يمثل المصداق الأشد انطباقاً للخلافة فإن يوشع بن نون (ع) بالإضافة إلى جانب القيادة والحكومة قد عمل في القضاء ((ويشوع أتم ما أمر به فصار قاضياً في إسرائيل))⁽⁴⁾ فجمع القيادة والسلطة التشريعية والقضائية والعسكرية وكان إلى جانبه مجلس صغير يتألف من رؤساء القضاة الذي أسسه النبي موسى (ع) من قبل .

إن يوشع قد جمع السلطتين السياسية والدينية أما بعد وفاة يوشع ظل الشعب على شاكلة آباءه في الاستقامة بعد وفاته، وعند قيام جيل آخر لم يعرف الرب العمل الذي عمله لإسرائيل و((فعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب))⁽⁵⁾ وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم، هناك حمي غضب الرب عليهم ولم يقدرُوا يقدرُوا الوقوف أمام أعدائهم، و((من الملاحظ ان السلطة في هذه الفترة لم تكن سلطة مركزية))⁽⁶⁾

وفي عصر القضاة برز دور الزعماء الدينيين عند بني لاوي فمنهم الحكماء ومنهم الريانيون، أما رؤساء السياسة فكانوا مع القضاة ولم يكن لهم ملك⁽⁷⁾، جاء في سفر القضاة ((وأقام لهم الرب قضاة، فخلصوهم من يد ناهبيهم))⁽⁸⁾، لذا كان هؤلاء الثلاثة قد أوكل الله إليهم أهم الواجبات وأقدس المهمات، وأشرف الغايات والتي من أهمها:

1- انهم الدعاة البررة إلى عبادة القهار⁽⁹⁾ وتبليغ أوامر الله ونواهيهِ إلى عباده⁽¹⁰⁾.

فهارون ويوشع وصموئيل واليشع وحزقيال كانوا قد بلغوا أوامر الله فهارون كان الرب يخاطبه بتبليغ الأوامر الإلهية والامتناع عن نواهيهِ⁽¹¹⁾، ونجد يوشع⁽¹²⁾ على منوال هارون.

ويوشع الذي جمع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وكذلك شاؤول والنبي داود، خلفاء النبي

(1) العهد القديم، سفر التكوين 20: 7، 17، وظ: طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، ط1، 1428 هـ - 2007م، مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، دار القلم، دمشق، ص 184.

(2) ظ: العهد القديم، سفر التكوين 15: 14 و 15.

(3) العهد القديم، سفر العدد 6: 24.

(4) العهد القديم: سفر مكابيين الأول: 2: 55.

(5) م. سفر القضاة 2: 10 - 15، وظ: طويلة، مغالطات اليهود، ص 248.

(6) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية: المجلد الرابع: ص 221.

(7) ظ: عبد الوهاب طويلة، مغالطات اليهود: ص 251.

(8) العهد القديم، سفر القضاة 2: 16 - 17، قضاة 8: 27.

(9) ظ: محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل (النبوة والأنبياء): 5: 70.

(10) ظ: م. ن ص 71.

(11) ظ: العهد القديم، سفر الخروج 12: 31، ظ: م. ن، 1: 12 - 28.

(12) ظ: م. ن، سفر يوشع 5: 9، 5: 15، 6: 6، 8، 10، 7: 6.

صموئيل بدليل الامر الالهي له بان ينصبهم على التوالي ، والنبي سليمان خليفة ابيه النبي داود، يثبت كلهم كانوا انبياء، وانهم لعبوا ادوارا في الحياة الدينية والسياسية ،ولاننسى ادوار ذرية هارون الذين كرسوا للخلافة الدينية ،فلولا وجودهم، لم يكن بالامكان تقريب القرابين وقبولها الى الله ،كذلك فان الناس بحاجة ماسة لتفسير الشريعة وتعليم الناموس، والشعب اليهودي ،كان الانبياء قد حذروهم ان الله اذا اراد ان ينعم عليهم، وان لايسلط عليهم من لايرحمهم فعليهم الالتزام بوصايا موسى(ع)وشرائع التوراة والالتزام بالوامر الالهية من خلال تعلم الشريعة والحفاظ على احكام الشريعة وهذا يقوم به الكاهن الاعظم وهو من ذرية هارون والكهانة، هي ((فريضة ابدية دهريّة لمدى اجيالهم))⁽¹⁾.

فالمتتبع للنصوص التوراتية من سفر اللاويين يجد نصوص تشريعية تهدف إلى تنظيم العبادة والحياة الأخلاقية والاجتماعية والنظم الدينية في شعب إسرائيل⁽²⁾، وهارون هو أول من قام بهذا العمل من خلال الاختيار الإلهي⁽³⁾، وهناك في سفر اللاويين نصوص توضح شرائع الطاهر والنجس⁽⁴⁾. مما تقدم نجد أن أسفار يشوع والقضاء وصموئيل والملوك دونت على ضوء كلام الأنبياء، وهؤلاء الأنبياء لعبوا دوراً كبيراً في توجيه الحياة الدينية⁽⁵⁾ ،

2- أن دورهم في الفكر اليهودي هم حراساً وحماة لتقاليدها ولوجدانها الخلفي⁽⁶⁾،ومن ثم فإنهم إنما كانوا جميعاً رجالاً روحانيين، وأن ظهورهم إنما كان بمثابة اعتراض على مدعي النبوة ومحترفيها⁽⁷⁾.

3- وكان النبي (رجل الله) فما الله أمام الشعب، كما كان كذلك فما للشعب أمام الله، مما يتبين انه الوسيط بين خاصة القوم وعامتهم من ناحية، وبين الله من ناحية أخرى، ويبدو أنه كان من أهم الوظائف المنوطة بالقيادة الدينية في كافة العصور، هي الصلاة (التشفع) من أجل الأفراد والجماعات، فقد كان القوم يلجأون إليهم في السراء والضراء ليقوم ضارعاً أمام الله حتى يأتي الفرج فقد قام صموئيل واليشع وغيرهم أنهم قاموا يصلون من أجل بني إسرائيل⁽⁸⁾، ومن أجل كثير من الأفراد.

4- وكان القوم (بني إسرائيل) يلجأون إلى القيادة الدينية لاستشارتهم قبل الخوض في الحروب، وفي الإقامة لعلمهم أنهم أقرب إلى الله وأدنى أن يطلعوا على الغيب المحجوب على الدنيويين المنغمسين في هموم الحياة،ومن هؤلاء الأنبياء والقيادات الكهنونية من كان يستمع الوحي صوتاً عالياً،ومن كان يحسبه

(1) م.ن، سفر الخروج 40: 12 - 15

(2) الخوري بولس الفيغالي: المدخل إلى الكتاب المقدس (المجموعة الكتابية): 2، من الشريعة إلى الأنبياء ، ط1، 1995، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان - بيروت ،ص134.

(3) يقدم سفر اللاويين شرائع تدور حول مفهوم قداسة الله، ظ: العهد القديم، سفر اللاويين 7: 35 - 38.

(4) ظ: م.ن ، سفر اللاويين، من الإصحاح 11 - 16، وفي نص آخر ((اني انا الرب الهكم فتقدسوا وكونوا قديسين فاني انا قدوس))سفر اللاويين 11: 44.

(5) ظ: المدخل إلى الكتاب المقدس: الخوري بوليس الفغالي: 235 - 237، وهذا ما يعلنه فلافيوس يوسيفيوس وهو أحد المفكرين اليهود الذي عاش في الفترة الممتدة من الدولة المكابية إلى ما قبل سقوط ودمار الثاني للهيكل.

(6) بيومي، محمد مهران ، بنو إسرائيل (النبوة والأنبياء): 5: 73.

(7) هذا ما يراه فيك ظ: م.ن، نقلاً عن J.meck, Hebrew origins, N.Y.,1950, P.230

(8) ظ:العهد القديم ،سفر صموئيل أول 1: 11، وظ:سفر ملوك أول 17: 21.

إلهاماً أوروبياً صالحة⁽¹⁾.

والقارئ للتوراة يجد أن وظيفة الأنبياء كانت موقوفة عندما كان صموئيل ما يزال صغيراً⁽²⁾ وذلك بسبب بسبب الفساد الذي استشرى في عائلة الكاهن "عالي"، حتى أن ولديه "حفني و فينخاس" لم يكتفيا بطمعهما الجشع، بل كان يرتكبان أقذر أنواع العبادات الوثنية غير أن الأمر سرعان ما تغير عندما أصبح النبي واثقاً من وظيفته وبالتالي عندما وثق الناس به وسمحوا له بأن يمارس وظيفة التنبؤ مما سوف يحدث، وبالتالي اعطاء الاذن ببدا الأحداث الخطيرة وتأجيلها معتمدين في ذلك على صلته بربه، وتقدم لنا التوراة الكثير من الأمثلة على ذلك:

أ- بدا يشوع الهجوم على أريحا باذن من يهوه⁽³⁾.

ب- وحرص جدعون بني إسرائيل على قتال المديانيين باسم يهوه⁽⁴⁾.

ج- وعين صموئيل شاؤل ملك على بني إسرائيل⁽⁵⁾، ثم داود⁽⁶⁾ باذن من يهوه.

د- وقام اليشع خليفة إيليا النبي وبناء على تعليمات إيليا النبي بالمعارضة ضد أخاب⁽⁷⁾.

5- لقد تميزت دعوة (رجال الله - الأنبياء) بالعداء السياسي الديني الذي شهده عهد الملكية، وادى إلى تلوث دين الله، ومن ثم فقد ندد الأنبياء بالبدع الوثنية بعنف⁽⁸⁾، ذلك ان عقيدة اسرائيل كانت في القرن التاسع قبل الميلاد، معرضة لخطر شديد من الديانة الكنعانية القديمة⁽⁹⁾ في فلسطين⁽¹⁰⁾.

ثالثاً: دور الخلافة من خلال السلطة الزمنية) "في زمن الملكية" :

على أن القيادة الدينية في الملكية الإسرائيلية لم يتغير شأنها لذرية هارون، بل تعززت وأصرها من قبل داود عندما جعل صادوق وهو من ذرية هارون بيده القيادة الدينية بل هو الذي يمسح الملك سليمان⁽¹¹⁾، وفي عصر الملوك وابتداء من داود الملك أصبحت للخلافة أدوار مهمة فالملك هو المؤمن على السلطان وقائماً مبدئياً على رأس جميع ملوك الأرض⁽¹²⁾، لذا فهو إن ظل أميناً، يعدّه الله في بيته، فينبغي أن يضمن الرخاء لشعبه عن طريق انتصاراته على العدو النازح من الخارج⁽¹³⁾ وان يجعل العدل يسود في الداخل⁽¹⁴⁾.

(1) ظ: بيومي، محمد مهران، بنو إسرائيل (النبوة والأنبياء): 5: 75.

(2) ظ: العهد القديم، صموئيل أول 2: 1 وما بعدها.

(3) ظ: العهد القديم، سفر يشوع 11: 12.

(4) ظ: م. ن، سفر القضاة 6: 11، وما بعدها.

(5) ظ: م. ن سفر صموئيل أول 9: 16، ثم قارن، م. ن، 8: 4 وما بعدها.

(6) ظ: م. ن 16: 1.

(7) ظ: م. ن، سفر ملوك الثاني 9: 1 وما بعدها.

(8) ظ: مارنيز، وليم الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة 1968.

(9) ظ: العهد القديم، سفر ملوك أول 18: 17 - 19، وظ: سفر الملوك الثاني 1: 2.

(10) تزعم هذه المعارضة النبي إيليا، ظ: العهد القديم، سفر ملوك أول 16: 29 - 19.

(11) ظ: م. ن.

(12) ظ: سفر مزمو 89: 28.

(13) ظ: م. ن، 20 - 21.

(14) ظ: م. ن، 45: 4 - 8، 72: 1 - 7 و 12 - 14، سفر أمثال 16: 12، 25: 4 - 5، 2.

وبذلك ترتبط مهام الملك الزمنية بالهدف الأساسي من العهد⁽¹⁾ والشريعة ، وكذلك يمارس الملك باعتباره رئيساً⁽²⁾ للشعب في بعض المناسبات وبعض الوظائف الطقسية⁽³⁾ أي بمعنى انه كهنوت ملكي⁽⁴⁾.

النتائج:

- 1- تظهر الدراسة ان هناك العديد من المفاهيم التي تدخل ضمن مفهوم الخلافة في الديانة الاسرائيلية ، كالنبوة والملك والقاضي والحاخام فضلا عن الماشيح المنتظر .
- 2- يبين البحث ان مفهوم الكهانة من اقرب المفاهيم دلالة لمفهوم الخلافة .
- 3- دخول مفهوم جديد يدل على معنى الخلافة بعد عهد النبي صموئيل وهو مفهوم الملك اذ نصب الاخير على القوم ملك يسير شؤونهم ، وقد عدوه المخلص لهم من الاوضاع المضطربة التي كانوا يعيشونها في ظل غزوات الكنعانيين ونهب العماليق لهم ولاموالهم .
- 4- اتضح لي ان من أهمية الخلافة ان الله جعلها مقترنة مع وصايا وتعاليم الناموس، فعندما صعد موسى(ع) الجبل اعطاه الوصايا بالإضافة إلى ذلك أمره أن يكرس هارون أخوه وذريته لأن يكهن للرب ويقدم له ويكون المطهر والشفيع والوسيط بين الجماعة والرب.
- ومن أهميتها كذلك انه لا يمكن ان يقترب إليها كل من هب ودبّ حتى لو كان ملك اليهود بذاته إن لم يكن من ذرية هارون، هذا بخصوص القيادة الدينية، أما القيادة الدنيوية فان لأهميتها أن من خلالها تتحقق الوحدة السياسية وتحقق من خلالها سبل العبادة، ومن خلالها انتقلت جماعة الرب من البداوة والعيش الظنك إلى الحياة المدنية والانتقال نحو الأمل والعيش الرغد، كل هذا يبين مدى أهمية الخلافة في الفكر الديني الإسرائيلي وعلى الحياة بكافة أبعادها .
- 5- يتبين من خلال النصوص التوراتية ان هناك أدلة على مشروعية الخلافة ، عن طريق التنصيص والاختيار الالهي عندما استدعى الرب موسى(ع) للصعود إلى الجبل حيث اعطاه وثيقة العهد وتعليم الناموس والوصية وفي هذا الحين اوصاه ان ينصب الكهانة العظمى لأخيه هارون، وهناك ادلة عقلية تتمثل في السمات التي يحملها صاحب المقام الرفيع للكهانة العظمى ، والتي منها السمات العقلية والجسدية والاجتماعية ، ومن أهميتها وضعت حماية الهيئة لمنصب الخلافة وهذا واضح من خلال بعض النصوص التي تؤكد على ضرورة عدم الاقتراب منه ان من تقرب عامداً فان مصيره الموت .

(1) إن العهد في ديانة بني إسرائيل هو : في العبرية بریت، وهو اختيار البشر في علاقاتهم الاجتماعية والشريعة وعقود تتضمن حقوقاً والتزامات عادة ما تكون متبادلة فهناك اتفاقات بين جماعات أو بين أفراد على قدم المساواة يريدون مساعدة بعضهم بعضاً،ظ:شبكة المعلومات، الانترنت،مقتبس من موقع:

شبكة الانترنت، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: [phtt:// www.moqatel.com](http://www.moqatel.com)

(2) ظ: مجموعة من الآباء والباحثين: معجم اللاهوت الكتابي (مادة ملك): وظ: موقع الموسوعة المسيحية العربية الألكترونية، مادة ملك (Propriete).

(3) ظ:العهد القديم،سفر صموئيل الثاني 6: 17 - 18،سفر ملوك الاولوك 8 : 14 ، 62 - 63.

(4) ظ: من سفر المزمور 110 : 4.

المبحث الثاني الخليفة في الديانة اليهودية اهمية وجوده وكيفية تعيينه

يتناول الباحث في هذا المبحث بيان كيفية تعيين الخليفة عن طريق الصفات والشروط التي وضعها أصحاب الفكر اليهودي، حيث توضحت فيه الرؤى لهذه الصفات والشروط ولم يختلفوا فيها لأنهم استندوا على النص الإلهي وهو واضح من خلال نصوص التوراة ، ويتطرق البحث لأهمية وجود الخليفة من خلال أهم الأسباب لضرورة ، واهمية وجوده وما هي الآثار المترتبة على عدم وجود هذه الشخصية.

المطلب الأول أهمية وجود الخليفة في ديانة بني اسرائيل

سبق وإن أشار الباحث في المطالب السابقة ان هارون اختاره الله ودعا له⁽¹⁾، لذا فان الاختيار الإلهي لمنصب القيادة سواء الدينية أم الدنيوية أم كليهما ليس هو لكل من هب ودب، فهذه الوظيفة الكهنوتية، والزمنية قد جاءت باختيار الله وهي قاعدة أصيلة في الدعوة الإلهية للناس والله يزكي من يشاء ويختار من يشاء⁽²⁾ .

لذا فقد كان اختيار الكاهن الأعظم من أولويات الوصايا التي أوصى الرب أن يعمل موسى(ع) بها، فالإلهي جانب الوصايا العشر أوصاه أن يتخذ أخاه هارون كاهناً له، يكهن للرب ويفسر الشريعة، ويكون

(1) ظ: العهد الجديد، الرسالة إلى العبرانيين 5: 1 - 4.

(2) ظ: قاموس الكتاب المقدس، مادة (هارون)، مقتبس من موقع كنيستي وضموقع الموسوعة العربية المسيحية.

الوسيط لتطهير الجماعة من الذنوب والأمراض ويكون الوسيط والشفيع في حال ابتعاد الجماعة الاسرائيلية عن الرب، لأنه تعالى عارف بهذا الشعب، مما يعني ان هناك اهمية لوجود الخليفة، باعتباره قائداً للجماعة من بعد موسى(ع) ، ولهذا لم تقتصر هذه القيادة من بعد موسى(ع) لفترة زمينة محددة وإنما كانت المسيرة عبر سنين طويلة امتدت للجماعة الاسرائيلية فكان تعيين هارون وذريته ((كهنوتاً أبدياً دهرياً لمدى أجيالهم))⁽¹⁾، ومن خلال الوصايا التي بيّنها الله بان ذكّر موسى(ع) ان يحذّر بني اسرائيل من الزيغ وعدم الالتزام، ((أنظر أنا واضع... وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء الهة أخرى لم تعرفوها))⁽²⁾، يتبين انها تعطي أبعاداً مهمة لوجود قائد كي يكون صمام الأمان في حالة تدهور الأوضاع وانقلاب القوم، فموسى(ع) قام بتحذير القوم من مغبة عدم الالتزام بخط الرسالة والناموس الذي أنزل عليه وامتدادها وقد أخذ الله من الجماعة الإسرائيلية أن يصغوا وبطيعوا قائدهم، وحذّروهم من عواقب الكفر والانحراف .

ومن خلال هذه الوصايا والتحذيرات من قبل الرب لقوم موسى(ع) بان يلتزموا بوصاياه، يرى الباحث ان هناك أهمية لوجود القائد المفسر للشريعة والشفيع للناس في حالة انحراف الناس عن الناموس "شريعة موسى"، والدليل على خروج القوم عن الخط ان هناك فريق قام بمناوئة موسى(ع) وهارون وشكلوا فريقاً ضده وضد ذرية أخيه ، حيث ان القوم وبعد الفتوحات العسكرية وإقامة يشوع الدولة ، لهم والانتقال بهم من الدولة إلى المدينة والاستقرار وإذا بالقوم بعد وفاة يشوع قد انقلبوا على أعقابهم وعبدوا البعليم وعشتاروت، لذا جاءت النتيجة التي حذّروهم منها قائدهم ونبيهم موسى(ع).

وان هؤلاء الذين شكّلوا فريقاً وخطأً مناوئاً لهارون وموسى(ع) انطلق تحت ضلاله الذين أخذوا بذيول الآباء وخرجوا عن سبيل موسى(ع) وهارون⁽³⁾.

ان القوم أرادوا الارتقاء لمرتبة النبوة المجازية لله من دون الالتفات الى أن ذلك كان على حساب أنبياء وأوصياء وملوك اصطفاهم الخالق وأعدّهم في سبيل هداية الشعب وقيادته ذلك انهم كانوا في مقام الخطيئة ، وأعمال القبائح فلم يكن التبرير المناسب لما هم عليه الا باشتراك عباد الله المخلصين الذين من عليهم بنعمة التوحيد الحقيقي الخالص⁽⁴⁾.

يذكر الأب تادرس يعقوب ملطي أن لوجود يشوع الخليفة أهمية كبيرة في فترة ما بعد موسى(ع) فوجوده هو قداسة الله فمن خلاله استخدمه الرب ويساعده الشعب في محاربة وتأديب الوثنيين من الكنعانيين⁽⁵⁾ بسبب رجاستهم⁽⁶⁾، ولا يعني هذا أن الله ضد كل الشعوب وان الشعب الاسرائيلي وقتئذ هو الوحيد الذي يعرفه.

كذلك ان لتواجد الخليفة لم يكن لصالح بني إسرائيل وحدهم ، بل هو لصالح البشرية عامة حيث

(1) العهد القديم، سفر الخروج 40: 12-15

(2) م.ن، سفر التثنية 11: 26 – 29

(3) ظ: العهد القديم، سفر يشوع 24: 21-23

(4) ظ: الموسوي، حقيقة انجيل المسيح: 19

(5) الأب تادرس يعقوب، تفسير سفر يشوع - تفسير، شبكة الكنيسة تفسير الكتاب المقدس

(6) تفسير سفر يشوع: موقع كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، ص3.

كانت هذه المنطقة مركزا هاما للتجارة وكان التجار يحملون في اسفارهم مع معاملاتهم التجارية الفساد وكأنه الموت الأسود ليتحرك في كل اتجاه في العالم المعروف حينئذ⁽¹⁾ حيث أراد الرب أن يعطي للبشرية درسا وأن يحمي العالم من هذا الوباء وهو بنفس الوقت اختبار لبني اسرائيل لكي لا يخطئوا إلى الرب ((لِكَيْ لَا يَعْلَمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَائِهِمُ الَّتِي عَمَلُوا لِأِهْتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ))⁽²⁾. وفي زمن القضاة منذ يشوع إلى صموئيل حيث يدرج يشوع وصموئيل في زمن القضاة الأمر (الخلافة) إلى عدد من الزعماء أطلق عليهم القضاة، وهؤلاء القضاة لم يكونوا حكاما ولا حتى قواد عسكريين بكل معنى الكلمة، بل أيضا أبطالاً اختارهم الله رأسا من بين الشعب لمهمة معينة حسبما كانت تقتضيه الظروف وذلك لتخليص الشعب من أعدائهم ومضايقتهم⁽³⁾ ومن ثم لم تكن هناك خلافة متسلسلة الحلقات⁽⁴⁾ بين هؤلاء القضاة الذين لم تتعد سلطة القاضي منهم في بعض الأحيان سبطه الخاص، وربما كان بعضهم معاصرا لبعض .

إن أهم ما يميز عصر القضاة إن هؤلاء القضاة لم يكن بأيديهم تنفيذ الأحكام القضائية إنما كان ذلك في مجلس سمي بمجلس الكبراء حيث كان شيوخ العشائر يجتمعون في ذلك المجلس وعند عدم استطاعة هذا المجلس الفصل بين المتخاصمين لجأ المتنازعون إلى القاضي الذي يمثل الرئيس في بني إسرائيل⁽⁵⁾.

وفي ظل الخطر المحدق ببني إسرائيل من قبل الفلسطينيين بصورة خاصة وما شاهده من أبهة الملك عند الشعوب المحيطة بهم كل ذلك أجبرهم على الإنفاف حول قائد واحد يستطيع أن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم ليتمكنا من التصدي لأعدائهم⁽⁶⁾ ولما كانت الساحة لم تجف من الأنبياء والمصلحين الذين الذين حملوا مشاعل الفطرة على امتداد الطريق منذ خيمة الاجتماع ومنذ تنصيب هارون فيها ولذريته منصب الكهانة من قبل الرسول موسى(ع) كان في تلك الفترة النبي صموئيل الذي التف حوله القوم المنهكين القوى وطلبوا منه أن ينصب عليهم ملكا لما لاقوه من ويلات وتشديد وحروب ونفي واستعباد وبما قدمت أيديهم⁽⁷⁾.

من خلال ما مر لابد لنا أن نجمل أهمية وجود الخليفة وأهداف الإمامة وأدوارها :

1- ان لوجوده دور الوساطة والشفاعة كما عند هارون ومن بعده ذريته⁽⁸⁾ . ليكون الوسيط لبني

(1) منقول عن الشبكة المسيحية ، تفسير العهد القديم تفسير يشوع .

(2) العهد القديم، سفر تثنية 20: 18.

(3) ظ: الأب لويس برسوم الفرنسيسكاني، التاريخ المقدس، ص 130، مركز الثقافة الشرقية - القاهرة، 1954، نقلا من بحث مقدم من الدكتور رمضان عبد الكريم ، مقتبس من موقع:

<http://www.islamiccall.org/dinwaummamuqaddima.htm>

(4) ظ: الأب لويس برسوم الفرنسيسكاني، التاريخ المقدس، ص 130.

(5) ظ: وول ديورانت 2: قصة الحضارة: 329، وظ: تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم 1: 148، وظ: سفر القضاة 4 بتمامه.

(6) ظ: الاحمد، احمد عيسى ، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم: ص 43.

(7) ظ: العهد القديم، سفر القضاة ، الاصحاح 6، 5، 4.

(8) ينوه المقطع التوراتي بسلطات هارون في الرتب التكفيرية ، ظ: م.ن، سفر اللاويين 16.

إسرائيل وإلى سلطات هارون في الرتب التكفيرية⁽¹⁾.

2- إن لوجوده أهمية كبيرة في بيان المعارف والعلوم التشريعية فالخلافة هي بمثابة حامية للدين ودورها لتوضيح الرسالة وبيان أحكام الله وشرائعه ويسعى لنشرها فهي الحصن الحصين للدين فكما أن الرسول هو حامل للوحي الإلهي فالإمام هو المبين والمنفذ لشرائع السماء، فالنظام الكهنوتي للخلافة يتضمن قيام الكاهن بتوضيح الأحكام الواردة في شريعتهم وتفسير مقاصدها⁽²⁾، ولذلك يقول وول ديوارنت: **(ولم يكن أحد غير الكهنة يستطيع أن يفسر الطقوس والأسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ)**⁽³⁾ ولم تكن مهمة تفسير الكهنة للشريعة مقصورة على التفسير داخل المعبد بل إن اليهود اتخذوا لها مدارساً عرفت باسم مدارس التفسير في أجيال مختلفة⁽⁴⁾.

إن هذا الواجب الكهنوتي لديانة بني إسرائيل كان يتبعه مهمة التعليم الديني فقد كان يقوم بها الكهنة أيضاً وقد أشار سفر اللاويين للتعليم، جاء في سفر اللاويين **(وهذه هي الشريعة... للتعليم في يوم النجاسة ويوم الطهارة)**⁽⁵⁾. إذ لا يمكن أن يقوم الناس بدون عالم فالناس جميعاً بحاجة إلى إمام يبين لهم ما أنزل الله من أحكام ومن حلال وحرام وأوامر ونواهي فالكل يحتاج إلى إمام، فلا عبادة لله تعالى بدون إمام يوضح معالم الطريق ويحذرهم من نار الحريق.

3- مواجهة الاختلاف:

الاختلاف بين الناس سنة من السنن الإلهية فمنذ خلق الله آدم كانت الاختلافات موجودة وما قتل قابيل لهابيل⁽⁶⁾ إلا كدليل على وجود الاختلافات ومنذ الأزل فقضية الاختلافات قائمة ما دامت هناك نوازع وقابليات وقدرات وتوجهات واعتقادات تختلف من شخص لآخر فحركة التاريخ مبنية أساساً على الاختلافات، فللوصي أو الخليفة مواجهة هذه الاختلافات.

4- قيادة الناس وولاية الأمر والحكومة:

إن موسى (ع) علم أن لأخيه مواصفات القائد والخليفة من بعده كي يستلم وصايا الرب يهوه فاستخلف أخيه هارون إذ علمنا أن موسى (ع) له العصمة بقراره هذا ولا يوجد في ذلك الوقت أجد من القائد النبي هارون وهذه القيادة المستخلفة هي زعامة سياسية ودينية وكانت الخلافة والإمامة والقيادة لهارون وذريته في التوراة وهي أمر من ضمن الأمور التي أمر الرب بها موسى (ع)، وهي أمر متوازٍ تماماً مع تلقي موسى (ع) الوصايا العشر أمر الرب أثناء تلقيه بأن يجعل هارون (ع) وذريته أئمة من بعده يخلفونه للزعامة

(1) ظ: سفر العدد 17 : 16 - 25 ، وظ: سفر العدد 17 : 1 - 2 ، وظ: سفر الخروج 25 : 21 - 22.

(2) ظ: عماد عبد السميع، الإسلام واليهودية : 199.

(3) وول ديوارنت: قصة الحضارة 2 : 346.

(4) ظ: عبد الرزاق أحمد قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، وهو من مطبوعات دار التراث بالقاهرة.

(5) العهد القديم، سفر اللاويين 14 : 57.

(6) ظ: م.ن، سفر التكوين 16 : 6.

والقيادة⁽¹⁾.

5- من خلاله تمت تنظيمات في مجالات كثيرة، منها، العبادة فمن خلال الخليفة ، ومن خلاله تمت التنظيمات المدنية ،فشعب اسرائيل شعب الله ، قد اختبر بالاتحاد مع الله بواسطة العهد ((انتم شعبي وانا الهكم)) والاتحاد بين اعضاء الجماعة، وهو نابع من اتحاد الافراد بالله.، والشعب قد انفرد عن سائر الشعوب الوثنية التي لاتعرف الله وذلك بفضل المصلح لهم وهو خليفة النبي، وهناك تنظيمات سياسية.

وتأتي أهمية(الأنبياء)وخلفائهم ،ففي الفترة التي كانت في زمن آخاب وإيزابيل التي أدخلت عبادة البعل استطاع النبي أيليا وخليفته(اليشع) ويأهو أن يقتلعوها⁽²⁾.لذا نجد أن النقد السياسي من المواجهة التي نشأت بين النبي ايليا والملك آخاب حيث ان النقد السياسي يشتمل في الحقيقة على نقد ديني وسياسي في آن واحد⁽³⁾، لذا خير إيليا الشعب بين طريق الملك وطريق الرب⁽⁴⁾، ثم يأتي دور الخليفة "اليشع" المهم ان عليه ان يقتلع العبادة الوثنية التي جاءت بها ايزابيل⁽⁵⁾،لذا نجد أن وجود الخليفة كان مهما لما تتطلبه المرحلة من إنقاذ الناس من الوثنية نحو الرسالة السماوية ،لذا فالخليفة والنبي ايليا أراد أن يرجع بالقوم إلى ديانة موسى، ويجعل من التشريع الموسوي أساسا للإصلاح الديني⁽⁶⁾.

لذا فقد وصل التمرد إلى ذروته بإبادة جميع عابدي البعل وتدمير معبد البعل⁽⁷⁾. لذا فقد تم القضاء على عبادة بعل بصورة نهائية ولم تعد لاسرائيل ثانية وهذا يرجع سببه لوجود الخليفة "اليشع" ، ليس هذا فحسب بل ان أهمية وجود الخليفة اليشع ،انه حرّض على التمرد ،وعند مسح ياهو نجح في إزالة التأثيرات الكنعانية من العبادة والثقافة⁽⁸⁾.

إن الفكرة المشيخانية في ديانة بني اسرائيل والتي تعطي ان فكرة الماشيخ المنتظر ووجوده مرتبط بمصير أمة بعينها ، وباب الهداية غير مفتوح للجميع بل هو خاص بالشعب المختار على عكس مفهوم المسيح المخلص في الفكر المسيحي، وأهمية وجوده غير مرتبط بمصير أمة بعينها وإنما هو ذو أبعاد عالمية، فباب الهداية مفتوح للجميع⁽⁹⁾.

ولوجود الماشيخ المنتظر أهمية اخرى وهي ان وصول الماشيخ يعني عودة الشعب المختار إلى صهيون، أو وصوله إلى اورشليم التي سيحكم منها الماشيخ، قائد الشعب وزعيم بني إسرائيل، بل هو قائد الشعوب والأرض قاطبة، فهنا هو خلاص بني إسرائيل وحدهم وسينتقم جماعة إسرائيل من أعدائهم شرانقام ويشغلون مكانتهم التي يستحقونها كشعب مقدس⁽¹⁰⁾.

(1) ظ: سورة البقرة: 51 - 53 ، ظ : سورة طه: 83 - 91 ، ظ: سفر الخروج 45 : 12 - 15.

(2) ظ: حياة إيليا النبي.

(3) احمد خليفة احمد ، تاريخ الديانة اليهودية ،ص174.

(4) ظ: العهد القديم، سفرملوك أول 18 : 24.

(5) ظ: حياة النبي ايليا: موقع احب كنيسةنا.

(6) ظ: محمد خليفة حسن احمد ،تاريخ الديانة اليهودية: ص159.

(7) ظ: ابراهام مالمت روجيم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ص249.

(8) ظ: م.ن: 250.

(9) ظ: المسيري ،عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،ج3، ص213.

(10) ظ: م . ن.

يذكر الباحثون إن فكرة المسيح المخلص ظهرت قبل السبي البابلي، وتعني المخلص ففي النصوص التوراتية يجد الباحثون ، فكرة المسيح المخلص ، إشارة إلى فكرة الماشيح⁽¹⁾.

وفي النصوص السالف ذكرها يجد الباحث ان قانون النمو والتطور الذي تخضع له المجتمعات يبدو واضحا وهو سار حتى على إسرائيل اليوم⁽²⁾، أما حركة المجتمع وتطوره ذاتيا فمعلق على وجود قيادة محورية تأخذ بيد المؤسسات والجماعة في عملية التطوير للمجتمع وقد رأته، فالقيادة التي بشخصية كارزمية كما في النصوص أعلاه هي التي سوف تجمع شتات بني إسرائيل وتخرجهم من حيز وجودهم كشعب بالقوة إلى مرحلة إعادة تكوين شعب بني إسرائيل بالفعل ضمن نطاق أرض محدودة المعالم وهذه المرحلة شبيهة والى حد كبير بعملية خروج النبي موسى (ع) بقبائل بني إسرائيل من أرض مصر إلى أرض فلسطين حيث اجتمعت هذه القبائل مع غيرها لتكوين شعب بني إسرائيل بالفعل، ففكرة المسيح المخلص، هي فكرة مرتبطة بمسألة السلطة ومستقبل بني إسرائيل، ثم ان المسألة تندرج في عملية الصراع الحضاري مع الأمم الأخرى على أن المسيح المخلص في هذه الفكرة له شروط وعلامات وأهمها:

1- انتسابه إلى بيت داود.

2- القيام بأعمال بطولية خارقة⁽³⁾.

وهنا يطرح سؤال وهو هل ان فكرة المسيح المخلص فكرة تختص ببني إسرائيل دون غيرهم، والجواب بلا شك ان المسألة الظاهر فيها لا تقتصر على إسرائيل فقط بل نجد ان القائد الفارسي (كورش) أطلق عليه لفظ المسيح المخلص كذلك ((هكذا قال الرب لمسيحه لقورش الذي أخذت يمينه لأخضع الأمم بين يديه))⁽⁴⁾.

وفي العصر الحديث يلاحظ زيادة حدة النزعة المشيخانية خصوصا في الغرب ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي وقد ظلت هذه النزعة المشيخانية كامنة بعد فشل شيبتيي تسفي وحركة الدونمة⁽⁵⁾. لقد كانت النظرة العبرانية للعالم وللحياة تسيطر عليها في الغيبة ضرورة توفر علاقات مقبولة مع الله جعلت لوجود الكهنة وخدمتهم أولوية قصوى فكان وجود الكهنة أمرا جوهريا لحفظ علاقة مستمرة لإسرائيل مع الله.

(1) ظ: أشعيا 1: 1، +، وظ: سفر هوشع 3: 4 - 5، وظ: سفر أرميا 30: 3 ومابعدها.

(2) ظ: م.ن.

(3) خليفة حسن أحمد ، تاريخ النبوءة الاسرائيلية ، ص 84 .

(4) العهد القديم، سفر اشعيا 45: 1، وهذا قول نبوي ملكي لتنصيب الملك، كالأقوال في مزمور 11: 2، يسمى قورش باسمه النصوص 3، 4، ويحصل على لقب (مسيح الرب) مقصوراً على ملوك إسرائيل فأصبح الملك المخلص المنتظر والغريب ان هذا اللقب يطلق هنا على ملك غير يهودي لا يعرف الرب (الآيات 4- 5) ، ظ: الكتاب المقدس الألف باء والياء هامش رقم (1) ص 1600.

(5) ظ: جعفر هادي حسن ، الدونمة بين اليهود والإسلام ، منشورات الوراق للنشر، ص 84

المطلب الثاني

كيفية تعيين الخليفة في ديانة بني اسرائيل:

ان المنتبغ للنصوص التوراتية وما نقله المفكرون والعلماء والباحثون يتبين له من دون ادنى شك قطعية الاختيار الالهي لخلافة النبي موسى(ع) ، وعلى النحو الاتي :

أولاً: الاختيار الالهي: وقد بدا منذ هارون ، ففي صعوده إلى الجبل وتلقيه الوحي والحجارة والوصايا العشر كان من ضمن الأمور التي أوصى الله بها موسى(ع) هي خلافة هارون وذريته: ((**وخذ من بني إسرائيل هارون أخاك وبنيه ناداب وأبيهو والعازار وإيتامار وليكونوا كهنة لي...**))⁽¹⁾.

ثم يأتي دور يشوع عند وفاة هارون وفي أواخر سني التيه يموت هارون على جبل هور، وعندها يقوم موسى(ع)بتطبيق ما أمر الرب يأخذ يشوع خليفة له وهو ما صرحت به التوراة فخليفة موسى(ع)كان اختياره اختياراً إلهياً، وخلافة يشوع هي كما في هارون فهي مجعولة بالنص تقول التوراة: ((**فقال له موسى(ع) ليوكل الرب مصدر حياة كل بشر رجلا على الجماعة يخرج أمامهم إلى الحرب ويعود بهم لنلا تبقى جماعة الرب كغنم لا راعي لها، فقال الرب: خذ يشوع فهو رجل فيه روح الرب، وضع يدك عليه، وأقمه بمعرض من العازار والجماعة(خلفاً لك)وأجعل عليه من مهابتك لتسمع له جماعة بني إسرائيل، يقف بين يدي العازرا الكاهن حتى يطلب الأورريم⁽²⁾ أمام الرب ما يقضي به الرب بأمره يخرجون ، وبأمره يعودون، ففعل موسى كما أمره الرب ...وأقامه "خلفاً له"، كما قال الرب على لسان موسى))⁽³⁾، وفي نص آخر ((يشوع بن نون جندياً شجاعاً [وخليفة موسى] بالنبوة...))⁽⁴⁾**

⁽¹⁾ العهد القديم، سفر الخروج 28: 1 - 5، وظ: م. ن 30: 22 - 33، وظ: م. ن، سفر اللاويين الاصحاح الثامن بأكمله والتاسع بأكمله.

⁽²⁾ ظ: المحيط الجامع في الكتاب المقدس ،ص66.

⁽³⁾ العهد القديم، سفر العدد 27: 12 - 23.

⁽⁴⁾ م. ن، سفر يشوع بن سيراخ 46: 1 - 2.

واستمر هذا التنصيب سواء في زمن القضاة الذي جاء بعده⁽¹⁾ او حتى في زمن الملوك من قبل الله عز وجل فلم يملك بني اسرائيل طيلة فترات حكم الملوك حق عزل الحكام لان التولية كانت من الله عز وجل فالله هو الذي يتوج ويعزل كما جاء في سفر دانيال ((ليكن اسم الله مباركا من الأزل إلى الأبد لان له الحكمة والجبروت ويغير الأوقات والأزمنة بل انه يعزل ملوكا وينصب ملوك))⁽²⁾.

ثانياً: إن الخلافة والرئاسة للمسيرة الإسرائيلية كانت تتحقق بصورة وراثية غالباً فيتوارثها أفراد من سلالة الأنبياء والرسل خلفاً عن سلف. فهارون الذي جعله الرب نبياً، تقول التوراة: ((فقال الرب لموسى: أنظر جعلتك بمثابة إله لفرعون، ويكون هارون أخوك بمثابة نبيك، أنت تكلم هارون بكل ما أمرك به، وهارون يكلم فرعون ان يطلق بني إسرائيل من أرضه))⁽³⁾. ثم ان هارون جعل بالاختيار الإلهي خلفاً لموسى وكاهنا للرب له ولذريته ومسح وكرس لهذا التنصيب ولذريته فريضة أبدية مدى أجيالهم⁽⁴⁾، ثم ان الملك شاول نصب بالاختيار الإلهي وبعده داود وكان خليفته ابنه سليمان ، ومن هذا لابد ان نذكر اهم الشروط الواجب توفرها في من يتولى هذا المنصب وعلى النحو الاتي :

1- ان يكون من نسل هارون ((وتلك مسحة هارون ومسحة بنيه يوم تقديمهم ليكونوا للرب))⁽⁵⁾ فالله خص ذرية هارون من بني لاوي لعدم نقضانهم عهد ربهم بعبادة العجل كما فعل الباقون من اسباطه ومن هنا جاء تفضيلهم⁽⁶⁾ وتخصيص الخلافة فيهم دون غيرهم⁽⁷⁾.

2- ان يكون ذكراً ، تذكر التوراة ((خذ هارون وبنيه معه ، والثياب ودهن المسحة واجمع كل الجماعة الى باب خيمة الاجتماع))⁽⁸⁾.
3- أن يكون سالماً من العاهات⁽⁹⁾.

ومن الملاحظ في الشروط الوارد ذكرها في التوراة عدم اشتراط القدرات العلمية بالشريعة إذا علمنا ان العمل الكهنوتي يستلزم وجود المعرفة الدينية لصاحبه بان يكون من الأشخاص الورعين المتقين المعصومين لنيل درجة الكاهن الأعظم ، فاذن نجد هذا القصور وهي من مغالطاتهم التي لا يستقيم معها العقل وبدليل اخر نجد ان المختار للكهانة يكون وسيطاً لتكفير خطايا الشعب⁽¹⁰⁾ ، ثم تأتي وتلاحظ عدم اشتراط القدرات العلمية لهؤلاء ، وهذا إن دل على شئ فانه يدل على وجود قصد في القضية وربما لم

(1) ففي زمن صموئيل وهو الذي كان يمثل او اخر عصر القضاة كان هذا النبي قد نصب خليفته وهو ((الملك شاول))، ظ: م.ن، سفر صموئيل الأول 10: 1 - 8، وظ: 9: 15 - 27.

(2) العهد القديم، سفر دانيال 2: 21.

(3) العهد القديم، سفر دانيال 7: 1 - 3.

(4) ينظر: م.ن 40: 12 - 15.

(5) العهد القديم، سفر اللاويين: 7: 35.

(6) ظ: م.ن، سفر الخروج 32: 26-29 وسفر العدد: 3-9 و11-13 و41-45.

(7) ظ: زكي شنودة، المجتمع اليهودي: بتصرف، ص 138.

(8) العهد القديم سفر اللاويين 8: 2، ظ: سفر الخروج 39: 1-32، 40: 12-15.

(9) ظ: م.ن، سفر اللاويين 21: 16-23.

(10) ظ: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ج3، ص123.

تشر النصوص التوراتية لذلك العلم لانه علم منهم به الله عز وجل⁽¹⁾ .

لقد أعلن موسى النبي إقامة يشوع خلفا له وكان تعيين الخليفة من خلال أمر الرب يهوه وفي حضرة اليعازر الكاهن الأعظم وقدام كل الجماعة تصف التوراة ذلك ((فقال الرب لموسى(ع) خذ يشوع بن نون فإنه رجل فيه روح وضع يدك عليه .وقفه بين يدي العازار الكاهن والجماعة كلها .واوصه بحضرتهم واجعل عليه مهابتك لكي تسمع له جماعة بني إسرائيل كلها...))⁽²⁾، لقد كان اختيار يشوع بن نون هو بالنص من الله، حيث ان بعد موسى(ع) اقام الله بحسب التوراة "يشوع بن نون" للإسرائيليين فقادهم الى ارض الميعاد واخضع لهم اهل تلك البلاد⁽³⁾، فلقد قرر الرب عند نهاية حياة موسى(ع) قائلاً له ((اصعد الى الى جبل العباريم هذا ... فاذا رايتها انضممت الى أجدادك انت ايضا كما انضم هارون اخوك، انصاع موسى(ع) لكلام الرب ورد قائلاً : ليوكل الرب اله ارواح جميع البشر رجلا على الجماعة يخرج امامهم و يدخل امامهم و يخرجهم و يدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها))، واذا اشار موسى(ع) بهذا الكلام الى تعيين الرئيس في قلب الجماعة عندها ((قال الرب لموسى(ع) خذ يشوع بن نون رجلاً فيـــــــه روح و ضـــــــع يـــــــدك عليه ووقفه قدام العازار الكاهن و قدام كل الجماعة و أوصه ...))⁽⁴⁾ امام الرب حسب قوله يخرجون و حسب قوله يدخلون هو و كل بني إسرائيل معه كل الجماعة ((ففعل موسى(ع) كما امره الرب اخذ يشوع ووقفه قدام العازار الكاهن وقدام كل الجماعة ووضع يديه عليه واوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى))⁽⁵⁾.

وفي عصر القضاة فان طريقة تنصيب الخليفة وتعيينه لم تحصل مثلما حصلت لهارون، ويشوع، الا ان موسى(ع) كان قد اعدّ ((قاضياً)) على كل سبط، واستمر هذا الحال حتى زمان يشوع، وعند تسليط الضوء على القضاة فإن سفر القضاة يوضح بأن هؤلاء مختارين من قبل الرب للقيادة وبالتالي⁽⁶⁾ لا بد من تمتعهم بصفات قريبة من صفات الأنبياء فيما إذا لم يكونوا من الأنبياء بل إن اندراج صموئيل النبي ضمن قضاة بني إسرائيل⁽⁷⁾ (وهو نبي بني إسرائيل والوارد ذكره في القرآن)⁽⁸⁾.
يوجب الظن بأن هؤلاء القضاة كانوا أنبياء بلباس قضاة باستثناء ما ورد ذكرهم من النساء، فهؤلاء القضاة كانوا شديدي الوطأة والقوة وكانوا يتمسكون بزمام السلطة جيداً .

⁽¹⁾ ظ: السيوطي، د. خالد، عصمة الأنبياء في الديانات الثلاثة: 67.

⁽²⁾ نادلس يعقوب ملطي، تفسير الكتاب المقدس تفسير العهد القديم تفسير سفر يشوع، شبكة الكنيسة .

⁽³⁾ ظ: طوني مفرح، موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الاوسط، ط1، 1995م، دار نوبيليس، ج1، ص69.

⁽⁴⁾ العهد القديم سفر العدد 25: 3.

⁽⁵⁾ م.ن، سفر العدد 27: 12-23، وظ: الكتاب المقدس، مقتبس من موقع:

<http://www.enjeel.com/bible.php?op=read&bk=4&ch=27>

⁽⁶⁾ علي بو سلمان، نظرية القيادة، 10.

⁽⁷⁾ العهد القديم، سفر صموئيل اول 9: 9.

⁽⁸⁾ سورة البقرة: 247.

وهنا يأتي السؤال الذي يتبادر إلى الذهن، هل ان حكم هؤلاء (القضاة) تحدد بأسلوب جماعي أم عن طريق انه تعين منهم قوم لتولي مسألة القيادة المركزية؟، لذا فهنا يمكن فرض المسألة على الشكل التالي:

1- إما ان نقول ان شيوخ القبائل أعضاء المجلس المصغر متساوون في المهارة والخبرة في الشأن القيادي والاداري والتقوى والعلم بالقانون وتطبيقاته القضائية ولهذا لا موجب لتعيين أحدهم للرئاسة العامة لعدم وجود المائز بينهم، ولذا عمل هؤلاء في الادارة والقيادة بأسلوب جماعي وهذا خلاف ما جاء في سفر القضاة، بالإضافة الى انه يقتضي التنافس، والتحاسد، وحب استقلال القوي لاقتضاء الطبع البشري ذلك، فيؤدي ذلك الى التشتت والضياع.

2- واما ان نقول بوجود المائز بينهم ككون احدهم الاكثر خبرة في القانون والامهر من تطبيقاته والامهر في تعاطي مع الشأن الاداري والقيادي والاكثر تقوى والاكثر نفوذاً وسلطة أي الاعلم فيتعين رجوع الجميع اليه بمقتضى النص في العهد القديم⁽¹⁾، وبذلك ينتهي مقام القيادة والخلافة له فيتعين لتولي مقام القيادة العامة وبهذا ينتظم امر الجماعة ويشتد عددها⁽²⁾، ومن هذا المنطلق اعتبر البعض ان نظام القضاة رحلة انتقالية بين الحكم العشائري والملكية⁽³⁾، ولكن هذه المقولة انما تلحظ الفترة التي حكم فيها مصاديق متعددة من القضاة ولا تلحظ حاكمية النظرية الصالحة للتطبيق في مختلف الظروف سواء في عصر القضاة او غيره.

إن النصوص القرآنية والتوراتية تكشف بوضوح توارث النبوة والقيادة خلفاً عن سلف وصالحا عن صالح ، فلا تخرج من سلالة الأنبياء وذرياتهم غالباً، لقد اشار المسعودي ان الأنبياء كانوا ينصون على الخلفاء من بعدهم بصورة الوصاية⁽⁴⁾ .

ومن هذا وذاك نجد أن مراجعة هذه الأسماء وتلك الكتب توصلنا إلى ان القيادة وان كانت مقرونة بالنبوة غالباً غير أنها كانت وراثية في الأمم السالفة يرثها صالح عن صالح وكابر عن كابر مما يعني أنها لم يكن أمرها متروكا إلى الناس ومفوضا إلى آرائهم .

وفي اواخر عهد القضاة ، كان هناك كيفية لتعين خلفاء الانبياء ، تذكر التوراة ((فاجتمع كل شيوخ إسرائيل إلى صموئيل وقالوا: أنت قد شخت فاجعل لنا ملكا يقتضي لناكسائر الشعوب فصلى إلى الرب))⁽⁵⁾ .

وفي هذه المرحلة طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يعين عليهم ملكا⁽⁶⁾ وهو ما يتوافق مع السياق القرآني الكريم⁽⁷⁾، فهذا المصداق يبدو الأشد استعدادا للتلبس برتبة الملكية والقيادة الفعلية لأن المرحلة تقتضي قيادة تتمتع بكيف نفساني وجسماني ؛ لأن الملك موجود في رتبة متقدم فيها على كل الرتب باستثناء مقام النبوة والوصاية وهو المحرك لسائر قطاعات المجتمع وبالتالي فهو الفاعل عن قصد واختيار لسياسة البلاد الداخلية والخارجية فقطاعات المجتمع تكون منفعة بسياسة متفاعلة معه إيجاباً أو سلباً.

(1) ظ: العهد القديم، سفر التثنية الاشرع 1: 16 وما بعدها.

(2) وهذا ماوافق ما جاء في سفر القضاة ((واقام الرب من بينهم قضاة))، العهد القديم، سفر القضاة، 2: 16، وظ: مجموعة من الابهاء والمؤلفين، التفسير الطبقي للكتب المقدس، ص484، 4، 2002، القاهرة-مصر، حاشية سفر القضاة 2: 16-17.

(3) ظ: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، حاشية رقم (1): ص474.

(4) ظ: اثبات الوصية: المسعودي: 39 - 90، ط2، 1424هـ، 2003م، مطبعة صدر - قم - إيران - مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.

(5) العهد القديم، سفر صموئيل اول 8: 4-6، ظ: تثنية الاشرع 17: 14.

(6) ظ: من سفر صموئيل اول 8: 10 وما بعدها .

(7) ظ: سورة البقرة: 247.

إن الشخص الذي اختاره الرب ملكاً لبني إسرائيل حين كشف الرب أذن صموئيل فقول التوراة ((والرب كشف أذن صموئيل قبل مجيء شاول بيوم واحد قاتلاً: غدا أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين ، فامسحه لشعبي فيخلصه من يد الفلسطينيين))⁽¹⁾.

نفهم من هذا ان هناك وحي جاء للنبي صموئيل يخبره بالملك وكيفية التعيين هو أن يقوم النبي صموئيل بمسح جسم الملك بالزيت وكذلك الصب على الرأس ، تقول التوراة ((فأخذ صموئيل قارورة الزيت وصب على رأسه وقتله وقال: أما أن الرب قد مسحك قائد على ميراثه))⁽²⁾ وفي نسخ أخرى ((قد مسحك على ميراثه نبياً))⁽³⁾. وإن قضية المسح بهذا الشكل هو دأب ملوك إسرائيل يمسحون على يد رجل من رجال الله "كاهن أو نبي"⁽⁴⁾ وكانت هذه الرتبة تطبع الملك بطابع مقدس وتجعل منه تابعا للرب⁽⁵⁾.

أن فكرة الملكية عند بني إسرائيل جاءت من مصادر خارجية فهم يريدون أن يكونوا ((كسائر الأمم))⁽⁶⁾ ملكهم يقضي لهم، ويخرج أمامهم ويحارب حروبهم ، ((وإن يأمر الله صموئيل بأن يسمع كلامهم، وبأن يوصي عليهم ملكاً لم يعد صموئيل سوى أن ينفذ، وبإيحاء من الله))⁽⁷⁾ دعا صموئيل أسباط إسرائيل لاختيار سبط القرعة ليكون الملك من إحدى عشائره فجاءت القرعة لمصلحة سبط بنيامين وهو "من صغير أسباط إسرائيل" وبالقرعة أيضاً اختار سبط بنيامين من عشائره مطري وهو أصغر جميع عشائر سبط بنيامين ليكون الملك منها واختارت عشيرة مطري بالقرعة ملك إسرائيل فجاء اسم الملك شاول بن قيس بن ابنيك بن صور بن بكوت بن أفيح⁽⁸⁾. وعليه، عرض صموئيل على الشعب ((أحكام الملك))⁽⁹⁾ التي هي كناية عن معاهدة تربط بين الملك والشعب⁽¹⁰⁾.

ويذكر المؤرخون أن صموئيل همس في أذن داود وهو يمسحه وقال له أنت ستكون ملكاً⁽¹¹⁾، مما تقدم يظهر أن تنصيب داود لمهمة الملك هو بأمر الله، ويعد قيام داود بأداء المهمة الملوكية اجتمع جميع الوجهاء وعلية القوم في جميع القبائل واحتشدوا بدون حيث مقر داود ونادوا به ملكاً على قبائل بني إسرائيل جميعاً.

يذكر العهد القديم بالإضافة إلى انه النبي ايليا قد مسح على النبي اليسع لأن يكون خليفة له، لكن النبي ايليا إضاف شيء آخر يبين على تعيين الخليفة ،حيث وضع عليه رداء ، تقول التوراة ((فانطلق ايليا... فوجد اليسع بن شافاط يحرق حقلاً ... فمر به ايليا فطرح عليه رداءه فترك البقر وركض وراء ايليا..))⁽¹²⁾، لقد كان الرداء أهم جزء في الثياب يستطيع أن يمتلكه الإنسان فقد كان يستخدم وقاية من

(1) م.ن، سفر صموئيل الأول 9: 15 - 16.

(2) م.ن، 10 : 1 ، 9: 16 - 17 .

(3) م.ن 10 : 1 ، وهو مقتبس من الكتاب المقدس الألف باء والباء.

(4) ظ: هامش رقم (10) ص 538 من الكتاب المقدس الألف باء والياء ، م.ن صموئيل أول 16 : 13 ، وسفر ملوك أول 1: أول 1: 39 ، وسفر الملوك الثاني 9: 6 ، 11: 12.

(5) ظ: العهد القديم، سفر صموئيل أول 2: 35 ، 7: 24 و 11 و 9: 26 و 16 .

(6) سفر صموئيل الاول 8: 7 ، 11 - 22 .

(7) طوني مفرج ، موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط: 1: 98.

(8) ظ: سفر صموئيل الاول 9: 1 و 21 ، 10: 20 - 25 .

(9) العهد القديم، سفر صموئيل اول 8: 11 - 13 ، سفر صموئيل الثاني 5: 3، سفر الملوك الاول 12: 1 .

(10) ظ: طوني مفرج ، موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط ، 1: 98.

(11) ظ: مجموعة مؤلفين، قاموس الكتاب المقدس: ط 6، مكتبة المشعل، بيروت، 1981، مادة داود : 361.

(12) العهد القديم، سفر ملوك الأول 19-20.

الجو وكفراش أو سقيفة سفر، طرح إيليا رداؤه على كتفي الإشع للدلالة على انه سيكون خليفة إيليا⁽¹⁾ ، وبعد ذلك عندها نقل السلطة تماما ترك إيليا رداءه لألشع⁽²⁾.

النتائج :

1- من النصوص التوراتية، ومراجعة ما نقل من المفكرين والعلماء والباحثين يتبين ان هناك ما يؤيد فكرة التنصيب على خلافة النبي موسى(ع) في ديانة بني إسرائيل، فهناك شروط وصفات حددتها التوراة لتسلم القيادة، حيث ان ما كان متبع بين أنبياء بني إسرائيل، انهم يسلمون هذا المنصب الخطير لمن قاموا بهدايتهم وتربيتهم، وان حصر القيادة كان فقط لذرية هارون دون غيرهم، ولا يحق أن يقوم بهذه الأمانة حتى ولو كان ملك اليهود بذاته، إذا لم يكن من ذرية هارون، لهذا كان التأهيل لمنصب القيادة يتم بأحد طريقين،

أ- أما التنصيب الإلهي على الحاكم كما هو الحال عند هارون ولذريته من النصوص التوراتية وهو نص جلي وواضح، مما يعني أنه لم يترك أمر تنصيب الخلافة بيد الناس، والسبب، لان ترك تعيين القائد إلى اختيار الأمة قد يؤدي إلى الاختلاف والفرقة والفتنة أو الاشتباه والخطأ في تعيين الراعي الصالح والقائد الكفوء، وقد كان النص ان القيادة لهارون مستمرة لذريته من بعده.

ب- الخلافة (الكهانة العظمى) هي فريضة ابدية دهرية مدى اجيالهم، فقد جدد الرب العهد لهذه الخلافة في زمن موسى(ع) عندما اغار بني لاوي للرب في قضية العجل الغريبة، وكذلك فان الله قد جدد العهد وتنصب الخلافة لذرية هارون في زن العازار عندما أمر الرب موسى(ع) بعد وفاة هارون على جبل هور أن ألبس ملابس هارن لابنه إشارة عن تسلم الخلافة الدينية لالعازار مع ان هناك وبنفس الوقت نص من الرب لموسى(ع) ان ينصب يوشع للخلافة الزمنية.

ت- وهناك طريق آخر لتنصيب وتعيين الخليفة وهو عن طريق التنصيب الإلهي على صفات الحاكم الاعلى .

2- يستنتج من قراءة النصوص التوراتية وتاريخ الفكر اليهودي ،ان يوشع وشاؤول وداود، عندما اختيروا لمنصب خلافة الأنبياء ، وهو تنصيب بكيفية المسح ووضع العمامة هي أوامر إلهية تكرر أمام نظر وشهادة الجماعة حتى لا يزيغوا عن أوامر الرب ، لذا فهناك قيادة زمنية وقيادة دينية، قد اجتمعت

(1) ظ: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : الرهبانية اليسوعية: 756.

(2) ظ: العهد القديم، سفر ملوك ثاني 2: 11 - 14.

في آن واحد لشخص، وقد تتفصل عن بعضهما كما هو الحال في زمن يوشع الذي مسح من قبل اليعازار، واليعازار الذي ألبسه موسى(ع)ملابس الكهنوت لمنصب القيادة الدينية.

- 1- يتضح ان لمنصب الخلافة شروط، يجب ان تتوفر لمن يكرّس للخلافة(الكهانة العظمى).
- 2- اتضح من خلال البحث، ان لوجود الخليفة أهمية كبيرة عند الفكر الديني الإسرائيلي فبوجوده تم تحقيق الوحدة السياسية وتشكيل وتأسيس الدولة الإسرائيلية، كانت بدايتها على موسى(ع)وهارون وقد تم تحقيقها من خلال المصداق الأشد عند يوشع وذلك عند دخوله الأرض المقدسة وهي بذلك تعطي الحاجة إلى قائد جديد يدخل بهم إلى الميراث الأبدي، وبهذه الوحدة السياسية ستمكن من (جماعة الرب يهوه) من أن يعبدوا الرب، فلا نصره ولا خلاص ولا دخول إلى الحياة الجديدة ولا ميراث إلا من خلال العبادة والعبادة لله من هذا فان الرب أوصاهم، انهم إذا التزموا بالشرعية فان هذا النصر وهذا الميراث سيدوم معهم، أما إذا لم يلتزموا وانقلبوا فانهم سينالون عقاباً من الرب ، فكان ما كان في عصر القضاة.
- 4- تبين للباحث ان فكرة وجود الماشيح عند بني إسرائيل مرتبطة بمصير أمة بعينها، وباب الهداية غير مفتوح للجميع، بل هو خاص بالشعب المختار، اضافة إلى ذلك ان من أهمية وجود المشايخ هي ان وصوله يعني عودة الشعب المختار إلى صهيون، أو وصوله إلى اورشليم التي سيحكم منها المشايخ.
- 5- اتضح للبحث انه ورغم ان مؤسسة الكهانة قد اختفت تماما مع هدم الهيكل على يد تيتوس، فان مؤسسة الكهانة استمرت بعد أن أخذت شكلا جديدا هو(الحاخامية)حيث يحل الحاخام محل الكاهن وان ذلك يعود الى اسباب.
- 6- اتضح لي أن هناك اكثر من إمام في وقت واحد كما هو عند وفاة هارون كانت الخلافة الدينية والدنيوية ليوشع ، الا أن في الوقت نفسه كان الرب قد أشار لموسى(ع)أن ينصّب اليعازار ابن هارون عندما حضرت هارون الوفاة، وهكذا استمر هذا الحال في عصر القضاة ، كانت القيادة الدينية متسلسلة عند ذرية هارون .
- 7- إن الجوهر الجامع بين اليهودية والمسيحية والإسلام هو تأسيس اللاحق منهم لذاته على السابق ، وتأكيده نبوة الأنبياء (الأوائل) في الديانات الثلاث مجتمعة
- 8- ان الديانات السماوية الثلاث قد ذكرت بل اكدت فكرة النص على خليفة النبي موسى(ع) ، وعلى خليفة النبي عيسى(ع) ، وعلى خليفة النبي محمد(ص)

الفصل الثاني

خلافة الانبياء في الديانة المسيحية

المبحث الأول: الخلافة: مفهومها وأهميتها ومشروعيتها ودورها.

المطلب الأول/ مفهوم الخلافة.

المطلب الثاني/ أهمية الخلافة.

المطلب الثالث/ مشروعية الخلافة (الأدلة النقلية والعقلية).

المطلب الرابع/ دور الخلافة.

المبحث الثاني: الخليفة: اهمية وجوده وكيفية تعيينه.

المطلب الأول: أهمية وجود الخليفة .

المطلب الثاني: كيفية تعيين الخليفة .

المبحث الأول

الخلافة في الديانة المسيحية

مفهومها، أهميتها، مشروعيتها، دورها.

يتناول هذا المبحث خلافة الأنبياء من ناحية مفهوم الخلافة ، مفصلا القول في أهم العقائد التي تخص الموضوع ، حيث إن الديانة التي نزلت على السيد المسيح، قد أصابها التحريف مما أدى إلى انقسام أصحاب هذه الديانة إلى فريقين، وبالتالي فإن مفهوم الخلافة ،سوف يختلف باختلاف رؤية كل فريق ، وان كل فريق من هذين الفريقين قد انقسم بدوره إلى عدة طوائف ، ويبين الباحث ، من خلال مفهوم الخلافة نشأة هذه الفرق وبيان عقائدها ، لكي يصل إلى نتيجة يحصل من خلالها على بيان لهذا المفهوم ، من توضيح الرؤية ، مابين الخليفة الشرعي ، ومابين مدّعي الخلافة ، بالإضافة إلى ذلك بيان تعريف الخلافة، لغة ، واصطلاحا ، بالإضافة إلى ذلك بيان أهمية وضرورة الخلافة ، ثم التطرق لمشروعيتها من خلال الأدلة التي تثبت خلافة السيد المسيح (ع) ، ومن ثم إعطاء بيان للدور الذي لعبته الخلافة . فكان على البحث في خلافة

الأنبياء في الديانة المسيحية أن يحدد مفهوم الخلافة وأهميتها وضرورتها ودورها عموماً في الفكر المسيحي.

المطلب الأول:

مفهوم الخلافة في الديانة المسيحية:

تتعلق الخلافة كنظرية ومفهوم عام من ضرورة وجود قيادة للجماعة تنظم أمورها، وهذه الضرورة أحد منطلقات وأسس علم الاجتماع البشري ، وهذه الضرورة هي ظاهرة قديمة أكد عليها النص الديني في العهد القديم⁽¹⁾. ولكي نصل لمفهوم الخلافة وبيان معناها كان على الباحث أن يبين أن الديانة المسيحية كانت في بداية أمرها ديانة توحيدية ، ثم بعد رفع السيد المسيح وبعد رحيل الرسل، أدخلت مفاهيم وثنية غيرت الديانة التوحيدية إلى ديانة التثليث، لذا كان على الباحث أن يبين أن هناك فريقان في الديانة المسيحية . انقسمت الرؤى عندهم حول استخلاف السيد المسيح .

وقبل الدخول في رؤية كل فريق ونظريتهما حول الخلافة كان على الباحث في مفهوم الخلافة أن يبين هل أن السيد المسيح بنفسه كان خليفة في الديانة المسيحية؟ .

الخلافة والقيادة عند السيد المسيح:

إن المتتبع للنصوص الإنجيلية والأدلة العقلية يجد أن الخلافة على مستوى المفهوم ، وعلى مستوى المصداق في الديانة المسيحية متجسدة في السيد المسيح(ع) .

(1)النصوص التوراتية تبين بوضوح تأكيد الله على منصب الخلافة ، عندما يأمر موسى بتنصيب هارون وذريته للخلافة وعند وفاة هارون ، استخلف من بعده يوشع ، ط: العهد القديم، سفر العدد، 27: 15.

فمن خلال النصوص الإنجيلية ومن خلال ما يحمله السيد المسيح من سمات عقلية واجتماعية وحنكة سياسية وقيادية أبرزتها النصوص الإنجيلية ، فضلا عن اختياره للرسول (التلاميذ الاثنى عشر) وجعل هامة الرسل وزعيمهم "بطرس الرسول" ، والذي يعتبره المسيحيون هو الذي من خلاله أسس المسيح الكنيسة وأوصاه السيد المسيح أن تستمر الدعوة المسيحية وهو ما حصل فعلا عبر تاريخ الفكر المسيحي وتاريخ الكنيسة ليومنا هذا، حيث تعتبر الخلافة البطرسية (الرسولية) هي إحدى أهم مفاصل الديانة المسيحية ، فهي تعتبر الكرازة الرسولية ، والتقليد الذي كان وما زال يعتبر أهم أركان الجماعة المؤمنة ، فمن خلال دعوة الرسل الأولى تظهر المسيحية كنيسة ، أي جماعة منظمة تحت خلافة وقيادة شرعية قائمة تتمثل في قيادة السيد المسيح لهم، وهذه الخلافة تكمل " كنيسة " العهد القديم ((**ما جئت لألغي ، بل لأكمل**))⁽¹⁾، وهو ما يعني أن السيد المسيح جاء لإكمال الناموس فهو خليفة موسى (ع) فالمسيح يحمل رسالة ودعوة من الله إلى بني اسرائيل، وهذه الرسالة لا تناقض التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى(ع) ، بل هو مصداق لما علمه الله من التوراة النازلة له على موسى، وهناك أدلة نقلية وعقلية تبين بوضوح خلافة وقيادة السيد المسيح(ع) .

أولا: الأدلة النقلية على خلافة السيد المسيح:

هناك نصوص إنجيلية تبين خلافة وقيادة السيد المسيح ومنها:

1. أمرت التوراة أن يتولى سبط لاوي من بين أسباط بني إسرائيل خدمة خيمة الاجتماع، ومن ثم هيكل سليمان ، وان يكون الكهنة من ذرية هارون بالتحديد . وحدث في زمن موسى أن انتشر الفساد بين بني إسرائيل وشاع زنى بني إسرائيل مع بنات قبيلة موآب فسجدوا لألهتهم وعبدوا إلههم بعل فغور، فنهاهم الرب عن ذلك فلم ينتهوا حتى انتفض فينحاس بن العازار بن هارون الكاهن الاعظم وقتل زمري ابن سالور وهو من زعماء سبط شمعون عندما كان يزني مع كزبي بنت صور وأبوها من زعماء مديان وقد قتلها فينحاس أيضا . فرضي الرب عن فينحاس وكافأه فقال لموسى: ((**ها انذا أعطيه ميثاقي ميثاق السلام فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت ابدى لأجل انه غار الله وكفر عن بني إسرائيل**)). وهكذا انحصر منصب الكاهن في ذرية فينحاس بن العازار بن هارون . وبهذا فإن السفر يشير إلى بعثة آخر الأنبياء من سبط لاوي وهو السيد المسيح بن مريم ، إلا ان اليهود لما "رأوا" أن السيد المسيح(ع) لم يأت لهم بما تشتهي أنفسهم رفضوه وتأمروا عليه، وبعد عصر السيد المسيح (ع) أراد المسيحيون إثبات دعوة المسيح أمام اليهود فألحقوا المسيح بنسل داود ليجعلوا اليهود بهذا اللاحق من الخارجين على المسيح⁽²⁾، وترتب على هذا الإلحاق أشكال واضطراب وهو أنهم جعلوا للمسيح(ع) أربعة أجداد من الزنا،ومن كان كذلك فقد خرج من حزب الله⁽³⁾ كما صرح العهد القديم.

(1) العهد الجديد، انجيل متى 5: 7.

(2) لأن اليهود يعتبرون أن نسب المسيح(المسيا) أو الماشيح يعود لداود، ط: سبينوزا، رسالة في اللاهوت، ص234

(3) سعيد أيوب، ابتلاءات الأمم، ط1، 1416 هـ - 1995، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ص 119.

ويذكر المسيحيون من ان المسيح ولد من غير أبٍ ولادة معجزة حيث حملت به أمه الطاهرة مريم العذراء بمشيئة الله القادر على كل شيء ، وتعارف على تسميته (ابن مريم). وقد ورد في الأناجيل أن اليزابيث زوجة زكريا هي من أقارب مريم العذراء ، وبما أن اليزابيث هي من ذرية هارون الكاهن ، فتكون مريم العذراء هي من ذرية هارون أيضا ، أي أن المسيح يعود في نسبه الى هارون أول كهنة بني إسرائيل ، ولعل هذا هو المستفاد من نبوءة العهد القديم: ((يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون))⁽¹⁾، واللأويون هم اخوة موسى وعشيرته الذين وعد الرب بإظهار النبي منهم وهو يسوع المسيح .

وتبرز خلافة السيد المسيح للنبي موسى(ع) عندما يبين سفر ملاخي وهو آخر أسفار العهد القديم يبين أن للمسيرة الإسرائيلية خلافة وقيادة هدى يختتم بها الله المسيرة الإسرائيلية، ويشرح بالقيادة التي يختتم بها الله الديانة التي نزلت على النبي المسيح(ع) فضلا عن أن السفر قد حدد هذه القيادة بالذات ، وعند تحديده لقيادة الهدى للمسيرة الإسرائيلية بين أن الباب الذي فتحه الله في سبط (لاوي) وجاء منه موسى وهارون وبنوه، هو نفس الباب الذي يأتي منه آخر قيادة للمسيرة الإسرائيلية .

قال ملاخي: ((أرسلت اليكم هذه الوصية ليكون عهدي مع لاوي، قال رب الجنود: كان عهدي معه للحياة والسلام...))⁽²⁾. من هذه النص يرى الباحث أن ملاخي ذكرهم بالبداية التي عندها نصب الله هارون كاهنا للشرعة وجعلها من بعده في بنيه، وهؤلاء هم ذروة سبط لاوي، ثم بين لهم ان عهد الله مع هؤلاء وليس مع غيرهم، فغيرهم حاد عن الطريق، لذا أخبرهم الله أنه سيرسل اليهم واحد من هذا السبط يسوق قاعدة السبط ومن ورائها بقية الأسباط((ها أنذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي ويأتي بقتة...))⁽³⁾. وبذلك نفهم أن ليسوع المسيح وظيفة كهنوتية باعتباره آخر كهنة الهيكل من ذرية هارون الكاهن الاعظم، ويذهب المسيحيون الى جعل مريم العذراء من نسل داود النبي، واستدل الفكر المسيحي بأدلة لا تدل على مرادهم حيث قالوا: "لما كان يوسف خطيبا لمريم العذراء وقد ثبت انه من بيت داود كان ذلك تأكيدا لكون مريم أيضا من البيت عينه بدليل ما ورد في العهد القديم: ((كل بنت ترث ميراثا من أسباط بني إسرائيل فلتكن زوجة لواحد من عشيرة سبط آبائها))⁽⁴⁾، وما ذكر في العهد الجديد: ((صعد يوسف من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لانه كان من بيت داود ومن عشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة))⁽⁵⁾، فتبين من هنا أن مريم كانت من بيت داود لأنها صعدت مع يوسف إلى بيت لحم بنفس السبب الذي صعد يوسف لأجله وهو كون كل منهما من بيت داود. وهذا الاستدلال متهاافت جدا بل ومريب من حيث أمائته العلمية ، ولا يمكن لأي إنسان

(1) العهد القديم، سفر التثنية 18 : 15.

(2) العهد الجديد، سفر ملاخي، 2 : 4 - 9.

(3) م.ن 3 : 1 - 5.

(4) م.ن ،سفر العدد 36 : 8 .

(5) م.ن انجيل لوقا 2 : 4 و 5.

يبحث عن الحق المفقود في عالم الكذب والخداع أن يتقبله والسبب :
أ- إن ما ذكره نقلا في النص عن العهد القديم: ((كل بنت ترث ميراثا من أسباط بني إسرائيل فلتكن زوجة لواحد من عشيرة سبط آبائها))⁽¹⁾ تكملته: ((لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر بل يلزم أسباط بني إسرائيل كل واحد نصيبه))⁽²⁾. فهذا النص في التوراة خاص بمسألة الإرث وألزم هذا النص كل بنت ترث ميراثا أن تتزوج من نفس عشيرتها ، فهو إذن لا يخص المرأة التي لا تملك ميراثا إذ أنها حرة بالزواج من عشائر بني إسرائيل، ولذلك وجد أن ميكال بنت شاول من سبط بنيامين قد تزوجت من داود وهو من سبط يهوذا، وبنات القاضي يفتاح الثلاثون قد تزوجن جميعهن من رجال من غير عشيرتهن، وابنة شيشان بن يشعي تزوجت من عبد مصري كان عبدا عند أبيها.

ب- إن صاحب الاستدلال المذكور لم يلتزم بالأمانة العلمية لانه : أولا : نقل نصا مبتورا من التوراة وهو ما جاء في التوراة⁽³⁾، وقد تم بيان تتمته أنفا ، فقد تعمد البتر للتمويه بان الحكم عام لجميع بنات إسرائيل فيما هو حكم خاص بنوات الإرث منهن . وثانيا : أن صاحب الاستدلال نفسه قد ذكر عند تعليقه على ما جاء في العهد القديم : ((وكان غلام من بيت لحم يهوذا من عشيرة يهوذا وهو لاوي متغرب هناك))⁽⁴⁾ قال: ((هذا الفتى كانت أمه من سبط يهوذا وأبوه من سبط لاوي)) ، مما يعني انه كان يعلم جواز أن تتزوج امرأة من سبط يهوذا رجلا من سبط لاوي ، فكيف ينكر ذلك عند حديثه عن نسب مريم العذراء ويومه انه غير جائز للبنات أن تتزوج من غير عشيرتها ، والجواب هو عدم التزامه بالأمانة العلمية .

2- بعد موت سليمان انقسمت مملكته الى قسمين هما مملكة يهوذا بزعامه رحبعام بن سليمان وتضم سبطي يهوذا وبنيامين وكهنة الهيكل وهم سبط لاوي ، ومملكة إسرائيل وتضم بقية الأسباط بزعامه يربعام الافرايمي ، فعاشت هذه الأسباط الثلاثة سوية وكونت شعبا واحدا ، ويذكر بعض المسيحيين أيضا في تعليقهم على ما جاء في العهد القديم ((فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا سِبْطُ يَهُوذَا وَحَدَّةٌ))⁽⁵⁾ ما نصه: ((يراد بيهوذا في هذا الموضع سبطا لاوي وبنيامين أيضا لانهما اتحدا اتحدا بسبط يهوذا حين أقاما بمملكة يهوذا حتى صارت الثلاثة الأسباط شعبا واحدا)) ، وبعد سبي نبوخذ نصر الكلداني لمملكة يهوذا إلى مدينة بابل عام 586 ق.م ازداد اندماج هذه الأسباط الثلاثة التي كونت الشعب اليهودي لا سيما بعد عودتهم إلى مدنهم في عهد كورش . فأصبح واضحا لنا أن ذهاب مريم مع يوسف النجار إلى مدينة واحدة لتسجيل أنفسهم في الإحصاء لا يقتضي كونهم من سبط واحد حيث تم

(1) م.ن ، سفر العدد 36 : 8 .

(2) م.ن 36 : 8-9 .

(3) العهد القديم ، سفر العدد ، 36 : 8-9 .

(4) م.ن ، سفر القضاة 17 : 7 .

(5) م.ن ، سفر الملوك الثاني 17-18 .

البيان من أنّ المدن اليهودية أصبحت تحوي خليطاً من الأسباط. وهكذا يتضح تهافت المزاعم القائلة بأن نسب مريم العذراء ينتهي لسبط يهوذا والصحيح هو ما ذكرناه من أنّ نسبها يعود إلى هارون الكاهن أخي موسى النبي.

3- ان الكتبة وهم علماء الكتاب المقدس ويقال لهم معلمو الشريعة ، وكانوا يفسرون التوراة للشعب ، كانوا يعتمدون في تعليمهم على أقوال السلف فيكثر من ذكر آراء المعلمين الأقدمين، وقد اخذ عليهم يسوع المسيح تشدهم وقساوتهم وتمسكهم بالألفاظ دون المعنى . وعندما ظهر يسوع المسيح وأعلن لليهود وظيفته النبوية والكهنتية وأخذ يعلم في الهيكل ويقوم بواجبات الكاهن من شفاء الأمراض ، ثم قام بطرد الباعة من الهيكل وقلب مناخذ الصيرافة ومقاعد باعة الحمام ومنع كل من يحمل بضاعة أن يمر من داخل الهيكل ، يجد العلماء في المقابل رفض الكتبة الخضوع ليسوع المسيح واتهموه بالكذب والخداع وانه يخرج الشياطين من البشر بواسطة سيد الشياطين بعزبول، ولأنه أعلن نفسه كاهناً سماوياً أي باختيار مباشر من الله عز وجل كما اختار من قبل هارون أخي موسى فقد اخذ الكتبة والكهنة يشبعون عن يسوع انه لا يمكن أن يكون كاهناً لانه من ذرية داود (كما هو الشائع عند عامة اليهود وكما أسلفنا قبل قليل) والكهنة هم من ذرية هارون سبط لاوي كما قال الله عز وجل ، وهكذا قاوم الكتبة والكهنة كهنوت يسوع المسيح .

4-وقبل ظهور المسيح كان الكتبة يعتقدون أن المسيح المنتظر سوف يظهر من ذرية داود لانهم كانوا يفسروا نبوءة اشعيا ((وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جَدْعِ يَسَى، وَيَنْبُتُ عُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ))⁽¹⁾ ، على إن المسيح من ذرية "يسى" أبى داود أي من ذرية داود وأشاعوا بين الناس هذا الأمر، وكانوا يتوقعون أن يكون المسيح منفذاً دنيوياً سياسياً، في حين إن يسوع المسيح كان يأمرهم بدفع الجزية لقيصر ويقول: ((أدوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله))⁽²⁾، فانكر الكتبة والكهنة يسوع المسيح ورفضوا أن يذعنوا له لانه يدعوهم للتوبة وعمل البر، وليس إلى الثورة ضد قيصر واعادة مجد مملكة داود المنقرضة . وهكذا أعلن يسوع المسيح نفسه نبياً وكاهناً ، فرفض اليهود تصديقه بأنه المسيح الموعود لانه لا يدعوهم لحرب قيصر واعادة مملكة داود ، ورفضوا كونه كاهناً لانه بحسب توهمهم ليس من ذرية هارون حيث اشتهر بينهم ابن يوسف النجار من ذرية داود . وهنا أخذ يسوع المسيح يعلن للناس عن حقيقة نسبه وانه ينتمي إلى سبط لاوي وان الله عز وجل قد بعثه نبياً وكاهناً وآتاه المعجزات التي رآها الناس، ففي إنجيل متي ما نصه: ((وبينما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع :ما رأيكم في المسيح؟ابن من هو؟قالوا له:ابن داود،قال لهم:فكيف يدعو داود رباً بوحى من الروح إذ يقول:((قال الرب لربي:اجلس عن يميني حتى اجعل أعدائك تحت قدميك،فإذا كان داود يدعو رباً فكيف يكون ابنه؟فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ولاجروء أحد منذ ذلك اليوم ان يسأله عن شيء)). ورفض الكتبة كهنوت يسوع لما شاع عنه من ان يوسف النجار من ذرية داود لان الكهنة من ذرية لاوي ، ورفضوا نبوءة يسوع لانهم كانوا ينتظرون نبياً مخلصاً دنيوياً وسياسياً يعيد لهم مملكة داود ، ولأن يسوع لم يعمل أو يدعُ لاعادة مملكة داود.

(1) العهد القديم، سفر اشعيا 11-1.

(2)العهد الجديد، سفر مرقس 12، 17

وفي المقابل وجد بولس واتباعه بعد أن تبنا عقيدتهم في ألوهية يسوع اخذوا يردون على الكتبة واليهود ليثبتوا كهنوت يسوع المسيح ولكن بصيغة أخرى، حيث جعلوا من يسوع قربانا كهنوتيا بأن قَدَّم يسوع الكاهن نفسه قربانا ليفتدي المؤمنين به من الخطيئة.

وتعتبر "الرسالة إلى العبرانيين" التي كتبها بولس أو أحد تلامذته خير مصدر لفكرة كهنوت المسيح وفق العقيدة المسيحية، وبرز ما جاء فيها هو فكرته في انتقال الكهنوت من سبط لاوي إلى سبط يهوذا بحسب مزاعمه، فقال ((قلو كان بالكهنوت اللاوي كمال وقد اخذ الشعب الناموس تحته إذن أية حاجة كانت بعد أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق ولم يقل على رتبة هارون))، لأن عند تحول الكهنوت لابد من تحول الناموس، والحال أن الذي يقال هذا فيه إنما نسبه في سبط آخر لم يلزم أحد منه المذبح لانه من الواضح أن الرب، والمقصود به يسوع، خرج من يهوذا من السبط الذي لم يصفه موسى بشيء من الكهنوت، ومما يزيد الأمر وضوحا انه يقوم على مشابهة ملكي صادق كاهن آخر لا يُنصب حسب ناموس وصية جسدية بل حسب قوة حياة لا تزول، لانه يشهد أن أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكصادق⁽¹⁾، وهذا كله تمويه للواقع لان ملكي صادق، قد انتهت به مرحلة تاريخية وبدأت أخرى بظهور النبي إبراهيم لأن اللقاء بين ملكي صادق والنبي إبراهيم يرمز لبدء تلك المرحلة الجديدة تذكر التوراة إن ملكي صادق الذي كان كاهناً لله العلي قد إلتقى النبي إبراهيم⁽²⁾، وكذلك فإن يسوع المسيح وهو على رتبة ملكي صادق فإن ذلك يعني أن يسوع قد انتهت به مرحلة تاريخية أخرى وبدأت مرحلة جديدة تمثلت بظهور النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

5. ومن الأدلة الأخرى ان اليهود كانوا يعرفون حقيقة النسب، فقد افسحوا المجال للسيد المسيح ليلقي بمواعظه داخل الهيكل فيذكر العهد الجديد ((إن المسيح حضر إلى الهيكل وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم))⁽³⁾، وذكر لوقا: دخل المسيح المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ⁽⁴⁾، وما كان اليهود ليسمحوا بذلك إلا لعلمهم أن المسيح الذي تربت أمه في الهيكل بعد أن كفلها زكريا الذي ينسب بهارون، يحمل العلم الذي علموا موضعه على امتداد المسيرة.

6. ولقد كان يوحنا النبي⁽⁵⁾ كاهنا على طقوس هارون⁽⁶⁾، وبينما كان يدعو الشعب للتوبة والإيمان بالله وسلوك سبيل آل هارون، كان يعلن أمامهم أنه يمهد الطريق للمسيح ويقول ((لست المسيح، بل أنا رسول يمهد له الطريق))⁽⁷⁾، وكان الشعب قد علم من قديم، على لسان الانبياء والرسل ببشارة تقول ((ها

(1) العهد القديم، سفر المزامير 110: 4.

(2) م.ن، سفر التكوين، 14: 18.

(3) العهد الجديد، انجيل يوحنا 8: 1 - 6.

(4) م.ن انجيل لوقا 4: 16.

(5) هو النبي يحيى بن زكريا (ع)، ط: ألمسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط3، ص 175.

(6) متى هنري، تفسير انجيل متى، ج1، ص 57.

(7) العهد الجديد، انجيل يوحنا 3: 28.

العذراء تحيل وتلد ابناً⁽¹⁾ وعندما ولدت العذراء وشب ولدها يقول العهد الجديد ((جاء يسوع من الجليل إلى الأردن الى يوحنا ليتعمد منه))⁽²⁾ ولأن حبل النبوة حبل واحد ، وحلقات الأنبياء يكمل بعضها بعضا ، قال يوحنا للمسيح ((هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر))⁽³⁾، وكان المسيح (ع) آخر أنبياء الشجرة الإسرائيلية التي جعلها الله حجة على المسيرة الإسرائيلية ، وانتهت حياة نبي الله زكريا ، وابنه يوحنا نهاية دموية⁽⁴⁾.

7. لقد كانت دعوة ورسالة السيد المسيح (ع) تجري في اتجاهين، يصبان في هدف واحد:

الاتجاه الأول : وهو دعوة بني إسرائيل وتصحيح عقائدهم واتجاهاتهم وسوقهم إلى صراط الله العزيز الحميد وهو ينطلق من التوراة التي أنزلها الله على موسى (ع) .

الاتجاه الثاني : وهو التبشير بقرب ملكوت الله، فلقد كان السيد المسيح (ع) يقول لتلاميذه ((كرزوا قائلين إنه اقترب ملكوت السماوات))⁽⁵⁾.

ومعنى الملكوت الذي أشار إليه المسيح هو السلطة والحكم ، و هذا التعريف للملكوت هو قريب لمفهوم الخلافة ولقد كانت انطلاقة دعوة السيد المسيح من ينبوع دين الله في فطرة الإنسان نفسه إلى صفحة الكون الواسع العريض التي تغلبه على الوجود⁽⁶⁾ . إن الإيمان بالله أمر فطري ولا يحتاج إلى معجزة لتثبته ، فدعوته من الفطرة والى الفطرة، ويؤكد هذا المعنى أن السيد المسيح (ع) أشار إلى الفطرة وهو يتحدث عن ملكوت الله، جاء في العهد الجديد ((في تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع يسألونه : من هو الأعظم إذن في ملكوت السماوات؟ فدعا إليه بولد صغير وأوقفه وسطهم وقال الحق أقول لكم ان كنتم لا تتح... وتصيرون مثل الأولاد الصغار فلن تدخلوا ملكوت السماوات أبدا))⁽⁷⁾ . وعندما أراد منهم منهم التبشير بالقول ((أكرزوا قائلين انه اقترب ملكوت السماوات))⁽⁸⁾ يقول متى هنري ((هذا هو رأس الموضوع ويجب أن يتوسعوا في شرحه ، ليعرف الناس أن ملكوت المسيا⁽⁹⁾ يجب أن يؤسس الآن حسبما جاء في الكتب ، الأمر الذي يتطلب أنهم يجب أن يتوبوا عن خطاياهم، ويتركوها لكي يؤهلوا لامتيازات هذا الملكوت، والتوبة تتفق مع تطبيق هذا التعليم الخاص باقتراب الملكوت ، لذلك يجب أن ينتظروا وأن يسمعوا عن هذا المسيا الذي طال انتظاره أكثر مما سمعوا))⁽¹⁰⁾، والغريب ان الفكر المسيحي يدعي أن

(1) العهد القديم، سفر اشعيا 7: 14.

(2) العهد الجديد، انجيل متى 3: 13.

(3) م.ن، انجيل متى 3: 16.

(4) ظ: متى هنري، تفسير انجيل متى، ج1، ص 446.

(5) العهد الجديد، انجيل متى، 10: 7.

(6) سعيد أيوب، ابتلاءات الأمم، ص 135.

(7) العهد الجديد، انجيل متى 18: 1 - 3.

(8) م.ن ، انجيل متى 7/10.

(9) المسيا: إشارة لنبي الإسلام وللمزيد من التفاصيل راجع، السقا، د. أحمد حجازي، المسيا المنتظر نبي الإسلام.

(10) متى هنري ، تفسير انجيل متى، ج 1 ، ص 323.

الملكوت هو يسوع نفسه ، فالملكوت الموعود هو المسيح يسوع نفسه⁽¹⁾، ويستدلون على ذلك أنه عندما رفع المسيح قام الرسل بالدعوة للمسيح⁽²⁾. وهذا ما لا يقبله العقل والنقل، فالسيد المسيح لم يكن والملكوت شيء واحد، ولم يكن بملكوت المسيح السماوي، فالمسيح كان ملكاً خلال حياته على الأرض، فهو (ع) لم يتنكر لاعتراف نتنائيل بمسيانيته ((أنت ملك إسرائيل))⁽³⁾. يذكر الفكر المسيحي إن ليسوع سلطة في الأمور السياسية بدليل قول العهد الجديد ((فصعد إبليس وأراه جميع ممالك الأرض في لحظة من الزمن، وقال له: أوليك هذا السلطان... لأنه سلم الي وأنا أوليه من أشياء⁽⁴⁾، فإن سجدت لي⁽⁵⁾، يعود إليك ذلك كله))⁽⁶⁾، لكن يسوع تقلد هذا السلطان بالحقيقة من الله ، إلا أنه لا يتباهى بهذا السلطان أمام الناس ، وبينما يستغل رؤساء هذا العالم مالهم من سلطة للسيطرة على الآخرين، وقد بدأ بمظاهرة علنية عند دخوله إلى أورشليم⁽⁷⁾، وعند تركه للجموع تهتف به ملكاً لإسرائيل⁽⁸⁾، وهذه الهتافات هي التي سببت بتعجيل أمره⁽⁹⁾.

8- من خلال قراءة الأناجيل يرى الفكر المسيحي أن هدف المسيح هو إقامة ملكوت الله، ولا شك في أن هذا الملكوت كان مادي ومعنوي وروحي، فالهدف من إقامة حكم الله هو الأساس لحياة المسيح، فقد كان زعيماً للقيادة الدينية والدنيوية ، وهذه الزعامة كانت تأخذ حيزاً من وقته، والتي قام بتربية تلاميذه من بعد أن يقوموا بها، والدليل على ذلك أن تعاليمه هي بالفعل ذات أبعاد سياسية واضحة⁽¹⁰⁾.

وورد في العهد الجديد ((فلما رأى الناس الآية التي جاء بها يسوع، قالوا: حقاً، ملكاً هذا هو النبي⁽¹¹⁾ الأتي إلى العالم، وعلم يسوع أنهم يهتمون باختطافه ليقيموه ملكاً، فاتصرف وعاد وحده إلى الجبل))⁽¹²⁾ وفي هذا النص اضطراب واضح وتناقض، ولهذا يذكر بعض المفكرين المسيحيين أن في هذا

(1) الحداد، الأرشمند ، يوسف درة، تاريخ المسيحية ، أعمال الرسل، ط2، 1990، منشورات المكتبة البولسية، بيروت ، ص 237.
(2) ظ: العهد الجديد، انجيل لوقا 8 : 10، 18 : 28 - 30 ، وهم أيضا يستندون لحادثة زكا العشار الذي صعد إلى جميصة يستطيع أن يرى يسوع عابراً ، ظ: أعمال الرسل 19 : 1 - 10.

(3) العهد الجديد ، انجيل يوحنا 12 : 49، وظ: مجموعة مؤلفين، معجم اللاهوت الكتابي ، مادة ملك، ص 767.
(4) تقول الرهبانية اليسوعية في انجيل لوقا يفتخر الشيطان بأنه له (السلطان) السياسي على العالم، فيعرضه على يسوع، ظ: الرهبانية اليسوعية ، الكتاب المقدس، الألف باء والياء، انجيل لوقا 4 : 5 حاشية رقم (5).

(5) ظ: العهد الجديد، انجيل متى، 4 : 9 وما بعده.
(6) م.ن 4 : 5 - 7.

(7) مجموعة من العلماء، معجم اللاهوت الكتابي، مادة سلطة، ط5، 2004، دار المشرق، ش.م.م ، بيروت، ص 426.
(8) م.ن أنجيل لوقا 19 : 38 ، ظ: انجيل يوحنا 12 : 13.

(9) مجموعة من المؤلفين ، معجم اللاهوت الكتابي ص 768.
(10) تشير إلى ذلك القرائن التي ذكرتها الأناجيل والتي حلها المفكرين المسيحيين بالقول أنها إشارات سياسية واضحة، ينظر: الأب حلوة، عبد السلام، هل كان يسوع سياسياً، ص 51.

(11) من ميزات الآية أن تؤدي إلى تفسير لعمل يسوع وشخصيته: يرون فيه نبي الأزمنة الأخيرة كما في (سفر يوحنا 1 : 21) ذلك الذي يرسله الله تعالى إلى العالم ليتزعم حركة تحرير قومي ويقدم سلطان إسرائيل، ولذلك هموا بإعلانه ملكاً ينظر: الرهبانية اليسوعية، الكتب المقدس الألف باء والياء، سفر يوحنا 6 : 14، حاشية رقم (5)، ص 305.

(12) ظ: م.ن، حاشية رقم (6)، وظ: مجموعة من الاباء والعلماء ، فهرس الكتاب المقدس، مادة (جبل) حرف الجيم، ط 1، 2004، منشورات جمعية الكتاب المقدس ، بيروت- لبنان، ص 657.

النص بيان على إن مملكة المسيح(ع) تقتصر في السماء.

ويرد على النص الإنجيلي ما يلي:

أ- أن الناس كانوا يريدون مملكة إلهية في الأرض.

ب- أن السيد المسيح على حد تأويل هؤلاء بمعنى انه قد تهرب من تحمل مسؤولية إقامة تلك المملكة، أي إن الناس كانوا مستعدين والمسيح يرفض وبهذا نسف لفكرة (الخلافة) في الديانة المسيحية لان الخلافة تعني قيادة الأمة، فإذا وجد استعداد الأمة، فلا بد من الاستجابة لها، ولذا فان هذه الإشكالية تواجه الفكر المسيحي فأما أن يلغي هذا النص أو يؤوله تأويلاً خلاف ظاهره، أن قال هذا الفكر من مقولة الخلافة، وأما أن يتقيد بظاهر هذا النص فينكر فكرة الخلافة من أساسها.

9- ويجد الباحث ان هناك إشارات واضحة لزعامه السيد المسيح(ع) حركة الإصلاح في ذلك الوقت، ففي العهد الجديد نجده يقول: ((أدوا لقيصر ما لقيصر، والله ما لله))⁽¹⁾، وهي من الأقوال التي نسبت إلى السيد المسيح(ع) في الأناجيل ومفادها يؤدي إلى فصل الدين عن السياسة أو الدولة لأن ((مملكة المسيح ليست من هذا العالم)) كما ورد على لسان الكثير من الكتّاب المسيحيين وللإجابة على ذلك: أن المتأمل في النصوص التي حملت عبارة ((أدوا لقيصر ما لقيصر، والله ما لله)) يجد ما يلي:

أ- أن هذه العبارة وردت في لسان النص ردا على سؤال طرحه بعض خصوم المسيح من الفريسيين، والموالين لأسرة هيرودس المالكة الذين يسعون جهدهم للإيقاع بالمسيح وأنصاره من خلال الكيد والدس له⁽²⁾.

ب- إن هذه المكيدة التي لجأ إليها الفريسيون وأنصار هيرودس تحتوي على بعد سياسي مفاده ((هل يجوز دفع الجزية لقيصر أم لا))⁽³⁾، والمتأمل في الوقائع الاجتماعية وأحداثها من المسيح (ع) يجد أن هذه

(1) العهد الجديد، سفر مرقس 12، 17، وينظر: م.ن، سفر متي 22: 18 - 22.
(2) كان الفريسيون جماعة دينية تقاوم الاحتلال الروماني لفلسطين، وكان الهيرودسيون حزباً يهودياً سياسياً يؤيد هيرودس، هيرودس، والحكم الروماني ومنطقياً كان الحزبان عدوين لدودين ولكنهما اتحدا ضد المسيح، فلو قال المسيح لأجابتهم أنه يجوز إعطاء الجزية لقيصر لقال الفريسيون أنه يقاوم «الله» الملك الوحيد الذي به يعترفون، ولو قال أن لا تدفع الجزية لسلمه الهيرودسيون لهيرودس بتهمة العصيان، ولم يكن ما يحرك الفريسيون هو محبتهم لشرائع الله كما لم يكن ما يحرك الهيرودسيين محبتهم للعدالة الرومانية، ط: مجموعة من الآباء والعلماء والباحثين التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص1943، ص2026، وظ: إينوك، باول، تطور الإنجيل (المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود)، «دراسة نقدية وترجمة جديدة لأقدم الأناجيل تكشف مفاهيم مثيرة»، ترجمة أحمد بيشق، دار قتيبة، (د. ت)، ص327.
(3) عون، ميشير باسيل، مقالات لاهوتية، بيروت، المكتبة البوليسية، 1997، ص58، وظ: مجموعة من الآباء والباحثين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، حاشية تفسير إنجيل متي 22: 18 - 22، ص1943.

هذه الفكرة انبثقت مما كان يمارسه الغيوريون⁽¹⁾. ومن المعلوم أن نتيجة هذا السؤال إذا كانت بـ«لا» فستؤدي إلى إعلان العصيان المدني من المسيح وجماعته ضد الرومان، وبالتالي دخول المسيح (ع) وانصاره في مواجهة مباشرة ضد روما، ولهذا كان رد المسيح (ع) على السائل وزمرته فيما لو صحت نسبة العبارة إليه ((أدوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله)). وبعد أن فطن لريائهم، حيث قال لهم بصريح العبارة ((لماذا تحاولون إحراجي))⁽²⁾.

وهذا يعني أن جواب المسيح (ع) هو جواب المحرج حيث قال لهم ((هاتوا ديناراً لأراه، فأتوه به، فقال لهم لم الصورة وهذه الكتابة؟ قالوا: لقيصر، فقال لهم: ((أدوا لقيصر ما لقيصر، وما لله لله))، أي أن الدينار الذي عليه صورة قيصر من حيث صورته وشكله، فهو ملك للحاكم بدليل أن صورته عليه والملكية الخاصة يجب أدائها لأهلها، وما كان لله فله صورته وهيئته وشكله الخاص الذي يؤدي عليه الله فيؤدي على ما هو مأمورٌ به، وهذين الأمرين لا يفهم منها فصل الدين عن الدولة، ثم ماذا لو لم يكن على الدينار صورة قيصر، فهل كان المسيح (ع) سيقول لهم أدوه إلى قيصر، وماذا لو كان عليها صورة غير قيصر، ألم يكن ليقول ((لمن هذه الصورة وهذه الكتابة، فيقولون لفلان، فيقول (ع) ، أدوا لفلان ما لفلان، ثم إن الدينار هو مسالة اقتصادية تؤدي لقيصر ، وما لله مسالة عبادية تؤدي لله ، ولا يفهم أداء الملكية الخاصة الاقتصادية لقيصر بانها فصل الدين عن الدولة .

يتبين مما تقدم ثلاثة وجوه :

الأول: إن العبارة المنسوبة قولها للمسيح (ع) إنما قيلت في ظرف شديد الإحراج للمسيح (ع) ، حيث إن السائل يؤدي الطقوس العبادية لله، ولكنه من الناحية السياسية هو موالي للسلطة الرومانية ولا نية له للتراجع عن هذه المسالة الازدواجية في الولاء .

الثاني: إن خطابه (ع) هو خطاب الانسان الذي يرى احراجه ولهذا فجوابه يندرج في هذا الاطار .

الثالث: إن هذا الرد من المسيح (ع) لا يستنتج منه قاعدة عامة تفيد فصل الدين عن الدولة وأن النبي عيسى (ع) يخاطب بهذا الجواب الجموع المحتشدة وطبقات الأجيال الشاهد منهم والغائب بأن يفصلوا ما بين العمل الإيماني والعمل السياسي.

(1) مجموعة من الباحثين، المرشد إلى الكتاب المقدس، ص 572.

(2) العهد الجديد، سفر مرقس 12: 15.

وعليه: إن صحت نسبة هذا القول للمسيح (ع) فإن رده (ع) يندرج ضمن مواقفه الخاصة التي وردت ضمن وقائع خاصة لا يمكن استنتاج قاعدة عامة منها، على هذا فإن القيادة ليست خلافة عامة، بل زعامة دينية فقط في حدود ممارسة الطقوس والشعائر الدينية، وبذلك تبرز التناقضات التالية:

أ- التناقض بين الممارسات السياسية والقضائية للباباوات عبر العصور وبين هذه الرسائل.

ب- محاربة الكنيسة للوثنيين بشراسة في القرنين الثالث والرابع الميلادي حتى تم القضاء عليهم فيما بعد ولم يعتبر الوثنيون مفوضون من قبل الله كما في النصوص.

10- يرى المفكرون ان السيد المسيح في الكتاب والإنجيل كله هو الملك بحسبه ونسبه البشري ذاته لأنه "ابن داود" وتعبير "ابن داود" في لغة بني اسرائيل يعني "المسيح الملك" ولكن الفكر المسيحي يدعي أن ((يسوع تحفظ في حمل اسم المسيح أو مرادفه الشعبي "الملك" بسبب رواسيهما القومية والسياسية والحربية في ضمير الشعب وفي غير السلطان الروماني))⁽¹⁾ حيث يورد الفكر المسيحي بعض النصوص تؤيد فيه تقييد النصوص التي تجعل من السيد المسيح ملكا، ومن هذه النصوص ((ليست مملكتي من هذا العالم))⁽²⁾، وهذا النص لا يصلح لتقييد الكثير من النصوص والتي وردت في الأناجيل التي تبين وتصرح على أن السيد المسيح هو "المسيح الملك" ومن هذه النصوص ((سيكون عظيما ... ويوليه الرب الإله عرش أبيه داود ، ويملك على بيت يعقوب أبدأ الدهور...)) والسبب في ذلك:

أ . عدم وجود نصوص صريحة تدعو إلى وجوب تقييد مطلقات النصوص الأخرى بها، وبالتالي فليس هناك نصوص تدعو إلى حمل مطلقات النصوص وتقييدها بنص محاورة بيلاطس⁽³⁾.

ب . إن نص إعراض المسيح(ع) عن الناس وعدم موافقته لتتصبيه زعيما⁽⁴⁾ للثورة⁽⁵⁾ لها ظروفها وملابساتها الخاصة به ، ومحاورة بيلاطس لها ظروفها وملابساتها الخاصة⁽⁶⁾، فموضوع النص الأول

⁽¹⁾ ومع ذلك يجد الفكر المسيحي ان السلطات اليهودية في ذلك الوقت والتي حكمت على السيد المسيح بالإعدام لإعلانه الهيته حسب ما يدعيه الفكر المسيحي ومع طلب السلطة اليهودية اعدامه من الوالي الروماني باعتباره "المسيح الملك" وعلى هذا السبب حكم بيلاطس بتنفيذ الاعدام ، بمعنى ان السبب الرئيس هو كونه ادعى ملوكيته مع وجود حاكمية الإمبراطورية الرومانية وهذا هو ما يتعارض مع أحكام الإمبراطورية الرومانية ، ظ: الحداد ، يوسف درة، تاريخ المسيحية في الإنجيل بحسب (لوقا) ، ط2 ، 1990 ، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان، ص 125.

⁽²⁾ العهد الجديد، انجيل يوحنا 18 : 36 - 37.

⁽³⁾ وهو قول المسيح(ع) للحاكم بيلاطس((ليست مملكتي من هذا العالم))، ظ: م.ن انجيل يوحنا 18 : 36.

⁽⁴⁾ كان الناس(من بني اسرائيل) يريدون أن يكون هو عليهم ملكا،ظ: م.ن، انجيل لوقا 19 : 38 .

⁽⁵⁾ ظ: م.ن انجيل متى 21 : 5 ، وظ: العهد القديم ، سفر زكريا 9 : 6.

⁽⁶⁾ ظ: م.ن انجيل يوحنا 18 : 36.

هو إعراض المسيح (ع) عن الناس وعدم استجابته لهم، لأن الأمر الذي يريدونه ليس عن أمره وعن رغبته يصدر، بينما موضوع محاوره بيلاطس هو كون المسيح(ع) في معرض البيان للحاكم ان الملك الحقيقي ليس في هذا العالم بل في عالم آخر، وهذا يعني ان المسيح(ع) يدعو الحاكم إلى الإيمان باليوم الآخر بأسلوب الذي يفهمه الحاكم جيدا ، كما يعني أن المملكة الحقيقية لكل من آمن بالله واعتقد باليوم الآخر ليست في هذا العالم، وإنما هي من جنس عالم آخر وراء عالم المادة، لأن السلام الحقيقي يكون المستقر الحقيقي الذي ستنتهي إليه حركة الإنسان في نهاية سعيه ومشواره الطويل وهو الفوز برضوان الله وجنته التي هي المملكة الحقيقية وليس وراء ذلك الامر فوزا آخر. وعليه فموضوع محاوره بيلاطس غير موضوع إعراض المسيح(ع) عن تنصيب الناس له ملكا ، وكلا الموضوعان غير صالح لتقبيد النص((ويوليه الرب الإله عرش أبيه داود يملك على بيت يعقوب أبد الدهور)) ، بل ان محاوره بيلاطس تنتهي إلى ترسيخ مضمون أن المسيح(ع) "ملك على بيت يعقوب" لأن الحوار بين السيد المسيح(ع) والحاكم ينتهي إلى فهم الحاكم أنه (ع) يدعو إلى عقيدة تتعلق بعالم آخر قائم على أساس تصرفاته وسلوكياته التي سيقندي ويرتبط بها بقائد آخر غير قيصر هو السيد المسيح(ع) أي أن يجعل المسيح مثاله الأعلى ، وقائده ومرشده، ولهذا أجاب الحاكم ((فأنت ملك إذن))⁽¹⁾. فأجابه (ع) بصراحة قائلا: ((هو ما تقول، فأني ملك، وأنا ما ولدت وأتيت العالم إلا لأشهد للحق، فكل من كان من الحق يصغي إلى صوتي))⁽²⁾.

مما تقدم يتبين أن في هذا الختام من المحاوره بين الحاكم والسيد المسيح فيها إقرار واضح أن النبي عيسى قائد ، وأنه شاهد على كل من تبع الحق ولهذا عاد فدعى الحاكم إلى الإيمان بالحق الذي يقوله ، ولكن الحاكم أجاب بأسلوب من أخذته العزة ((وما الحق))⁽³⁾. وبيلاطس (26. 36م) هذا كان معروفا ((إنه رجل عنيف لا يراعي العادات التي يتمسك بها اليهود))⁽⁴⁾.

(1) العهد الجديد، انجيل لوقا 1: 26 وما بعدها.

(2) م.ن ، يذكر أينوك باول وفي معرض بيان ما تعطيه النصوص الإنجيلية من كاتبها تبين أن هناك أسلوب مجازي تشترك فيه جميع أقسام المتن الأصلي لذا فإن تفسير ملكوت السماء على الارض يتعارض مع الامبراطورية الرومانية كان قد أقصي بعناية عن الثورة اليهودية كما في انجيل متى 24: 27 وترك ليملك في اغفال ميهم ما بين الخلود الفردي ونظام عالمي جديد، حيث أن عرش قيصر لم يكن مهددا باستبداله بعرش الرب، لذا جاء تجريم اليهود بقضية الصلب ملقاة في عنق اليهود أنفسهم وعدم تحميل روما دم المسيح لكونها ستضحى لاحقا عقر دار المسيحية ،كل ذلك كان من وضع مؤلف الإنجيل. تطوّر الإنجيل "المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود ""، باول اينوك، ترجمة أحمد بيش ، ط1424، 1 هـ - 2003 م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ص 69 - 73.

(3) م.ن.

(4) مجموعة مؤلفين، المرشد إلى الكتاب المقدس، بيروت، 1996 ، ص 572.

وبالتالي دخول المسيح(ع) وأنصاره في مواجهة مباشرة ضد روما، وهذا السلوك العملي من المسيح(ع) فيه تأييد وشرعنة لعمل الغيورين مما يعني وقوف المسيح وجماعته ضد السلطة الرومانية، وهذا لو تم سيؤدي إلى احراج الدعوة الجديدة وسيمكن خصوم المسيح من فتح الباب واسعا أمامهم لإجهاض الدعوة الجديدة خصوصا وان الكثير من قوى الاستقطاب اليهودي تعارض هذه الدعوة أشد المعارضة في الوقت الذي لم تترسخ فيه تعاليم المسيح الجديدة في نفوس الناس بعد ، نتيجة الكيد والدس والافتراء الذي تمارسه الجماعات اليهودية في وجه دعوة المسيح ، مما سيوحد الكثير من الأبواب أمام هذه الدعوة.

وربما أراد المسيح(ع) بأسلوب غير مباشر الإيحاء إلى جماعة الغيورين بأن ما يقومون به هو خاطئ من حيث أسلوب العمل كما أن هناك احتمال آخر يتمثل في أن السائل هو من أنصار السلطة ، ويريد استغلال العداء المستحكم بين السلطة الحاكمة والغيورين الذين يجاهرون بعدائهم لقيصر بمعية الكثير من الشهود الذين أحضرهم معه، ولهذا كان رد المسيح(ع) على السائل وزمرته قيما لو صحت نسبة العبارة إليه ((أدوا لقيصر ما لقيصر وما لله لله))، بعد أن فطن لريائهم.

11. وهناك أدلة نقلية أخرى من خلال النصوص الإنجيلية والتي تفيد بأن السيد المسيح كان يتمتع بجانب قيادي أدرج ضمن القيادات النبوية التي جسدت القيادة الإلهية يقول العهد الجديد ((أنا الراعي الصالح أعرف خرافي، وخرافي تعرفني ،وأبذل نفسي في سبيل خرافي،ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة فتلك أيضا لا بد لي أن أقودها، وستصغي إلى صوتي فتكون هناك رعية واحدة وراع واحد))⁽¹⁾. مما تقدم يتبين أن السيد المسيح هو نبي مرسل من عند الله ليعمل على توحيد بني اسرائيل تحت قيادته ، وهي ليست اسماء للسيد المسيح كما زعم البعض ، بل القاب لاحقة لذات المسيح(عليه السلام) باعتبار ما تلبس به من مقامات وما صدر عنه من أفعال.

ثانيا: الأدلة العقلية على خلافة وزعامة السيد المسيح(عليه السلام) :

ومن الأدلة على خلافة السيد المسيح(عليه السلام) وزعامته هناك أدلة عقلية ومنها :

1. نظرية السمات : وهي صفات وملامح تتحقق في شخصية من الشخصيات.

وهذه الصفات والملامح عند مقارنتها بما ورد في المسيح عيسى بن مريم من نصوص بعض الباحثين أن هذه النظرية "نظرية السمات" في أكثر جوانبها تشابه ملامح وصفات تحققت في النبي موسى(ع) ويوشع ، وداود ، وسليمان في أعلى درجاتها وذلك من خلال الآتي:

(1) العهد الجديد، انجيل يوحنا 10: 14 - 16.

أ . الخصائص الجسدية فمن خلال حركة ونشاط السيد المسيح (ع) كان وافر النشاط والتبليغ الذي اقتضى منه الطواف المستمر في المدن والقرى ، ودخول مجامع الكنائس والهيكل للتبشير بالشرعية الجديدة وكان يتمتع بسلامة البدن إلى أقصى الحدود.

ب - الخصائص العقلية :كان السيد المسيح الأكثر نكاء وإدراكا وتفكيراً والأثرى معرفة وأحسن تصرفاً وأنفذ بصيرة ، والأقدر على مواجهة مفاجآت الرهبان ، وأحبار اليهود، وأكثر وعياً للأحداث من حواريه والأقدر على الحكم الصحيح والتفكير الموضوعي ، واتخاذ القرار السليم واتصافه بالطلاقة اللفظية ، والقدرة على التفكير والخطابة ، وصياغة الجمل وبنائها كما هو المشهور عنه.

ج . كان السيد المسيح معتمداً على نفسه متوكلاً على ربه بتحمل مشاق التبليغ، ولديه مكانة رسالية مرموقة وقدرة على تحقيق التعاون وتكون العلاقات وكسب الود والاحترام والشعور بأحاسيس الناس ومشاكلهم مع التركيز على المصلحة النوعية والبساطة في العيش ، والقدرة على رفع المعنويات وجمع الناس حول شخصيته وحول الأهداف التي يناهض بها، مع القدرة على السيطرة والتأثير بالآخرين بفضل ما وهبه الله من قدرة صنع المعجزة⁽¹⁾.

د . السمات العامة : حيث كان السيد المسيح يتمتع بخلق رفيع وسمات طيبة، فهو منبع التمسك بالقيم الروحية، والإنسانية والمعايير الاجتماعية الصحيحة التي تتوافق مع مبادئ شريعته ما لم يأت ناسخ لها ، مع التواضع ، والأمانة في الأداء ، وحب الغير والثبات خصوصاً أمام الحاكم الظالم وأمام الجموع اليهودية التي احتشدت لصلبه كما في محاوره بيلاطس ، كما اتصف بالنضج الانفعالي وقوة الإرادة ، والقدرة على ضبط النفس⁽²⁾ . مما تقدم تتوضح سمات القيادة بأبهى صورها عند السيد المسيح حيث جمع صفات القيادة وخصائصها الاجتماعية النفسية و العقلية والبدنية ..

2 - اختياره لتلاميذه (الخلفاء): ورد في العهد الجديد ((ولما طلع الصباح دعا تلاميذه

، وأختار منهم اثني عشر سماهم رسلاً))⁽³⁾، حيث ((بشير لوقا إلى أن الاثني عشر تم اختيارهم من بين التلاميذ، وأنهم تلقوا اسم رسل، وهذا اللقب يدل على الذين أرسلهم يسوع ليحملوا رسالته الخلاصية))⁽⁴⁾، وقد دأب اليهود منذ عهد اشعيا على دعوة ((من حمل منشور زعيم من الزعماء رسولا))⁽⁵⁾ . والرسول في سفر الأعمال هو ((احد الاثني عشر الذين انتقاهم السيد المخلص فتبعوه منذ اعتماده حتى صلبه... وأطلق هذا

(1) علي بو سليمان ، نظرية القيادة في المسيحية، ص 80.

(2) شفيق، محمد، العلوم السلوكية ، ط1، الاسكندرية، مكتب الجامعي الحديث، 1999، ص 97 - 98 .

(3) العهد الجديد، انجيل لوقا 6: 13 ..

(4) مجموعة مؤلفين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، حاشية سفر لوقا 6: 13 ..

(5) رستم . د . اسعد ، كنيسة مدينة انطاكية العظمى، بيروت ، المكتبة البولسية 1988، ص 36 - 37.

اللقب على غير الرسل الاثنى عشر⁽¹⁾). والتلاميذ على ما يظهر من أسفار العهد الجديد هم الذين اختارهم المسيح (ع) كفريق عمل، للتبشير بالدعوة الجديدة، جاء في النص ((واجتمع الرسل عند يسوع وأخبروه بجميع ما عملوا وعلموا))⁽²⁾.

لقد كان السيد المسيح(ع) قد أعدّ تلاميذه إعدادا يتلائم وخطورة المرحلة التي يمر بها المجتمع انذاك ،لذا كان على البحث ان يبين حالة الاعداد من قبله (ع) بالنسبة لرسله.

اعداد السيد المسيح لخلفائه ”الرسل”

لقد اعطى السيد المسيح(ع) من وقته الكثير ليعدّ من يخلفه لهذه المهمة من بعده،وذلك من خلال سياحته معهم ، وافعاله واقواله لهم ،لذا فان كيفية الاعداد كانت قد مرت كالتالي:

اولا: كان السيد المسيح قد حدد لخلفائه الاثنى عشر بعض اساليب العمل وكان يزودهم بالتوجيهات اللازمة في عملية التبشير ،يقول العهد الجديد((ها أنذا أرسلكم كالخراف بين الذئاب ،فكونوا كالحيات حاذقين وكالحمام ساذجين،واحذروا الناس فيسلمونكم إلى المجالس ويجلدونكم في مجامعهم،وتساقون إلى الحكام،والملوك من أجلي لتشهدوا لديهم ولدى الوثنيين،فلا يهمنكم حين يسلمونكم كيف تتكلمون،أو ماذا تقولون...))⁽³⁾.

يتضح من هذه النصوص أن هناك توجيه وإرشادات من المسيح(ع)لخلفائه وهي كالاتي:

1- إتباع أسلوب الحكمة.

2. تحذير النبي عيسى لرسله من مجامع الكنيس اليهودية.

3 . تحذيره لهم من الوهن أمام الحكام والملوك والمبادرة إلى نشر التعاليم الدينية، وفي هذه النقطة إشارة تتضمن توجيه سياسي للخلفاء الرسل،فالذي((يثبت في النهاية فذاك الذي يخلص وإذا طاردوكم من مدينة فاهربوا إلى غيرها ..ولا تخافوهم إذا فما من مستور إلا سيكشف،ولا من مكنون إلا سيعلم...لا تخافوا الذين يقتلون الجسد، ولا يستطيعون قتل النفس، بل خافوا الذي يقدر على أن يهلك النفس والجسد جميعا في جهنم... من شهد لي امام الناس اشهد له...في السماوات، ومن أ نكرني أمام الناس أنكره...في السماوات))⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ م.ن، ص 36.

⁽²⁾ العهد الجديد، انجيل مرقس 6: 30.

⁽³⁾ العهد الجديد، انجيل مرقس 6: 30.

⁽⁴⁾ م.ن، انجيل متى 15 : 16 - 22 ،انجيل مرقس 13 : 9 - 13 .

4 . تحذير السيد المسيح (ع) للرسل من الوهن أمام رفض الناس والتأكيد على الإصرار في التبشير الديني في كل المدن والقرى، ولجميع الطبقات الاجتماعية على حد سواء.

ثانياً: إن السيد المسيح عمد إلى أن يتبع أساليب عدة لتهيئة الخلفاء الرسل ومنها:

1. الابتعاد عن العنف.

2. عمد إلى أسلوب الطواف في المدن والقرى للتبشير بدعوته الجديدة ولم يخضع هذه الدعوة لمراكز القوى والاستقطاب المحلية والسلطوية .

3- أوكل لخلفائه مهام مختلفة فكان يرسلهم إلى القرى والمدن النائية للتبشير وكان يزودهم بتعاليم الدعوة الجديدة والتوجيهات اللازمة لدعوة الناس في مراكز القوى المختلفة.

4. كان (ع) يتابع أعمال الرسل والنتائج التي توصلوا إليها بحيث ((يقدمون له عرضاً عن مهامهم))⁽¹⁾.

5. نص السيد المسيح (ع) على خليفته بطرس الذي جعله رأس رسله وهامتهم، وأوصى بطاعته والعمل تحت إمرته ليكمل بطرس ما بدأ به المسيح⁽²⁾، ((وما تحله يكون محلولا في السماء...))⁽³⁾.

مما تقدم يتبين أن السيد المسيح كان خليفة للنبي موسى باعتباره آخر عظماء الكهنة من ذرية هارون (ع)، وإن السيد المسيح وللحفاظ على رسالته اختار خلفاء له من بعده، ويسميهم الفكر المسيحي رسلا. "التلاميذ". وبعد أن بين الباحث أن القيادة كانت متوفرة للسيد المسيح لذا كان لابد على الباحث أن يبين خلافة السيد المسيح من بعد قيامته ويبين خلفاءه الذين أعدمهم للقيام بأعباء الخلافة .

خلافة السيد المسيح: بين الباحث فيما تقدم على أن مفهوم الخلافة قد تبين في خلافة وزعامة

السيد المسيح في دعوته ورسالته لبني اسرائيل ، ولهذا فإن الباحث لابد له من أن يبين مفهوم الخلافة لما بعد السيد المسيح، بصفته نبي مرسل من عند الله، كما هو المعتاد في الرسالة الموسوية التي سبقت رسالته عليه السلام، لذا كان على الباحث أن يبين مفهوم الخلافة من خلال الرسل والتابعين لهم وخلفائهم من بعدهم متسلسلين إلى هذا الوقت والخوض في هذا المطلب كان على الباحث أن يبين أن الفكر المسيحي⁽⁴⁾ قد انقسمت فيه الرؤى حول استخلاف السيد المسيح كما هو الحال في عقيدة التوحيد والنبوة، لذا فإن مفهوم الخلافة ينقسم على تعريفين حسب رؤية الذين رأوا بأن السيد المسيح (ع) هو بشر وهو نبي

(1) ظ: العهد القديم، سفر لوقا 12: 11 - 12.

(2) ظ: انجيل متى 16: 13 - 21 ، ظ: علي بو سليمان ، نظرية القيادة في المسيحية ، ص 94.

(3) م.ن.

(4) الديانة المسيحية لم تكن تسمى بهذا الاسم في بداية نشأتها ، حيث كانت في أول نشوئها تسمى بالديانة النصرانية عقوداً، حتى جاء بولس الرسول، فتغيرت التسمية باتباع المسيح ثم بالمسيحيين، وللمزيد من التعريف لمصطلح النصرانية والمسيحية ظ: جاكين هايم، بولس وتحريف المسيحية، ص 204، ظ: شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص 5- 15.

أرسل من قبل الله ، وهؤلاء يسمون بالموحدين وفريق آخر يعتبرون بأن السيد المسيح هو ابن الله وبالتالي فإنهم يعتقدون بألوهيته ويسمون بالمثلثين.

أولاً: القائلون بالتوحيد: وهم الموحدون الذين يرون أن عيسى عبد الله⁽¹⁾ اصطفاه الله تعالى بالرسالة والنبوة⁽²⁾ ، وبالتالي فإن الله قد استخلف على هذه الأرض ومن ثم فإن له خلفاء من بعده للحفاظ على رسالة السيد المسيح، وديمومتها .

ثانياً: القائلون بالتثليث: وهم الذين قالوا ان السيد المسيح هو ابن الله الوحيد⁽³⁾ ، المولود من الأب قبل كل الدهور، إله من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر⁽⁴⁾ .

أولاً: الموحدون: وهم الذين يرون أن عيسى (ع) عبد الله وانه بشر اصطفاه الله تعالى بالرسالة والنبوة ، وبالتالي فإن الله قد استخلفه على هذه الأرض، وكان له خلفاء من بعده يحافظون على الرسالة التي أنزلت إليه ، وهناك عدة فرق موحدة امتدت عبر التاريخ من رسالة المسيح ولزماننا هذا، لقد قلب المحققون صفحات التاريخ القديم والجديد، وهم يبحثون عن عقيدة التوحيد وتاريخها خلال عشرين قرناً من الصراع مع وثنية بولس فوجدوا أن التوحيد كان في الديانة النصرانية قبل مجمع نيقية⁽⁵⁾، وهؤلاء الموحدون لهم فرقهم ومنها:

1. التلاميذ الاثني عشر وانصارهم . يبين الكاردينال دانيلو أن في العهود المسيحية الأولى كانت

هناك مجموعة التلاميذ الصغيرة التي بقيت بعد المسيح والتي كونت جماعة قريبة من السيد المسيح ، ويذكر الكاردينال دانيلو النصوص اليهودية المسيحية التي تعرض نظرة هذه الجماعة إلى السيد المسيح⁽⁶⁾، وهذه النصوص هي "إنجيل العبرانيين" وهو الذي يعود إلى جماعة يهودية

(1) الحداد، يوسف درة، القرآن دعوة نصرانية، المكتبة البولسية، بيروت، 1986 ، ط2 ، ص 82 ، نقلاً عن سايبوس ،تاريخ الكنيسة ، ترجمة مرتضى داود ، ط3، 1998 ، منشورات مكتبة المحبة ، القاهرة.

(2) لقد كان المجتمع في ذلك الوقت منقسم الى من يؤمن بأن المسيح نبي وقسم يؤمن أنه ابن الله، وأثرت ألوهيته بشكل عقيدة رسمية في القرن الرابع الميلادي في مجمع نيقية عام 325 ، ط: شارل، جينبير، المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة د. عبد الحلیم محمود ، المكتبة العصرية ، صيدا، لبنان، وط: الخوري اسقف باشا، أضواء على المجامع الكنسية ، ص23.

(3) ان هذا الراي تبناه مجمع نيقية الذي اجتمع بناءً على طلب الامبراطور قسطنطين عام 325 للرد على آراء أريوس في وحدانية الله وانسانية المسيح ، وسيبين الباحث في الطلب الرابع من هذا المبحث دور هذا المجمع ، وبقيّة المجامع الاخرى التي انعقدت في قضية لاهوت المسيح وناسوته كما هو المعتقد المسيحي والذي اختلفت فيه الرؤى عند طوائفهم ، ط: الخوري اسقف باشا، أضواء على المجامع الكنسية ، ص23.

(4) بهذه الكلمات يبدأ القسم الثاني من قانون الإيمان الذي يعلن بالإيمان بان الله يسوع المسيح: الأب سليم بسترس ، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ((الفكر المسيحي بين الامس واليوم) ، ط3 ، 1999، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان، ج1 ، ص 131.

(5) السقار، منقذ بن محمود ، مقال بعنوان الله جل لجلاله واحد أم ثلاثة ، مقتبس من شبكة المعلومات ، الإنترنت ، موقع:

<http://www.ebnmaryam.com>

(6) ط: بوكاي ، موريس دراسة الكتب المقدسة في وء المعارف ، ص 71..

مسيحية، وكذلك (مؤثرات اكلمنضس)⁽¹⁾، و (التحقيقات الاكليمنضية) و (إنجيل توما) وهؤلاء من الموحدين الذين جعلوا السيد المسيح بشر ونبي.

2 - **الفرقة الأبيونية** ومن بين الموحدين أيضا هناك الفرقة الأبيونية، وهذه الطائفة تندرج تحت عنوان اليهودية النصرانية "جماعة الابيونيين" ويعتبرون السيد المسيح مجرد إنسان عادي بلغ إلى مرتبة الصلاح بفضل تنامي شخصيته وهذه الجماعة لم تكن تؤمن بالخلص بواسطة المسيح وحده أو الاقتداء به⁽²⁾، ويؤمنون بأن السيد المسيح ولد من عذراء والروح القدس، ولم يؤمنوا بأن له وجودا سابقا وهو بالتالي ليس إليها، وليس هو الكلمة والحكمة وقدمسكوا بحرفية الشريعة ويرفضون رسائل بولس، ويعتبرونه مرتدا عن الشريعة، والإنجيل الذي يعتمدونه هو (إنجيل العبرانيين)⁽³⁾ يراعون السبت وبقية الطقوس اليهودية لكنهم يختلفون بقيامه السيد المسيح من بين الأموات⁽⁴⁾، ويورد بعض المفكرين المسيحيين أن هناك إشارة إشارة لموقف تعاليم الابيونيين وهؤلاء لم يعترفوا بالمشأ الإلهي للمسيح، وهو أحد أهم نقاط الخلاف بين هذه المجموعة والمسيحية الأرثوذكسية التي قامت بعده⁽⁵⁾، وحسب يوسابيوس القيصري فإن الإبيونيين عدوا يسوع إنسانا فقيرا عاديا نال الاعتراف به صديقا تقيا، وقد اعتبروا بولس مرتدا⁽⁶⁾. وقد ظهرت هذه الفرق في القرن الأول الميلادي وقد نشطت بعد عام 70م⁽⁷⁾ لذا فقد كان بولس على صدام واضح معهم⁽⁸⁾. ويذكر المسيحيون ان الابيونيين هم فئة يهودية تنصرت ورأوا في المسيح نبيا عظيما من الأنبياء لا يعترفون ببنوته أو ألوهيته بل يقولون انه رجل كسائر الرجال جاءه الوحي بعد معموديته على يد يوحنا وانه المبدأ الأزلي دخل يسوع وقت عماده وفارقه وقت استشهاده تقوم رسالته على التعليم والتبشير دون العزاء و الخلاص⁽⁹⁾. ويعتقد الفكر الديني المسيحي أن الأبيونيين هم خلفاء الأخوة الكذبة⁽¹⁾، فالعهد

-
- (1) شبكة المعلومات (الانترنت) مقال بعنوان محمد يعتنق العقيدة - الأبيونية، عزت اندراوس مقتبس من موقع موسوعة تاريخ أقباط مصر.. <http://www.coptichistory.org>.
- (2) فياض ومنصوري، النصارى (د. ط) 1998، منشورات دار أسامة، دمشق، ص 31..
- (3) ظ: شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع موسوعة تاريخ أقباط مصر، بعنوان: محمد يعتنق الأبيونية، بقلم عزت اندراوس. <http://www.coptic.history.org>.
- (4) ظ: م.ن.
- (5) أس. سفنساكيا، المسيحيون الأوائ والإمبراطورية الرومانية (خفايا)، ترجمة د. حسان ميخائيل اسحاق، ط2، 2007، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ص 93 - 95.
- (6) يوساسي القيصري (ت240م)، تاريخ الكنيسة، الكتاب الثالث، ترجمة القمص مرقس داود، ط3، 1998، مكتبة المحبة، القاهرة، ص 97.
- (7) وللمزيد من التعرف على هذه الطائفة ينظر: عزت اندراس، موسوعة تاريخ أقباط مصر (history copitic)، مقالة مقالة بعنوان: م حمد يعتنق العقيدة الأبيونية، مقتبس من شبكة المعلومات الانترنت، موقع: <http://www.coptichistory.org/new-page-34.htm> نقلا عن جواد علي تاريخ العرب قبالا لإسلام، وينظر: أحمد عمران، الحقيقة الصعبة في الميزان، ط1، 1415هـ - 1995م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ينظر الانبا انريغوريس، علم اللاهوت المقارن، ص 33، مقتبس من شبكة الانترنت، موقع <http://www.coptichistory.org/new-page-34.htm>
- (8) يوساسي القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة مرقس داود، ك 3، مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة، أحمد بهي الدين الخربوطلي، ك 3، فص 27، فقرة 156.
- (9) عزت اندراوس، موسوعة تاريخ مصر، مقالة بعنوان محمد يعتنق العقيدة الابيونية، مقتبس من شبكة المعلومات، الانترنت: موقع: <http://www.coptichistory.org/new-page-34.htm> نقلا عن موسى الحريري، قس ونبي

الجديد يقول ((لكن بسبب الأخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسا ، ليتحسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا))⁽²⁾، وفي نص آخر من العهد الجديد ((لأنني أولا حين تجتمعون في الكنيسة أسمع أن بينكم انشقاقا وأصدق التصديق ، لأنه لا بد أن يكون بينكم بدع أيضا ليكون المزكون ظاهرين بينكم))⁽³⁾. والأخوة الكذبة هم اليهود الذين يريدون أن يمارسوا شريعة موسى الحرفية في المسيحية ، وقاوموا بولس وألقوا الكنيسة بذكر العهد الجديد ((انحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الأخوة أنه ان تختنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا))⁽⁴⁾. والايونيون ((يقبلون بإنجيل متى ويسمونه بالإنجيل بحسب العبرانيين وهو نفسه انجيل متى الآرامي))⁽⁵⁾، ويذكر القمص ميخائيل جرجيس ميخائيل في مذكرات تاريخ الكنيسة المسيحية أن الأبيونيين كانوا ((موجودين بمبادئهم منذ عصر الرسل ولا شك إنهم خلفاء أولئك الأخوة الكذبة))⁽⁶⁾ ويذكر البابا كيرلس السادس أن الأبيونيين والذين هم أصلا من اليهود المتصرين المتطرفين ، أنهم كانوا يعتبرون رسل الختان هم خلفاء السيد المسيح فقد كانوا يمجدهم ويعتبرون أن على مقدمة الرسل ورئيسهم (هامة الرسل) هو بطرس ويذكر البابا أن هذا ما ذكره في الاكلمنضيات⁽⁷⁾، ويستدل على أن هؤلاء (الفرقة الأيونية تعترف بخلافة السيد المسيح)⁽⁸⁾ لبطرس هي أن الفكر المسيحي في القرن الأول قد اقتبس من قمران التنظيم الكنسي فهو يعتبرها القدوة الحسنة له في التنظيم الداخلي للكنيسة⁽⁹⁾.

3 . الأريوسية : وينسب هذا المذهب إلى أريوس الليبي ، وكان مسؤولا عن احدى كنائس الإسكندرية ، وهي كنيسة يوكاليس ، وكان يرفض إلهية المسيح فكان أن استشهد دون عقيدته التي تناقض تعاليم القديس بولس⁽¹⁰⁾. وتتص عقيدة التوحيد النصراني التي تبناها أريوس على أن الله واحد فرد غير مولود ، لا يشاركه شيء في ذاته فكل ما كان خارجا عن الله الأحد انما هو مخلوق من لا شيء

، ص 21 ، وط: دائرة المعارف الكتابية ، ج 1 ، ص 55، وينظر: موسوعة تاريخ أقباط مصر، نقلا عن pg.76cj.Daniellen, Theologie du judeo-christianisme

(1) م.ن .

(2) العهد الجديد، الرسالة إلى أهل غلاطية 2: 4.

(3) م.ن الرسالة إلى أهل غلاطية 2: 4.

(4) م.ن سفر أعمال الرسل 15: 1.

(5) الحريري ،موسى ، قس ونبى ، مقتبس من موقع موسوعة تاريخ أقباط مصر. وللتعرف على فرقة الأيونية راجع حفني، عبد المنعم، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، ط 1 ، 1410 هـ - 1980م، ص 43، والذي يذكر بأن هؤلاء قبلوا السيد المسيح بمعنى (المهدي المنتظر)، وراجع، د. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، 1978م، دار العلم للملايين ، بيروت، ج 6، ص 635. وط: الحداد يوسف ، درة ، فلسفة المسيحية ، الرسائل الكلامية ، ط2، 2005 ، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان، ص 210.

(6) القمص ميخائيل جرجيس ميخائيل ، مذكرات في تاريخ الكنيسة المسيحية ، مقتبس من موقع:

<http://sti-tak la.org>.

(7) ط: شبكة المعلومات، الأنترنت، مقتبس من موقع <http://www.popekirillos>.

(8) ط: أهمية الخلافة من الفصل الأول من هذه الرسالة.

(9) ط: الحداد، يوسف درة، فلسفة المسيحية (الرسائل الكلامية الصوفية في عصر الرسل)، ص 426

(10) ط: الرحيم، محمد عطاء ، عيسى نبي الإسلام، ترجمة فهيمي شما، دمشق، 1990، ص 128 و 129، ط: السواح، فراس، الرحمن والشيطان، دمشق ، 2000، ص 207، وللمزيد من التعرف على مذهب أريوس، راجع غردييه، وقتواتي، فلسفة الفكر الديني، ترجمة، د. صبحي الصالح ، والاب د. فريد جبر ط 1979، 2، دار العلم للملايين ، بيروت.

وإرادة الله ومشيتته والعلاقة بينه وبين الله هي ليست علاقة مساواة أو مشاركة في ذات الطبيعة الالهية ،على هذا فالمسيح (ع) الكلمة ليس أزليا ولكن مخلوق خاضع لله، وان المسيح ليس أزلي وقد جاء في وقت لم يكن المسيح فيه موجود وهو قد خرج من العدم مثل باقي خلائق الله وبحسب قصد الله ومشيتته ، وان للمسيح معرفة محدودة ولا يستطيع أن يعلن الله بصورة كاملة وواضحة ، وهذا يعني ان المسيح ضمن هذا التعريف ،بشر مخلوق. ولم يكن أريوس بدعا في هذا التوجه الذي يصرّ على بشرية المسيح ، فقد سبقه إلى ذلك بطريرك إنطاكية بولس السميصاتي⁽¹⁾ ولقيت هذه العقيدة أنصارا كثيرين في الاسكندرية لدى لدى أوساط الطبقات الدنيا وخارجها ،دين الأساقفة ورجال الكنيسة كان منهم اسبوس القيصري (فلسطين) مؤرخ الكنيسة الشهير واوسيبوس النيقوميدي من انطاكية⁽²⁾ والسبب في إسهام الأباطرة في نشر هذه العقيدة يرجع إلى أن فكرة أريوس عن الإله العلي تلقى قبولا عندهم إذ هم يميلون إلى التواجد مع هذا الإله أكثر من ميلهم إلى التواجد مع إله ضعيف سلمي⁽³⁾ ،ولقد عقد مجمع نيقية عام 325 للرد على آراء أريوس في وحدانية الله ، وانسانية السيد المسيح (ع).

مما تقدم تبين أن هذه الطائفة لها وجود حقيقي سواء في بداية نشوء الكنيسة،أو فيما بعد،لذا فان هؤلاء يعتقدون ببشرية السيد المسيح، وبالتالي فهم يعتقدون بنبوته ومن ثم فإنه قام بإعداد خلفاء له من بعده وهم الالثنى عشرمن تلامذته أما اعتقادات الموحدين ببشرية المسيح ونبوته فقد تناولها الفكر المسيحي بشكل مستفيض.

الموحدون واعتقادهم ببشرية المسيح ونبوته:

إن المنتبع لإسفار العهد الجديد بشكل دقيق يلاحظ أنها تتنادي بعكس ما يقوله المثلاثين، وتثبت بأن المسيح إنسان مرسل من قبل الله إلى بني إسرائيل يذكرهم بشريعة آبائهم وهذا ما قاله السيد المسيح صريحا كما ينقل عنه((،هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنك الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته))⁽⁴⁾ ،ويتصریح المسيح أيضا بأنه جاء ليكمل الشريعة حيث قال ((لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل))⁽⁵⁾ .

والذي ينتبع التاريخ في القرنين الأولين من ميلاد المسيح يجد أن الاعتقاد بإله واحد لا شريك له هو اساس الديانة النصرانية،وان المسيح هو نبي مرسل إلى بني اسرائيل⁽⁶⁾،وقد رفض بعضهم فكرة التجسيد

(1) عيسى يبشر بالإسلام ، ص 128 ، ظ: فلسفة الفكر الديني، ص 286 .

(2) ج. لورتس ، تاريخ الكنيسة (الفرنسية) باريس 1955 ، ص 67 ،وظ: خياطة ،نهاده الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام ،ط2، 2004 ،دار الأوائل ،دمشق، ص83.

(3) م. ن .

(4) العهد الجديد ، انجيل يوحنا 17: 3 ، وظ: رسالة بولس الى اهل تيموثاوس 2: 5

(5) م. ن ،انجيل متى 5: 17

(6) ظ: رستم ،د.اسد ،كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ،بيروت ،المكتبة البوليسية ، 1988 .

أو الوهية المسيح مما أوجب تفكيك أمر الكنيسة الجامعة الواحدة وجعلها كنائس متفرقة تكفر أحدها الأخرى ، لذا اعتبرهم بعض المسيحيين هراطقة. " أي خارجين على جماعة المؤمنين "ولذلك تعددت الفرق والمذاهب المسيحية ومن أجل وضع حلول لتلك الاختلافات عقدت المجامع المسكونية، أولها مجمع نيقية، سنة 325 وأخرها المجمع الفاتيكاني الثاني في سنة 1962 ، وكل مجمع خرج بعقائد وقوانين رفضها البعض ،وقبلها البعض الآخر ، وعلى أثر ذلك الرفض والقبول انقسمت الكنيسة الواحدة إلى كنائس وجماعات متعددة⁽¹⁾، والموحدون المسيحيون الذين حوربوا بعد مجمع خلقدونية في القرن الخامس عام 451 ،وشنت عليهم حربا ضارية ، قد انحسروا ،واقصر وجودهم بأطراف الولايات البيزنطية في كليسيا وسورية وبعض تخوم فارس،والعجيب أن يضحى هؤلاء أغرابا في أوطانهم في حين تعود الديانة المسيحية إلى الشرق بنسختيها الأوربيتين المعدلتين (الشرقية والغربية) فتسيطر هاتان النسختان وتصبحان الشكل الرسمي الوحيد لهذه الديانة من الشرق على حد سواء⁽²⁾.

ولقد أثبتت التواريخ المدونة والوثائق المكتوبة أنه وجدت ولاتزال أعداد من المسيحيين الذين أنكروا تأليه المسيح(ع) ورفضوا عقيدة التجسيد ، والتثليث ، ولقد ذكرت المصادر التاريخية المسيحية المختصة بتاريخ الكنيسة أسماء عدة فرق في القرون المسيحية الثلاثة الأولى، كان تنكر التثليث والتجسيد وتأليه المسيح وهي فرقة الابيونيين، وفرقة الكارينشايين، وفرقة الباسيليديين، وفرقة الكاربوقراطيين، وفرقة الهيبتاريين، وفرقه الغنوصيين،⁽³⁾ وهناك أشهر الشخصيات المسيحية التوحيد في التاريخ التي تذكرها تلك المصادر فهي : بولس السمسياطي ، والأسقف لوقيانوس الإنطاكي (أستاذ آريوس) وديودروس ، أسقف طرطوس ، يوسيبويوس النيوميدي، أسقف بيروت⁽⁴⁾.

ولنظرية آريوس والقائل بأن المساواة بدعة ، اخرج الفكر المسيحي لأن القول بنظرية آريوس سوف تتهار ،والسبب لأن عقيدة الفداء أو الخلاص الذي يقوم عليه صرح البناء المسيحي والذي لا يقوم إلا على أساس أن المسيح إذا كان حقيقة قد أتى بالخلاص وجاء فاديا فليس ذلك لان في يده الأمر وليس إلا لأن ذلك ملكه ومن حقوقه انما حق . وهؤلاء الموحدون لهم رأي في قضية الخلافة (خلافة السيد المسيح) كان على الباحث أن يبين ماهيتها.

(1) شارل جينبير ، المسيحية، نشأتها، وتطورها، ص 35.
(2) باول، اينوك، تطور الإنجيل (المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود) ،ترجمة أحمد بييش ، ط1، 1424 هـ - 2003 م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 33.
(3) باول اينوك ، تطور الإنجيل ، ص 43.
(4) ظ: م.ن.

الموحدون ورايهم في الخلافة: وقبل الخوض حول رأي الموحدين ،يجد الباحث ان أتباع المسيح

الأوائل كانوا يسمون بالنصارى،وهو أول اسم أطلق عليهم بشهادة الكتاب المقدس⁽¹⁾،لكن ابينانوس"315 - 403" يؤكد أنهم اتخذوا أولا اسم العيسويين قبل أن يسموا نصارى،وانه ربما جاء من اسم يسوع وبعد اشتقاق الكنيسة المسيحية أطلق اسم نصارى على الطائفة اليهودية المسيحية في فلسطين(أي أتباع بطرس ويعقوب ويوحنا)في حين أطلق اسم مسيحيين على الأغيار(أتباع بولس)⁽²⁾.

وفي تعريفه لكلمة المسيحيين يقول الحريري:(فهم يختلفون عن اليهود الذين لا يعترفون بمجيء المسيح(ع) ويختلفون عن النصارى الذين لا يعترفون بالوهيته)⁽³⁾. وبعد استشهاد بطرس اشنتد التنكيل على أتباعه وهم من الطائفة الابيونية ،والتي لم يختلف فيها الفكر المسيحي بانها من الطوائف التوحيدية⁽⁴⁾ ، وكانوا بين خصمين ، الخصم الأول هم اليهود أعداء نبيهم، والخصم الثاني هم المسيحيين من أتباع بولس وهم أبناء دينهم. وهؤلاء قد ذكروا (بالهرطقة) ، فيتحدث ابينانوس عنهم فيقول:(إن هرطقة النصارى هذه موجودة في بيرويا بجوار كولة سوريا ،ومن المدن العشر وفي اقليم بيله، وفي بازانيتس، وفي ما يسمى كركابه، وبالعبرية كوخبا ، لان هناك أخذت بدايتها بعد السبي من أورشليم حين ذهب التلاميذ للعيش في بيلة لأن المسيح قال لهم أن يتركوا أورشليم ويذهبوا بعيدا لأنها ستحاصر ويسبب هذه النصيحة عاشوا في بيرويا)⁽⁵⁾ ولم تكن هيمنة النصارى طيلة القرن الأول للكنيسة فقط القدس وفلسطين بل كانت تنتشر في كل مكان ، وكانت سابقة على الرسالة البوليسية كما يقول الكاردينال دانيلو⁽⁶⁾. وكان أهالي قمران من النصارى الذين يعانون الأمرين من اليهود والرومان، وازدادوا خوفا على مكتبتهم التي تحوي المئات من المخطوطات النفيسة فخبأوا كتبهم في مغاور الدير،وعندما اندلعت الحرب اليهودية الرومانية تهدمت أديرة قمران وجاء الحريق على هذه المخطوطات فاحترق قسم منها وسلم القسم الآخر ، حتى اكتشفوه عام 1947.

وقد أثار اكتشاف مخطوطات قمران عام 1947 شهية على مصادر الدعوة الإنجيلية ، حتى قيل ان الدعوة المسيحية منبثقة من الدعوة القمرانية⁽⁷⁾.

(1) ظ: العهد الجديد، انجيل متى2: 32 ، وظ: لوقا 18: 37، وظ: يوحنا 5: 18، وظ: سفر أعمال الرسل2: 22.
(2) ظ: شارل جينزر ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 35 ، وظ: يسوع والإنجيل المفقود، مقتبس من شبكة الأنترنت ، موقع شبكة اللاديينيين ، وظ: فياض ، النصارى ، ص 16-17
(3) الحريري ، أبو موسى، قس ونبي، (د. ط) ، بيروت، 1984 ، ص 112.
(4) غيزا فيرم ، اهل الكهف في مخطوطات البحر الميت، ص55.
(5) نبيل فياض ونور الدين المنصوري، النصارى، ط2، دار حرمون، حمص ، 1998، ص 47 - 48.
(6) موقف الإسلام من الوثنية، واليهودية والنصرانية، خالد ، حسن، ط1 ، معهد النماء العربي ، بيروت، 1986.
(7) الحداد، يوسف درة، تاريخ المسيحية ، ص 255 - 264، وظ: رستم. د. اسعد ، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، 1959 ، ص 5.

ويعد دراسة هذه اللغائف تبين أنها تحتوي على نسخة كاملة من كتاب اشعيا النبي، ونسخة من تفسير نبوءات حبقوق، وشذرات من تفسير كتاب ميخا، وقصة تسمى قصة الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام، وأناشيد منظومة للدعاء والصلاة ونسخة مفصلة لأداب السلوك المرعية بين الجماعة الذين أقاموا بصومعة قمران والتي تشبه إلى حد كبير الطائفة النصرانية الأولى في الشعائر والعبادات ، ولما عرف العلماء بتلك المخطوطات النادرة هبوا لاكتشاف كهوف قمران فتجمع لديهم نحو ستمائة من شذرات المخطوطات.

وقيمة تلك المخطوطات عظيمة فإنها تنبئ عن البيئة التي نشأت فيها نصرانية عيسى الأولى، والذي أذهل العقول تلك القرابة في التعبير بين العهد الجديد، ومحفوظات قمران ،حتى ثارت الظنون من كل حذب وصوب ،وتسرع قوم فادعوا ان الدعوة المسيحية (البوليسية)من دعوة رهبان قمران⁽¹⁾.

ويذكر علماء تاريخ الأديان أن جماعة قمران نساك من فرقة الاسينيين، وهي لفظة يونانية تعني الأتقياء ((وهم جماعة من المسيحيين الأولين))⁽²⁾. ويتحدث أبيانوس (315 - 403) عن الآسينيين فيقول ((وكل المسيحيين سموا بنصاري في مرحلة من المراحل والفترة قصيرة أعطي لهم الاسم بسانيين أن يبدأ التلاميذ في انطاكية يدعون مسيحيين ، وهؤلاء الأسانيين كانوا من أنصار موسى(عليه السلام) وكانوا ينتظرون مسيحا مخلصا،وقد تنصر هؤلاء بعد ظهور السيد المسيح(عليه السلام) ،وعرفوا بالآبيونيين⁽³⁾،ولفظة الآبيونيين، تعني المتقين ، وألفقراء،وقيل ان هذا الاسم أعطي أصلا لمسيحيي أورشليم كما يقول اوزابيوس⁽⁴⁾.وقد عثر تيجر Teichr الأستاذ في جامعة كامبردج الانكليزية على اللفظ (ابيونيم) في التعاليق القمرانية وأطلع على ما كتبه مرغوليون منذ خمسين عاما على مخطوطة دمشق وعلى ما ذهب إليه زتلين الألماني فقال: (إن جماعة قمران كانوا من المسيحيين الأولين الذين استمسكوا بالناموس ، فعارضوا بولس) ،ويعد دراسات مهمة أجراها العالم البريطاني سيسل روث قام بنشر النتائج التي توصل اليها في عام 1958 ومؤداها((إن الخلفية التاريخية لوثائق قمران لا تتفق مع مرحلة ما قبل المسيحية بل على العكس تماما،فهي تتزامن مع الثورة التي نشبت في يهودا ما بين 66 - 74م))⁽⁵⁾.

ونظرا لوجود التعليقات الآبيونية على مخطوطات قمران كما أورد تيجر فلا مجال للشك أن جماعة قمران كانوا من النصاري الأولين ومن أولاد تلاميذ المسيح،الذين تمسكوا بالشرعية الموسوية، إلى جانب النصرانية،وعارضوا بولس لانشائه دينا جديدا،يختلف عما عرف عن السيد المسيح(ع). ويتحدث اوزابيوس عن رفض الآبيونيين لرسائل بولس فيقول((وكانوا يعتقدون بالرفض التام لرسائل بولس الذي

(1) مصادر الوحي الإنجيلي ،ج2 ، ص 606.

(2) صموئيل ، كنز قمران، ص 211.

(3) حمادة، مخطوطات البحر الميت، ص 75.

(4) Eusebe THIPXXVIII,6 :historire Eccle sique ،نقل عن،بطرس بين المسيحية والاسلام،ص135.

(5) العوري، أهل الكهف، ص 131.

كانوا يسمونه مرتدا عن الناموس وكانوا يستخدمون الإنجيل (بحسب العبرانيين)⁽¹⁾، وكانوا قليلا ما يعتبرون الأناجيل الأخرى.

وعن نظرتهم للمسيح(ع)وعلاقتهم بتلاميذه تذكر صحيفة لندنية بالقول((إن محققي الجامعة العبرية في مدينة أورشليم دعوا إلى تحقيق جديد وتقييم علمي حديث بالنسبة إلى مسألة ظهور المسيحية، وذلك في ظل النسخ الخطية التي اكتشفت حديثا والمتعلقة بفرقة من المسيحيين، كانت تدعي أنها من نسل تلامذة نفس المسيح، وهذه النسخ توضح أوضاع المسيحيين الأوائل(النصارى)الذين كانوا ينظرون إلى المسيح على أنه نبي لا رب))⁽²⁾. وقبل هربهم من الرومان الذين هدموا أديرتهم وأحرقوها، خبا الأبيونيون مخطوطاتهم في كهوف الدير.

وتوجد للأبيونيين عقائد وأنظمة تبين نظرتهم وإيمانهم بخلافة رسل السيد المسيح(ع).

عقائد أهل قمران وأنظمتهم:

1 . النظام عند الجماعة: كان المجتمع القمрани متكاملا يساعد بعضه بعضا وعلى من يريد أن يدخل في هذا النظام أن يقدم ك لما ملكت يداه للجماعة⁽³⁾. وقد كان يدي الشعب في قمران مجلس مؤلف من اثني عشر عضوا من الشعب وثلاثة من الكهنة⁽⁴⁾. وهذا يتطابق مع حال التلاميذ بعد رفع المسيح(ع) فقد كانوا اثني عشر تلميذا ، وعلى رأسهم الثلاثة المفضلون ، بطرس ، ويوحنا ، ويعقوب ، يقول الحداد((لا تتكر الشبه الكبير بين تعابير الأدب القمрани والأدب الإنجيلي ولا بين تنظيم جماعة قمران وعلى رأسهم مجلس من اثني عشر يتزعمهم ثلاثة كهنة ، وبين تنظيم الجماعة المسيحية الأولى وعلى رأسهم الاثني عشر ، والثلاثة المقربون بطرس ويوحنا ويعقوب))⁽⁵⁾، وهناك فروق جذرية بين تعاليم قمران التي هي تعاليم السيد المسيح الحقيقية ، تختلف بلا أدنى شك عن مسيحية أسس بنيانها بولس الرسول وأملي فيها على تلاميذه ما أملى لدرجة أصبح فيها النبي عيسى(ع) إلها يصام له ويُصلى⁽⁶⁾.

2 . التوحيد الإلهي والكتابي: ان جماعة قمران أناس موحدون (يؤمنون بالله واليوم الآخر)

⁽⁷⁾كما يؤمنون بان عيسى من أنبياء الله العظام، ولم يكن ليرد بخيال علماء قمران إلهية المسيح، وإلهية الروح القدس في الله الواحد الأحد⁽⁸⁾. ويذكر المنكرون المسيحيون ان الإبيونية هي ((فئة من اليهود

(1) الحريري، موسى، قس ونبي، ص98

(2) نشرة في طريق الحق ، دورة أولى - إيران - قم - ص 9.

(3) رستم، مخطوطات البحر الميت، ص 70.

(4) ظ: رستم، مخطوطات البحر الميت ، ص 68، وظ: أهل الكهف ، العوري، ص 229.

(5) الحداد، يوسف الدرّة، مصادر الوحي الإنجيلي ج 1 ، ص 96.

(6) م.ن

(7) م.ن ، ج2، ص 609.

(8) م.ن ، ص 615.

المتنصرين التحقوا بالمسيح ورأوا فيه نبيا))⁽¹⁾. وبهذه النظرة توجد الاختلافات الجذرية بين مسيحية بولس ونصرانية أهالي قمران، وهذا ما حدا ببول دافيد قسيس الموحدين في واشنطن إلى القول (إن نصوص قمران توجب إعادة النظر في جذور المسيحية)⁽²⁾. وهناك عقائد أخرى لجماعة قمران ان منها الوضوء والصلاة، تحريم الخمر، وهي عقائد تبني على تبني هذه الجماعة مبدأ التوحيد والاعتقاد ببشرية السيد المسيح، ونيوته وبخلافه تلاميذه من خلال تمسكهم بالعقائد الرئيسية التي تمسك بها الرسل من وجوب الوضوء والتطهير، وتحريم الذبائح⁽³⁾.

مما تقدم يتبين أن هناك اختلافات جذرية بين مسيحية بولس ونصرانية أهالي قمران، مما يعني أن هناك فرق بين أصحاب عيسى الأوائل وبين من لم يشاهد المسيح أساسا وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على وجود صراع حقيقي حول الخلافة حيث تبين أن هناك خليفة شرعي نص عليه السيد المسيح وبين مغتصب للخلافة ومدعيها (الخليفة غير الشرعي).

الصراع بين الخليفة الشرعي وبين مدعي الخلافة من خلال ما مر من مقدمة في تعريف الطائفة الابيونية وما أفرزته مخطوطات قمران والأدلة من المفكرين المسيحيين أنفسهم وما بين عقائدهم التي توضح الفرق بينهم وبين مدعي الخلافة، يتبين أن هناك من الموحدين من الطائفة الابيونية تعتقد بخلافة الرسل وان الذي جاء باسم المسيح من غير هذه الثلة وادعى انه من أرسل من قبل المسيح وقام بتغييرات قلبت الديانة النصرانية رأسا على عقب، هو من مدعي الخلافة، وهناك أدلة تثبت ذلك:

يعتقد أهل قمران بـ(أبناء النور وأبناء الظلام)، أي أبناء الحق وأبناء الباطل، والحق والباطل لا يجتمعان ولا يتآلفان ولا بد من صراع بينهما هذا الصراع أله أهالي قمران وخاضوه مع معلمهم الأكبر الذي يدعى (معلم الصدق)، ووقفوا بوجهه (الكاهن الكاذب)⁽⁴⁾ الذي يقوده أبناء الظلام والباطل، ويعتقد الفكر المسيحي أن دعوة قمران (ترينا الصراع بين أبناء النور والظلمة، حتى مجيء المسيح الموعود في اليوم الآخر)⁽⁵⁾، وفي نظرتهم إلى أنفسهم يقول الحداد ((كان يعتبرون انفسهم أهل الصراط المستقيم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، و الفرقة الناجية من بني

(1) الحريري، أبو موسى، قس و نبي، ص 21، 124.

(2) مخطوطات البحر الميت، ص 80.

(3) ظ: رستم، مخطوطات البحر الميت، رستم ص 25، وظ: الحريري، قس و نبي، ص 21.

(4) غيزا فيرم، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ترجمة أ. د. سهيل زكار، ط1، 1426 هـ - 2006 م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 51.

(5) الحداد، يوسف درة، مصادر الوحي الإلهي، المطبعة البولسية، 1967 (د. ط) ج 2، ص 615.

اسرائيل ، وأهل الجديد الموعود، وكانوا يسمون أنفسهم قديسي الله، والابيونيين ، وأبناء النور، وأهل الرضى، وغرسة الله في أرضه، وهيكل الله الحي⁽¹⁾.

وقد اختلفت الرؤى وتعددت نظرة العلماء الغربيين وبعض الشرقيين حول تحديد معلم الصدق واسمه، وهل هو أحد الأنبياء قبل الميلاد ؟ أم انه المسيح نفسه ؟ أم غير ذلك؟.

ومن خلال ما تقدم حول آبنية الدروج ، وابيونية أهالي قمران كما قال تاجر وجمهرة من العلماء⁽²⁾ ، يتوضح أن معلم الصدق من الشخصيات النصرانية الأولى الذين كانوا يسكنون قمران حتى خرابها سنة (70 . 67) م .

ولما كان الرسل قد تعرضوا بعد قيامته للضغوطات الكبيرة من اليهود والرومان على حد سواء ، هذه الضغوطات زادت المؤمنين قوة واستمرارا في نشر الدعوة الإلهية إلى أن حدثت الخلافات ، مما دفع بطرس رأس الكنيسة أن يواجهها بحكمة وروية ، حتى حدث ان خرج بعضهم عن الناموس، وطالبوا بعدم التمسك بشريعة الأنبياء ولاسيما الموسوية، لذا يقول رستم⁽³⁾ ((السبب الذي أدى إلى انفصال جماعة قمران، كان خروج الكهنة على الناموس))⁽³⁾. وليس ببعيد عن المتبعين للنصوص الإنجيلية ما غيرته يد بولس وما خرج عن تعاليم التوراة والديانة الموسوية . فبعد أن أكد العهد القديم الذي يحوي (الشريعة ، الناموس) وهي صوت الرب قد أكد على أن الرب يلحن من لا يعمل بالناموس والعمل بمكارم الأخلاق ويلحن من لا يعمل بها، يقول العهد القديم ((ملعون الإنسان الذي يضع تمثالا مما تصفه يد نحات، وتنصيبه للعبادة في الخفاء،...)) تتوالى أحكام الشريعة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، ويأتي الرب بنفسه إلى الأرض في صورة السيد المسيح من منظور الديانة المسيحية في العهد الجديد ليؤكد على ضرورة استمرارية العمل بالشريعة (أي الناموس) ، فنجده يقول: ((لا تظنوا أنني جئت لألغي الشريعة الناموس أو الأنبياء . ماجئت لألغي بل لأكمل ، فالحق أقول لكم : إلى أن تزول الأرض والسماء ، لن يزل حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء))⁽⁴⁾. وهذا هو موقف الرب من الشريعة في العهدين .

وهناك رؤية تتبنى التساؤل التالي وهو ماذا فعل بولس الرسول بهذه الشريعة؟

⁽¹⁾ م.ن ، ج 2 ، ص 609.

⁽²⁾ ظ: فيرم، غيزا، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ص 32.

⁽³⁾ رستم، د.أسد، مخطوطات البحر الميت، ص 59.

⁽⁴⁾ العهد الجديد، متى: 5: 17.

فلقد قذف بولس بالشرعية إلى غير رجعة، فقد اعتبر بولس الشرعية والعمل بها هي لعنة لا لزوم لها فقال: ((إن المسيح حررنا بالفداء من لعنة الشرعية، إذ صار لعنة عوضا عنا، لأنه قد كتب ملعون من علق على خشبة))⁽¹⁾، وهو ما يعني ان الرب قد تنكر لنفسه، فبنص واحد نسف بولس الشرعية، وبكل ما جاءت به وقال بأنها لعنة، بل وقال بأن الإله نفسه ملعون ((إذ صار لعنة عوضا عنا)) لأن الإنسان علق الإله نفسه على (خشبة) وبهذا صار ملعونا، وبهذه النصوص قل بلعنة كل من يتمسك بالشرعية ويعمل بها، يقول العهد الجديد ((إذن الذين هم على مبدأ الإيمان يباركون مع إبراهيم المؤمن وأما جميع الذين على أعمال الشرعية فإنهم تحت اللعنة))⁽²⁾. ويذكر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس⁽³⁾، حول هذا المعنى ((لكن المسيح أخذ على نفسه لعنة الناموس عندما علق على الصليب))⁽⁴⁾. فلقد تم هو هذا، حتى لا نحتمل العقاب، وهكذا يمكننا أن نخلص به، والشرط الوحيد هو أن نقبل عمل المسيح . الإله . على الصليب⁽⁵⁾ .

ولما كانت الشرعية هي مكارم الأخلاق في المسيحية، فإذن من خلال النصوص والتفسير تقر المسيحية بلعنة كل من يعمل بمكارم الأخلاق. لذا فبولس أطلق العنان لهوى الإنسان ليفعل ما يشاء وأعلن بولس عن عدم حاجة العالم إلى الشرعية بعد أن قام الإنسان بصلب الإله وقتله على الصليب حيث يقول: ((ولكن أقول لكم إن كل كلمة بظالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين، لأن بكلامك تتبرر وبكلامك تدان))⁽⁶⁾.

وهكذا يتناقض الإله مع نفسه، بفضل بولس الرسول وتنتفي الحاجة إلى العمل الصالح في الفكر المسيحي، يقول العهد الجديد ((الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية،

(1) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3: 13، ظ: Eisenman, C, the Dead sea scrolles and First Chrisian .p.235.

(2) رسالة بولس لاهل غلاطية 3: 13.

(3) يمثل التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، الراعي الرسمي للكنيسة الأرثوذكسية. ظ: موقع الانبا تكلاهوما: <http://www.Tecla.org>

(4) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3: 13.

(5) م.ن، رسالة بولس الأولى إلى أهل كولوسي 20: 23.

(6) العهد الجديد، انجيل متى 12: 36 - 37. وظ: مجموعة من المفسرين اللاهوتيين، تفسير الكتاب المقدس، انجيل متى، ص 123.

وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت ، وأثار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل))⁽¹⁾.

وعودا على ذي بدء كانت البشرية في اجتماعها تحتاج إلى النظام ،لذا وضع القمرايون أنظمة متعددة لاستمرار حياتهم، وتطورهم ، فكان على رأس تأسيس جماعة قمران((معلم البر)) الذي أعطاهم شريعة.

مما تقدم يتبين أن معلم الصدق يمتلك القدرة على التشريع النصراني للجماعة⁽²⁾ بعد المسيح ، وكما يصفه نص من النصوص القمراوية((المعلم الذي يعمل والأب الذي يعتني ومصدر المياه الحية، مشيد بنيان الجماعة... والراعي الصالح هو رأس الكنيسة وبدونه ليس لنا كنيسة ولا وجود))⁽³⁾.

وبهذا تتوضح صورة "الراعي الصالح" الذي هو رأس الكنيسة،ومشيد بنيان الجماعة،وهي ان هذه اللفظة هي نفس ماورد عن المسيح بحق بطرس عندما خاطبه قائلا:أنت صخرة وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة،وبدونه لايمكن ان يكون لله كنيسة.

ومعلم الصدق كان عند الجماعة بشر كسائر البشر،ولم يستغث به،ولم يكن المسيح المنتظر،وجل ماوصل إليه انه كان مفسرا للأسفار بنعمة من الله⁽⁴⁾.

وقد شرع معلم الصدق في تنظيم جماعته،فجعل على رأسهم مجلسا مؤلفا من اثني عشر عضوا من الشعب وثلاثة من الكهنة هذا المجلس يتطلب مع ما ورد في العهد الجديد عن الجماعة النصرانية الأولى وعلى رأسهم الاثنا عشر والثلاثة المقربون: بطرس يوحنا. يعقوب⁽⁵⁾.ويذكر الحداد أن هناك تشابه بين مجلس قمران وبين مجلس الرسل ، ويعترف بزعامة بطرس على هذا المجلس⁽⁶⁾. والخلافات التي حصلت بين معلم الصدق والكهنة الخارجين الخارجين على الناموس أدت إلى إبعاد معلم الصدق إلى مناطق بعيدة((وأبعد المعلم المعلم

(1) م.ن ، رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس 1: 27 - 28.

(2) مصادر الوحي الإنجيلي ، ج2، ص 608.

(3) رستم د. أسد مخطوطات البحر الميت، ص 80.

(4) رستم د. أسد مخطوطات البحر الميت ، ص 80.

(5) مصادر الوحي الإنجيلي، ج1، ص 91.

(6) ومع اعترافه برئاسة بطرس لهذا المجلس إلا أنه لم يفترض أن يكون معلم الصدق هو بطرس،ظ:علي داود،شمعون الصفا بين المسيحيةوالاسلام،ط1422،1هـ-2002م،دارالهادي للطباعة والنشر والتوزيع،ص44.

ولكن الله أسكت العاصفة))⁽¹⁾. وبعد إبعاده ساد الهدوء في قمران، وأصبح يديرها كاهنان أو زعيمان هما (الكاهن المفتقد) المستتر، والثاني من الشعب، وهو ((مبقر جميع المخيمات))⁽²⁾.

ومن هنا يبرر أيضا التطابق والتشابه بشكل أكبر، حيث ان بطرس أبعد إلى إنطاكية، وعين على أنصاره يعقوب ويوحنا فكان يعقوب يسكن مع الشعب ورئيسا لكنيسة القدس⁽³⁾، ويوحنا صلة الوصل بين شمعون ويعقوب. لكن الكاهن الكاذب لم يكتف بكل ما حصل، بل انه تعقب معلم الصدق في عزلته، وغريته، فقد أورد رستم ((مفسر الناموس الصادق كان يسكن في عزلته وقد تعقبه الكاهن الكاذب))⁽⁴⁾. لذا فإن أكثر المفكرين المسيحيين يذكرون الزيارة التي قام بها بولس إلى انطاكية والخلافات التي حصلت بينه وبين بطرس في هذه المدينة⁽⁵⁾.

وقد رأى أحد العلماء مفهوم التشابه الكبير بين مخطوطات قمران وبين رسالة بطرس الأولى مما دفع العابدي إلى القول: ((الصدى الذي تردد في رسالة بطرس حدا بأحد الكتاب أن يقول: إنه لورفع اسم المسيح(ع) من الرسائل لتبادر إلى ذهن القارئ بأن هذه الرسائل من مخطوطات وادي قمران))⁽⁶⁾. وقد ورد أن معلم الصدق لم يصلب كما يدعي الغرو⁽⁷⁾ بل إنه مات بين بني قومه، كما في التعليقات ((ينظم إلى قومه))⁽⁸⁾.

وبعد هذا البحث عن معلم الصدق كان على البحث أن يبين شخصية الكاهن الكاذب الذي كان في صراع دائم مع معلم الصدق، فوثائق قمران تتحدث عن عضو خرج على الجماعة، دعت به بالكذاب، ومنبع الكذب استطاع السطو على جزء من عقيدة الجماعة وأخذ ينشرها على نحو مختلف مستخدما مصطلحات الجماعة ولكن في سياق سلبي مغاير ومن دون اعتبار الشريعة أو عمل صالح⁽⁹⁾، والكاهن الكاذب يعتبر العدو للدود لمعلم الصلاح، وكان همه الأوحده الأوحده الوصول إلى السلطة التي يتمتع بها الراعي الصالح ورأس الكنيسة⁽¹⁰⁾ لذا ((طمع أن يصير

(1) رستم . د. اسد، مخطوطات البحر الميت، ص 59.

(2) رستم، د. اسد، مخطوطات البحر الميت، ص 67.

(3) يقول فياض "والتقليد الابيوني الذي مال إلى تجليل بطرس، لكنه لم يقلل من شأن يعقوب"، ظ: فياض، النصارى، ص 142.

(4) مخطوطات البحر الميت، ص 57.

(5) ظ: الحداد، فلسفة المسيحية، ص 78، ظ: هالة العوري، أهل الكهف، قراءة في مخطوطات البحر الميت، ص 64.

266، وظ: كارين ارمسترونغ، القدس مدينة واحدة، عقائد ثلاث، ترجمة، د. فاطمة نصر، دارسطور 1998.

(6) العابدي، مخطوطات البحر الميت، ظ: دار الثقافة والفنون، عمان 1967م.

(7) رستم، مخطوطات البحر الميت، ص 80.

(8) م. ن ص 58.

(9) هالة العوري، أصحاب الكهف، قراءة في مخطوطات البحر الميت، ص 376.

(10) رستم. د. اسد، مخطوطات البحر الميت، ص 80.

كاهنا أعظم))⁽¹⁾، وهذا يتشابه إلى حد كبير مع طمع بولس للوصول إلى السلطة والزعامة على أتباع المسيح، يقول بولس: ((وهذا أفعله لأجل الانجيل لأكون شريكا فيه))⁽²⁾.

وفي تفسير جماعة قمران لقول حبقوق⁽³⁾، ((ويل لمن يسقى صاحبه))⁽⁴⁾. يقول رستم حيث حيث يروون على النص ((هذا يشير إلى الكاهن الكاذب الذي تعقب مفسر الناموس الصادق حتى مكان عزلته ليشوش عليه أمره بالتظاهر بالغضب الشديد))⁽⁵⁾، وهنا يأتي التساؤل الذي يتبادر إلى الذهن ألا يتشابه هذا مع تعقب بولس لبطرس إلى انطاكية ومحاولة تفريق الأتباع والتشويش على التعاليم التي كان بطرس يبشر بها. ألا يتطابق هذا وقول بولس الذي تظاهر بالغضب الشديد عندما قال ((أهم خدام المسيح "وهو يعني بـ(صفا) والتلاميذ"⁽⁶⁾، أقول كمختل العقل أنا أفضل في الأتعاب أكثر في الضربات أوفر في السجون))⁽⁷⁾، وعند تتبع رسالة بطرس الثانية نراه يخبر عن ((وجود المعلمين المزورين وتعاليمهم الفاسدة والقضاء لإلهي عليهم))⁽⁸⁾. وهذا يدل بوضوح على وجود مثل هؤلاء المعلمين الذين تاجروا باسم المسيح في ترويج عقائد واهية لا تمت إلى ديانة المسيح بصلة ، ولما كان أهالي قمران يعتبرون من خيرة أنصار الديانة وهذا ما يشهد به الفكر المسيحي من خلال تنظيم الكنيسة التي أثبتتها بولس نفسه⁽⁹⁾ من عند هؤلاء الثلة وغيرها من الطقوس من العبادية والمعاملات وغيرها هاتين انهم الأوائل لأنصار السيد المسيح في ذلك الوقت ، لذا فإنهم كانوا يوبخون الكاهن الكاذب⁽¹⁰⁾. وقد رأى بعض المسيحيين تشابها كبيرا بين نصوصهم التي يوبخ الكاهن الكاذب وبين قول بولس نفسه ((يكفي هذا التوبيخ الذي من الأكثرين))⁽¹¹⁾، فيذكر رستم أن ((هناك ما يشابه هذا النص نفسه في قانون الجماعة القمرانية))⁽¹²⁾، وتستمر التشابهات والمطابقات التي تذكرها النصوص القمرانية ، فعند ذكر وفاة الكاهن الكاذب تذكر نصوص قمران بوضوح ((إن الكاهن الكاذب سجن ولاقى عذابا أليما على يد أعدائه لأنه تظلم معلم الصدق وجماعته فأذله أعداؤه حتى الموت، وأنه أضل

(1) م.ن ، ص 63 .

(2) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل كورنتوس 9: 23.

(3) هو من ضمن الأنبياء الصغار في الديانة اليهودية. ظ: الرهبانية اليسوعية ، الكتاب المقدس ، الألف باء والياء ، مقدمة

سفر حبقوق، ص 1211

(4) العهد القديم، سفر حبقوق

(5) رستم. . اسد ، مخطوطات البحر الميت، ص 57.

(6) ظ: شارل جينبير ، المسيحية وتطورها ، ص 69 ، وظ: جاكوي هايم، بولس وتحريف المسيحية، ط1، تعريب سميرة الزين،

الزين، 1991م ، ص 38، ظ: هالة العوري ، أهل الكهف، ص 304

(7) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل كورنتوس 22: 23

(8) العهد الجديد ، رسالة بطرس الثانية 2: 1.

(9) الحداد، يوسف درة ، فلسفة المسيحية ، الرسائل الكلامية ، الراعية، ص 426.

(10) غيزا فيرم، مخطوطات البحر الميت، ص 54.

(11) العهد الجديد ، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتوس.

(12) رستم. د. اسد ، مخطوطات البحر الميت، ص 59.

كثيرين فشيده مدينة بالدم وأنشأ جماعة النفاق))⁽¹⁾ . وترد مخطوطات قمران على النص في العهد القديم ((ألا يقوم بغتة من يعصونك))⁽²⁾، ((إن معنى هذه الكلمات يشير إلى الكاهن الذي عصى وخالف تعاليم الله، فسلمه الله إلى أيادي أعدائه وأذله هؤلاء، وأذاقوه عذابا مرًا، لما اقتترف من طغيان ونفاق ، وأنزلوا به عناء مخيفا منتقصين منه بجسده))⁽³⁾، وهذا ما حدث مع بولس الذي عُذّب من قبل أعدائه، فحبس مرتين في القدس، وأرسل مقيدا إلى روما التي قتل فيها مقطوع الرأس سنة 67م. ويقول رستم ((والقول مع تيجر بأبنيّة الدروج وغيرها من المخلفات يقضي بالقول جمعه بأن المعلم هو المسيح(ع)، وبأن الكاهن الكاذب هو بولس المخلص، وتعاليم معلم الصدق، ولأنه يضطرنا إلى القول بأن بولس كان كاهنا يهوديا وهولم يكن))⁽⁴⁾.

ومن هنا فالقول بأبنيّة الدروج يستوجب أن يكون الكاهن الكاذب هو بولس الرسول نفسه للتطابق الكبير جدا بين سيرة الإثنين، ولكنه لا يستوجب أن يكون ((معلم الصدق)) هو السيد المسيح، لأن السيد المسيح رفع إلى السماء قبل إيمان بولس هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الخلافات كانت بين بولس وخليفة المسيح⁽⁵⁾ بطرس، فلماذا هذا التهميش لدور صخرة الكنيسة وأمير الرسل عند بعض الكتاب المسيحيين .

مما تقدم يتبين أن صفات ((معلم الصلاح)) تنطبق على بطرس خليفة المسيح(ع) ومن جهة أخرى فإن الكاهن الكاذب عدو ((معلم الصدق)) هو بولس الرسول، وهذا ما تنطق عليه مخطوطات البحر الميت ويشهد به بعض علماء المسيحية في قلوبهم ، ويظهر في فلتات أقلامهم.

ثانياً: الفريق الثاني، القائلون بالتثليث: وهم من قال أن المسيح هو ابن الله الوحيد

، المولود من الأب قبل الدهور ، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر (...))⁽⁶⁾. وإن الشكل الحالي لعقيدة تأليه المسيح في المذاهب المسيحية الرسمية قد بدأ نشوءه في روما بأواخر القرن الميلادي الأول، ثم أخذ شكله النهائي في القرن الرابع الميلادي

(1) م.ن، ص 60.

(2) العهد القديم ، سفر حبقوق ، 2: 7.

(3) رستم. د. اسد ، مخطوطات البحر الميت ، ص 64، وظ: علي داود جابر ، شمعون الصفا (بطرس) بين المسيحية والإسلام، ص 148.

(4) م.ن، ص 63، وظ: علي دود جابر ، شمعون الصفا(بطرس) بين المسيحية والإسلام ن 148.

(5) سبيرهن ، الباحث بالأدلة على مشروعية خلافة بطرس للسيد المسيح من خلال النص الإلهي والأدلة العقلية ، ظ: مشروعية الخلافة في هذا الفصل لنفس الرسالة.

(6) بهذه الكلمات يبدأ القسم الثاني من قانون الإيمان الذي يعلن الإيمان بأن الله يسوع المسيح، ظ: الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر "الفكر المسيحي بين الأمس واليوم" ط3، 1999، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان، ج1، ص 131.

في مجمع نيقية المسكوني 325م، وليس قبل ذلك على الإطلاق⁽¹⁾. لذا فهم يعتبرون الله واحد ذو أقانيم⁽²⁾ ثلاثة، وهذه الأقانيم هي شخص الأب وهو الخالق لكل شيء ، والمالك والضابط لكل شيء وشخص ابنه المولود منه أزلا المساوي لأبيه في الألوهية والربوبية لأنه منه، وشخص الروح القدس⁽³⁾. ولقد تبنى أصحاب هذا الرأي جوهر عقيدته على قاعدة الاعتراف بسر التجسيد الذي يربط اللاهوت بالناسوت، وبالتالي فإنهم يجعلون السيد المسيح يشترك في طبيعة الله⁽⁴⁾.

وبعد هذه التفصيل يبين البحث تعريف للخلافة، حيث يوجد في الفكر المسيحي للفرق الرئيسية تعريفات لمفهوم الخلافة .

تعريفات الخلافة في الفكر المسيحي : لقد اختلفت آراء الفرق المسيحية حول تعريف

الخلافة ، ومع هذا يجد الباحث ان الارثوذكس يتفقون مع الكاثوليك في قضية تسلسل وتتابع الخلافة منذ زمن الرسل ، الا انهم مع هذا يختلفون معهم انهم يعتبرون ان خليفة السيد المسيح هو مرقس الذي كتب ودون احد الاناجيل الاربعة والمسمى باسمه. بينما الكاثوليك فانهم يعتبرون بطرس هو خليفة السيد المسيح(ع) ، بينما يجد الباحث ان الفريق الثالث وهم البروتستانت قد اختلفوا مع الفريقين ان الخلافة هي فقط للرسل وانتهت بوفاة آخر الرسل ، لهذا يمكن لاي مؤمن مسيحي ان يقوم بخلافة السيد المسيح ، لذا كان على الباحث ان يعطي تعريف الخلافة لدى كل فريق .

أولاً: تعريف الخلافة في الفكر الارثوذكسي:

(1) باول اينوك، ترجمة أحمد بيبيش ، تطور الانجيل (المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود) ط1، 1424هـ - 2003م، دار قنينة للطباعة والنشر ، ص 32.

(2) الاقنوم ، لفظة يونانية تعبر عن الكيان ((ايبوستايس))، هذه الأقانيم الثلاثة هي شخص الأب ، وشخص ابنه، وشخص الروح القدس، ط" قاموس الكتاب المقدس ، مادة أقنوم مقتبس من شبكة الانترنت ، موقع تكلاهوما. <http://www.Tech.org> ، وظ: الفيغالي ، الخوري بولس، المحيط الجامع في الكتاب المقدس، مادة (روح الله) ص 584 - 592.

(3) والكاثوليك يعدون الروح القدس منبثقا من الأب والإبن كليهما في حين يعده الارثوذكس منبثقا من الأب فقط، أما البروتستانت فلا يتعرضون لشيء من ذلك كله، بل يكتفون بالقول بألوهية الروح القدس، وهو أقنوم الذات الإلهية الثالث. ط: مجموعة علماء ومن المؤلفين ،معجم اللاهوت الكتابي ، ط5، 2004 ، دار المشرق ، بيروت، لبنان، مادة (روح) ، ص 384 - 391.

(4) تعتقد المسيحية ان نعمة حضور المسيح في الخليقة تهب الإنسان المؤمن الاشتراك في طبيعة الله ، كما في العهد الجديد، الجديد، رسالة بطرس الثانية 1: 3 - 4 ، ولذلك يمكن للإنسان في المسيحية أن يحيا في شركة النور الإلهي إن هو أعرض عن ضلال الخطيئة وسلك في هدي الروح، ط" العهد الجديد، رسالة يوحنا الأولى 1: 6-7.

الخلافة لغة: هي بالارامية (السيامة)، (سيام - ايذا)، (وضع يده) ،وهي كل سلطة او خدمة، او تفويض، يسام بوضع اليد.وهذا الطقس تعارف به الرسل لتتصيب خلفاءهم، ولم يكن موجودا في عهد السيد المسيح(ع)عندما نصب خليفته،فالتفويض في ذلك الزمان كان عن طريق نزول الروح القدس الذي وعدهم به السيد المسيح قبل قيامته وتحقق في يوم العنصرة.

والخلافة اصطلاحا: هي تتابع تسلسل الكهنوت في الكنيسة منحدرًا من القديس ((مرقس))⁽¹⁾الرسول،حيث يعتبرونه مؤسس الارثوذكس،وهم على طوائف ،منهم الارثوذكس الشرقيون ،والأرثوذكس الغربيون، والأرثوذكس الأقباط.

ويعرفها قسم اخر من المفكرين الارثوذكس بانها: ((قيام الرسل برسم اساقفة فى البلدان التى قامو بالتبشير بها من خلال وضع الايدي وتعليم هؤلاء الشعائر لنشرها وتعليمها لغيرهم وتثبيت ايمان المسيحيين الموجودين بتلك البلدة عند غياب الرسل فى رحلتهم التبشيرية))⁽²⁾.

وكان يختار ذلك الشخص بارشاد من الروح القدس وجهادة الروحي وارااء الاخرين بة وكان كلما انتقل خليفة ذلك الرسول الى الامجاد السماوية يقوم باختيار شخص اخر ليكون بدلا منه ليرعى شئون الكنيسة فى تلك البلدة واستمر ذلك الحال الى ان قام مجمع خلقدونيا وانشقاق الكنيسة فى الراى واتباع بعضهم الى اسقف كنيسة روما وسمى بالبطرك الملكنى واسقف الاسكندرية وسمى ببطرك الارثوذكسين او الاقباط ،وجميع هؤلاء يعتقدون أن الكهنوت والخلافة قد سُلمت من قبل تلميذ المسيح "الناظر" القديس مرقس الانجيلي وهذا الاخير قد وضع يديه على القديس انيانوس ،فأصبح خليفة له،واينيانوس،سلمها إلى الكهنة الذين سامهم في رتبة القسيسية ثم إلى خلفائه من بعده،إلى أو وصلت الكهانة والخلافة إلى البابا شنودة الثالث في الوقت المعاصر،ومنه إلى كل من سامهم من الأساقفة والكهنة وكل من يقوم الآباء بسيامتهم...وهكذا حتى مجيء الرب حسب وعده الصادق ((ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر))⁽³⁾.

ثانيا : الخلافة في الفكر الديني المسيحي الكاثوليكي:

(1) فالارثوذكس يعتبرون مرقس هو خليفة المسيح ظ: الانبا رافائيل، الخلافة الرسولية، ص12.
(2) ظ:شبكة المعلومات،الانترنت،مقتبس من موقع : كنيسة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل والشهيد مارجرس بالبرشين ،

والخلافة عندهم: هي صون الكرازة الرسولية المعبر عنها بصورة خاصة في الكتب الملهمة ، وذلك بواسطة تسلسل غير منقطع حتى انقضاء الدهر⁽¹⁾.

والكاثوليك يعتبرونها تقليد قد استلموه من الرسل في الكنيسة لمعونة الروح القدس وقد ائتمن عليه الرسل من لدن المسيح والروح القدس إلى خلفائهم لكي يبشروا به وقد أنارهم روح الحق ويحفظونه أمانة ويعرضونه وينشرونه. وهذه الخلافة هي تقليد مقدس وتكون هي والكتاب المقدس وديعة واحدة مقدسة لكلام الله أوكلت إلى الكنيسة. والفكر المسيحي يوضح أن الوديعة وقد وصى بها الرسل حيث ان المسيح(عليه السلام) قد سلم رسله قانونا سمي بقانون الرسل: وهو علامة تسلمها الرسل من المسيح وسلموها بدورهم الى خلفائهم، ومنهما لى سائر المسيحيين وبها يتعارفون ، وهذه العلامة سماها بولس بالوديعة،بقوله: ((يا تيموثاوس احفظ الوديعة))⁽²⁾، وهي تعني وديعة الإيمان، أي ما يؤمن به المسيحيون ((إني سلمت اليكم أولا ما قد تسلمت أنا نفسي، إن المسيح قد مات من أجل خطايانا على ما في الكتب..وانه قام في اليوم الثالث...))⁽³⁾.

فقانون الرسل هو إذن علامة لوديعة الإيمان التي سلمها الرسل إلى خلفائهم يعرف بها المعتمد الذي يعترف انه هو وسائر المعتمدين ، ينتمون إلى المسيح الواحد والكنيسة الواحدة وان فهما لإيمان الواحد ، فهي بالتالي أداة لمعرفة بعضهم بعضا⁽⁴⁾، وهكذا أصبحت كلمة قانون تعني المجموعة أو الجدول أو الموجز الذي يتضمن الوديعة ، ويحدد الفكر الديني المسيحي في الوقت المعاصر قانون الإيمان والذي مر بمراحل عديدة من عصر المسيح إلى الرسل إلى خلفائهم آباء الكنيسة إلى هذا الوقت بأنه ((مجموعة حقائق الإيمان الرئيسية، وهو من ثم المرجع الأول والأساسي للكرازة))⁽⁵⁾ ، وقانون الرسل هو مختصر للإيمان المسيحي ، حي يقول التقليد إن الرسل انفسهم قد وضعوه ، وأعلن كل واحد منهم بندا من بنوده⁽⁶⁾.

(1) شبكة المعلومات، الانترنت ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، دستور عقائد في الوحي الإلهي ، الفصل الثاني في تسليم الوحي الإلهي ، مقتبس من موقع الموسوعة العربية المسيحية موقع:

<http://www.ofm/god/concili/raticano-II dei-verbum/7-10.htm>.

(2) العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 6: 20.

(3) العهد الجديد ، رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى 15: 3 - 4.

(4) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص 15.

(5) مجموعة من المؤلفين، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، منشورات المكتبة البولسية، جونييه 1999، ص 83.

(6) ترتليانوس، حضض الهراطقة، ص 36 - 37.

وقد حددوا التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية قانون الرسل انه ((القانون الذي تحتفظ به الكنيسة الرومانية حيث جلس بطرس أول الرسل، وحيث فاه بالحكم العام))⁽¹⁾.

ثالثا: الخلافة في الفكر الديني البروتستانتي:

اتفق البروتستانت على إن السيد المسيح ، قد عيّن بطرس على تنصيبه على الكنيسة واعتبروه هامة الرسل ، لكنهم جعلوه من الاخوة المتساوين مع الرسل الاثني عشر ، لذا فهم يعترفون بخلافة الرسل ، الا انهم اعتبروا ان الخلافة والكهانة انتهت بموت آخر الرسل ، لذا فهم لم يعترفوا بخلافة الكرسي الرسولي الذي يقولون به الارثوذكس والبروتستانت، ويقولون لا حاجة لخلافة السيد المسيح، وحثهم في ذلك انه لا شفيع ولا وسيط إلا يسوع ويستدلون على ذلك من خلال الأناجيل⁽²⁾ ، فهم يعتبرون النصوص الانجيلية كافية لان تصل بالانسان ان يكون قريبا من الله ووسيطا قريبا من الله فلا حاجة ولا ضرورة للكهنوت لان الكاهن الاعظم والوسيط والشفيع الوحيد هو السيد المسيح الذي افتدى نفسه كذبيحة تكفر خطيئة البشر فاصبح هو الذبيح الفادي لنا وبالتالي لاحاجة للخلافة .

⁽¹⁾ القديس امبرسيوس، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، قانون رقم 7 ، ص 84.
⁽²⁾ لقاء الباحث مع المطران ، القس ماهر كمال ، يوم 2010/ 10/25 وحديثه حول فريضة الاستحالة ، وتبين لي ان الرجل من الطائفة البروتستانتية وهؤلاء يعتقدون بالنص. (أجري اللقاء في بغداد).

المطلب الثاني

أهمية الخلافة

في الديانة المسيحية

في هذا المطلب يبين الباحث هل أن هناك ضرورة وأهمية لوجود الخلافة في الديانة المسيحية من بعد السيد المسيح، والتي تحقق الهدف المنشود للعمل الرسالي الذي قام به، والذي أفنى حياته من أجله لغاية خلاص البشرية وإسعادهم، أم تركهم يخوضون الاضطهادات؛ لان الديانة التي جاء بها، فيها تشريعات وأحكام، في تلك المرحلة تقلق السلطات الرومانية من جهة "لأنهم رأوا أن حلول لحل المشكلات في الإمبراطورية وتنادي بتحرير العبيد، لذلك وقفوا ضده وقد خيل لهم أن المسيحية هي بديل للإمبراطورية الرومانية، لذلك ساد عصر الاضطهادات التي عاناها المسيحيين وتم الأمر على ذلك إلى أن اعترف " قسطنطين" بالديانة المسيحية بموجب مرسوم " ميلان" (سنة 313 م)، وكذلك فانها تقلق اليهود بطوائفهم من جهة اخرى، وبالتالي سيكون تابعيه في وضع قلق، نظرا للظلم الذي كان الحكام يمارسونه ضد من يعترض على أحكامهم وتشريعاتهم.

من هنا نرى أن الفكر المسيحي الذي يعتقد إن الإيمان المسيحي يقوم على فكرة تجسد الله وظهوره للناس في شخص المسيح المخلص والذي قد عمل وعلمّ بسُلطان كبير وقد اختار اثني عشر تلميذا أسموهم رسلا، قام السيد المسيح بإعدادهم وتنشئتهم، ليتبعوه وليساعدوه ويتعلموا منه نشر الرسالة، لذا فقد كلفهم أن ينقلوا الرسالة من بعده⁽¹⁾، موصيا إياهم في العشاء الأخير أن ((يأكلوا جسده)) و((يشربوا

(1) " اذهبوا وكرزوا للأمم"، العهد الجديد، انجيل متى 10: 7.

دمه))، رمزاً للعهد الجديد ، وأن يصنعوا هذا "العشاء أو الذبيحة أو القداس" لذكره أي لتجسيده. وتعليمه وموته لذا فقد كانت الأحداث التي أعقبت قيامة السيد المسيح أهم من تلك التي سبقت قيامته، والفكر المسيحي الذي استند الى اقوال بولس اكثر ماستند لتعاليم المسيح يعتبر القيامة أعظم نقطة في إيمان التلاميذ لمسيحي تلك الفترة والسبب حسب ادعاءهم ،لأنها البرهان على صحة رسالته ،وقد أقنعت التلاميذ أكثر فأكثر بأن يسوع الناصري هو المسيح، ابن الله حسب قولهم لذا فإنهم آمنوا أن رسالته على الأرض كانت تمهيدا لمجيئه الثاني.من هنا تبرز عندهم أهمية الخلافة ،حيث أن مهمتهم، هي نشر هذه الرسالة في كل اليهودية والسامرة ،والى أقاصي الأرض كما أوصاهم معلمهم،فهي إذن ضرورة ملحة لإكمال المسيرة الرسالية التي ابتدأها السيد المسيح(ع)⁽¹⁾.

والرسل لم يكتفوا بهذا العمل ،بل نصبوا من يخلفهم من بعدهم لبيان أهمية وضرورة إكمال المسيرة والدعوة المسيحية عن طريق ضرورة تسلسل الأكليروس الكرازة الرسولية والدعوة المسيحية فكانت الخلافة الرسولية التي تعتبر خلافة لبطرس الرسول الذي جعله السيد المسيح هامة الرسل وراعي خراف بني اسرائيل من بعده ، والفكر المسيحي اختلفت فيه الرؤى حول من قال بالخلافة ومدى أهميتها ومن رافض لفكرة خلافة السيد المسيح ،.

الاراء حول اهمية الخلافة :

لما كان اتباع السيد المسيح قد انقسموا الى فريقين الفريق الاول وهم اهل التثليث والفريق الثاني اهل التوحيد كان على الباحث ان يبين اراء كل فريق حول اهمية الخلافة .

اولا : اهمية الخلافة عند اهل التثليث .

ان اهمية الخلافة في الفكر الديني عند اهل التثليث ينقسم الى اراء متعددة :

1- رأي الفكر الديني المسيحي الكاثوليكي في اهمية الخلافة:

يشارك المفكرون المسيحيون الكاثوليك مع المفكرين المسيحيين الأرثوذكس حول أهمية الخلافة ، فالفريقين يشتركان بفضل إيمانهم المشترك حول الخلافة الرسولية⁽²⁾، إلا أن الكاثوليك يضيفون قوانين نسبوها إلى الرسل وآباء الكنيسة والمجامع المحلية⁽³⁾، فلعقيدة الخلافة الرسولية

(1) ظ:صعب، أديب، الأديان الحية نشأتها وتطورها، ط2000، 3، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ص147-148.

(2) ظ: شبكة المعلومات ، الأ، ترنيت، مقال بعنوان الكنيسة الروسية تصف موقف الكنيسة الكاثوليكية في وثيقة مجمع عقيدة الإيمان ب(الموقف الصادق على لسان المتروبوليت(سمولنسك) ، وكالينغراد وكيرك، مقتبس من موقع:

<http://www.Zenit.Org/article>

(3) اسقف روما ، ج. م. ر. ((جان ماري تيار)) ، ترجمة الأب جورج خوام ، البوليسي، ط1، 1987 ، منشورات المكتبة البوليسية ، بيروت ، لبنان ، ص 85.

أهمية كبيرة في الإيمان الكاثوليكي ، لأنها تؤكد أن البابا ((هو ممثل المسيح على الأرض))⁽¹⁾، والأساقفة يمتلكون . بدرجات مختلفة . السلطة الروحية التي وهبها يسوع لرسله فما يقرره البابا منفردا أو مع بقية أساقفته في المجامع الكنسية يعتبر معصوما عندما يتعلق بقضايا التعليم العقائدي أو الأخلاقي⁽²⁾،

ويذكر الفكر المسيحي أن من أهمية الخلافة أن هذا الأمر لم يخل بطول التاريخ من أناس حوربوا لأنهم حاولوا القفز لتسلم شهوة الكهنوت والأسقفية، وأرادوا أن يغتصبوا لأنفسهم هذه الكرامة والخدمة بطرق لا تتناسب مع أخلاق الإنجيل والمبادئ الإلهية في الكنيسة ، مثلما حاول سيمون الساحر أن يقتني مواهب الله بدراهم...، فاستحق اللعنة التي فاه بها القديس بطرس قائلا: ((لتكن فضتك معك للهلاك ،لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر...))⁽³⁾. ولذلك فهم يعتقدون انه ولخطورة هذا الأمر "الخلافة" وأهميته وضع الله نظام التسلسل الكهنوتي هذا ،حتى لا يدخل إلى حضيرة الرعاة سارق ولص، يبدد الرعية ويشق الكنيسة ،لهذا كانت هناك مواقف تكلم عنها التاريخ الكهنوتي وقف ضد هذه المحاولات⁽⁴⁾.

والفكر المسيحي يعطي ابعاد اخرى لاهمية الخلافة ومنها:

أ- إن للخلافة أهمية كبيرة وضرورة حتمية ،لأنه اذا لم يكن هناك وجود للخلافة ، فإن ذلك سوف يؤدي إلى انحراف للتعليم المسيحي ، وسوف تتعدد المدارس الفكرية في المسيحية، مما ينتج عنه خروج أناس يدعون المعرفة ويحرفون الإيمان، لذا فهم يعتقدون أن الخلافة الرسولية مبنية على أساس مشروعية الرسل حينما نصبوا لهم خلفاء من بعدهم. ويتساءل المفكرون المسيحيون لماذا قيل عن الكنيسة جماعة المؤمنين⁽⁵⁾ ((انهم مبنيين على أسس الرسل والأنبياء ويسوع

(1) شبكة المعلومات الأنترنت ، مقتبس من موقع ويكيبيديا موقع :

<http://ar.wikipedia.org>

نقلا عن: BBc faet file: Roman Catbolics ar oudthe thewovld

(2) العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، 2: 20.

(3)العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس 8 : 20 - 23.

(4) شبكة المعلومات ، الأنترنت، موقع زين الاورثوذكسي،

<http://www.Zenit.Org/article>.

(5) نيافة الانبا رفائيل ، الخلافة الرسولية في الفكر الأرثوذكسي، سلسلة مرقسيات كنسية(16) ، تقديم الأسقف إبراهيم ميخائيل، مقتبس من شبكة المعلومات، الأنترنت، موقع:

<http://www.vupload.net.facebook.com>.

المسيح نفسه حجر الزاوية⁽¹⁾، لذا فقد دافع المفكرون المسيحيون عن فكرة ضرورة الخلافة

الرسولية عندما استشهدوا بمشروعيتها ،حيث دافع بولس وبصراوة عن قانونية رسوليته.

ومع أن البحث لا يريد إثبات القول بمشروعية وقانونية رسولية بولس ، لأن هذا الكلام هو اضطراب وتناقض لما يراد لواقع البحث، إلا أننا نرى أن بولس الرسول انه عندما يدافع عن رسوليته وبالتالي فإنه قد نصب لما بعده خلفاء يستكملون رسالة السيد المسيح، فإنه يقر ويعترف برسولية وقانونية الرسل الباقين بل ويجعل من كيفا⁽²⁾ هو هامة الرسل ورئيسهم، ومع هذا أو نزولا لمنهج مقارنة الأديان لما يتعامل به المسيحيون فإننا نجد أن بولس قام بالإهتمام بتخصيص أجزاء كبيرة في رسائله لإثبات رسوليته وقانونيتها ،يقول بولس: **((ألسنت أنا رسولا؟ ألسنت أنا حرا، ألسنت عملي في الرب؟...))**⁽³⁾، ثم يعطي صورة لخلافته، أن قرب نفسه من الخلفاء الذين هم الرسل الذين عينهم واختارهم المسيح⁽⁴⁾، ثم ان بولس الرسول يقر ويعترف بفائقية الرسل الاثني عشر منه، لذا فهو يطلب من مقربيه أن يجعلوه كباقي الرسل وأن كانوا هؤلاء الرسل قد فاقوه بمجالات أخرى **((قد صرت غيبيا، وأنا أفخر، أنتم التزمتوني، لأنه كان ينبغي أن أمدح عنكم، إذ لم انقص شيئا فألقي الرسل، وأن كنت لست شيئا))**⁽⁵⁾.

ب-الرسل الذين اختارهم المسيح وهو اختيار بلا شك كان إلهيا فالعهد الجديد يصف هذا الاختيار بقول

المسيح **((ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم لكي يعطيكم ..كل ما طلبتم))**⁽⁶⁾.

وفي نص آخر يفصل هذا الاختيار انه من الله ويوضح ان الذي يبغض الرسل فإنه يبغضه والذي يبغضه يبغض الأب ، لان المسيح هو الذي اختار التلاميذ، وبالتالي فإن اختياره كان من اختيار الله سبحانه وتعالى⁽⁷⁾. فهؤلاء الرسل ان لم يكن قد نصبوا لهم خلفاء من بعدهم لذا سوف تكون الكنيسة التي

(1) العهد الجديد ، الرسالة إلى أهل أفسس 2: 20، و ظ: نيافة الانبا رفايل ، الخلافة الرسولية في الفكر الأرثوذكسي، سلسلة مرقسيات كنسية (16) ، تقديم الأسقف إبراهيم ميخائيل ، مقتبس من شبكة المعلومات ، الأنترنت، موقع: <http://www.vupload.net.facebook.com>.

(2) كيفا: هي كلمة يونانية تعني الصخرة، ظ: قاموس الكتاب المقدس ، وهي تعني الاشارة إلى بطرس الرسول عندما نصبه المسيح خليفة من بعده.

(3) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى، 9: 1 - 2.

(4) م.ن ، انجيل لوقا: 1- 11، و ظ: هريبرت ، لوميز، كل الرسل ، و ظ: علي الشيخ، لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام، مركز الأبحاث العقائدية ، إيران، قم(د.ت) ، ص 58. وللتعرف على كيفية انتخاب المسيح لتلاميذه الاثني عشر ظ: م.ن ، انجيل يوحنا 1: 35 - 40.

(5) العهد الجديد ، الرسالة إلى أهل كورنثوس الثانية، 12.

(6) العهد الجديد، انجيل يوحنا، 15: 16، 13: 18-20.

(7) ظ: م.ن 15: 18 - 25.

شيدت على بطرس سوف تكون غير رسولية، وبالتالي فإن الاساقفة الذين نصبوا من قبلهم (من قبل الرسل) وأقاموهم⁽¹⁾، وكذلك القسوس والشمامسة يكونون غير قانونيين⁽²⁾. ويدعي الفكر المسيحي بان السيد المسيح قد سلم رسله قانونا سمي بقانون الرسل، وهو علامة تسلمها الرسل، وهو من المسيح وسلموها إلى خلفاءهم، وهي التي أشار إليها بولس بالوديعة⁽³⁾.

ب- والفكر المسيحي يعطي صورة بارزة واضحة لمكانة بولس وأهمية رسوليته حيث ان الفكر المسيحي يعتبر ان بولس قد أقام اساقفة ليخلفوه حيث قام برسامتهم وكل خلفائهم مما يعني أنه في حالة عدم وجود خلافة للرسل سوف تتهار كل خدمة وان الكنائس التي أسسها هؤلاء الرسل ستتلاشى وتنتشر، يقول بولس عند خطابه لتلميذه ثيموثاوس ((يا ثيموثاوس احفظ الوديعة، اعرض عن الأحاديث الدنيوية الفارغة وعن مناقضات كل كاذب))⁽⁴⁾، لذا فوصف بولس للخلافة بأنها وديعة وأمانة هو لما لاهميتها وخطرها مما يستدعي الحفاظ على ديمومتها وتثبيت أركانها لأنها تمثل باعتقاد الفكر المسيحي أساس رسالة السيد المسيح ودعوته.

ث- وقد كان من أهمية الخلافة أن المجمع الفاتيكاني الثاني والذي أقر بالحفاظ على الوديعة والرسالة والخلافة حيث نص في مقدمة التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية وهي قوانين ومقررات المجمع الفاتيكاني الثاني أن الرسالة الرسولية ((هي أشد أهمية اليوم ونحن نظل على الألف الثالث للميلاد، فلا بد من عمل تبشيري عاجل وواسع حتى يستطيع الجميع أن يعرفوا ويتقبلوا رسالة الإنجيل، وينمو كل واحد))⁽⁵⁾، ((إلى ملء اكتمال المسيح))⁽⁶⁾.

(1) القمص فليرثاوس، إبراهيم، الخلافة الرسولية (نبذة تبين ضرورة تسلسل الاكليروس من وقت المسيح بدون انقطاع، مقتبس من شبكة المعلومات الانترنت، موقع:

<http://www.4shared.com>

(2) ظ: المطران كيرلس سليم بسترس، والأب يوحنا الفاخوري، والأب جوزيف العبسي البوليسي، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط1، 2001، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ص 14.

(3) سبقت الإشارة إليها، ظ: فصل المسيحية المطلب الأول (مفهوم الخلافة) ص

(4) العهد الجديد، الرسالة إلى بولس الرسول الأولى، إلى ثيموثاوس، 6: 20 - 22.

(5) الكرسي الرسولي (الفاتيكاني)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية عربية عن اللغة اللاتينية الأصلية المتروليت حبيب حبيب باشا، المطران كيرلس سليم بسترس، المطران يوحنا منصور، الأب حنا الفاخوري، النص الأصلي اللاتيني، دار الفاتيكاني للنشر، حاضرة الفاتيكاني، 1977. الترجمة العربية، المكبة العربية البولسية، جونييه، لبنان 1999.

(6) العهد الجديد، الرسالة إلى أهل أفسس 4: 13.

والهدف من ذلك عند الفكر المسيحي أن يبرزوا رسالة الكنيسة الرسولية والراعوية ، ليس هذا فحسب بل ان يقود جميع البشر من خلال الإنجيل من خلال مفاهيم المحبة⁽¹⁾.

إن دواعي الخلافة عند الفكر المسيحي عموما وأهميتها كامنة باعتقادهم في إرادة الله ((الذي يريد أن يكون جميع الناس يخلصون ويبلغون إلى معرفة الحق، لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، الانسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فداء عن الجميع))⁽²⁾ فيجب أن يقبل عليه الجميع كما يتجلى في كرازة الكنيسة، وان ينضجوا بالمعمودية إليه والى الكنيسة التي هي جسده، فالمسيح نفسه ((إن يعلم بصريح العبارة ضرورة الإيمان والمعمودية))⁽³⁾ قد أكد في الوقت نفسه ضرورة الكنيسة والتي يرأسها بطرس من أن المسيح هو الذي جعله أساسها الرصين ومن بعده خلفاءه ومن خلال الكنيسة يلج فيها الناس بالمعمودية كما هي حالة الدخول من الباب ومن ثم فإن الذين يجهلون أن الله قد أنشأ المسيح الكنيسة الجامعة أداة ضرورية ثم يرفضون الدخول إليها أو الثبات فيها لا يبلغون الخلاص⁽⁴⁾.

وبعد رفع المسيح خاض الرسل الأوائل وعلى رأسهم بطرس صراعا مريرا من جهتين : أولها بني إسرائيل (الفريسيين والصدوقيين) وثانيهما الرومان الوثنيين، لهذا كان من الضروري أن يكون هناك قائد يتبنى إكمال مسيرة السيد المسيح (ع)، وإعداد البشرية لتقبل الخطوة الجمعية التالية في التكامل ، وبيان ماهية هذا التكامل من أصول تلك المهمة دفعا للاشتباه ورفعا للاختلاف، وهي خطوات تكميلية وامتدادات تمهيدية للدين القادم الأكمل وبيان قائد الدين الجديد حتى تثبت الحجة ويندفع الغدر. مما يعني أن رسالة المسيح التي حملها من بعده خلفاءه لم تقتصر على الأخلاق فقط وإنما على القوانين والشريعة. عن طريقها تم الخلاص من الخطية الأولى وتمت البشارات لكن المتدينين ظلوا بحاجة إلى إنابة للاتصال بالله فكان التلاميذ عندما اختارهم السيد المسيح (ع) ليكونوا محافظين على رسالته بعد ذهابه "صعوده" إلى أبيه السماوي، وذلك عندما قام في ليلة العشاء الأخير أن أعطى تلاميذه لقيمات وشربات وقال لهم : إن الخبز لحمه والنبيذ دمه ، ومن ثم فهو متخلل فيهم والفكر المسيحي يبين ان رسالة السيد المسيح والدعوة التي دعا إليها كانت هي أقرب الوساطات للاتصال بالله فقد ناب المسيح الابن عن الأب فترة من الزمان تم خلاله الخلاص من الخطية الأولى ، وتمت البشارات الكبرى ولكن المتدينين ظلوا بحاجة إلى إنابة فكان الرسل نوابا للمسيح الذي في اعتقادهم هو الرب بذاته، ثم صار الآباء البطارقة ناطقين بلسان الرسل، ونوابا متسلسلين يرث اللاحق منهم السابق بحسب اختلاف الكنائس ، وتنوع الإيمان ، ومن وراء الرسل

(1) هذا ما ينقله الفكر المسيحي ، ظ: م.ن ، الرسالة أهل أفسس 3: 19 ، م.ن ،

(2) م.ن ، رسالة بولس الأولى لثيماتاوس، 2: 4 - 5.

(3) ظ: م.ن انجيل مرقس 16: 16 ، يوحنا 3: 5.

(4) المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور عقائدي في الكنيسة الرقم 14.

والآباء الأوائل ،جاء البابوات، والأساقفة ، والكهنة وهؤلاء جميعا اذ ينطقون بالانجيل⁽¹⁾(اللوعوس)⁽²⁾ ينوبون عن الله في التعامل اليومي مع شعب هذه الكنيسة أو تلك، وكل حسب درجته ومقامه الاكليركي، حتى يصل حتى يصل بسفح الترتيب الهرمي للنيابة عن الله من خلال ممثله القريب من الشعب أو الأقرب إليه وهو كاهن الكنيسة الذي يسمع المؤمنين اعترافاتهم باعتباره أذنا إلهية ،ويناول المتدينين كل حين خبزا ،وخمرا، هما مجازا أو حقيقة لحم المسيح ودمه. وهذه المناولة ، هي طقس يقوم به المسيحيون اعتمادا بأحياء الفعل الذي قام السيد المسيح ليلة العشاء الأخير⁽³⁾، حيث أعطى السيد المسيح الرسل ، لقيمات ، وشريات نبيذ ، وقال لهم ان الخبز لحمه والنبيذ دمه، ومن ثم فهو متخلل فيهم، وهم صورة له ، أي نواب عنه يكملون طريقه بعد ذهابه(صعوده) إلى أبيه. ،وهنا تكمن أهمية الخلافة أن الرسل هؤلاء اعتمد المسيح عليهم وأقام لهم هذا الطقس ليكملوا طريقه بعد ذهابه إلى أبيه السماوي⁽⁴⁾، فهؤلاء هم الوساطة للاتصال بالله تعالى فكان وجودهم ضرورة حتمية، فقد أخبرنا العهد الجديد بمعاجز وكرامات هؤلاء الثلاثة وعلى رأسهم هامتهم وسيدهم. إذن هناك إطار معلوم للإنابة عند المسيحية ، وقد سبقه في اليهودية وهذا هو نظام يقوم به واحد أو أكثر، مختارين من قبل الله تكون مواهبهم أو اختيارهم إشعارا من الله لعبادة بأن هؤلاء نوابه، وممثلوه في الأرض ،وهو إشعار قد يأتي مشفوعا بمعجزات أو كرامات أو علامات مميزة تتنوع بحسب تنوع النواب الممثلين⁽⁵⁾. ويستوحي الفكر المسيحي من الرسالة إلى العبرانيين انه لما كان بإمكان الله أن يقود إلى الإيمان الذي يستحيل إرضاء الله بدونه⁽⁶⁾ من خلال طرق يعرفونها هو أناس يجهلون الإنجيل عن غير خطأ منهم فعلى الكنيسة تقع ضرورة ضرورة التبشير بالانجيل وهو حق لها أيضا، لذا يبقى نشاطها الإرسالي اليوم على كامل قوته وضرورته⁽⁷⁾.

ح- إن من أهمية الخلافة في المسيحية ان الرسل الذين أعدهم السيد المسيح للمحافظة على رسالته قد أوصاهم أن يبشروا بملكوت الله، ولما كانت دعوته (ع) هي البشارة باقتراب ملكوت الله⁽⁸⁾، ولما كانت رسالته قصيرة وكان يعلم بقصر رسالته ،فكان همّه أن يعد أشخاصا ليكملوا طريق امسيرة الأمانة

(1) م.ن ص 179.

(2) وهي في الفكر المسيحي بمعنى مفهوم الكلمة ،ظ: قاموس الكتاب المقدس، مقتبس من شبكة المعلومات، الانترنت ،موقع:

[http: www.Orthouthoux.org](http://www.Orthouthoux.org)

(3) العشاء الأخير : وهو العشاء الرباني الذي قام به السيد المسيح .ظ: الاب اميل الحاج البولسي ، القديس بطرس ، ط 1 ، 1997 ، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت - لبنان ، ص33.

(4) زيدان، يوسف، اللاهوت العربي،،اصول العنف الديني، ص 180.

(5) م.ن ص 181.

(6)ظ: العهد الجديد، الرسالة إلى العبرانيين 11: 6.

(7)ظ: م.ن، رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى 9: 16.

(8) ظ: م.ن ، انجيل مرقس 1: 14 - 15.

الإلهية التي حملها المسيح على عاتقهم بأن يذكروا الناس بأن هناك خاتمة للدين السماوي يقول المسيح(ع):((يجب علي أن أبشر سائر المدن أيضا بملكوت الله فإني لهذا أرسلت))⁽¹⁾.

لذا فهو قد قرن التخصصية من أجله بالتضحية من أجل البشارة فقال لتلاميذه : ((من أراد أن يبتغي في نفيه ويحمل صليبه⁽²⁾ و يبتغي لأن الذي يريد أن يخلص في حياته يفقدها وأما الذي يفقد حياته في سبيلي وسبيلي البشارة فإنه يخلصها))⁽³⁾.

ولأهمية الخلافة يجد المنتبع لرسالة السيد المسيح انه (ع) أعد التلاميذ اعدادا ليرتقوا معه سلم المسؤولية ، كيف لا وان لدعوة السيد المسيح ورسالته هي دعوة ورسالة عالمية وصحيح كانت في بداية دعوته مخصوصة لبني اسرائيل إلا أنها أخذت أبعادا أكبرا فالبشارة عالمية تهتم الناس جميعا ،وقد طلب من تلاميذه التبشير لها عالميا: ((اذهبوا في العالم وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعين))⁽⁴⁾. وهذا ما كان يفعله كما يقول متى ((وكان يسير في الجليل كلّه يعلم في مجامعهم ويعلن لبشارة الملكوت))⁽⁵⁾. وفي مرة دعا المسيح أحد الرجال ليكون من أنصاره فقال له (اتبعني: قال: إئذن لي أن أمضي أولا فأدفن أبي ،فقال له دع الموتى يدفنون موتاهم، وأما أنت فامض وبشر بملكوت الله))⁽⁶⁾، وهذا يستنتج أن لخطورة الوضع في تلك الظروف وما بيده الفريسيون من جانب والهيروودوسون من جانب آخر، ولقلة الناصر من الناس كان الأمر ملحا ومستعجلا بحيث يترك كل شيء من أجله،لذا يقول العهد الجديد((أرسلهم يسوع وأوصاهم قال: اذهبوا الى... بيت اسرائيل وأعلنوا في الطريق أن قد اقترب ملكوت السماوات))⁽⁷⁾.

إذا البشارة هي بأمر عظيم كرس السيد المسيح لإعداد تلاميذه كي يكون حاملوا لواء الدعوة من بعده باعتبارهم خلفاء من بعده لكي يعلنوا البشارة، والعجيب ان المفكرين المسيحيين وبعد كل هذه الشواهد التي تذكرها النصوص الدالة على فهم التلاميذ والناس الواقعي لملكوت الله وانه حكم على الأرض له

(1) م.ن ، انجيل لوقا 4: 42 - 43.

(2) أي يستعد للشهادة.

(3) العهد الجديد، سفر مرقس 8: 34 - 35.

(4) العهد الجديد، سفر مرقس 16: 15.

(5) م.ن متى 4: 23.

(6) م.ن لوقا 9: 59 - 60.

(7) العهد الجديد، سفر متى، 9: 5 - 7.

و...ينتظر مطرح معنى مثاليا غير واقعي عن الملكوت وبدون أي دليل وتعتبره وجودا غيبيا يدخله الناس بالتوبة ، فما معنى الانتظار إذا والتبشير يقرب حدوثه وأنه يكون في النهاية⁽¹⁾.

كما أن الناس فهموا أيضا من المسيح معنى ((ملكوت الله)) وأنه حكم ،واشتاقوا إلى الاشتراك فيه وتحصيل عزته وكرامته كما يظهر من هذا الحوار الذي ذكره القديس متى²³ في انجيله ((ووفدت إليه أن ابني زبدي ومعها ابناها وسجدت له أي انحنت له احتراماً)) تسأله حاجة فقال لها: ماذا تريدان؟ . قالت مرّ أن يجلس ابناي أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكوتك ، فأجاب يسوع انكما لا تعلمان ما تسألان ، أ تستطيعان أن تشربا الكأس التي سأشربها قال له نستطيع ، فقال لهما :أما كاسي فسوف تشربانها وأما الجلوس عن يمين وعن شمالي فليس لي أن أمنحه،بل هو للذين أعدده لهم أبي⁽²⁾.

إنه كأسه له أن يعطيه من يريد أما الجلوس عن يمينه وشماله في "ملكوت الله " فإنه يعود إلى الله إما بالانتخاب والتعيين المباشر أو ضمن الموازين التي يطبقها المسيح كنبى مرسل ، فأمره من أمر الله ، وبهذا تقع على مكان من كان اهلا لها فملكوت الله إذا هو حكم الهي على الأرض فيه قيادة ومناصب ومسؤوليات قضى الله عز وجل قيامة على الأرض لصالح الانسان والانسانية، فكما ان السموات صالح أمرها بتنفيذ مشيئة الله فيها كذلك ينتظر أن يصلح أمر الأرض بمن عليها ايضا بتنفيذ مشيئته فيها ، فتكون حينئذ في الأرض كما هي ي السماء وهذا هو ملكوت الله الذي يدعو المسيحيون في كلا صلاة من يوم الأحد طالبين من الله قدومه وحلوله كما علمهم المسيح(ع)،ومع ان المسيحيين غير ملتفتين عموما إلى المراد الحقيقي من الملكوت إلا أننا نشاهد هناك حالة من الانتظار واسعة لدى الملايين منهم، إن هذه الدولة الإلهية على الأرض ستكون لها بركات تعم كافة البشر في حياتهم المادية والمعنوية وهو المستفاد من قول المسيح لرسله ((فلا تهتموا فتقولوا ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس فهذا كله يسعى إليه الوثنيون.وأبوكم السماوي يعلم انكم تحتاجون إلى هذا كله، فاطلبوا أولا ...)) لذا فإن من اهمية الخلافة ان المسيح وضع لها الأسس وجعل من يتصدى للعمل التبشيري لمجيئه الثاني وحتى الوصول لذلك اليوم هناك من أعد ليبلغ الناس بملكوت الله ، لذا فالسعي في إقام حكم الله وملكوت الله في الأرض سوف ينتج عنه الحلول الكفيلة لكافة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها لأنها جميعا ناتجة عن سوء النظام السائد وفقدان العدل وفساد التوزيع وتسلط الاشرار على المقدرات،وليس هناك نظام أعدل واصح وأنفع من النظام الإلهي.لأن واضعه العليم الحكيم وعلا الخالق للإنسان والحياة والعالم بما يصلحها والعقل يحكم بضرورة بذل الجهود والجهاد في طلب حمكة الله وملكوته كباب واسع للخير بدل

(1) وللمزيد من التعرف راجع المهدي والمسيح وقراءة في الإنجيل.

(2) م.ن ،إنجيل متى 23 : 13 - 14.

حصر الهمّ وبذل الطاقات في البحث في المأكل والمشرب والملبس وفي أمور جزئية يسعى لها حتى الأشرار من الناس، ولا تشكل بحد ذاتها هدفا للحياة، كما قال السيد المسيح(ع).

2- رأي الفكر المسيحي الأرثوذكسي في أهمية الخلافة:

يعتبر الفكر المسيحي الأرثوذكسي أن هناك أهمية بالغة لضرورة وجود الخلافة من بعد قيامة المسيح(ع) وإلى هذا الوقت ، فهم يعتقدون أنه عند الرجوع إلى الكتاب المقدس ، وبالذات إلى العهد القديم ، فانهم يجدون أن الله لا يسمح لأي إنسان كان يقوم بممارسة الكهنوت إلا المختارين منه⁽¹⁾، والمقامين لأداء هذه الوظيفة بطريقة رسمية صحيحة، ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هارون أيضا⁽²⁾، لذا فالارثوذكس يرون ان لاهمية الخلافة ان هناك نصوص من العهد القديم والعهد الجديد وهي نصوص دينية مقدسة تبين ضرورة تسلسل الاكليروس من زمن الرسل ومن بعده الاباء الاولين وتابعيهم حتى اولية روما وقيام البابوات الى هذا الوقت، لذا فهم يستدلون عليها من خلال النصوص في العهد القديم والعهد الجديد .

أ- الاستدلال على الخلافة والكهانة من خلال العهد القديم.ويستدلون على ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

1- قصة عزيا الملك (ولما تشدد أرتفع قلبه إلى الهلاك...ودخل وراءه عزريا والكاهن ومعه.. من كهنة الرب بني الباس،واقاموا عزريا الملك وقالوا له ليس لك يا عزريا أن توقد للرب،بل للكهنة بني هارون المقدسين للإيقاد،اخرج من المقدس لأنك خنت..)⁽³⁾. وتحقق في هذا القول يوحنا المعمدان((لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطي من السماء))⁽⁴⁾.

2- اختيار هارون ((وقرب إليك هارون..وبنيه من بين بني اسرائيل ليكهن لي..))⁽⁵⁾،فبالرغم من اختيار الله الواضح لهارون للكهنوت،فقد خرج قوم يطلبون أن يكونوا كهنة بدون اختيار إلهي كما هو الحال عند قورح ودathan الذين ادعوا الكهنوت من أنفسهم⁽⁶⁾.

وفي العهد القديم يرى المفكرون الارثوذكس أن الأمر فيه تعبير عن منهج الله في تتابع الرئاسة والخدمة بطريقة تسلسلية ، وليس بحسب استحسان كل إنسان لنفسه.

ب- أما من جهة العهد الجديد فالمفكرون الأرثوذكس يوردون العديد من النصوص تشرح كيف أقام الرسل خلفاء لهم بوضع الأيدي،سواء للقسوس أوالاساقفة أوالشماسة منها:

(1) نيافة الأنبا رافائيل ، الخلافة الرسولية في الفكر الأرثوذكسي ، مقتبس من شبكة المعلومات الأنترنيت، موقع: <http://ii.www.Orthodox.org> وظ:موقع الأنبا تكلا: <http://II.www.st-takla.org>

(2) العهد الجديد، الرسالة إلى العبرانيين 5 : 4

(3) العهد القديم ، سفر أخبار الأيام الثاني 26: 16 - 21.

(4) العهد الجديد، انجيل يوحنا، 3 : 27.

(5) العهد القديم ، سفر الخروج، 28: 1.

(6) م.ن، سفر العدد 16: 3، 7: 10، 28 - 30 ، 35.

1. ((فصلوا ووضعوا عليهم الأيدي))⁽¹⁾.

2. ((وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا شاوول للعمل الذي دعوتهما إليه فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيدي ثم أطلقوهما))⁽²⁾، فواضح هنا أنه ليس وضع اليد للبركة أو للشفاء أو لحلول الروح القدس على المعمدين ((فهذا السبب أذكرك أن تضرم أيضا موهبة الله التي فيك بوضع يدي))⁽³⁾.

من الواضح من خلال النصوص المتقدمة أن الله سبحانه لم يسمح للأبي إنسان كان أن يقوم بممارسة الكهانة إلا المختارين منه، وهذا إن دل فإنما يدل على خطورة الخلافة وضرورتها والحاجة الملحة إلى الكهنوت.

3- رأي الفكر البروستانتي في أهمية الخلافة :

يعتبر الفكر البروستانتي ان فكرة خلافة السيد المسيح ليس لها اصل من بعد الرسل لانه يمكن ان يصبح أي مؤمن هو بنفسه خليفة للسيد المسيح عند اعتماده على النصوص الانجيلية، فهم يعتبرون النصوص الانجيلية كافية لان تصل بالانسان ان يكون قريبا من الله ووسيطا قريبا من الله فلا حاجة ولا ضرورة للكهنوت لان الكاهن الاعظم والوسيط والشفيع الوحيد هو السيد المسيح الذي افتدى نفسه كذبيحة تكفر خطيئة البشر فاصبح هو الذبيح الفادي لنا وبالتالي لا حاجة للخلافة⁽⁴⁾.

ثانيا: أهمية الخلافة عند اهل التوحيد:

ان من أهمية الخلافة وضرورتها عند اهل التوحيد هي المحافظة على رسالة المسيح واكمال ديمومتها التي هدفت إلى هداية الانسان وتكامله المعنوي في بعده الفردي والاجتماعي نحو الله والحقيقة والصلاح، فيكون عابدا لله وسائرا مع الحق والحقيقة وصالحا في حياته فلا كفر ولا ضلال ولا فساد، وهذا الهدف هو ليس مقتصرنا بني اسرائيل وحدهم، وانما ليشمل مستوى الخليقة جمعاء والأرض كلها، وقضى استمرار المسيرة حتى بلوغها الهدف المنشود برعاية قادة ربانيين يخلفون السيد المسيح إلى مجيء الديانة الخاتمة، والدليل على ذلك ما اقتبس الفكر المسيحي في زمن بولس بالتحديد، بان ياخذ، ويستفاد من التنظيم الكنسي من اهالي قمران، حيث ان لديهم تنظيم كنسي قد جعل للخليفة أهمية كبيرة من حيث المسؤولية الملقاة على عاتق الامة بالالتزام باوامره وطاعته وحقوقه المترتبة على اتباعه الذي جاء بنص الهي انه واجب الطاعة له، يقول العهد الجديد في ((كما أرسلني الأب كذلك أنا أرسلكم))⁽⁵⁾ وفي نص

(1) العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل 6 : 6.

(2) م. ن 13 : 2 - 3.

(3) م. ن رسالة بولس الثانية إلى تيماسوس 1 : 6.

(4) عماد عبد المسيح ، مفهوم الكهنوت الكتابي، موقع مقتبس من شبكة المعلومات ، الأنترنيت

(5) العهد الجديد، انجيل يوحنا 21:20، وظ: المجمع الفاتيكاني الثاني، دساتير - قرارات بيانات، ترجمة الاب حنا الفاخوري، ط2، 2004، منشورات المكتبة البوليسية.

نص آخر ((من سمع منكم فقد سمع مني ... ومن نبذني فقد نبذ الذي أرسلني))⁽¹⁾، وعلى هذا يبني الفكرالديني المسيحي على ان الكنيسة المؤسسة على المسيح، هي مبنية بناء ثابتا على أساس الرسل الذي وضعه المسيح نفسه⁽²⁾، ومرتبطة ارتباطا دائما بشهادتهم⁽³⁾، ولا تستطيع أن تكون كنيسة المسيح الحقيقية إلا عندما تكون كنيسة رسولية وتحافظ عبر الزمن على هوية الانطلاقة الرسولية. وهو ما يستشهد به اغلب المفكرين المسيحيين⁽⁴⁾.

(1) م.ن انجيل لوقا 10: 16.

(2) مجموعة مؤلفين من أساقفة كنيسة ألمانية، المسيحية في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي للبالغين) ترجمة المطران كيرلس سليم، ط1، 1998م، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ص 326.

(3) العهد الجديد، انجيل متى 16: 18، وظ: الرسالة الى اهل افسس 2: 20، وظ: رؤيا يوحنا 21: 14.

(4) ظ: الحداد، يوسف درة، فلسفة المسيحية (الرسائل الكلامية)، ص 426.

المطلب الثالث

مشروعية الخلافة

تناول البحث في المطلبين السابقين لمفهوم الخلافة وأهمية الخلافة ،من أن الديانة المسيحية ، قد انقسمت إلى فريقين، هم أصحاب عقيدة التثليث ، وأصحاب عقيدة التوحيد، وفي هذا المطلب سيبين الباحث مشروعية الخلافة من خلال الأدلة النقلية من النصوص الإنجيلية وهي أهم المصادر المسيحية، بالإضافة إلى المصادر العقلية لكلا الفريقين. ولما كان فريق أصحاب التثليث هم قد انقسموا إلى فرق ،كان على إن يبين استدلالات هذه الفرق .وقد اقتصرها الباحث على أهم الفرق عندهم ، وهي الكاثوليك والاورثوذكس، والبروتستانت.

أولاً: مشروعية الخلافة للقائلين بعقيدة التثليث:

من المعروف أن الفكر المسيحي قد انقسم إلى ثلاثة طوائف رئيسة هم أساس التكوين المسيحي الممتد من زمن الآباء الرسولييين والى زماننا هذا ، ويمثلون الفكر المسيحي عموماً بالنسبة للقائلين بعقيدة التثليث، وهؤلاء قد انقسمت الرؤى عندهم أيضاً حول مشروعية الخلافة من بعد السيد المسيح إلى آراء:

1. أدلة الفكر الكاثوليكي على مشروعية الخلافة:

يبين الفكر المسيحي بشكل واضح مشروعية خلافة السيد المسيح عن طريق التنصيب الإلهي من خلال ما صرح به السيد المسيح(ع) وكذلك هناك أدلة أخرى على مشروعية الخلافة عن طريق الأدلة العقلية:

أ. أدلة الفكر الكاثوليكي من خلال الأدلة النقلية .

الدليل الأول: : يرى الفكر المسيحي الكاثوليكي أن الأناجيل متفقة من أن السيد المسيح قد عهد إلى رسله برسالته التي تلقاها من الله ، وأوكل إليهم مهمة البشارة بالإنجيل لجميع الأمم حتى انقضاء الدهر، يقول السيد المسيح: ((لقد أعطيت كل سلطان في السماء والأرض

فأذهبوا وتعلموا جميع الامم، وعمدوهم باسم الاب، والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصاكم به ، وها أنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم))⁽¹⁾.

الدليل الثاني:ويقول العهد الجديد في نص آخر:((كما أرسلني الأب كذلك أنا أرسلكم))⁽²⁾وفي نص آخر ((من سمع منكم فقد سمع مني ... ومن نبذني فقد نبذ الذي أرسلني))⁽³⁾،وعلى هذا يبني الفكرالمسيحي على ان الكنيسة المؤسسة على المسيح،هي مبنية بناء ثابتا على أساس الرسل الذي وضعه المسيح نفسه⁽⁴⁾،ومرتبطة ارتباطا دائما بشهادتهم⁽⁵⁾ ولا تستطيع أن تكون كنيسة المسيح الحقيقية إلا عندما تكون كنيسة رسولية وتحافظ عبر الزمن على هوية الانطلاقة الرسولية.

الدليل الثالث: ومن الادلة ان رسل السيد المسيح كانوا في يوم العنصرة (يوم الخمسين) وبعد قيامته، مجتمعين حلّ عليهم الروح القدس فأصابتهم حالة الوحي ، وعندما سخرروا اليهود منهم وظنوا سكارى ومخبولين قام بطرس يوضح الموقف ويقرر أن حلول روح الله، انما كان تحقيقا لنبوذة وردت في اسفار العهد القديم عما سيكون في آخر الزمان وهو الزمان الذي عاش فيه بطرس،يقول العهد الجديد((امتأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح القدس أن ينطقوا... فبهت الجميع وتعجبوا ، وكان آخرون يستهزئون فوقف بطرس مع الاحد عشر ورفع صوته وقال له ايها الرجال اليهود... ليكن هذا معلوما عندكم واصغوا إلى كلامي لأن هؤلاء ليسوا سكارى... بل هذا ما قاله يوءيل النبي ، يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة اني اسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاما ...فيتنبأون))⁽⁶⁾.

مما تقدم يتبين أن الرسل قد حل عليهم الروح القدس وبالتالي فقد أصابتهم حالة الوحي ورسائله،وهذا يثبت نبوتهم،وخلافتهم،من بعدالمسيح(ع)،وهي دليل على صدق الأنبياء،وبالتالي هو عهد من المسيح(ع)لهؤلاء ليحافظوا على الرسالة،والدعوة التي جاء بها.

(1) العهد الجديد، انجيل متى28: 18-20، وظ: انجيل مرقس 16: 15 - 18، وظ: انجيل لوقا 24 : 47 - 48 .

(2) العهد الجديد، انجيل يوحنا 20:21، وظ: المجمع الفاتيكاني الثاني، دساتير - قرارات بيانات، ترجمة الاب حنا الفاخوري، ط2، 2004، منشورات المكتبة البوليسية.

(3) م.ن انجيل لوقا 10 : 16.

(4) المسيحية في عقائدها ص 326.

(5) العهد الجديد، انجيل متى 16: 18، وظ:الرسالة الى اهل افسس2: 20، وظ: رؤيا يوحنا 21: 14 .

(6) العهد الجديد، أعمال الرسل2: 4 - 18 ، ظ: عبد الوهاب أحمد ، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام، ط1 ، 1399 ، 1979م، منشورات مكتبة وهبة ، القاهرة.

4- الدليل الرابع ((هم أرسلهم ليبيشروا بملكوت الله ويجروا الأشفية))⁽¹⁾ من خلال هذا الآية يذكر المفكرون الكاثوليك انه بعد اختيار المسيح للرسل (للاثني عشر)، لكي يكونوا معه في رسالته⁽²⁾، قد أشركهم في سلطانه وبالتالي فانه سيظلون إلى الابد شركاء في ملكوت المسيح ، لأن المسيح يسوس بهم الكنيسة⁽³⁾، ويذكر العهد الجديد ((أنا أعد لكم الملكوت كما أعده لي أبي، لكي تأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على عروش ، لتدينوا اسباط اسرائيل الاثني عشر))⁽⁴⁾.

الدليل الخامس: يقول الفكر المسيحي الكاثوليكي ومن خلال تفسير معاني النصوص الانجيلية والتي تبين ان الكنيسة (رسولية) لأنها مؤسسة على الرسل يستدل هذا الفريق بالتنصيص على خلافتهم من خلال تفسير معاني النصوص الانجيلية ومنها:

1 - لقد بينت الكنيسة ولاتزال على ((أساس الرسل))⁽⁵⁾ يستدل هذا الفريق بالتنصيص وهم شهود مختارون ومرسلون من قبل السيد المسيح نفسه⁽⁶⁾.

2- الكنيسة تحفظ وتنقل بمساعدة الروح القدس الساكن فيها والتعليم⁽⁷⁾، والوديعة الخيرة، والأقوال السليمة التي سمعتها من الرسل⁽⁸⁾ وبالتالي فهي "الكنيسة" لا تزال يعلمها الرسل ويقدمونها ويسوسونها إلى عودة المسيح بفضل من يخلفونهم في مهمتهم الراعوية، فهياة الأساقفة ((يساعدهم الكهنة بالاتحاد مع خليفة بطرس، راعي الكنيسة الأعلى))⁽⁹⁾. لهذا جاء النص الانجيلي مؤيدا مشروعية استمرار الخلافة بالقول ((أيها الأب..، أنك لا تهمل قطيعك، بل تحافظ عليه يرسلك الطوباويين في ظل حمايتك الدائمة، أنك تسوسه أيضا بهؤلاء الرعاة أنفسهم الذين يواصلون.. عمل أبئك))⁽¹⁰⁾.

لذا يعتقد الفكر الكاثوليكي ان رسالة المسيح لأجل أن تستمر وتدوم، سلم الرسل الأمانة إلى من أقاموا برسامتهم، ((فلكي تظل الرسالة التي أوتمن عليها الرسل مستمرة بعد موتهم

(1) العهد الجديد، انجيل لوقا 9: 2.

(2) العهد الجديد: انجيل مرقس 3: 13 - 91.

(3) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص 178.

(4) العهد الجديد، انجيل لوقا 22: 29 - 30.

(5) م.ن، رسالة بولس إلى أهل أفسس 2: 20، وظ: م. ن سفر رؤيا يوحنا 21: 14.

(6) م.ن ، انجيل متى 28: 16 - 20 ، وظ: أعمال الرسل 1: 8.

(7) م.ن ، أعمال الرسل 2: 42.

(8) م.ن ، رسالة بولس الثانية إلى ثيماتاوس 1: 13 - 14.

(9) نشاط الكنيسة الارسالي (المجمع الفاتيكاني الثاني) قانون رقم (5)، نقلا عن التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية 857 ،

ص 273.

(10) كتاب القديس الروماني، مقدمة الرسل ، نقلا عن م.ن .

سلموا معاونيهم الأذنين ، تسليم وصية ، مهمة انجاز العمل الذي بدأه وترسيخه ، وأوصوهم بالسهر على القطيع الذي أقامهم فيه الروح القدس ليرعوا كنيسة الله ، فأقاموا هؤلاء الرجال ورسوموا لهم للمستقبل أن يستلم زمام خدمتهم بعد مماتهم رجال آخرون مختبرون))⁽¹⁾. مما تقدم يتبين أن هناك نصوص تبين الخلافة من خلال النصوص التي صرح بها السيد المسيح(ع) ، إلا أن الفكر الكاثوليكي قد بين أن هناك نصوص إنجيلية تبين التنصيب الإلهي على شخصية معينة يكون رأس الكنيسة وأساسها وهذه الكنيسة سيكون خليفته من بعده "بطرس" مباشرة ويستدلون على ذلك من خلال النصوص والأدلة الآتية.

فان لرسالة السيد المسيح بعد ارتفاعه كان من الطبيعي المحافظة عليها وديمومتها وذلك عن طريق الامتداد الطبيعي له وهم خلفائه ، الا انه قد نص على شخصية واحدة تتبنى مهام الخلافة، ومقام الزعامة على رسله الاثني عشر. فلقد كانت هناك قرائن تثبت على خلافة بطرس على التلاميذ وسلطته ومنها:

أولاً: إن تولية إعطاء الأسماء للأشياء هي سلطة فهناك رهبان يغيرون أسماءهم لكسب الخدمة الجديدة⁽²⁾ وبطرس لم يكن اسمه بداية أمره بل هو سمعان⁽³⁾، إلا إن السيد المسيح قد غير اسمه بالقول ((أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيسة))⁽⁴⁾.

ثانياً: وورد اسم بطرس دعا في مقدمة أسماء الرسل⁽⁵⁾ وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على زعامة بطرس⁽⁶⁾ وسلطته⁽⁷⁾.

ثالثاً: لقد دعا يسوع بطرس ثلاث، فقد دعاه ليكون تلميذاً، ودعاه ثانية لكي يكون رفيقاً له ملازماً إياه

⁽¹⁾ في الكنيسة (المجمع الفاتيكاني الثاني)، قانون رقم (20).
⁽²⁾ الأب فادي القس ليون نسان: محاضر متخصص في اللاهوت والفلسفة المسيحية في كلية بابل الحبرية للاهوت في عينكارا - أربيل - أجرى الباحث عدة لقاءات مع الاساندفو التخصصيين في اللاهوت والفلسفة المسيحيين ولمدة خمسة أيام من 27 - 31 / 1 / 2010 ومنهم الأب د. يوسف توما، والأب جنان: والأب سامي والعنوان البريدي لا بونا فادي هو:

Fadilion2004@hotmail.com.

⁽³⁾ العهد القديم، سفر متي 17، ينظر: تاريخ الشعوب المشرقية: المطران: يوسف الدبسي مجلد 3: الجزء 2 فصل 2، عد 4: 4: 5: 446 المطبق المارونية بيروت 1898.

⁽⁴⁾ متي 16: 18، وقد جاءت أول شهادة علنية لأولية وسلطة بطرس في الفكر المسيحي على لسان ترتليانوس، ينظر: موقع (.....) وفيه مقالة بعنوان: ((روما: نظرة أخرى الأرثوذكسية والبابوية)): أولفيه كليمان: ترجمة كاترين سرور، وينظر: شبكة الكنيسة: قاموس الكتاب المقدس:

<http://WWW.Arabchurch.com>.

⁽⁵⁾ ينظر: متي 10: 2، ومرقس 16: 3، ولوقا 6: 14، وأعمال الرسل 1: 13.
⁽⁶⁾ الأب جنان: محاضرتي كلية بابل الحبرية للاهوت في عينكارا- أربيل لقاء اجراه الباحث حول مشروعية خلافة بطرس بطرس وذلك يوم الأحد 30 / 1 / 2010، في كلية بابل للاهوت عينكارا- أربيل وقد أيد هذا الطرح الأب فادي متخصص باللاهوت والفلسفة في نفس الكلية.

⁽⁷⁾ شبكة الكنيسة- قاموس الكتاب المقدس، مادة بطرس: <http://WWW.Arabchurch.com>، وظ: متي 17: 1، مرقس 5: 37 و 9: 2 و 13: 3 و 14: 33، ولوقا 8: 51 و 9: 28.

باستمرار⁽¹⁾، ثم دعاه الثالثة: لكي يكون رسولاً له⁽²⁾.

وعوداً على النص الإنجيلي السابق حيث سأل المخلص تلاميذه قائلاً ((من تقول قول الناس أن ابن البشر فقالوا: أنك أنت هو الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ولك أعطي مفاتيح ملكوت السماء وكل ما ربطته في الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما حللته في الأرض يكون محلولاً من السماء))⁽³⁾.

فإن في هذه النصوص ثلاث استعارات ناطقة ، تبين أن المخلص أراد أن يجعل بطرس رئيساً لكنيسته ،أولاًها استعارة الصخرة فإن المخلص لم يشأ أن يضرب أطناب مظلة أو أن ينصب خباء بل شاء أن يقيم بناءً راسخاً على صخر مؤبداً لا تزعه الأيام وهذا البناء معنوي لا مادي فاستعار كلمة صخرة لبطرس الذي جعله أساساً لهذا البناء الأبدي قائلاً أنت هو الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي مدينة الخلاص فلا يقوى عليها المقارمون في كفره أو أراطقة غير عنهم بأبواب الجحيم⁽⁴⁾، والثانية استعارة المفاتيح إذ قال له ((ولك أعطي مفاتيح ملكوت السماء)) فملكوت السماء هو كنيسته وقد تواتر تعبيره عنها بذلك وما معنى تسليم مفاتيح دار إلى رجل أو تسليم مفاتيح مدينة إلى ملك أو وال غير تسليطها عليهما وإطلاق التصرف لهما هما ولم يفهم القدماء ولا الحدباء ولا يفهم الآن كل منصف بتسليم هذه المفاتيح إلا هذا المعنى وهذا بديهي بأبي كل تأويل⁽⁵⁾ والاستعارة الثالثة هي استعارة الحل والربط لسلطة بطرس في ملكوت المسيح 7 الذي هو الكنيسة بحيث أن كل ما يربطه بطرس فيها يكون مربوطاً في السماء وكل ما يحله فيها يكون محلولاً في السماء أجل أن المخلص (السيد المسيح) عبر عن بهذه الاستعارة نفسها أيضاً عن السلطة التي منحها لرسله ليحل كل منهم ويربط في الكنائس الخصوصية التي يبدونها على أن قوله لهم شامل بطرس أيضاً إذ وجهه إلى جميعهم أما قوله لبطرس فلا يشملهم لأنه خصه به والمقام يقتضي أن يزيد شيئاً عليهم مكافأة له على إقراره بلا هوته دونهم فلا يستقيم معنى لهذا الاختصاص إلا بأنه منح سلطة الربط والحل العليا على جميعهم وعلى الكنيسة كلها ولم لا نراه قال مثل ذلك لغيره منفرداً⁽⁶⁾ فضلاً

(1) ينظر: العهد الجديد، متي 4: 19، مرقس 1: 17، ولوقا 5: 10.

(2) شبكة الكنيسة، قاموس الكتاب المقدس، مادة بطرس: <http://WWW.Arabchurch.com>.

(3) العهد الجديد، متي 16: 13-20، ينظر: مرقس 8: 27-30، لوقا 9: 18-21 وينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس المقدس شرح هذه الآيات ص 1929.

(4) المطران يوسف إلياس الدبس ، تاريخ الشعوب المشرقية: المجلد الثالث: الجزء الثاني فصل 2، عدد 5: 5: 458-459، طبع في المطبعة المارونية- بيروت، 1898.

(5) م.ن : 459.

(6) م.ن.

عن تأييد الاستعارتين الأولى والثانية لهذا المعنى الذي أجمع عليه الآباء والعلماء والمفسرون الكاثوليكيون، وما أبطل تحمل بعض الأراطقة وجهاً ليغشوا سطوع هذه الآيات بقولهم أن المخلص قال بطرس على ما في اليونانية واللاتينية أنت هو بطرس وعلى هذه الصخرة أبني بيعتي وأنه يريد بالصخرة نفسه فكيف يلتحم هذا التأويل مع باقي كلام المخلص الذي أراد الآيكا في بطرس إقراره بلا هوته⁽¹⁾.

وما يكون معنى قوله أنت بطرس أحتاج بطرس أن يعلم أنه بطرس ولمّ عني المخلص قوله الصخرة إنما هي نفسه أضافت عليه المذاهب في التعبير من هذا المعنى وهب تمهلهم للاستعارة الأولى صحيحاً فما يصنعون بالاستعارة الثانية ((لك أعطي مفاتيح ملكوت السماء هذا)) وان المخلص خاطب بطرس بالسريانية ، "أنت كيفا وعلى هذا كيفا ربنا لعيدات". ولمّ بدل اسمه وسماه كيفا وحفظت جميع الترجمات هذه اللفظة على أصلها مفسرة إياها بصخرة أو صفات⁽²⁾.

ب- أيهم الأعظم: وهناك نص واضح وجلي يبرهن على رئاسة بطرس وزعامته وقيادته وهي أن السيد المسيح 7 قال لبطرس ((هو ذا الشيطان سأل أن يغربكم مثل الحنطة لكني صليت لأجلك لئلا ينقص إيمانك وأنت متى رجعت فثبت أخوتك))⁽³⁾ وفي هذين النصين بينتان دامغتان.

الأولى: إن المسيح (ع) صلى لاجل بطرس لئلا ينقص إيمانه فلم يخصه بالصلاة لئلا ينقص إيمانه إلا لأنه جعله رأساً للرسل والكنيسة وحتى إذا ثبت الرأس والأساس أمن على الأعضاء من الزيغان، وعلى البناء من السقوط كما فسر أشهر الآباء⁽⁴⁾.

ويبدو من خلال تاريخ الفكر المسيحي انه لم يامن على بعض الاصحاب من الزيغان ،وهم الذين اسسوا الديانة المسيحية. على مقولة التثليث.

والعجيب الغريب ان النصوص الانجيلية، تعطي صورة ضبابية وتشويش لمقام بطرس فبعد ان وضعته باعلى وافضل صورة لمقام الخلافة والرياسة من بعد السيد المسيح ،واذا بها في نصوص اخرى تتعنته بانه جاحد ، بل ان المعلن نهره ووصمه بالشيطان ، ثم بعد ذلك تحسن من صورته مرة اخرى كي تمحو الصفة التي نعته بها السيد المسيح وذلك عندما صلى السيد المسيح لاجله والغريب ان الاباء يفسرون ان

(1)المطران يوسف إلياس الدبس ، تاريخ الشعوب المشرقية :ص459.

(2) م.ن : 460.

(3) لوقا 22: 31، وظ : التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: 2150، تفسير إنجيل لوقا 22: 24-31.

(4)المطران يوسف إلياس الدبس ، تاريخ الشعوب المشرقية: الدبس: 460.

لبطرس في النصوص الانجيلية التي تذكره بأن له جحود حيث ان بطرس سوف يجعل من هذه الهفوة (الجحود) لان تكون توبة له كما فسر بعض الأراطقة خاصة فيبقى البرهان على ثباته وقوته فلم هذه العناية بأنه لا ينقص إيمانه إلا لأنه أسس الكنيسة وبهمه أمره وهو وأن جحد المخلص بلفظه فلم يجده بقلبه.

ولم يكن رأس الكنيسة وجحوده لم يجعل المسيح يخلف وعده له وقد رأيناه بعد ذلك قبيل صعوده يقول له ((أرع خرافي أرع نعاجي))⁽¹⁾، والبينة الثانية قوله ((وأنت متى رجعت فثبت أخوتك)) فلمن من الرسل قال المخلص مثل هذا الكلام ولم يأمره أن يثبت أخوته إن لم يكن أقامه رئيساً لهم وقد قال له هذا وهو ينذره بجحوده ويرى ما يستحوذ عليه من الضعف فلو لم يكن عزمًا أن يجعله الرئيس من بعده⁽²⁾ فكان الأولى أن يقول مثل هذا الكلام ليوحنا أو غيره من الرسل الذين لم يجحدوه⁽³⁾.

ج- أما النص الثالث من العهد الجديد والذي تبين قيادة وزعامة بطرس وهي بينة جلية وواضحة رواها يوحنا الذي رأى بطرس يدير الكنيسة،(وهذه الادارة من للكنيسة هي الخلافة بعينها، فهي زعامة دينية، وادارة لجماعة المؤمنين، والعناية بهم) ،وفي الفصل 21 لانجيل يوحنا وهو الأخير من بشارته ، يظهر أن السيد المسيح قبل صعوده لرسله وهم يصيدون في بحيرة طبرية وأمرهم أن ينقلوا شبكتهم من جانب السفينة الأيمن وضبطوا سمكاً كثيراً ولما علم بطرس أنه الرب طرح نفسه في البحر آتيا إليه وبعد أن تغدوا سأل يسوع بطرس ثلاثاً: يا سمعان أتحنني أكثر من هؤلاء؟ فأجابه بطرس ثلاثاً: نعم يا رب أنت تعلم أنني أحبك فقال له يسوع في المرة الأولى ((أرع خرافي))، وفي المرة الثانية ((أرع غنمي))⁽⁴⁾، وفي المرة الثالثة ((أرع نعاجي)) فالمسيح أنجز بقوله هذا وعده لبطرس أن يجعله رأساً للكنيسة بنوع لا يحتمل زيادة في التصريح فلم سؤاله له ثلاثاً أن كان يحبه أكثر من باقي تلاميذه إلا لبيان أهمية ما يوليه إياه. ويقول القديس امبروسيس في تفسيره بشارة لوقا " فصل10 " ((أنه لم يسلم إليه خرافه فقط كما في المرة الأولى ولا غنمه فقط كما في المرة الثانية بل نعاها أيضاً وهذا يبين أنه ليس راعياً للخراف فقط بل راعي الرعاة أيضاً))⁽⁵⁾، وكذلك أجمع الآباء والمفسرون الكاثوليكيون على أن المراد من ذكر المسيح الخراف والنعاج

(1) المطران يوسف الياس الدبس : تاريخ الشعوب المشرقية : 460.

(2) م.ن : 460.

(3) ط: شبكة الكنيسة، قاموس الكتاب المقدس، مادة بطرس: <http://WWW.Arabchurch.com>.

(4) في النسخة السريانية "أرع غنمي" وفي النسخة اللاتينية "أرع خرافي أيضاً"، ط: الدبس: تاريخ الشعوب المشرقية: 461.

(5) ط: ، شبكة المعلومات الأنترنت ، قاموس الكتاب المقدس: مادة بطرس ، مقتبس من موقع: شبكة الكنيسة، موقع:

<http://WWW.Arabchurch.com>.

إنما هو ان يبين أن المؤمنين أجمعين من رؤساء ومرؤوسين خاضعون لرياسة بطرس وسلطته⁽¹⁾.

لذا فإن الكاثوليك وفي مقرراتهم في المجمع الفاتيكاني الثاني جعلوا من الأدلة على مشروعية الخلافة ، هي ان الكنيسة الكاثوليكية وحدها والتي هي وسيلة عامة للخلاص يمكن الحصول على ملئ وسائل الخلاص ، فالهيئة الرسولية التي بطرس رأسها وهو المختار من قبل المسيح من بين الرسل ليكون رأسا عليهم وبعد بطرس قد أقيم خلفاؤه وسموا بالكرسي الرسولي مدة الهيئة وحدها بحسب إيمان الفكر الديني الكاثوليكي قد أوتمن على جميع غنى العهد الجديد، لتكون على الأرض جسدا واحدا للمسيح الذي ينبغي أن يندمج به ملء الاندماج جميع الذين أمسوا من شعب الله⁽²⁾ .

يقول العهد الجديد ((فأقام منهم الاثني عشر⁽³⁾ سمعان ولقبه بطرس⁽⁴⁾))⁽⁵⁾ انه في هذا المجمع احتل سمعان في رسالته خاصة بفصل كشف آت من الأب كان بطرس قد اعترف ((أنت المسيح ابن الله الحي))⁽⁶⁾، قد أعلن له المسيح اذ ذاك ((أنت الصخرة ، وعلى هذه الصخرة الصخرة سأبني كنيسة ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها))⁽⁷⁾ والمسيح هو ((الصخرة الحية))⁽⁸⁾، ((الحيه))⁽⁸⁾، يؤكد لكنيسة ، المبنية على الخرة وبطرس نظرا إلى إيمانه الذي اعترف به سيبقى صخرة الكنيسة التي لا تتزعزع وسيكون في عهده أن يحفظ هذا الإيمان سليما من أي عثرة وأن يثبت فيه اخوته⁽⁹⁾. وقدمه يسوع إلى بطرس في سلطة نوعية ((سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه يكون مربوطا في السماوات وما تحله على الأرض يكون محلولا في السماوات))⁽¹⁰⁾.

إن الفكر المسيحي وتقليده قد وعى تدريجياً للصلة الناشئة بين منزلة بطرس ومنزلة راعي كنيسة روما،

(1) الدبس: تاريخ الشعوب المشرقية: 461.

(2) ظ: الحركة المسكونية (المجمع الفاتيكاني الثاني) ، 3 ، نقلا عن الدبس: تاريخ الشعوب المشرقية: ، ص 262.

(3) صعوده معهم إلى الجبل هي للاعتزال بهم لأمر هامة ، الرهبانية اليسوعيين الكتاب المقدس ، الألف باء والياء ،

العهد الجديد هامس رقم (12) ص 135.

(4) ظ: م.ن هامس رقم (16)

(5) العهد الجديد، انجيل مرقس 3: 16.

(6) الفاتيكاني ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص 187.

(7) العهد الجديد، انجيل مرقس 16: 18.

(8) م.ن ، رسالة بطرس الأولى ، 2: 4.

(9) م.ن انجيل لوقا 22: 32.

(10) م.ن ، انجيل متى 16: 19.

ضمن مصف الأساقفة، ويبدو أن توتليانوس قد كان السياق، في مطلع القرن الثالث في التذكير باعتراف قيصر له⁽¹⁾، وجعله في صالح الأولية الرومانية بالقول ((أنت هو الصخرة)) بعد ذلك سيلزم الآباء فترة طويلة جانب التحفظ ان انفتاح النصوص هذا على بطرس والصمت الذي سبقه يجب أن يوضحا في مكانهما الصحيح، فالقانون الخاص بالكتاب المقدس لن يحدّد في الواقع، إلا حوالي 180 آنذاك فقط، وبعد اكتشاف الصلة بين الأساقفة والرسل، والتأكد منها تمام التأكد، أمكن وضع موازاة بين تراتبية الرسل التي يجب إذن انتظار عمل ترتليانوس اكليمينوس⁽²⁾ الاسكندري معاصر 215، من أجل الوقوف على أولى الشروحات التاريخية التي تكتسي بعضاً من التماسل، للمقاطع الإنجيلية التي تتحدث عن زعامة بطرس⁽³⁾ ويقول جان ماري تيار وأنه لمشوق أن يقرأها المرء تباعاً لأنها توحى مسبقاً بالاسلوب: ((أيكون بطرس قد غفل عن شيء ما هو الذي دُعي الصخرة التي عليها سئبني الكنيسة، والذي حصل على مفاتيح ملكوت السماوات وعلى سلطان الحل والربط في السماء كما على الأرض؟ أيكون قد غاب شيء عن يوحنا))⁽⁴⁾.

فإن اعتقدتم أن السماء ما زالت مغلقة، فتذكروا أن الرب قد ترك المفاتيح لبطرس هنا وبواسطة الكنيسة، هذه المفاتيح التي سيصحبها معه كل واحد، إذا ما جاهر بإيمانه عندما يُسأل عنه⁽⁵⁾. لذا فالكاثوليك يعتقدون ويجزمون أن سلطة المفاتيح التي عهد بها المسيح وسلمها إلى بطرس هي سلطة سياسة بيت الله الذي هو الكنيسة⁽⁶⁾، وهذه السلطة قد ثبتها المسيح بعد قيامته، وهذا السلطان هو سلطان حل الخطايا واعلان احكام عقائدية واتخاذ قرارات تأديبية في الكنيسة⁽⁷⁾، وقد عهد يسوع عنده السلطة إلى الكنيسة عن طريق خدمة الرسل⁽⁸⁾. ويذكر جان ماري تيار إن ((اعتراف بطرس))⁽⁹⁾ في التقليد الغربي، هو منذ قرون عديدة أكثر النصوص اعتمادا ، لدعم قناعة الجماعة المسيحية الأولى، بخصوص مثبت ((أولوية بطرس))، وفي الواقع أن أكثر الوثائق صراحة، غير

(1) م.ن ، 16 : 16-19.

(2) المطران انطوان طربية: الأسقف بين الأمس واليوم ، ص 9.

(3) أسقف روما ، ج. م. ر. ((جان ماري تيار)) ، ترجمة الأب جورج خوام ، البوليسي، ط1، 1987 ، منشورات المكتبة البوليسية ، بيروت ، لبنان: 141 ، نقلًا عن ((E. GILES, OP. cit)).

(4) أسقف روما: 141 ، نقلًا عن ((في الأنظمة: ترتليانوس: 22 قرابة العام 200م، 14 (PL2)).

(5) م. ن، نقلًا عن scorpiace: ترتليانوس: 10 قرابة العام 208 ط: PL2, 142.

(6) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص 179.

(7) م.ن.

(8) العهد الجديد، انجيل متى 18 : 18.

(9) م.ن 16 : 17-19.

أنه يتحتم علينا⁽¹⁾، على الفور أن نذكر من جهة بأن المقطع في متى الوحيد الذي ينفرد في إيراد الآيات التي تتحدث عن تنصيب بطرس كأساس للكنيسة، وحيازته على مفاتيح الملكوت⁽²⁾.

ولكن الفكر المسيحي يعتبر بولس هو موضوع اختيار الله كبطرس، ورسول على قدم المساواة معه في آن واحد معاً⁽³⁾، غير أن هاتين الأوليتين تمتزجان معاً، في رومة، بدمهما، إذ قصر الزعامة الأول وسلطة النبي بفضل "هذه الشهادة" شركتها معاً، فتغدو الجماعة المسيحية الرومانية كنيسة شهادتها - التي كانت قائمة دون شك قبل أن يفدا إليها يحدوها روح القدس - موضع الاعتراف التام والكامل بالإيمان الرسولي الباقي بقاء صارماً على الأمانة لرسوخه التاريخي من خبرة الجماعة التي انتقادها المسيح.

مما تقدم يتبين أن الأدلة الإنجيلية والنصوص تبين بشكل لا يقبل الشك السلطة لبطرس ومن خلال النصوص يأتي امتياز هذه الكنيسة المحلية، وبالتالي امتياز كرسيها الأسقفي وسُدتها، كما تتخذ أيضاً دعوتها حيث يلاحظ أن أول من يرجع إليه، إذا ما أُثير موضوع زعامة قيادية، هو بطرس بشكل خاص⁽⁴⁾، وشيئاً فشيئاً، سوف يُرى في السلطة التي يزاول لها أسقف رومة، كرئيس للكنيسة "التي ترأس بالمحبة" ، انعكاس بل حضور لسلطة بطرس "المتقدم" وسط جماعة الرسل ويبدو أن الخطوة النهائية نُفذت مع حلول عهد لاون الكبير⁽⁵⁾ فهو يصور للمرء أنه يتطلع إلى نفسه وكأنه ذاك الذي أعطاه بطرس من سلطته الذاتية، هذا، دون التخلي كلياً عن التيار القديم والسابق تحديده، الذي يرى في أسقف رومة نائباً لبطرس تشاهد من خلال المرة الوحيدة لشهادة بطرس وزعامته أنه لمن المغالاة الإدعاء أنه يمكنه أن يعتد نفسه بطرس الحي ثانية⁽⁶⁾.

إلا أن التجربة قريبة جداً من أن يجعل نفسه وريثاً لبطرس مفسراً هذا الإرث حسب مفهوم الحق الروماني الذي ينوب الوريث في عرضه مناب الراحل عن هذه الحياة، ويضطلع بكامل حقوقه، ويصبح صوتاً له من الوجهة القانونية، ومن الأكيد إلا نعتقد بأن ((لاون)) يزعم أنه ((يرث قوام بطرس الشرعي والموضوعي))، عندما يستخدم عبارة ((وريث بطرس)) أو يؤكّد أن بطرس يتكلم بصوته⁽⁷⁾، لقد اعتمدت

(1) جان ماري تيار: أسقف روما 146.

(2) العهد القديم، متى 16: 17-19.

(3) ط: جان ماري تيار، أسقف روما: 561 - 157.

(4) م. ن.

(5) تاريخ الفكر المسيحي، ص 123.

(6) أسقف روما: 158.

(7) م. ن.

كنيسة العصور الوسطى اعتماداً كبيراً على مجامع الكنيسة المسكونية: مجمع نيقية، مجمع القسطنطينية، ومجمع خليقدونية ولأسباب عملية، اعتبر لاهتيو العصور الوسطى أن المجمع تجمع بطريقة لا خلاف عليها تعاليم الكتاب المقدس، والاختلاف مع هذه المجمع كان مساوي للاختلاف مع الأسفار المقدسة ومع المسيح⁽¹⁾. وبمرور القرون، تطور الكثير من تعاليم الآباء والكثير من القرون المجمع المسكونية ليغدوا عقيدة رسمية وهذه العقيدة الكنسية لم تعتبر لاهوتاً بشرياً غير معصوم، ولكن لاهوتاً يحمل سلطة مساوية لسلطة الأسفار المقدسة نفسها، لقد كان السؤال الذي يتوقع أن يطرحه المسيحيون المؤمنون ((ما الذي قالته الكنيسة))؟ وليس ((ما الذي يقوله الكتاب المقدس))⁽²⁾.

وبقدر ما كانت السلطات الكنسية بالنسبة لكنيسة العصور الوسطى مهمة، فإن عقيدة الأسفار المقدسة في تلك الحقبة خلقت حاجة إلى سلطة لاهوتية عليا على مسرح الأحداث المعاصرة فقد كان الكتاب المقدس نفسه غامضاً جداً ليتمكن من إرشاد الكنيسة في المسائل المعاصرة التي لم يتم البث فيها في الماضي، إذا كيف كانت الكنيسة ستجد الإرشاد في القضايا الجدلية اللاهوتية المعاصرة بكل بساطة إن من كانت لديهم السلطة لتسوية القضايا اللاهوتية المثيرة للجدل هم الكهنة، الأساقفة والبابا، الذي اعتبره الكثيرون رأس الكنيسة المعصوم من خطأ، وعندما كانت الحاجة تدعو إلى اتخاذ قرار لاهوتي لم يكن مطلوباً من المؤمنين أن يسألوا ماذا يقول الكتاب المقدس؟ بل ماذا تقول طبقة الكهنوت في الكنيسة⁽³⁾، ولذلك فالكاثوليك يعتبرون الكنيسة واحدة من ينبوعها ورابط هذه الوحدة هو :

أولاً: الاعتراف بإيمان واحد منقول عن الرسل.

ثانياً: الاحتفال المشترك بالعبادة والإلهية لاسيما الاسرار .

ثالثاً: التعاقب الرسولي بسر الكهنوت.

لذا فكنيسة المسيح الواحدة هي تلك التي سلمها المسيح بعد قيامته إلى بطرس ، وبأقي الرسل ، أمر نشرها وقيادتها ، هذه الكنيسة التي أنشئت ونظمت كمجتمع في هذا العالم انما تستمر في الكنيسة الكاثوليكية التي يسوسها خليفة بطرس والاساقفة الذين على الشركة معه ومن

⁽¹⁾ ريشارد آل برات ، بناء الفكر اللاهوتي، الدرس الرابع، شبكة المعلومات الأنترنت ، مقتبس من موقع:
<http://WWW.thirdmi.org/seeinary>.

⁽²⁾ م . ن.
⁽³⁾ م . ن.

الأدلة على مشروعية الخلافة في الفكر الديني المسيحي يذكرون انه ((لكي تحافظ بشارة الانجيل على نقاوتها وجودتها بلا انقطاع استخلف الرسل اساقفة، وتقلدوهم ما كانوا يظلمون به في مسؤولية التعليم))⁽¹⁾. ((وهكذا ترتب على الكرازة⁽²⁾ الرسولة التي تعبر عنها بنوع خاص الأسفار الملهمة أن تحفظ سالمة بتعاقب غير منقطع حتى منتهى الدهر))⁽³⁾ ويشدد الفكر الديني المسيحي على أن التعاقب الرسولي للتقليد والكرازة الرسوليتين والذي يتم في الروح القدس يكونه متميزا من الكتاب المقدس انه وثيق الارتباط بالكتاب المقدس، بكونهما ينبوع واحد مشترك ولمالها من علاقة متميزة فيما بينها⁽⁴⁾، وعند النظر لمقارنة الاحداث في الكنيسة لزمن العصور الوسطى، يبدو للباحث انها دخلت منعطفا خطيرا، فاللاهوت الكنسي بدا بامتلاك سلطات كبيرة، فلقد قام الأمبراطور هنري بتعيين للباباوات قاعدة سار عليها في تلك الحقبة من الزمن حتى عندما توفي ليو التاسع عين هنري البابا ميكنور الثاني (1054-1057)⁽⁵⁾.

بدأ الصراع في الربع الأخير من القرن الحادي عشر وبالتحديد مع تولي البابا جريجوري (1073-1085) ويرجع ذلك إلى شخصية البابا والى عوامل أخرى أهمها ازدياد الوعي والشعور بين رجال الدين ورغبتهم أن تكون الكنيسة قوة روحية ذات استقلال ذاتي وقوة روحية تتلائم مع الدعوة الملائمة على عاتقها والتي اعترف بشريعتها جميع المسيحيين في أوروبا⁽⁶⁾.

كان رأي جريجوري واضحا في تحديد سلطته وسلطة الدولة⁽⁷⁾ وذلك بفضل الظروف التي عاشها والتي اختلفت تماما عن الظروف التي سادت أوروبا مطلع العصور الوسطى فقد رأى:

1- أن البابا هو صاحب لسلطان الأعلى على كافة رجال الدين أينما كانوا.

2- للبابا وحده أن يعين ويعزل رجال الدين.

3- أن يكون لممثل البابا The Legate الصادرة على جميع الأساقفة وغيرهم من رجال الدين في كافة الاجتماعات والمناسبات.

(1) الفاتيكان، الوحي الإلهي (المجمع الفاتيكاني الثاني) (8) نقلا عن م. ن، ص 52 .
(2) الكرازة الرسولية: هي نقل الانجيل وفقا لأمر الرب، وقد جرى على وجهين وشفويا: ((على لسان الرسل الذين نقلوا عن طريق بشارتهم الشفوية أو سيرتهم النموذجية، أو تنظيمهم القانوني، كل ما تسلموه من المسيح من كلام سمعوه أو عيش ألقوه أو أعمال عينوه كتابة على يد هؤلاء الرسل ومعاونيهم الذين دونوا بشارة الخلاص هذه بإلهام من الروح القدس عينه))، الوحي الإلهي (المجمع الفاتيكاني الثاني) رقم (7)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص 51.

(3) ظ. م. ن.

(4) م. ن، ص 52 .

(5) النظم السياسية عبر العصور: 229.

(6) ظ: الأب جان كيمي: تاريخ الكنيسة: 174، وينظر: النظم السياسية عبر العصور: 232.

(7) أسقف روما: جان ماري تيار يراجع، وينظر: تاريخ الكنيسة: جان كيمي: 174، وظ: البابوية والإمبراطورية الرومانية: الرومانية: 1 د. علية عبد السميع الخيزري: 11، وظ: تاريخ العصور الوسطى الأوربية: د. جوزيف نسيم يوسف: 168، ظ: النظم السياسية عبر العصور: 232-233 .

4- للبابا وحده الحق في دعوة المجلس العام للكنيسة للانعقاد وأن يكون لهذه القرارات قوة التنفيذ.

5- لا يملك أي فرد كائن من كان إمبراطوراً أو ملكاً أن يلغي القرارات البابوية.

6- لا تملك أي سلطة أن تصدر حكماً في قضية إذا نظرت أمام المحكمة البابوية.

ومن هنا يتضح أن نظرية البابا جريجوري في أن يكون الحكم في الكنيسة مركزياً مثل الدولة ولكن أقرب النظم التي سادت النظام الإمبراطوري الروماني، بمعنى أن يكون البابا وحده بقوة القانون الإلهي هو الحاكم الأحد⁽¹⁾. وعند النظر لدور المجامع الكنسية في التشريع والحكم نجد أن دور هذه المجامع الكنسية التي أشرت وجمعت شمل الجماهير المسيحية - عن راية البابوية - حيث بدأ دور البابا يتضاعف حينما صدرت في بعض المجامع قرارات تخصهم، بل وتنفعهم قرارات كانت ترفع من مكانتهم وتزيد من سلطانهم وبالتالي تضاعف من دورهم المؤثر في عقيدة وفكر المسيح⁽²⁾.

فإن دور المجامع الكنسية لها دور مهم بل هي المصدر الرئيسي للفكر المسيحي من بعد الأناجيل والعهد القديم لذلك لا بدّ للباحث من عرض تاريخي لدور المجامع الكنسية⁽³⁾.

لقد استمد الروحانيون تراث التشريع ووضع القوانين المسيحية من الرسل وخاصة من بوليس، ثم تطور تشريعهم، ومّرّ التشريع مراحل تصاعدية نحو الانحراف وقاموا بمهمة التبشير وذلك لغاية الاعتراف بالمسيحية ومن هنا بدأت عملية الانتقال في التشريع إلى المجامع مباشرة وذلك بوضع تشريعات دنيوية بل إنها ذهبت أكثر من ذلك، حيث بدأت تشريع صنع الآلهة وغفران الخطايا وعصمة البابا⁽⁴⁾.

ب - أدلة الفكر الكاثوليكي من خلال الأدلة العقلية: إن المسيحية قد ظهرت في

دعوة الرسل الأولى، ككنيسة، أي جماعة منظمة تحت قيادة شرعية قائمة تكمل كنيسة العهد القديم، لكنها تستقل عنها في عقيدتها الجديدة في الله والمسيح، وفي شريعتها الجديدة، فالكنيسة الرسولية تعتبر جماعة منظمة تحت قيادة شرعية قائمة⁽⁵⁾، فمنذ يوم العنصرة، بعد البلاغ

(1) في نفس هذه المرحلة كان أنصار الإمبراطورية يرون غير ذلك لأنهم يحكم لراكرهم كانوا يفضلون استمرار تسيد الإمبراطور لمالهم من مصلحة في ذلك وكانت حجة رجال الإمبراطور في ذلك اعتمدوا على أفكار جلاسبوس لإثبات حقهم في الاستقلال بالأمور الدنيوية في الكنيسة، ط: النظم السياسية عبر العصور: 180-184.

(2) خذ ما تقرر في مجع من تلك المجامع وهما مجمع القسطنطينية ومجمع الروما، ط: عاشور، د. عبد الفتاح أوربا في العصور الوسطى، 1: 63، ط5، 1972، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دار الطباعة الحديثة.

(3) ط: الخور أسقف بيوس قاشا، أعضاء على المجامع الكنسية: ط1، 2006، منشورات مطبعة الديوان- بغداد.

(4) مقارنة الأديان المسيحي: أحمد شلبي، ط10، 1998، منشورات مكتبة النهضة المصرية 9 شارع عدلي، القاهرة.

(5) ط: الحداد، يوسف درة، تاريخ المسيحية في سفر أعمال الرسل، ط2، 1990، منشورات المكتبة البولسية، 2012.

الرسولي الأول ((اعتمد الذين قبلوا كلامه⁽¹⁾) وانظم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس وكانوا مواطنين على تعليم الرسل وعلى الشركة ،وعلى كسر الخبز وعلى الصلوات))⁽²⁾.

وتنظيم الجماعة يظهر منذ البدء عدة ومنها إحياء المظاهر الدينية الذي يميز الجماعة ((وكان كل شيئاً مشتركاً في ما بينهم))⁽³⁾.

ومن خلال المظاهر الدينية والاجتماعية يتبين ان المسيحيين الأوائل جماعة منظمة ،بمعنى أنها كنيسة قائمة بذاتها ،ولها قيادة شرعية قائمة ، فالرسل ليسوا فقط شهود العيان بقيامة المسيح⁽⁴⁾ ، بل هم قادة الجماعة الشرعيين ، بتأسيس إلهي من السيد المسيح(ع) نفسه فقد كانوا قادة التعليم المسيحي الذي يواظب عليه المسيحيون⁽⁵⁾ كانوا قادة ((الشراكة وكسر الخبز))⁽⁶⁾ الذي لازال ليومنا هذا وكانوا يحتفظون بموهبة الروح القدس بوضع أيديهم على المعمدين من من سواهم⁽⁷⁾ ، وكان قادة توزيع التبرعات من أملاك المسيحيين⁽⁸⁾.

ويعتبر الفكر المسيحي أن أكبر مظهر للسلطان القيادي الشرعي القائم في الجماعة المسيحية الأولى (مجمع الرسل والكهنة) (الذي أفتى باسم الروح القدس ، بتحرير المسيحيين من الأمميين ، من الختان والشريعة الموسوية) وانهم سلطة قائمة في التعليم والإدارة والتقديس والقضاء⁽⁹⁾ وذلك عن طريق شرع إلهي انجيلي⁽¹⁰⁾ ، وهذه السلطة مكونة من الرسل وأعوانهم الكهنة((واجتمع الرسل والكهنة ينظرون في الأمر))⁽¹¹⁾، وأفتوا باسم الروح القدس وباسمهم((لقد رأى الروح القدس ونحن))⁽¹²⁾.

ومن خلال النص الأخير يتبين أن أفضل تعبير يدل على السلطان المعصوم⁽¹³⁾.

(1) وهو كلام بطرس .

(2) العهد الجديد، سفر اعمال الرسل 2: 41- 42

(3) م.ن، 2: 44- 45

(4) العهد الجديد، سفر اعمال الرسل، 2: 32، 153، 4: 20، 23.

(5) م.ن ، أعمال الرسل: 2: 42.

(6) م.ن .

(7) م.، 8: 14 - 18.

(8) م.ن 8: 35.

(9) ظ: م.ن، سفر أعمال الرسل 5: 4 - 11.

(10) الحداد، يوسف درة، تاريخ المسيحية في أعمال الرسل، ص 203.

(11) العهد الجديد، أعمال الرسل، 15: 6.

(12) م.ن 15: 28.

(13) الحداد، يوسف درة، تاريخ المسيحية في أعمال الرسل، ص 203.

2 - ومن الأدلة على مشروعية الخلافة أن الكنيسة تعلم ((أن الاساقفة يخلفون الرسل، بوضع إلهي، على رعاية الكنيسة، فمن سمع منهم سمع من المسيح ومن احتقرهم احتقر المسيح، والذي أرسل المسيح))⁽¹⁾، لذا فكما ان المهمة التي أناطها الرب بطرس أول الرسل⁽²⁾، الرسل⁽²⁾، منفردا، ويجب أن تنتقل إلى خلفائه، لكي تدوم باستمرار، كذلك فمهمة رعاية الكنيسة التي تسلمها الرسل والتي يجب أن تزاو لها هيئة الأساقفة المقدسة، ستدوم باستمرار.

والكنيسة رسولية، لأنها مبنية على أسس ثابتة ((رسل الحمل الاثنى عشر))⁽³⁾، وهي قائمة في حقيقة أمرها على العصمة وذلك لان المسيح يسوسها من خلال بطرس وسائر الرسل، الحاضرين في خلفائهم، وهم (البابا وهيئة الاساقفة).

3 من الأدلة على خلافة السيد المسيح في الفكر الديني المسيحي أنهم يعتقدون ان المعجزة ضرورة لإثبات النبوة، ودليلا على صدق الأنبياء، وهذه المعجزات لا يفعلها الشخص بقوته الشخصية بل بقوة الله سبحانه⁽⁴⁾، حيث ان السيد المسيح أعطى تلك القوى للرسل والتلاميذ⁽⁵⁾.

ويعتقد المفكرون المسيحيون أن الآيات التي صنعها السيد المسيح بسلطان كما يليق به مع آيات رسله التي صنعوها باسمه بعد صعوده وهذا السلطان وهذه القوة لا تكون إلا باسم إله⁽⁶⁾ فهو سلطان من الله سبحانه، ومن هذه المعجزات ان بطرس وبعد العنصرة، ظهر هو ويوحنا عندما صعدا إلى الهيكل لصلاة الساعة التاسعة وجدا أنسانا مقعدا من بطن أمه، وكان يحمل كل يوم، ويوضع عند باب الهيكل فلما رأى بطرس ويوحنا موشكين أن يدخل الهيكل سألهما صدقه... فتفرس فيه وقال انظر...⁽⁷⁾.

ولهذا عندما شفي المقعد ودخل معهما الهيكل أخذ الشعب الدهشة عندما قال بطرس ((ما بالكم متعجبين من هذا، ولم تفرسوا فينا، كانا بقدرتنا أو بقوانا جعلنا هذا الرجل يمشي... بالإيمان باسمه شدد هذا الاسم الرجل))⁽⁸⁾. ثم جاءت حادثة المرأة التي باعت الحقل مع

⁽¹⁾ في الكنيسة (المجمع الفاتيكاني الثاني) ص20، نقلا عن م.ن.

⁽²⁾ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص 275.

⁽³⁾ العهد الجديد، سفر رؤيا يوحنا 21: 14.

⁽⁴⁾ ظ: ميخايل، القس لبيب، دار السلام للنشر، ص 93، (دبت).

⁽⁵⁾ ظ: أنيس، القس جيمس، نظام التعليم في علم اللاهوت القديم، ط2، بيروت، لبنان، مطبعة الأمريكان، 1890م، ج1، ص 246.

⁽⁶⁾ علي الشيخ، لاهوت المسيح، ص80، نقلا عن مقالة التثليث والتجسيد وصحة المسيحية، ص 254.

⁽⁷⁾ العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 3: 1 - 10.

⁽⁸⁾ ظ: 3: 11 - 16.

زوجها حيث توهمتا أن تصرفهما ببيع الحقل وأخذ ثمنه يجوز على الرسل ومع من مع رئيس الرسل، ولم يعلما انه يفيض فيه الروح القدس من أنواره⁽¹⁾، ولذلك قال لها بطرس ((ها أن أقدم الذين دفنوا رجلك بالبواب، وهم يحملونك أيضا فسقطت في الحال عند قدميه وماتت))⁽²⁾، وظلت الآيات والعجائب مستمرة على يد بطرس ((...حتى أنهم كانوا يخرجون بالمرضى إلى الشوارع، ويضعوهم على فرش ليقع ولو ظل بطرس عند اجتيازه على بعض منهم، وكان الجمع يبادرون حتى من المدن المجاورة لأورشليم، حاملين المرضى والمعذبين بالأرواح النجسة، وكانوا جميعهم يشفون))⁽³⁾.

وهذه المعاجز هي اسطع دليل على إثبات نبوة بطرس وبالتالي وهذا ما يؤكد الفكر المسيحي من أن المعجزة ضرورية لإثبات النبوة، وبالتالي لا يمكن لأي كان أن يدعيها، بل هي خاصة لصدق الأنبياء⁽⁴⁾.

ومن خلال النص الوارد من رسالة بطرس الثانية التي تقول ((وذاك الصوت قد سمعناه آتيا من السماء إذ كنا معه على الجبل المقدس، فازداد كلام الانبياء ثباتا عندنا، وانكم تمسحون عملا إذا نظرتم إلى سراج يضيء في مكان ظلم، حتى يطلع الفجر ويشرق كوكب الصبح في قلوبكم))⁽⁵⁾، وقد علقت دائرة المعارف الكتابية على ذلك بالقول ((إنه يكتب بوحى إلهي يدونه يستحيل وجود نبوة صادقة))⁽⁶⁾. من خلال هذا النص الوارد أنفا والتعليقات عليه من قبل العلماء والمفسرين يتبين أن الفكر الديني المسيحي يعتبر أن بطرس كان نبيا.

مما تقدم يتبين ان الفكر المسيحي قد استدل على خلافة بطرس من النصوص الوارد ذكرها، وهو بيان واضح وصريح من خلال النصوص الانجيلية.

ومن الادلة على مشروعية الخلافة من بعد رحيل الرسل، عند الكاثوليك، انهم يذكرون، وبعد استشهاد بطرس عام 64 وبعد أن هدا الاضطهاد ضد المسيحيين، قام بولس وحده بتحمل مسؤولية

(1) الأب أميل الحاج البولسي، القديس بطرس، ط1، 1997، منشورات المكتبة البولسية، لبنان - بيروت، ص106.

(2) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 5: 4 - 11.

(3) م. ن، 5: 12 - 16.

(4) لاهوت المسيح، ص 93.

(5) العهد الجديد، رسالة بطرس الثانية 1: 18 - 19.

(6) وهبي، وليم، دائرة المعارف الكتابية، تح: بياوي، ط1، دار الثقافة، القاهرة، ج2، ص 164.

المسيحية والكنيسة بمعنى انه اصبح الرسول الأول للمسيح.ومن خلال اراء المنصفين من الالباء المسيحيين والباحثين اللاهوتيين من والمستشرقين الغربيين ،يجد البحث ان بولس جاء للمسيحية بدين هو بعيد كل البعد عن تعاليم السيد المسيح(ع)⁽¹⁾.وهذا يعني ان بولس قد ادعى الخلافة ،وليس له حق فيها .

يقول المفكرون المسيحيون ان في هذه الفترة أخذ بولس كالراعي الصالح ينظم الكنيسة التي أسسها بنفسه لينقلها من العهد الرسولي إلى العهد الكنسي ويستدل المفكرون المسيحيون على ذلك من خلال رسائل بولس الأولى والثانية إلى تلميذه وخليفته التلميذ تيماتاوس ، ورسالته إلى خليفة على كنيسة كريت تلميذه تيطس .

ففي هذه الرسائل الثلاث والتي تسمى عند الفكر المسيحي بالرسائل الراعوية⁽²⁾، يستدلون على مشروعية الخلافة حيث قانون الإدارة الكنسية ساء بمكاتبة أو أحاديثه لخليفته،فهذه الرسائل الراعوية الثلاث وحدها بين أسفار العهد الجديد تفصل شروط انتخاب الأساقفة والكهنة والشمامسة⁽³⁾فهي مثل دليل الإدارة يسلمه بولس إلى الاسقفين الجديدين ،بل ان بولس نفسه يسمي تلك الرسائل روحية لذا فإن الفكر المسيحي يعتبر أحكامه في تلك الرسائل ((دستور السلطة الدينية في الكنيسة))⁽⁴⁾.والفكر المسيحي يستدل على صحة هذه الرسائل عن طريق الاقتباس عن مخطوطات قمران في التنظيم حيث يعتبرونه دليل على الصحة التاريخية⁽⁵⁾،ويستدلون على مشروعية الخلافة من خلال هذه الرسائل الراعوية عندما اعتبروا أن همّ بولس الأخير في حياته هو السهر على ((ودیعة الإيمان))⁽⁶⁾ بحسب صيغة الإيمان المعهودة) ،والحرص الشديد على تنظيم الكنيسة ،وعلى إقامة سلطة اسقفية رسولية تخلفه، والرسامة "الاسقفية" بمعنى ناظر لكنيسة أفسس ليتسلم رعايتها نيابة عن المعلم، وبهذه الوصية يتمسك الفكر المسيحي ، بصورتها كعقيدة ، ومنهاج في التسلسل الرسولي من ذلك الوقت وحتى

(1) ظ: تسلا ،كلبير ، الخديعة الكبرى،ص133.

(2) أول من اطلق عليها هذا الاسم هو العالم انطوان في محاضراته عام 1726- 1727 ، ظ:م.ن الرهبانية اليسوعية ، الكتاب المقدس الألف باء والياء ، مقدمة رسائل بولس إلى تيماتاوس ، ص321.

(3) م.ن.

(4) ظ: المجمع الفاتيكاني الثاني ، ص ، ظ: فلسفة المسيحية ، ص 409.

(5) الحداد ، فلسفة المسيحية (الرسائل) ، ص 414.

(6) م.ن ، وهذا يعني بصحة هذه الوثائق التي تفيد بأن هناك صراعا بين الخليفة الشرعي ،والخليفة المدعي ، ظ: رستم ،د.اسد، مخطوطات قمران ،ص65.

الحاضر، يقول بولس: ((يا ثيماتاوس... احفظ الوديعة...))⁽¹⁾. وهذه الخلافة لم تقتصر على أفسس فقط بل مع إشراف على آسيا الرومانية كلها⁽²⁾، لقد اقتبس بولس فكرة الخلافة عندما ترأس لينوس خليفة بطرس كنيسة روما ذلك مدة أسر بولس الثاني فيها عام 57م⁽³⁾.

يستدل الفكر المسيحي على مشروعية الخلافة والتسلسل الرسولي إلى هذا الوقت من خلال رسالة بولس الأولى لثيماتاوس، فهم يعتبرونها وثيقة تاريخية، تمثل انتقال السلطة من الرسل لخلفائهم التابعين من بعدهم خلفائهم الأساقفة الرعاة⁽⁴⁾.

ومن الأدلة على مشروعية الخلافة أيضا هناك رسالة بولس إلى تيطس فقد ترك تيطس في كريت ((لتكمل كل شيء وتقيم كهنة في كل مدينة على حسب ما رسمت لك))⁽⁵⁾، وهذا التعيين من قبل بولس لخليفته تيموثاوس وتيطس يظهر جليا في رسائل اكليمصوس الروماني أواخر القرن الأول، ورسالة اغناطيوس الانطاكي في أوائل القرن الثاني.

إن بولس عند رسمه لثيماتاوس راعيا لكنيسة أفسس وتيطس لكنيسة كريت فإنه جعل من الأسقف الراعي الأعلى وهو وان كان اسقفا على كنيسة محلية فهو أيضا أسقف على ((كنيسة الله الحي، عمود الحقيقة وقاعدتها))⁽⁶⁾، وفي هذا التقييم دليل على تسلسل السلطة الرسولية إلى الأساقفة الرعاة، نواب الرسل على حياتهم، وخلفائهم بعد مماتهم⁽⁷⁾. فالأسقفية الراعية هي اذن سلطة رسولية على كنيسة محلية، وعلى الكنيسة الجامعة أيضا. وهذه السلطة الاسقفية الراعية هي المسؤولة عن المسيحية. ومن الواضح ان هذا الفريق يقول ان خلافة الكرسي الرسولي (الخلافة البطرسيية) ابتدأت عندما كوّنوا هم والذي تم اختياره بالقرعة لاكمال العدد الاثني عشر وهو متياس⁽⁸⁾ بالاضافة الى الاثني (برنابا وبولس) اللذين اصبحا رسولين بامر الروح القدس⁽⁹⁾، كوّنوا اكليروس⁽¹⁰⁾ الكنيسة، قد كرسوا من يلزم لها من الرعاة فكانوا يكرسون شمامسة⁽¹¹⁾ فحسن هذا القول لدى الجمهور كله

(1) العهد الجديد، رسالة بولس الأولى إلى ثيماتاوس 6: 20.

(2) الحداد، فلسفة المسيحية، ص 425.

(3) م.ن ص 427.

(4) فلسفة المسيحية (الرسائل)، ص 409.

(5) العهد الجديد، رسالة بولس إلى تيطس 1: 5.

(6) م.ن، رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس 3: 15.

(7) فلسفة المسيحية (الرسائل) ص 434.

(8) العهد الجديد، سفر اعمال الرسل 1: 23-26.

(9) م.ن، 13: 2-3.

(10) للتعريف بالاكليروس ينظر: قامس الكتاب المقدس، مادة اكليروس، ص، وينظر: معجم الكتاب اللاهوت الكتابي، مادة

اكليروس، ص، وينظر: المحيط الجامع، مادة اكليروس، ص

(11) العهد الجديد، سفر اعمال الرسل 6: 5-6

فاختاروا اصطفانوس رجلاً مملوً من الايمان وروح القدس وفيليبس ونيقولاس دخيلاً انطاكيا اللذين اقاموه امام الرسل فصلوا ووضعوا عليه الايدي وشيوخا او قسوساً⁽¹⁾ وانتخبوا له قسوساً في كل كنيسة وبهذه الكيفية لم يرسل بولس الرسول تيمو ثاوس وتيتس فقط بل اعطاهم السلطان ايضاً ليكرسوا ويرسلوا اخرين⁽²⁾.

مما تقدم يتضح جلياً ان الفكر المسيحي الكاثوليكي يعتبر الخلافة لا يمكن ان تتأتى لاي انسان ، وان يفقد نفسه بوضيفة الكهنوت لاحسب شريعة التوراة ولا الانجيل مستلذين بذلك من خلال النصوص الدينية في التوراة والانجيل، ((ولا ياخذ احد هذه الوظيفة بنفسه، بل المدعو من الله كما هارون ايضاً))⁽³⁾.

2- أدلة الفكر المسيحي الاورثوذكسي على مشروعية الخلافة

يذكر المفكرون المسيحيون الاورثوذكس ، انه وكما ان الكهنة متناسلين من الكهنة الحقيقيين في الشريعة اليهودية تتالف منهم سلالة هارون فكذلك تتالف الخلافة الرسولية من الاساقفة والقسوس المسيحيين الذين رسموا لوظائفهم من جيل الى جيل⁽⁴⁾.

ويرى هؤلاء ان الاكليروس المؤلف من الثلاثة وظائف المذكورة وهي اساقفة وقسوس وشمامسة قائماً باداء وظيفة من بعد موت الرسل وذكر ذلك ماراقليمينطس رفيق بولس وصاحبه فيلبس⁽⁵⁾.

ويذكر العهد الجديد نقلاً عن مار اكليمنتس ، ان الرسل لما تراءى لهم انه ستحصل منازعات من جهة رعاية الكنيسة قد استصوبوا وقرروا انتخاب اخرين لينوبوا عنهم ووصوهم بتعيين خلفاء لهم بعد وفاتهم حرصاً على بقاء الخلافة الرسولية⁽⁶⁾، وقد صار اتباع هذا الامر مدة الف وخمسمائة سنة عند جميع المسيحيين ماعدا بعض طوائف قليلة العدد والاهمية⁽⁷⁾ يعرفون بالبروتستانت ، وان بعض هؤلاء يتفقون مع الكنيسة الاسقفية على ان راعي كنيسة الله الحقيقي يلزم ان يتعين ويرسل بواسطة وضع الايدي من الذين ارسلوا من خلفاء

(1) العهد الجديد، سفر اعمال الرسل ، 14 : 23

(2) م.ن الرسالة الى تيمو ثاوس الاولى 4 : 14، وظ: الرسالة الى تيمو ثاوس الثانية 1 : 13، 2 : 2، 5 : 5.

(3) م.ن الرسالة الى العبرانيين 5 : 4 .

(4) ط: فيلموثاوس، القمص ابراهيم، الخلافة الرسولية نبذة تبين ضرورة تسلسل الاكليروس من وقت المسيح بدون انقطاع ص7.

(5) ينظر: العهد الجديد، سفر الرسالة الى اهل تيميثاوس 4 : 3

(6) ط: شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع: <http://www.cairod-church.org>، وط: نيافة الانبا رافائيل، الخلافة الرسولية، شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع: <http://www.facebook.com>.

(7) ط: م.ن فيلموثاوس، القمص ابراهيم، الخلافة الرسولية ص8.

الرسول انفسهم ويقولون ان الدرجة الثانية من الاكليروس وهم القسوس او المشايخ لهم الحق في وضع الايدي والتكريس مثل الاساقفة وبينون على ذلك وجود الخلافة الرسولية عندهم وذلك لان بعض القسوس هم الذين اسسوا الكنيسة البروتستانتية فيرد عليهم بثلاثة اجوبة على هذا الادعاء :

أ-انه لم يحصل في الكنيسة في مدة الف وخمسمائة سنة ان احدا من الاكليروس اقل درجة من الاسقف منح رتبة القسوسية او الشماسية وغاية ما هناك كانوا القسوس يحضرون في اثناء التكريس علامة على الرضا العام .

ب-ولو انه من الامكان التوضيح بان الشيوخ في الكنيسة القديمة كانوا قادرين على التكريس ولكن المحقق انه في مدة الف وستمائة سنة تقريبا قد فقدوا هذه القوة حيث الكنيسة قاطبة الغتها بنوع ما بنوع ما والحالة هذه لايمكنهم استرجاعها لانفسهم الا بسماع الكنيسة المذكورة .

ج- ان اكبر كنيسة بروتستانتية في اسكتلاند وهي تعتبر اصل الكنائس البروتستانتية الانجليزية والاييرلندية والاميريكية وتاسست في 1560م بطريقة الاستقلال بمعرفة شخص يدعى حنا نوكس بدون تعيين قسوس ولارعاة بواسطة وضع الايدي ولم يحصل ذلك الا بعد مدة من الزمن ، ولم توضع الايدي على اول من انتخبوا لوظيفة القسوسية الذين كان معظمهم من العلمانيين وكان ينذر وجود قسوس من الكنيسة القديمة بينهم وحتى لما فهموا ضرورة واهمية التكريس بواسطة وضع الايدي فكان اغلب لابل جميع الذين كانوا قسوسا في الكنيسة القديمة ماتوا وهكذا كان المكرسون ممن لم توضع عليهم الايدي ولم يتكروا انفسهم وبناء على ذلك حتى لو صدقنا على ادعاء البروتستانت ان القسوس لهم حق التكريس فلايمكنهم بواسطة ذلك المدافعة عن قسوسهم لان الذين كرسوهم هم علمانيين وليسوا قسوسا .

اما الكنيسة المصرية تحت الخلافة المرقسية والكنيسة الارثوذكسية والكنيسة الانجليزية وغيرها من الكنائس الاسقفية فقد حافظت واعتنت على استمرار الخلافة الرسولية فيها بدون خلل او عيب ويستدل اصحاب هذه الطوائف التابعة للارثوذكس، امكانها ان تثبت ان اساقفتها متسلسلون من وقت المسيح.

وتؤمن الكنيسة القبطية بالخلافة الرسولية . وبأن الأباء الأساقفة هم خلفاء الآباء الرسول. السيد المسيح نفسه هو من وضع نظام الخلافة الرسولية في الكنيسة، والكتاب المقدس يحوي الكثير والكثير من الأدلة علي الخلافة الرسولية ، وأن الإباء الرسول ساروا علي نفس المثل الذي رسمه الرب. ولذا فان اصحاب هذه الفرقة يعرفون الخلافة، بانها تتابع تسلسل الكهنوت في الكنيسة مُنحدرًا إلينا من

مارمرقص أو هي شعلة نور أتى بها مارمرقص وسلمها لخليفته أنيانوس ومازالت مستمرة حتي الآن وبلا انقطاع ، ولنا وعد من الله أن هذه الشعلة المقدسة ستكون مستمرة في الكنيسة . مع تزايد عدد المؤمنين وتزايد عدد الخدام ايضاً الا انه بقي للرسل القيادة فهم من يعمد ومن يعطي الروح القدس ومن يضم آخرين للكنيسة. وكان الجميع تحت قيادة الرسل. وعندما حدث اضطهاد للكنيسة تشتت كثيرين وجالوا مبشرين بالكلمة لكن الرسل لم يبرحوا أورشليم لأنهم قيادة ومرجعية الكنيسة⁽¹⁾.

جاء مارمرقص للخدمة ورسم أنيانوس أسقفاً لمعاونته ورسم معه القسوس والشمامسة ليضع نظام الكنيسة والخدمة. فيكون هؤلاء هم من يخدم ويتابع ويقود الكنيسة ولكن يكون مارمرقص هو المرجع لهم وهو أوصي أنيانوس أيضاً برسامة شمامسة. وتوضح أيضاً فكرة الخلافة الرسولية والقيادة الكنسية في أول اجتماع كهنة يعمله بولس الرسول فبينما هو في ميليتس أرسل واستدعي القسوس من افسس وأوصاهم ببعض الأمور. فمن خلال مبدأ الخلافة الرسولية قاد الرسل الكنيسة وذلك من خلال الامور الآتية:
الامر الاول: انهم لم يتركوا الأمر لمزاج الناس أو حسب استحسانهم.
الامر الثاني: كانت السيامات محصورة بيد الرسل فقط.

الامر الثالث: الاختيار كان مُنوط للشعب ولكن الرسامة للرسل ، وأتضح ذلك من خلال رسامة الشمامسة السبع. فبالخلافة الرسولية تستمر وحدة الكنيسة في الروح والفكر والراي لأن لهم مرجعية ثابتة. وخطورة عدم وجود خلافة هو عدم وجود مرجعية في التعليم وبالتالي يضيع الايمان، وعند عام 50 م كان معظم الأباء الرسل تتيحوا وعند 100م تتيح آخر الرسل وهو يوحنا الحبيب. ومن هنا جاء دور الخلافة الرسولية وأهميتها. وهي الساطان والصلاحيات التي أخذها الاباء الرسل من الرب وأستودعوها لخلفائهم. ولقد دافع الاورثوذكس عن الخلافة ووجودها، خصوصاً من المتشككين بوجود خلافة من الرسل، وهم البروتستانت، لذلك فالاورثوذكس يقولون، ان هناك من يعارض تعاليم الخلافة الرسولية رغما عما ذكره الكتاب المقدس فيقولون:

1- ان كل المسيحيين هم كهنوت المقدس وجنس مختار⁽²⁾، ويبنون على ذلك عدم وجود تمييز بين الشعب

(1) ط: شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع: <http://www.cairod-church.org/main.php?page=viewbook&id=25>

وظ: نيافة الانبا رافائيل، الخلافة الرسولية، شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع:

<http://www.facebook.com>.

(2) العهد الجديد ، رسالة بطرس الاولى 2: 5، 9.

المسيحي انه لا يوجد اكليريوس مخصوص فالجواب على ذلك انه هو عين ما قاله قورح لموسى وهارون ((فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما ان كل الجماعة باسرها مقدسة.. وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب. وان الله قال انتم لي كهنوت ملوكي))⁽¹⁾، ((وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة وبني قورح على ذلك ان له حق في الكهنوت مثل هارون فعاقبه الله بالموت))⁽²⁾.

ان هذا لا يمكن لأي طائفة من البروتستانت لها رعاة ((ويندر من ليس لهم رعاة)) ان تدافع عن نفسها بهذا الاحتجاج الباطل، وحتى لو فرض انه صحيح فانهم انفسهم يميزون ما بين الرعاة والشعب فيها هو مكتوب في الانجيل ان المسيحيين يدعون ملوكا وكهنة ((وجعلنا ملوكا وكهنة لله ابيه له المجد والسلطان))⁽³⁾.

2- يقولون ان تلاميذ لما رأوا شخصا غريبا يخرج شياطين باسم المسيح فارادوا ان يمنعه لكن قال لهم يسوع ان لا يمنعه لان الذي ليس علينا فهو معنا⁽⁴⁾.

فالجواب على ذلك ان هذا لا يسري الان بهذه الثلاثة اسباب:

أ- ان الرجل عمل المعجزة باسم المسيح وبذلك برهن ان له الحق في ذلك، ولان بعدها قد ارادوا اولاد سكاوا ان يفعلوا مثل ذلك فخابوا⁽⁵⁾، فشرع قوم من اليهود والطوافين المعزمين ان يسموا على الذين بهم الارواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليك ببسوع الذي يكرز به بولس فوثب عليهم الانسان الذي كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقوى عليهم حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجرحين.

ب- لما تشكى الرسل لم يكن المسير في وقتها رتب الكنيسة ولم يرتبها الا يوم البنطيقستي، ومن ذلك الحين فالكنيسة بمعونته وارشاده تعالى.

ج- لكون طوائف البروتستانت جميعها ضد الكنيسة فانهم دائما يجتمعون في جمعيات مضادة مجتهدين في جذب قلوب الشعب اليهم. فيصدق على مثل هؤلاء قول السيد المسيح ((من ليس معي فهو علي والذي لا يجمع معي يفرق))⁽⁶⁾، ولا يقع في الانجيل الا ذكر رجل واحد اقام نفسه بصفة معلم في الدين بنية خالصة وكان يدعى ابلوس ، وكان فصيحاً ومقتدراً في الكتاب المقدس وهذا الرجل لما تعلم

(1) العهد القديم سفر العدد 16: 3.

(2) م.ن. سفر الخروج 19: 6.

(3) العهد الجديد، سفر الرؤيا 1: 6 وينظر 5: 10.

(4) م.ن. سفر لوقا 9: 50.

(5) م.ن. سفر اعمال الرسل 19: 13 و 16.

(6) م.ن. سفر متى 12: 30.

جيدا اتحد مع الكنيسة وكان يشتغل مع مار بولس⁽¹⁾.

3- يقولون ولو فرضنا ان الخلافة الرسولية كانت موجودة الا انها قد انحلت وتلاشت من زمان طويل وذلك على تمادي الزمن لانه واضح لو انكسرت حلقة واحدة من السلسلة فتتلف جميعها، ولا بد قد انكسر اكثر من حلقة لسبب او اخر فالجواب:

((ان من تعقل هذه المسألة بتدقيق فلا يقبل دعوى واهية كهذه، لانه قد اخذت كل الاحتياطات اللازمة منذ الابتداء لمنع حصول ذلك وقد جعلت قاعدة عمومية انه يلزم وجود ثلاثة اساقفة في قسمة كل اسقف جديد ومع انه كان واحد يكفي الا ان العادة قد جرت بذلك لكي اذا اجتمع ثلاثة اساقفة بقسمة اسقف جديد وكان اثنان منهم ليسا حقيقيين فمع ذلك ان كان الثالث حقيقيا فنصح القسمة وكل الضر الذي يحصل ينقرض بموت القسوس الذين يكونوا قد كرسوهم الاساقفة الغير حقيقيين، وهكذا استمرت الخلافة الرسولية تتقوى باضافة كل اسقف جديد اليها حتى انه يصعب جدا انقراضها فهي لا تشبه سلسلة مركبة من حلقات منفردة اذا انكسرت حلقة منها تنقطع وتتلف بل هي كجديلة مركبة من الاف من الحلقات المجدولة بعضها ببعض او التي كل حلقة منها ترتبط بثلاث حلقات اخرى او اكثر بحيث يمكن ان تنكسر جملة حلقات بدون ان تتلف الجديلة.

4- يقولون انه ليس من الرحمة ان تجدد الطقوس المؤلفة من رجال صالحين اتقيا بين قسوس البروتستانت فالجواب على ذلك ان هذا هو عين ما يقوله الوثنيون عندما يقال لهم اذا لم تؤمنوا بالمسيح فلا تخلصوا فانهم يجاوبون قائلين ان رحمة الله واسعة ولا تنحصر في شيء واحد، ولكن المحبة والرحمة الحقيقة هي قول الحق واذا كان اناس عندهم نية سالحة ولكنهم يغشون انفسهم والآخرين بكونهم يتقلدون وظائف لا تخصصهم فاعظم شفقة عليهم هي تحذيرهم من ضلالهم وفي الواقع والكنيسة تعتبر رعاة البروتستانت كما هم ذاتهم يدعون فانهم اولا لا يدعون انهم مرسلون ثانيا لا يتجاسرون على تقديم ذبيحة جسد المسيح ودمه ولا على خل وريط الخطايا. وبما ان البروتستانت المذكورين لا يدعون بحيازتهم على هذه المزايا التي هي مزايا رتبة القسوسية ولا يعتقدون فيها واذا انه من العدل ان نقول ان هذه المرتبة لا توجد بينهم ولا ننكر انه ماحيانا يفعلون الخير بطرقهم الغير منتظمة بكرارة جزء من الانجيل.

5- يقولون حتى ولو سلمنا ان الخلافة الرسولية هي حقيقية وواضحة فلا يهم وجودها بين الجماعة ما

(1) م.ن. سفر اعمال الرسل 18: 24 و26 وينظر: م.ن. 3: 9 وينظر: م.ن. 16: 12.

دام جارى كرازة الانجيل بمعرفة رجال اتقيا، فالتقوى هي الخلافة الرسولية الحقيقية ولا للزوم لشيء خلافها، والجواب على ذلك نقول ((ان الانجيل يقضي علينا باطاعة المسيح وخدامه عوضا ان نصنع مثل اللذين يجمعون لانفسهم معلمين مستحكة اذانهم¹، وهكذا الناس الذين ينتخبون رعاتهم يفضلون انفسهم على بيعة الله واما من جهة التقوى فلا مدخل لها في مادة الاحقية فان اولاد عالي رئيس الكهنة كانوا رجالا اشرار، ومع ذلك فكاتبوا كهنة حقيقيين²، كذلك يهوذا الاسخريوطي كان شريرا ومع ذلك فكان رسولا حقيقيا³، اجابهم يسوع أليس اني انا اخترتكم الاثني عشر وواحد منكم شيطان فهل كان يمكن احد ان يقيم نفسه كاهنا او رسولا. بالقول انه احسن من حفني او فينيحاس او يهوذا الاسخريوطي، كلا فانه لا ينتج عن خطيئين عمل صالح مع انه حقيقي ان القسيس المسيحي الذي لا يكون تقيا في حد شخصه لا يصنع خيرا فالتقوى وحدها لا تعين أي انسان راعيا شرعيا، كما ان التبصر ومعرفة الشرائع لا تكفيان في جعل رجل قاضيا للمدينة بدون امرا من السلطان وبناء على ما ذكر لا يمكن للتقوى اغتصاب الوظائف التي لم تمنح.

3- مشروعية الخلافة عند البروتستانت ولدى البروتستانت رأي في قضية استخلاف الرسل، حيث
يقولون ان يسوع هو رئيس كهنة المؤمنين العظيم الذي نضح روح الأقداس السماوي بدمه والذي جلس عن يمين الأب هناك حيث هو الآن يشفع فيهم⁽⁴⁾ لذا فإن كان الكاهن في العهد القديم يضع يده على الخاطئ واليد الأخرى على الذبيحة ويطلب من الرب لغفران الخطايا ، لكن بمجيء المسيح لخلاص نفوسنا بموته على الصليب ، صار هو ا لذبيح الأعظم وأيضا هو رئيس الكهنة فصار الوسيط والشفيع بيننا وبين الله ولذلك نحن الآن لسنا في احتياج لشفيع أو وسيط غير المسيح⁽⁵⁾ فالمسيح الآن يشفع من أجلنا عند الرب، وعندما ينظر الاب إلى الذبيح الأعظم يرى ان الدين قد أوفى الدين ، والحساب قد سد ، فيأمر بالبركة ، و هذا ما يقول الكتاب المقدس : ((، ليس بدم تيروس وعجول بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبديا))⁽⁶⁾ من خلال الآيات السابقة يتضح أن المسيح له كل المجد هو رئيس الكهنة الذي يشفع فينا، لذلك نحن لا نحتاج إلى رئيس كهنة كي يكون ممن ينظر إلى الانسان

(1) العهد الجديد، سفر الرسالة الثانية لاهل تيموثاوس 4: 2.

(2) العهد القديم، سفر صمويل اول 2: 13.

(3) العهد الجديد سفر يوحنا 6: 70.

(4) ظ: العهد الجديد، سفر الرسالة إلى العبرانيين 4: 14.

(5) ظ: م.ن 7: 25.

(6) م.ن 9: 12.

كوسيط بينه وبين الله ⁽¹⁾ لأن المسيح وسيط بين الله وبين الناس)) ⁽²⁾ فمن ينظر إلى أي إنسان كوسيط بينه وبين الله فهو بالتالي يدخل في دائرة بعيدة عن كلمة الله ⁽³⁾.

لذا فالبروتستانت يقولون ان الكهنوت اللاوي قد هدمه المسيح عن طريق موته على الصليب ويستدلون بأن لو كان الكهنوت اللاوي فيه كمال اذا الشعب أخذ الناموس عليه ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق ولا يقال على رتبة هارون ⁽⁴⁾لذا تعود في هذه الأيام ونسيروراء كهنوت آخر لايمت بصلة للمسيح؟ فالمسيح وحده هو الكاهن على رتبة ملكي صادق ((كما يقول... أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق)) ⁽⁵⁾

لذا فالبروتستانت يشترطون في الوظيفة الكهنوتية صفات يجب توافرها لمن يتصدى لهذه القيادة:

أ. لزوم إقامة الكاهن من بين البشر لينوب عنهم ⁽⁶⁾.

ب. لزوم اختياره من الله وفرزه لتلك الغاية ⁽⁷⁾.

ت. لزوم كونه قديسا ظاهرا مكرسا لخدمة الرب، مقدسين يكونون لإلههم ولا يدنسون اسم الههم لأنه يقربون وقائد الرب طعام الههم فيكون قديسا... لأنني قدوس أنا الرب مقدسكم)) ⁽⁸⁾

ث. أن يكون له حق الاقتراب إلى الله بتقديم الذبائح والشفاعة في الشعب ⁽⁹⁾.

ثم إن البروتستانت يعتبرون المسيح هو المرموز إليه في الكهنوت اللاوي ولاسيما الكاهن الأعظم (رئيس الكهنة العظيم وفي الذبائح وقد استدلوا أن الوحي قد بين ذلك في العهد الجديد حيث يقول عنه بين ذلك الوحي في الرسالة إلى العبرانيين حيث يقول عنه، كان المسيح إنسان من بني جنسنا ⁽¹⁰⁾، مختارا من

⁽¹⁾ظ: عماد عيد المسيح، مفهوم الكهنوت الكتابي، مقتبس من شبكة المعلومات ، الأنترنت ، موقع:

<http://www.Arthothour.com.org>

⁽²⁾ظ: العهد الجديد، رسالة تيموثاوس الأولى ثيماتاوس الأولى، 2: 5.

⁽³⁾ظ: م.ن الرسالة إلى العبرانيين 8: 6.

⁽⁴⁾ظ: م.ن ، الرسالة الى العبرانيين، 7: 11 .

⁽⁵⁾م.ن : 5 : 6.

⁽⁶⁾ظ: م.ن: 5: 1 - 6.

⁽⁷⁾ظ: م.ن 4: 4 ، وظ: عدد 16 : 5.

⁽⁸⁾العهد القديم ، سفر لاويين 21: 6 ، 8 ، وظ: مزمو 106: 6.

⁽⁹⁾ظ: م.ن سفر الخروج 19: 22.

⁽¹⁰⁾العهد الجديد، سفر الرسالة إلى العبرانيين 4: 15.

الله⁽¹⁾، قدوسا وطارها⁽²⁾، له حق الاقتراب إلى الله والقبول لديه عنا كرئيس كهنة (الزعيم والقائد الديني)⁽³⁾.
الديني)⁽³⁾. لذا فإن المسيح هو الكاهن الأعظم الذي ينوب عن المؤمنين المسيحيين فيما يخص الذبائح
والشفاعة من أوضح الأدلة هي الموجودة في الكتاب المقدس⁽⁴⁾. وبما أن المسيحي المؤمن متحد بالمسيح
اتحادا روحيا فهو يشترك في فوائد موته وفي أمجاد نصرته وله حقوق خاصة من نعمة الله مبنية على
تلك الشركة ومنه حق القدوم رأسا الى الله بالمسيح حتى حق الدخول إلى الأقداس بدم يسوع⁽⁵⁾. فإن
البروتستانت يرون إن القول بأن الكهنة الموجودين اليوم هم و حدهم لهم الحق في ممارسة الكهنوت لأنهم
تسلموا ما تسلموا إياه من شفاء المرضى وغفران الخطايا والحل والربط، لا تستقيم والأدلة فمن النصوص
الانجيلية⁽⁶⁾

1. إن الكهنة الموجودين يظنون أنهم هم وحدهم لهم الحق في ممارسة الفوائد الكتابية والطقوس الكنسية
، لأنهم يظنون أنهم خلفاء الرسل يوضع أبدي الرسل عليهم وابتداء يتسلم الكهنوت من جيل إلى جيل إلى
أن وصل إلى هذا الجيل، وان باقي الطوائف ليس لهم حق ممارسة العبادة وقيادة الشعب لفهم الكتاب
المقدس، لأن ليس لهم سلطان ممنوح من الرسل بوضع الأيدي، فهم المنشقين من الكاثوليكية في زمن
كانت تعيش فيها الكنيسة الكاثوليكية في عصور مظلمة ، لذلك كل الوعود الموجودة في كلمة الله التي تخص
الرسل أو قسوس الكنيسة يظنون أن لهم وحدهم دون غيرهم من باقي الطوائف ، لذلك تجدهم يحاربون كل
الطوائف بدون تمييز ، ويتمنون دائما زوال هذه الطوائف لتبقى الكنيسة الأرثوذكسية هي الباقية المهيمنة
السائدة على كل الناس ، لكن الطائفة البروتستانتية لا تقبل بهذا الأمر منذ بداية ولادة الكنيسة البروتستانتية ،
فهم يذكرون لقد حاول البابا في ذلك الوقت هدم هذه الحركة ، عن طريق قتل وتعذيب كل من يسير وراء
مارتن لوثر الذي نشر التعليم الصحيح ، والسليم وفضح الأخطاء التي وقعت فيها الكنائس التقليدية ، الممثلة
في الكنيسة الكاثوليكية في ذلك الوقت والكنيسة الارثوذكسية ، فالكهنة الموجودين اليوم لم يتسلموا من الرسل
مذبح وهيكلا ، ونظام أيضا بابوي ، فلم يذكر التاريخ ان القديس بولس أو مرقس الرسول أو أي رسول ،
وضع يده ليرسم بابا واحد ، ولم يذكر التاريخ أو الكتاب المقدس أن الرسل وضعوا أيديهم على أشخاص
ليعينوا (قسوس) وخدام الكنائس وهؤلاء الخدام بالتالي وضعوا أيديهم على آخرين ليعينوا أيضا خدام على

(1) العهد الجديد، سفر الرسالة إلى العبرانيين 5: 5، 6.

(2) م.ن 7: 26 ، وظ: م.ن ، سفر لوقا 1: 35.

(3) م.ن سفر يوحنا 16: 28 ، وظ: م.ن الرسالة إلى العبرانيين 1: 3 و 11.

(4) ظ: مفهوم الكهنوت الكتابي، عماد عبد المسيح، مقتبس من شبكة المعلومات ، الأنترنيت ، موقع:

<http://www.Arthothour.com.org>.

(5) ظ: العهد الجديد، فر الرسالة إلى العبرانيين 10: 19-23.

(6) ظ: مفهوم الكهنوت الكتابي، عماد عبد المسيح، مقتبس من شبكة المعلومات ، الأنترنيت ، موقع:

<http://www.Arthothour.com.org>.

مناطق أخرى، وهكذا توسعت الدائرة إلى أن صارت المسيحية هي ديانة دول بجملتها، فلا بد أن تأخذ المسيحية شكل واحد تحت رياسة شخص واحد، وسمي هذا الشخص بابا يختص بأمر الدين⁽¹⁾ بالتعاون مع الملك الذي يختص بأمر الدولة، ويضيف البروتستانت لقد مات الرسول يوحنا الحبيب ولم يري بابا واحد على كرسل الرياسة الدينية⁽²⁾، إنه تشكيل بدأ مع الحاح الحاجة إلى ذلك أما من جهة الطقوس فقد بدأت تدريجيا، عن طرق الآباء الأولين حسب ما وصل لهم من نور، فليس كل تقليد مسلم صحيح، وليس كل التقليد خطأ⁽³⁾ ولو كان وجود نظام كهنوتي بطوقسه وفرائضه لا يزال ضروريا لبطلت قيمة عمل المسيح وقضي على أساس الديانة المسيحية إلا أن الله الذي أعطى كلمته لتكون الحكم الوحيد، والمرجع لكل الأمور فيها فصل الخطاب فقد قال الرسول بولس في رسالته للعبرانيين: ((وأما هذا فبعدهما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله منتظرا بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطنًا لقدميه لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين، ويشهد لنا الروح القدس أيضا لأنه بعدما قال سابقا، هذا هو العهد الذي أعده معهم بعد تلك الأيام يقول الرب اجعل نواميسي في قلوبهم واكتبها في أذهانهم، ولن أذكر خطاياهم تعدياتهم فيما بعد، وإنما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية))⁽⁴⁾. وهذا وان في الكتاب ما يدل على وجوب رفض التقاليد كتوبيخ المسيح للفريسيين لأجل اتكالمهم عليها وهو يصح على البابويين خلفائهم في اعتبار التقاليد الفرقة ((فأجاب وقال ... وأنتم أيضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم... فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم))⁽⁵⁾، ((وباطلا يعبدونني وهم يعلمون هي وصايا الناس))⁽⁶⁾.

لذا فالبروتستانت لا يعترفون بخلافة البابا من بطرس ويقولون أن المسيحية في بداية أمرها لم يكن لها فرقة كهنوتية مخصوصة بل ان الذين تجددوا أولا جالوا في كل مكان يبشرون بالرب يسوع، وكانوا أول من نشر أخبار الخلاص المفرحة خارج أورشليم قبل أن يبرحها الرسل أنفسهم⁽⁷⁾ ثم أخذوا عدد المسيحيين المسيحيين المتجددين يتزايد على مر الأيام، ومتى صار عددهم في مكان ما كافيا لعمل اجتماع كانوا يجتمعون معا باسم الرب في أول يوم من الأسبوع ليكسروا خبزا ويبينوا بعضهم بعضا في المحبة⁽⁸⁾، ومتى حانت الفرصة لأحد الرسل ليزور مثل هذه الاجتماعات كان يقيم شيوخا فيها للاهتمام بهذا القطيع الصغير ومراقبته روحيا، والجماعة أنفسهم هم الذين يختارون ا لشمامسة، هذا هو النظام الذي كان متبعا

(1) ظ: مفهوم الكهنوت الكتابي، عماد عبد المسيح، مقتبس من شبكة المعلومات، الأنترنيت، موقع:

<http://www.Arthour.com.org>.

(2) م.ن.

(3) م.ن.

(4) العهد الجديد، الرسالة الى العبرانيين 10: 12 - 18.

(5) العهد الجديد، سفرمتى 15: 3 و 6

(6) م.ن سفر مرقس 7: 7

(7) ظ: العهد الجديد، أعمال الرسل، 8: 11.

(8) ظ: العهد الجديد، أعمال الرسل، 20: 7.

في الكنائس في أيام المسيحية الأولى ثم ان النفوس التي تخلص على يد مبشر مقام من الرب كانت تعتمد باسم الأب والابن والروح القدس، وهذا ما كان يحدث خارج الاجتماع لأنه ليس عملا كنائسيا وبعد ذلك يفحص الاشخاص الروحيين بين المؤمنين طالبي الانضمام للشركة فحفا مدققا ومتى اقتنعت الجماعة بصحة إيمانهم ونقاوة سلوكهم تقبلهم في الشركة. نرى من هذا الوصف المختصر انه لم يكن في نظام الكنائس بحسب الترتيب الإلهي فرق بين الخدام والشعب بل كانوا جميعا في المستوى واحد من حيث الكهنوت والاقتراب له ، كما هو واضح من أقوال الرسولين بطرس⁽¹⁾ ويوحنا⁽²⁾. لذا من خلال ذلك يتضح أن الكهنوت الوحيد الذي تتكلم عنه كلمة الله في العهد الجديد هو الكهنوت العام لكل المؤمنين وليس كهنوتا قاصرا على هيئة من بين المؤمنين⁽³⁾.

لقد كانت فكرة التمييز بين الكهنة والشعب موجودة في الديانة اليهودية ثم أسرع العقل البشري إلى تعظيم وترسيخ نطاق ذلك التمييز حتى جاء نظام تعيين الاساقفة ورسامتهم فوطد دعائمه وثبت أركانه وعظم شأنه ، وبذلك تدرج الأسقف إلى الادعاء بلقب رئيس الكهنة أو السيد الأعظم ، وهكذا أيضا أخذ الشيوخ وبعد ذلك الشماسة يعتبرون أنفسهم ويعتبرهم الشعب هيئة مقدسة كالاساقفة وادعت تلك الفئة الكهنوتية مركزا للوساطة وزيادة التقرب لله كما ادعت السيادة والسلطة على الشعب ، وبدلا من أن الله يكلم الإنسان ويخاطب ضميره وقلبه مباشرة بواسطة كلمته ، وهكذا يأتي بالقلب إلى محضره تعالى ، تصدي الكهنوت متوسطا بين الله والإنسان ، وبهذه الكيفية غض البشر النظر عن كلمة الله وأنكروا بل أبطلوا عمليا مقام الرب يسوع المبارك كرئيس كهنة لشعبه وكالوسيط الوحيد بين الله والناس⁽⁴⁾.

ويحتج البروتستانت على قضية استلام ووراثة الإيمان من الآباء الإيمان من الرسل ومن الآباء بالقول بانه يمكن ذلك لأن الإيمان لا يسلم ، فالإيمان يقبل⁽⁵⁾، لذا فإن الطقس الكنسي من أسرار سبعة واعتراف والتحول ، لم يسلم من الرسل بل وضعوه الآباء عن جهل روحي في وسط عصور مظلمة⁽⁶⁾.

ثانيا: أدلة مشروعية الخلافة لدى القائلين بالتوحيد:

لقد أشار الباحث أن هذا الفريق يذهب إلى نبوة السيد المسيح عن طريق الأدلة من النصوص الدينية المقدس، إضافة إلى الأدلة العقلية:

(1) ظ: م.ن ، رسالة بطرس الأولى، 2: 5.
(2) م.ن ، سفر الرؤيا 1: 5 ، 6.
(3) ظ: عماد عبد المسيح، مفهوم الكهنوت الكتابي، مقتبس من شبكة المعلومات ، الأنترنت ، موقع:

<http://www.Arthothour.com.org>.

(4) م.ن.
(5) ظ: العهد الجديد، يوحنا 1: 12 ، وظ: م.ن، كورنثوس الأولى 11: 23 - 28.
(6) ظ: عماد عبد المسيح، مفهوم الكهنوت الكتابي، مقتبس من شبكة المعلومات ، الأنترنت ، موقع:

<http://www.Arthothour.com.org>.

1 . لقد كانت الفرقة الأبيونية وهي التي تعتبرها جميع الطوائف المسيحية أول من اتبعت السيد المسيح(ع) ، حيث انهم قد سبقوا أتباع بولس⁽¹⁾، فلقد كانت هناك أدلة تؤكد على ابيونية جماعة قمران، حيث يبين الكاردينال دانيلو من تعريف اليهود المتضررين أن مجموعة التلاميذ الصغيرة والتي بقيت بعد المسيح كونت طائفة اليهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها، رفض كثير من اليهود المنتصرين تنازل بولس عن شريعة الناموس وعن شريعة الختام واعتبروه خائناً وكانت النصارى تمثل حتى العام 70 غالبية الكنيسة⁽²⁾. حيث كان بولس معزولاً في ذلك الوقت ، وكان رئيس الجماعة يؤمن ببعقوب آخر الرب... وكان معه في البداية بطرس ، ثم يوحنا ، ويمكن اعتبار يعقوب أخي الرب عمود اليهودية المنتصرة(النصارى) الذين ظل ملتزماً خط اليهودية، في مواجهة المسيحية البولسية⁽³⁾ ويذكر الكاردينال دانيلو في مقاله الموسوم بـ(رؤية جديدة للأصول المسيحية اليهودية، المسيحية)، حيث يذكر النصوص التي تعرض نظرة اليهودية (النصارى) إلى المسيح وهي جماعة تكونت أولاً حول التلاميذ .، وهذه النصوص هي انجيل العبرانيين الذي يعود إلى جماعة يهودية منتصرة مصرية، ومؤثرات اكليمينطس والتحقيقات الاكليمينطية وانجيل توما. ويندرج تحت عنوان هؤلاء النصارى الابيونيين وهم يعتبرون السيد المسيح مجرد انسان عادي بلغ إلى مرتبة الصلاح ، وهو نبي ألح على التمسك بأحكام الشريعة ولم تؤمن هذه الجماعة بالخلاص بواسطة المسيح وحده⁽⁴⁾.

2- إن مخطوطات قمران والتي بينها الباحث في مطلب مفهوم الخلافة والتي وجدت بالقرب من البحر الميت تتحدث عن معلم الصدق مدبر الجماعة قمران الذي تنطبق صفاته وحياته على صفات بطرس وحياته⁽⁵⁾.

3 . لقد ذكر الفكر المسيحي ان الطائفة الأبيونية تعتقد بأن السيد المسيح بشر وانه نبي، لذا وصمت بالهرطقة، وهم بالتالي قد جعلوا السيد المسيح نبي ولما كان السيد المسيح قد أوصى بشكل واضح من خلال انجيل متى ، والذي تعرف به جماعة قمران، يقول هذا الانجيل ((أنت صخرتي وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة)) يذكر الفكر الميسحي ان الكنيسة التي شكلها بطرس ونظمها قد اقتبس بولس من الابيونيين تنظيمها وشكلها⁽⁶⁾. وهذا يعني ان الطائفة اليبونية قد جعلت من بطرس هو الخليفة الشرعي للسيد المسيح ، وقد استمر الابيونيين لتنظيم الكنيسة بعدها

(1) يوكاي، موريس، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ترجمة ونشر دار المعارف بمصر(د. ت) ص 71 - 72، وظ: خياطة، نهاد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات، ط2، 2004، دار الأوائل، سوريا، دمشق، ص 74 - 77.

(2) ظ: م. ن.

(3) م. ن.

(4) فياض ومنصوري، النصارى ، دار أسامة ، دمشق ، 1998م، 31.

(5) رستم، د. اسد ، مخطوطات البحر الميت، ص 58.

(6) الحداد، يوسف ، فلسفة المسيحية (الرسائل)، ص 416.

تركوا أورشليم وذهبوا بعيدا وعاشوا في بيرويا بعد أن نصحهم السيد المسيح لأنها سوف تخرب أورشليم⁽¹⁾، و لم تكن هيمنة النصارى طيلة القرن الأول للكنيسة فقط في القدس وفلسطين ، بل كان رسالتها منتشرة في كل مكان سابقة على الرسالة البولسية وكما يقول الكاردينال دانييلو⁽²⁾، ويضيف الكاردينال دانييلو ((الساحل السوري الفلسطيني من غزة حتى انطاكية هو يهودي مسيحي))⁽³⁾ ويضيف ((ولكن اليهودية المسيحية كانت تمثل حتى سنة 70م غالبية الكنيسة وظل بولس معزولاً))⁽⁴⁾.

وهذا يعني أن هناك صراع حقيقي بين النصارى وخليفتهم بطرس من جانب مع بولس من جانب آخر ، وهذا الصراع بينه مخطوطات قمران ، ولم تستبعد أن يكون معلم الصدق هو بطرس⁽⁵⁾. لذا عندما رجع معظم نصارى القدس إليها ازدادوا تمسكا بالشرعية الموسوية إلى جانب شريعة المسيح مما أدى إلى عزلتهم أكثر عن سائر العالم المسيحي⁽⁶⁾.

المطلب الرابع

دور الخلافة في الديانة المسيحية

ان للخلافة في الديانة المسيحية ادوارا مهمة تتمثل بقيادة الامة في مهام كثيرة منها الدينية والسياسية والاجتماعية ، والهدف من خلافة السيد المسيح(ع) بواسطة دعوة رسله التي يتزعمهم بطرس ،

(1) فياض ، النصارى، ص 47-48.

(2) خالد حسن ، موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، ط1 ، معهد الإنماء العربي، بيروت، ص 682.

(3) م.ن ص 681.

(4) م.ن.

(5) ظ: غيزا فيرم، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ترجمة د. أ ، سهيل زكار، ط1 ، 1426هـ - 2006م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 53.

(6) الحداد، يوسف درة، القرآن دعوة نصرانية ، المطبعة البولسية، 1967، (د. ط) ، ص 47 - 48.

((أن يتموا عمل المسيح ويعلنوا اسمه ويوصلوا رسالته ، ولكي ينشؤا مؤسسة جديدة في الأرض تتحدى الزمن والموت وكل قوى الجحيم، فقد تعلموا كيف يعملون من خلال التبشير لخلق مجتمع يضم بين صفوفه أفضل العقول المستنيرة، وأسمى المثل العليا، وأقدس النفوس، وكونهم من خلال التأثير الأخلاقي والروحي على عصرهم والعصور اللاحقة طهّروا المجتمع وأنقذوه، وخلقوا مستوى رفيعاً من الحضارة))⁽¹⁾.

لذا فهناك فترتين زمنيتين تمت بهما ادوار الخلافة :

أولاً: دور الخلافة في زمن الرسل .

ثانياً: دور الخلافة في زمن الاباء الرسولين وتابعيهم .

أولاً: دور الخلافة في زمن الرسل :

اذن فان اعداد المسيح للرسل وتعليمهم على يديه تكون في نهاية مقدماته وبداية نتائجها تنتهي بان يكونوا على اهبة الاستعداد للإرسالية⁽²⁾، ويقوموا بدورهم كخلفاء للسيد المسيح. لذا فان اهم الأدوار لخلفاء السيد المسيح(ع) هي:

1-السفارة: فبعد حصولهم على التعليمات المباشرة من خلال التلمذة على يدي معلمهم انتقلوا للمهمة العملية كخلفاء، وأصبحوا سفراء للمسيح((اذهبوا وقولوا هوذا أقترب ملكوت السموات))، وفي بداية امرهم، كانت مهمتهم قاصرة على بني إسرائيل، ثم نسخت لتكون مهمتهم عالمية.

2-الإرسالية: تلقت هذه المرحلة الأخيرة تأكيدها في ليلة مغادرة المسيح للأرض، فقد وعدهم بطول الروح القدس عليهم ليكون مصدرًا دائماً للحكمة والعزاء والقوة⁽³⁾، وباختيار التلاميذ وتعيينهم وإرسالهم كالمبشرين بالملك وبملكوته تحولت التلمذة الى إرسالية وأصبح مركزهم كرسول مرتبباً بالمهمة الهائلة المنوطة بهم، لقد جلبت هذه الإرسالية معها رابطة أعمق، فلم يعودوا يرسلون كعبيد لتنفيذ أوامر سيدهم، بل صحابة ليسوع والمشاركين له في فكره وشركاء في هدفه لخلاص العالم كله⁽⁴⁾، وكننتيجة ليوم

(1) هيربرت لو كير ، كل الرسل في الكتاب المقدس: ط1، 2003 دار الثقافة -البانوراما- القاهرة، ص7، نقلاً عن الان بوول في مجلة كريستيان وقد اقتبسها من مجلة (الريدوز دايجست) لمقالة بعنوان والذين اختارهم يسوع، كانوا رسلاً لرسالة غيرت العالم، بقلم، ارنست هوز.

(2) ط: م.ن. ط

(3) ط: هيربرت لو كير: كل الرسل في كتاب المقدس: 20.

(4) ط: العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 1: 8.

الخمسين، أصبحت هذه العلاقة أكثر حيوية وعمقاً عندما حمل الرسل ثماراً كثيرة لمجده⁽¹⁾. وهناك دليل على موقف كل منهم من الآخر تجاه بعضهم البعض كاخوة⁽²⁾.

3- إن مهمة ودور الخلافة عند الفكر المسيحي هي الشهادة في تحقيق وعود الله، وقد جاء هذا التحقيق للوعود، وأكتمل عند شهادة الرسل بمجيء السيد المسيح (ع) وقيامته وتمجيده، فالنبي عيسى (ع) عندهم هو المسيح ولأنه كذلك فهو يحقق وعود الله⁽³⁾، لذا فمهمة الخلافة هي إذن ان تعلن وتشهد بوعود الله وأنها قد اكتملت عند مجيء المسيح (ع)⁽⁴⁾.

فالرسل (خلفاء السيد المسيح)، وخلفاءهم من بعدهم من الآباء الرسولين الى زمن الباباوات يشهدون أن المسيح هو وسيط العهد الجديد وترتكز شهادتهم أنهم كانوا يعتمدون على حياته (ع) من حيث أقواله وأعماله ومعجزاته وموته وأهمها قيامته ومجده لذا فقد مرت الشهادة على مرحلتين، مرحلة شهادة الرسل، ومرحلة شهادة الكنيسة وراعيها من بعد الرسل.

أ- شهادة الرسل: فالرسل لهم دور كبير ومتميز لأنهم قبلوا من يسوع⁽⁵⁾ رسالتهم، فهم ليسوا مجرد شهود (أي ناقلي كلام)، بل لهم دور فعال في نقل خبرتهم من السيد المسيح لخلفاءهم حيث انه (ع) وحدهم⁽⁶⁾، لهذا يعتقد الفكر المسيحي ان كلامهم هو كلام الله ""الموصى""⁽⁷⁾ ولهذا فما يعلنونه، له قوة خاصة ترافقه الآيات والمعجزات، وكلامهم هو كلام الله عينه⁽⁸⁾.

لكن هذه الشهادة باعتقاد الفكر المسيحي ستنتفيء بموت آخر الرسل، لأنهم وحدهم عاشوا خبرة الفصح والقيامة ووحدهم كان لهم دور المؤسسين، وهذه حالة خاصة .

ب- شهادة الكنسية: وهي إتمام وإكمال لشهادة الرسل، واعتماد على الروح الذي يرافقها دائماً⁽⁹⁾، والروح هو الذي يكون العلاقة الوثيقة بين الكنيسة وبين السيد المسيح ساكن فيها حتى انقضاء العالم⁽¹⁰⁾.

لذا فالفكر المسيحي يعتقد أن إيمان المسيحيين الذين استمر لهذا اليوم هو بفضل شهادة الرسل الذي نقل بواسطة الكنيسة، على شكل كلام حي، لذا فتقليد الإيمان ونقله، هو أهم رسالة موضوعة على عاتق

(1) كل الرسل في الكتاب المقدس: 20.

(2) ظ: العهد الجديد، سفر يوحنا 1: 1-6..

(3) ظ: العهد القديم، رسالة بولس الرسول لاهل غلاطية 3: 16 - 29، وينظر: الرسالة الى العبرانيين 11: 9 - 39، وظ:

أعمال الرسل 2: 16 و 19.

(4) ظ: اللاهوت العقائدي، السنة (2)، ص 30.

(5) العهد الجديد، رسالة بولس لأهل غلاطية 1: 1.

(6) م.ن، رسالة يوحنا الاولى 1: 1.

(7) اللاهوت العقائدي، السنة الثانية، ص 32.

(8) العهد الجديد رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس 5: 20.

(9) العهد الجديد، انجيل يوحنا 14: 16.

(10) م.ن، انجيل متي 28: 20، وينظر: انجيل يوحنا 14: 18.

الكنيسة⁽¹⁾ من خلال الخلافة الرسولية⁽²⁾. ولقد كانت مهمتهم هي الدعوة بالبشارة وكانت مهمتهم الخاصة الخاصة هي الشهادة للسيد المسيح، خاصة فيما يتعلق بقيامته⁽³⁾. ((أما دور بطرس كرئيس لهم فيشهد عليه التقليد القديم))⁽⁴⁾.

4-ورد من وصية المسيح لبطرس ((فبعد ما تغدو قال يسوع لسمعان(بطرس) يا سمعان بن يونا أتحنني أكثر من هؤلاء قال له نعم أنت تعلم إني أحبك ، قال لله ارع خرافي وقال ايضا ثانية ياسمعان بن يونا أتحنني قال له نعم إني أحبك قال له إرع غنمي،قال له ثالثة يا سمعان بن يونا أتحنني فقا لله يا رب أنت تعلم كل شيء أنت تعرف إني أحبك قال يسوع إرع غنمي))⁽⁵⁾، وهو ما يؤكد خصوصية رسالة المسيح لبني إسرائيل، فكأن السيد يقول إنني أنا قائد هذه الامة وزعيمها، وها انا منطلق عما قريب فاطهر يابطرس محبتك لي بعنايتك بالذين أفارقهم⁽⁶⁾.

ويعتقد الفكر المسيحي ان دور بطرس هو دور السلطان في كنيسة الرسل الأوائل، فهم يعتقدون ان الدور الأول الذي لعبه بطرس حين مارس بشكل ملحوظ في اتخاذ القرار الخطير وهو الأول من نوعه وذلك عندما حرر المسيحية عن الشريعة الموسوية(حسب اعتقادهم)، ويقولون لقد قامت ضجة من النصرى اليهود بدافع من الفريسيين المنتصرين على تعليم بولس بتحريم المسيحية من الشريعة الموسوية فاحتكم الجميع الى ((الرسل والكهنة في اورشليم))⁽⁷⁾، ((فاجتمع الرسل والكهنة لينظروا في هذا الأمر واذا واذ جرت مباحثة عظيمة قام بطرس وقال لهم...))⁽⁸⁾.

فاستند بطرس الى سلطته الرسولية (ليسمع الأمم من في كلمة الانجيل)⁽⁹⁾ والى تدخل الروح القدس نفسه في هداية أول وثني ، ونزول الروح القدس عليه وعلى جماعته ، كما نزل على الرسل أنفسهم ، لكي يشرع تحرير المسيحيين من الشريعة الموسوية وبعد خطاب بطرس، وتشريعه ((سكك الجمهور

(1) اللاهوت العقائدي، ص 32.

(2) الانبا رافائيل، الخلافة الرسولية في الفكر الارثوذكسي ، ص28.

(3) اعمال الرسل 1: 8-21، لوقا 24: 48 ان التلاميذ ليس هم فقط يطلق عليهم لفظ الرسل فهناك بولس (اكو 9: 1، 15:

8) وبرنابا (اعمال الرسل 14: 14)

(4) اكورس 15: 5 وفي سلسلة من النصوص الانجيلية ط:متي 10: 1-4، مرقس 3: 3-8، لوقا 6: 12-16، 22: 31، متي 16: 17-19 وط:المدخل الى الكتاب المقدس: الخوري بولس الغفالي: 4: 189-190، ط1، 1994.

(5) م.ن سفر يوحنا 21: 15 - 17.

(6) وليم ماكدونالد ، تفسير الكتاب المقدس لمؤمن ، العهد الجديد ، يوحنا 21 : 15 - 18 طبع بمطبعة الأخوة بجزيرة بدران - مصر ، منشورات دار الأخوة للنشر (دبت) .

(7) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 15: 2.

(8) م.ن 6: 11-15.

(9) تاريخ المسيحية في سفر أعمال الرسل: يوسف درة الحداد: 216.

كله⁽¹⁾))، ثم قام يعقوب، زعيم آل البيت⁽²⁾ الذي يعتمد عليه النصارى اليهود المعارضين، فأيد تشريع بطرس، زعيم الرسل⁽³⁾.

يبدو ان بطرس بهذا الاعتقاد للفكر المسيحي ،انه قد غيّر الديانة والشريعة التي جاء بها السيد المسيح(ع) ، وهنا يتبادر الى الذهن السؤال الاتي.

هل يمكن ان يغير خليفة المسيح ماوصى به معلمه.

ولما علمنا ان السيد المسيح(ع) هو من قال بانه لم يات ليغير الناموس، بل جاء ليتمم⁽⁴⁾ ((لَا تَتَّظِنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.))⁽⁴⁾، فكيف ببطرس وهو المختار ليس من قبل السيد المسيح فحسب فحسب ،وانما من قبل الله ، فاختياره لزعامة الرسل هو اختيار الهي ، كل هذا المقام الرفيع ، ثم يقوم بتحرير المؤمنين من الشريعة الموسوية، وقد علمنا ما قال بحقه السيد المسيح((طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُغْلِنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ... وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَمَنْ مَا تَرَبَّطَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَمَنْ مَا تَحُلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ))، فكيف بمن أعطي مفاتيح ملكوت السموات، وكل ما يربطه وما يحلله على الأرض يكون مربوطا ومحلولاً في السماوات، ان يحل ما حرّمته الشريعة ان يحلها بطرس .

نعم ان هناك من غيّر الشريعة والناموس وحرّف الانجيل بما تهوى نفسه وحسب الموقف في ذلك الوقت مع مدهانة الرومان لكسب الرضا والتزلف من الإمبراطور جعل الرجل الاول للديانة المسيحية ان تحل ماتتشاء وتفعل ماتتشاء وفق المصلحة التي مرّ بمن يتسمون زورا بصحابة المسيح(ع) ، لقد قذف بولس بالشريعة إلى الجحيم بل أن تزول الأرض والسماوات فقد اعتبر بولس الشريعة "الناموس"

(1) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 15: 12.

(2) هذا المصطلح يتناوله المفكرون المسيحيون بكثرة ، والمقصود بال البيت هو بيت السيد المسيح الذي يتكون من المسيح واخيه يعقوب واقربائه ، ط: الحداد ، يوسف درة ، فلسفة المسيحية (بولس الرسول)، ص233، وط: كل الرسل في كتاب المقدس: هربرت لو كير.

(3) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 15: 19.

(4) العهد الجديد، انجيل متى 5: 17-19.

والعمل بها هي لعنة لا لزوم لها فقال: ((إن المسيح حررنا بالفداء من لعنة الشريعة، إذ صار لعنة عوضا عنا))⁽¹⁾.

لذا فيولس أطلق العنان لهوى الإنسان ليفعل ما يشاء ، وأعلن بولس عن عدم حاجة العالم المسيحي إلى الشريعة بعد أن قام الإنسان بصلب الإله وقتله على الصليب حيث يقول: ((ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين، لأن بكلامك تتبرر وبكلامك تدان))⁽²⁾. مما يعني ان بطرس بريء مما نسب اليه بدوره لتحرير المؤمنين من الناموس. ومع هذا كله نجد ان هناك رأي آخر مختلف في الفكر المسيحي لهذه المسألة⁽³⁾.

وحيث كانت زعامة بطرس على الكنيسة جمعاء، في حفظ الايمان المسيحي، وقيادة الدعوة المسيحية ظاهرة كبرى من خلال النصوص في سفر أعمال الرسل⁽⁴⁾. ففي الفترة الأولى وحيث كانت كنيسة الرسل وكنيسة أورشليم واحدة نرى بطرس يشير بانتخاب أحد الصحابة لتكميل العدد الرمزي الذي كرسه المسيح للاثنتي عشر⁽⁵⁾، ويخطب في عيد العنصرة، ويعلن باسم الرسل البلاغ المسيحي الأول⁽⁶⁾، والمؤمنون يسألونه يسألونه عما يجب عمله⁽⁷⁾.

وبطرس يتقدم الرسل في صنع المعجزات لتأييد الدعوة⁽⁸⁾. والسنهدين يوقف بطرس ويوحنا فيذيع بطرس عليهم بلاغ الدعوة باسم الرسل كلهم: فقال لهم بطرس، وهو ممثلي من الروح القدس...⁽⁹⁾، وبطرس يمثل القضاء الأعلى في الجماعة، بحادث حنانيا وسفير⁽¹⁰⁾ وبطرس يتفقد كنائس الساحل وحده كالرئيس الأعلى⁽¹¹⁾ بل ان بولس يشهد ويعترف على زعامة بطرس رئيس المسيحية⁽¹²⁾. يذكر الباحثون

(1) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3: 13. و: Eisenman, The Dead sea scrolles and First Christian .p.235.

(2) العهد الجديد، انجيل متى 12: 36 - 37.

(3) م.ن.

(4) تاريخ المسيحية: يوسف درة الحداد: 222.

(5) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 1: 15-26.

(6) م.ن: 2: 14.

(7) م.ن: 2: 37.

(8) م.ن: 3: 1.

(9) م.ن: 4: 8-12.

(10) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل: 5: 9.

(11) م.ن: 9: 32-42.

(12) رسالة بولس الى اهل غلاطية 1: 18، 2: 1، و: تاريخ المسيحية: 225-227.

والمفكرون المسيحيون عند ذكر اللاهوت الكنسي ودوره ودور المجامع المسكونية على الفكر المسيحي إن الدراسات التاريخية مستعينة بالعلوم الإنسانية كشفت الصورة التي كانت الكنيسة تحملها عن نفسها خلال العصور ، شرحت لنا أسباب ظهور نماذج تاريخية عرفناها، ودوافع أيولوجية حركت الكنيسة على تبنيها بعض الأزمنة ،وقد ساعدها الحوار المسكوني على الخروج من قوقعتها وانغلاقها، وهناك الكثير من الباحثين والمفكرين اللاهوتيين قد ذهبوا إلى أبعد نقطة في تحليل نماذج للفكر المسيحي كالكنيسة المحاربة ، والسلطة الكنسية ، ومفهوم العصمة وغيرها ، يذكر الأب ايف كوتغار الذي درس الثنائية القائمة بين الشرق والغرب ، وتوصل بالتالي لفكرة مفادها: (1)

1. يلقي اللاهوت الشرقي بثقله على أولية الكنيسة المحلية ويفهم الكنيسة الجامعة بمثابة شركة ، أما المسائل العقائدية التي تسمى الإيمان الكاثوليكي (الجامع) فالشرق يعتمد على المجمع المسكوني ويعطي الأولوية ((للتنقل)) وكانت الكنيسة الإفريقية تشارك الشرق في هذا المفهوم حتى زوالها أمام الفتوحات الإسلامية في القرن السابع.

2 - الغرب يعطي الأولوية : الجسد - الرأس ويتبنى تدريجيا مفهوم الكنيسة من منظار البابا ، فالكنيسة نوعا ما تتبع البابا والمجمع بالتالي ((بابوي)) أي هو الذي يدعو إليه ويقوده ويؤيده وقد حدث أن تقدموا خلال التاريخ ن بآفكار أرادت أن تضع المجمع فوق البابا (كما حدث في مجمع كونستانس المسكوني في 1314 - 1418) ، لكن هذه الأفكار طرحت جانبا إلا انها عادت وطرحت مرارا عديدة ، مما حدا بالمجمع الفاتيكاني الأول(1869) يحكم عليها بشدة لأن وضع المجمع فوق البابا ، يتجاهل حسب هذا الحكم إن مؤسسة الكنيسة هي ذات تركيبة لا تقبل التغيير وإن لا وجو لسلطة الأساقفة إلا باتحادهم مع الحبر الأعظم الروماني الذي يمارس سلطة شاملة وصلاحياته لا تطال الإيمان والأخلاق حسب ، ولكن أيضا تطال نظام وإدارة الكنيسة المنتشرة في جميع أنحاء العالم(2).

ويضيف المجمع قائلا : من أجل هاذ هؤلاء الذين يؤكدون أنه مسموح للجوء إلى المجمع المسكوني للحكم على الحبر الأعظم وكأنه سلطة أعلى هؤلاء يبتعدون عن طريق الصواب(3).

(1) الاب بوست توما مرقس ، اللاهوت العقائدي ، ص 65.

(2) الاب بوست توما مرقس ، اللاهوت العقائدي: 65.

(3) الأب . د. يوسف توما الدومنيكاني ، اللاهوت العقائدي ، ص 65.

مما تقدم يتبين أن الفريق القائل بأولوية البابا والبابا فوق المجمع أن مجمع الأساقفة لا وجود له إلا باتحاد مع خليفة بطرس ولقد اعتمدوا هؤلاء وعلقوا كل الأهمية على قيمة الوساطة خاصة على "السلطة" على أساس التفويض الذي أعطي "لخليفة المسيح" ولكن هذه السلطة لها مداخلات كثيرة عبر التاريخ مع السلطات المدنية، وتطورت باتجاه مركزية شديدة، وتجمع مفرط للسلطات في يد البابا⁽¹⁾.

ومن ادوار الخلافة ومهامها عند الفكر المسيحي عموما:

1- : الخلافة هي استمرار لدور المسيح : فدور الخلافة عند الفكر الكاثوليكي

والأرثوذكسي هو العمل على "حفظ رباط الروح" بين أعضاء الجسد الواحد بينما عند الفكر البروتستانتي "اللوثرية"، يذكر مفكرهم، إنه صحيح قد شددوا على عمل الروح داخل كل مسيحي، وأيضاً شددوا على دور كل مسيحي في العمل على وحدة الجسد، لكنهم أهملوا دور الكهنوت في التعبير عن وحدة الجسد وربط جميع الأعضاء بعضهم ببعض بخليفة السيد المسيح "الأسقف"، ومن خلال الأسقف بجماعة الأساقفة في العالم أجمع ومن خلال الأساقفة بالرسول وبالحديث التأسيسي للكنيسة أي بحياة المسيح وموته وثباته⁽²⁾.

2- قيادة شعب الله: وهو دور يقوم على تجسيد عمل المسيح الراعي الذي يجمع كل المسيحيين في جماعة عضوية في شعب واحد بحيث تصغي الرعية كلها لصوت المسيح ((لتصير رعية واحدة لراع واحد))⁽³⁾

3- يعتقد الفكر المسيحي عموماً أن "بالخلافة" وبالكهنوت، يضمن استمرار شعب الله، وتعمل على بناء الكنيسة وتلك الخدمة تتم في ثلاثة ميادين :
الاول:- خدمة الكلمة، بمعنى آخر يعتقد المفكرون أن السيد المسيح أنشأ الكنيسة من خلال الكرازة بالكلمة.

(1) إن لللاهوتيين الأرثوذكس حكم شديد القساوة على المفهوم اللاتيني للكنيسة وعلى الحالة التي وصل إليه فهم ينتقدون الكاثوليك قائلين إنهم مارسوا الكرسثومونية التركيز المفرط على المسيح - وأهملوا الروح القدس، والتي هي تشخيص الخلاص المسيحي، وخلق التوازن في الحياة الكنسية، وربطها بأمانة بجذورها، يبدو باعتقادهم أن أساساً هذا الانحراف هو اللاهوت النابع من كلمة المنبثق من الأب والإبن التي في قانون الإيمان.

(2) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص 296.

(3) المجمع الفاتيكاني الثاني، قانون رقم (59) من القرار في خدمة الكهنة الرعائية وحياتهم.

الثاني:- ارسل خلفائه "الرسل" للغرض نفسه⁽¹⁾ وفي هذا يقول بطرس ((لقد ولدتم ثانية، لا من زرع فاسد بل من زرع غير فاسد ، بكلمة الله الحية الخالدة))⁽²⁾.

الثالث:- ويعتقدون إن الإيمان بحاجة إلى التبشير بالكلمة⁽³⁾، يقول المجمع الفاتيكاني الثاني في دستوره العقائدي في الكنيسة: ((إن أولى مهام الأسقفية الرئيسة هي الدعوة بالإنجيل ذلك بأن الأساقفة هم رواد الإيمان فيجلبون للمسيح أتباعاً جددًا...))⁽⁴⁾ بمعنى أن دور الخليفة بخدمته الكهنوتية الرعائية سيتوسع المجمع في ((وظائف الكهنة)) فيبدأ بخدمة الكلمة⁽⁵⁾.

4- إن خدمة الكلمة عند المفكرين المسيحيين مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بخدمة الأسرار، فمن خلال الكلمة التي يركز بها الخليفة يجب أن تقود هذه الكلمة إلى الاتحاد بالمسيح من خلال الأسرار والى تكوين جماعة مسيحية تحيا من الحياة الإلهية الواحدة ، فالكاهن هو خادم المسيح وخادم الجماعة التي يقودها لتصير جسداً واحداً في المسيح لذا يعلن المجمع الفاتيكاني الثاني ((إن الاجتماع الافخارستي هو النقطة المركزية في المسيحية التي يرئسها الكاهن))⁽⁶⁾.

ان اعطاء تقييم تاريخي عام لدور المسيحية المبكرة ليس امراً سهلاً فهذا الموضوع على درجة بالغة من الصعوبة والتعقيد لقد كانت المسيحية⁽⁷⁾ المبكرة بمثابة خطوة الى الأمام بالمقارنة مع العبادات القديمة، ذلك انها قدمت الامكانية لرص جماهير القبائل المختلفة ذوي الأفكار المتباينة إضافة لأفكار المساواة رغم الفهم التجريدي لها، مثل المساواة في الخطيئة⁽⁸⁾، حتى ان لينين تحدث عن الروح الديمقراطية-الثورية للمسيحية الأولى⁽⁹⁾.

ولما كانت الخلافة هي ضمن تسلسل الاكليروس الخاص بالكنيسة، كانت الخلافة مستمرة، من بعد زمن بطرس حيث نصبوا خلفائهم من بعدهم وهم الخلفاء الآباء الرسولين، ومن بعده البابوات، لذا كان على الباحث ان يبين دور هؤلاء لما تشكلت الخلافة عند هؤلاء اهم المفاصل التي أسست ركائز المسيحية من بعد زمن المسيح ومن بعد زمن خلفائه الرسل.

ثانياً: دور (خليفة الآباء الرسولين ، وخلافة البابا)

يذكر الفكر المسيحي ، بأنه قد مرت خلافة البابا بأدوار مختلفة ، فاحياناً نجد بعض البابوات وضمن المسيرة الممتدة من بعد المسيح (ع) ، قد قاموا بأدوارهم بأكمل وجه، وقسم قام به ولكنه

(1) العهد الجديد، سفر رسالة بطرس الأولى ، 1 : 23.

(2) ظ: م.ن ، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 1 : 23.

(3) ظ: م.ن ، سفر رسالة بولس إلى أهل روما 10 : 14 - 18.

(4) المجمع الفاتيكاني الثاني، الدستور العقائدي في الكنيسة قانون رقم 25، وظ: العهد الجديد، إنجيل متى 13 : 52.

(5) م.ن قانون رقم (4).

(6) م.ن.

(7) المسيحية التي يقصد بها الباحث هي دور الآباء ودور الرعاة من النشأة الأولى وبعدهم دور البابوية.

(8) الادبيان في تاريخ الشعوب العالم: سيرغي.1. توكاريف: ترجمة د. احمد م. فاضل: 521، ط1، 1998، منشورات الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

(9) م.ن: نقلاً عن الطبقات والأحزاب وتوقفها عن الدين والكنيسة.

كان ناقصاً ،وقسم آخر قد تعسف وخرج عن المؤلف، لذا يمكن إيجاز الدور الذي لعبه البابا في زمن الباباوات :

1- لقد تدخل قسطنطين في شؤون الكنيسة الداخلية⁽¹⁾، وفي هذه الفترة لم تكن فكرة الفصل بين السلطتين المدنية والدينية واضحة.

2- ثم جاء دور ابنه قسطنطينوس الثاني أن يفرض الاريوسية على المسيحيين بقوة⁽²⁾ وبذلك بدأت ترسم منذ ذلك الحين خيوط ما دعي في العصر الوسيط (القيصرية البابوية).

أي ذلك النظام الذي يحل فيه الإمبراطور محل السلطات الكنسية وهي (البابا والمجامع والأساقفة) في إدارة شؤون الكنيسة حتى على صعيد التعليم⁽³⁾. وأخذ الأساقفة يعارضون الأباطرة فجلبوا على أنفسهم الصواعق الإمبراطورية، من ذلك ان القديس اثناسيوس ويوحنا الذهبي الفم⁽⁴⁾، وباتت الكنيسة في حماية الدولة مرتبطة بها فكان عليها ان تقبل وتبارك بالإجمال جميع مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية حتى أكثر ما عرضه للجدل من وجهة نظر الأخلاق المسيحية، وأظهر الأساقفة فتوراً في احتجاجهم على خشونة الاستبداد البوليسي الذي يمارسه الأباطرة الأتقياء، أو على قساوة بعض القوانين الجزائية⁽⁵⁾. وفي بعض الأحيان كذلك فان الكنيسة المتمركزة في العالم في تلك الفترة والمستفيدة من إنعامات السلطات تخلت كثيراً عن دورها النبوي⁽⁶⁾.

مما تقدم يتبين ان في هذا العصر كانت الديانة والحياة السياسية والحياة الاجتماعية تتشابك تشابكاً وثيقاً، وبذلك لا يجوز الفصل بين الدولة المسؤولة عن الشأن الدنيوي والكنيسة⁽⁷⁾.

وان السبب في عدم الفصل في ذلك العالم القديم كان للحفاظ على الطابع القدسي الذي رسمت به الملكية الامبراطورية في الامبراطورية المسيحية⁽⁸⁾.

(1) ظ: الأب د. كاميلو بالين ، تاريخ الكنيسة من فجر المسيحية الى نهاية القرن الخامس عشر، ط1، 2004، منشورات دار شرفيات للنشر والتوزيع ،ص176.

(2) ظ: تاريخ الكنيسة المفصل: 15، ولقد ترأس الأمبراطور بنفسه حتى وصفه اسابيوس القيصري بالامبراطور قسطنطين ط: م.ن: 151.

(3) ظ: م.ن: 152.

(4) ظ: تاريخ الكنيسة المفصل: 1: 152.

(5) ظ: تاريخ الكنيسة المفصل: 1: 152.

(6) ظ: م.ن.

(7) هذا ما تطرحه المفاهيم العصرية، ط: م.ن.

(8) م.ن.

لقد كان بذرة الافتراق بين مسيحي الشرق والغرب تعود الى (مجمع نيقية) فمنذ وصول قسطنطين امبراطورية الشرق (323) حتى المجمع المسكوني السابع (787) كانوا وما زالوا منشقين في الكرس الرسولي⁽¹⁾.

3- في منتصف القرن الثامن أصبح البابا عاجلاً زمنياً⁽²⁾ وابتعد البابا عن القسطنطينية والكتب في الغرب بفضل سعيه لاعلان البشارة سلطة روحية، وحل معنوياً محل امبراطور الغرب السابق وهذا ما ورد في (هبة قسطنطين)⁽³⁾. وهكذا فمنذ القرن الثامن اجتمعت العناصر التي تمكن السلطتين من اقامة اقامة الحوار ، الى أن أصبحت البابوية لها التفوق المعنوي لسلطتها الروحية ولأساقفة الحق في أن يراقبوا الملكية، وانشاء دولة يدير شؤونها أسقف روما الذي يظهر بمظهر وريث الاباطرة الرومانيين.

مما تقدم يتبين ان هذا أدى الى قيام حكم ديني بكل معنى الكلمة⁽⁴⁾ أي الى سيادة الكنيسة في الشؤون الزمنية⁽⁵⁾.

4- ثم يأتي دور البابا غريغوريوس الاول الزمني والديني فحين رقي الى الرتبة البابوية عام 590، احتل البرابرة الغرب، وأخذت القسطنطينية محل رومة⁽⁶⁾ وفي مجتمع ينهار فيه كل شئ ابتداءً من الحكم، فرض نفسه رئيساً زمنياً في العاصمة الساقطة فكان مثلاً حياً للروماني الفاضل⁽⁷⁾. لكن بعد فترة اصبح الملك وضعه مختلف تماماً فقد كان الملك شارلمان هو أول من أكد انه مختار من الله وان عليه ان يدير شؤون الكنيسة.

(1) ط: م.ن، 222، نقلاً عن الاستقلال الكنسي والكنائس المنفصلة: 164-165 باريس، 896 (بالفرنسية).
(2) اذ انه ورث الاراضي التي يقيم فيها المبرديون، وقد يستغرب للوهلة الاولى ان يتمنى أسقف رومه ان يصبح سيد دولة محدودة بارض من الأراضي، ولكن لا بد من التذكر كان من الصعب ان يتصور الناس قوة روحية أو أدبية لا تقوم على سند مادي، ط: تاريخ الكنيسة المفصل: 326.
(3) ان ماورد من (هبة قسطنطين) وهي وثيقة مزورة حررت في روما في القرن الثامن، حيث ورد فيها ان قسطنطين حرر فيها حين أوشك ان يقيم عاصمته في الشرق في القرن الرابع، قرر ان يتخلى عن الغرب للبابا بينما يصرح الاب كونغار بان هذا النص هو من اكثر التزاوير اساءة الى الكنيسة فانه شجع على تطور العقائدية البابوية في اتجاه قوة سياسية ومظاهر امبريالية. ط: م.ن: 327.
(4) ط: تاريخ الكنيسة المفصل: 1: 327.
(5) تراجع وثيقة التعاون والاستقلال التي حدد اسقف روما جيلاسيوي العلاقات بين الكنيسة والدولة، ط: م.ن.
(6) ط: م.ن.
(7) ط: م.ن.

وقد استعملت عبارة "ملك بنعمة الله" منذ لحظة تتويج الملوك الكارولينيين وبقبول هؤلاء المسحة من يد أحد الأساقفة أصبحوا غير خاضعين لمصير العلمانيين المشترك، وبما ان الملك يعين من قبل الله فيصبح "نائب الله" فهو المدافع عن الكنيسة في وجه أعدائها وله كل سلطة لادارة المؤمنين وتعليمهم.

5- وبتشجيع من البابا⁽¹⁾ والاكليريكيين الافرنج توج شارلمان امبراطوراً يوم عيد الميلاد من السنة 800م. لقد ترأس شارل انتخاب الأساقفة وكان شارل يغمر رجال الاكليرس بعطاياه ولكنه كان يسهر على ان لا تتسع املاك الكنيسة العقارية الى حد الافراط⁽²⁾.

6- شاعت الظروف ان يتبلور النزاع بين البابا جريجوري السابع والامبراطور هنري الرابع امبراطور الدولة الرومانية المقدسة (1056-1105) حول بعض الأسقفيات الشاغرة وبخاصة في شمال ايطاليا إذا صر كل من البابا والامبراطور علي، لكل منهما الحق في سيامه الأساقفة وتمسك كل منهما برأيه لأنه رأي في انتصار خصمه تحطيماً للمبدأ الذي يسعى هو من أجله.

فهنري الرابع وجد في تمسكه برأيه محافظة على حقه الذي ورثه عن أسلافه، لذلك أسرع بتعيين اثنين من اتباعه على أسقفية فرمو وسبوليتو على الرغم من ان هاتين الأسقفيتين تقعان فعلاً في دائرة اختصاص البابا.

أما البابا جريجوري السابع فقد تمسك من جانبه بنظرته سمو البابوي بحكم البابا "خليفة السيد المسيح على الأرض ووريث القديس بطرس في الغرب" كما اعتبر نجاحه في فرض راية على الامبراطور امرا تتوقف عليه هيئته ومستقبل البابوية، فضلاً عن سياسته في الاصلاح الكنسي وهي السياسة التي شرع فعلاً في تنفيذها⁽³⁾. فارسل رسالة شديدة اللهجة الى هنري الرابع في أواخر عام 1075 انذره فيها بالعزل

(1) هو البابا لاون الثالث.

(2) سبعة للملك عام 794 ان تدخل جمع مرنكفورت الذي عقد لمعالجة قضية بدعه "التيبين" حين تدخل وقال "ان المسيح ليس هو ابن الله بالتبني بل هو ابن الله حقاً"، ط: تاريخ الكنيسة المفضل، ج 1 ، ص 327.

(3) ط: مرقص ، د. يواقيم رزق تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية مقتبس من موقع:

وهده بالويل والعذاب، هو لم يخضع لرأي البابوية وفي ذلك الوقت ثارت ثائرة الامبراطورية فعقدت تجمعاً في رومز في يناير 1076 قرر فيه بطلان انتخاب البابا جريجوري السابع بل وعزله من منصبه⁽¹⁾.

وعندما سمع البابا بذلك قابله بهدوء، ودعا هو الآخر بعقد مجمع في الفاتيكان في فبراير 1076 قرّر فيه توقيع الحرمان على هنري الرابع وعزله من منصبه وتحرير جميع رعاياه واتباعه من ايمان الطاعة والتبعية التي أقسموها له، وبذلك بدأت الحرب بينهما ومع موقف الطرفين كان حرجاً وصعباً الا انه من الواضح أن هنري الرابع وجد نفسه في موقف أصعب من خصمه لأن البابا كان يستطيع يعتمد على عطف كثير من ابناء العالم المسيحي بوصفه الأب الروحي للكنيسة في حين كان هنري الرابع لا يستطيع حتى الاعتماد على ولاء رعاياه بعد وقع عليه الباب قراره بالحرمان بوصفه مسيحياً وعقوبة العزل بوصفه ملكاً.

وبعبارة أخرى فان كفتي البابوية والإمبراطورية لم تكونا متعادلتين ابدا عند بداية النزاع بل طيلة ادوار النزاع لأن البابا كان يستطيع يعتمد دائماً على أسلحة قوية أهمها شعور الشعب من حوله، فضلاً عن الأسانيد المستفادة من الكتاب المقدس التي تعطي البابا هذا الحق العظيم في حين استند الامبراطور فيما ذهب اليه الى:

أ- القانون الروماني الذي يمجّد الامبراطورية وسلطتها وهو مستمد من أصول وثنية يسهل علي البابوية الطعن فيها.

ب- الجيش الامبراطوري الذي ثبت عجزه في أكثر من مناسبة عن اخضاع البابوية.

ت- والواقع الامبراطور لم يجد له نصير سوى تلك الفئة قليلة العدد من رجال الدين والايمان الذين عرفوا بالسيمونية وسوء السيرة، وهؤلاء لم يكن لديهم من النفوذ أو المقومات الخلفية ما يجعل منهم سنداً حقيقياً للامبراطور أما ذو المكانة من القديسين وكبار رجال الدين فقد شايعوا جميعاً البابوية في موقفها المعادي للملك.

لقد سلم هنري للبابوية بكل ما طلبته دون أي قيد أو شرط وكان ذلك عام 1077⁽²⁾.

(1) ط: م.ن.

(2) ط: شارل جنيبير، المسيحية نشاتها وتطورها، ص43، ط: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ص76.

ولما اعتلى السدة البابوية غريغوريوس السابع (1073-1085) توصلت معه المركزية البابوية حيث فرض الكثير من الإصلاحات وأعلن سلطته العليا على الملوك والأباطرة وأخذ يقلبهم ويحل عصيانهم إذ خرجوا على طاعة الله، وبدأ الباباوات الرؤساء (1198-1216) الذي قامت في عهده الحملة الصليبية الرابعة بغزو القسطنطينية عام 1204 وبإنشاء دولة لاتينية على الأراضي البيزنطية وتعيين بطاركة لاتين على الكرسي القسطنطيني فزاد التباعد بين الشرق والغرب واتخذ طابع العداء.

لقد امتاز دور سلطة البابا بالأهمية عند موقف غريغوريوس السابع (1073-1085) فهو لا يتكلم الا باستخدام تعبير (امتيازات بابوية) عندما يعلن في قرارات البابا هو الذي يستحق ان يدعى مسكونيا، وهو الوحيد الذي يمكنه وحده ان يقبل أو يحل الاساقفة وان يصدر قراراً باقالة الغائبين ويستطيع وحده، حسب الظروف استصدار قوانين وجمع شعوب جديدة وتحويل جماعة كهنة قانونين الى دير. بل يستطيع وحده استعمال اشارات ملكية.

بل هو الوحيد الذي يجوز له ان يقبل الأباطرة ولا يعدل أخذ قرارة بل يستطيع وحده ان يعدل قرارات الجميع بل لا يصدر أحد به حكماً ويستطيع البابا ان يعفي الأشخاص من قسم امانتهم المبرز بين يدي البغاة⁽¹⁾.

وقد عزز مجمع الترانتييني (1535-1563) الذي قام باصلاح الكنيسة الكاثوليكية من الداخل مكانة البابوية فنظمت الدوائر البابوية على هيئة وزارات عرفت بالمجامع الرومانية لمساعدة البابا في اشرافه الدقيق على شؤون الكنيسة في مختلف المجالات وفي الأقطار كافة وبدأ البابا بارسال السفراء الى مختلف الدول وأجرى الاتفاقيات مع الرؤساء والملوك لتنظيم أوضاع الكنيسة الكاثوليكية في بلادهم وأدان النزعات القومية التي أرادت ان تحد من سلطة البابا لمصلحة الملوك والأساقفة المحليين⁽²⁾.

يقول جان ماري تيار ((ان مسألة معرفة هل للأولية الرومانية، كما صيغت في المجمع المسكوني الاول والثاني أيضاً مع الأسقف، مكان في تفكير اللاهوت الكنسي الارثوذكسي، ان هذه المسألة ينبغي عليها ان تلقى

⁽¹⁾ جان ماي تيار، اسقف رومه: ص77، نقلاً عن:

p.L. 148, 407-408 (Reg. 11.55 ; dan SECASPAA, Das Register Gregorsvll, 102. Berlin, 1930.

⁽²⁾ جان ماي تيار، اسقف رومه: ص77، نقلاً عن:

p.L. 148, 407-408 (Reg. 11.55 ; dan SECASPAA, Das Register Gregorsvll, 102. Berlin, 1930.

جواباً سلبياً ومع ذلك، فهذا لا يعني اقضاء فكرة الأولوية داخل الأرثوذكسية بل على العكس من ذلك فان المجاهرة بفكرة السينودس والجماعية تؤدي بالطبع الى الاعتراف بتقدم أحد الأساقفة على الآخرين، فتتسب اليه الاولوية دون ان تتخذ لحظة معنى الحبر الأعظم، بل كأنه الاول بين أقران له، فعندما كان يعي أسقف رومه اوليته بمفهوم الاول بين أقران له، كان بحوزته امكانية ابداء رأي حاسم في المسائل التي تهم الكنيسة كلها))⁽¹⁾.

والاولوية يقصد بها تزعم الكنيسة في روما ، حيث يدعي الكاثوليك ان شهادة ومجد كل من الرسول بطرس وبولس اصبح لكنيسة روما الاحقية من الاولوية لتزعم الكرسي "الكنائسي" وهي احقية بخلافة بطرس بهذه الزعامة . والبابا يفرد عن الشركة، لامع الأساقفة وحسب بل مع الكنيسة كلها، عما بنى سلطته على الخلافة البطرسية، لا على الخلافة الرسولية والاسقفية العامة، ومن ثم اذا كانت البنية السينودسية ثمينة في نظر الارثوذكسية فما ذلك فقط لأسباب تشريع قانوني في الكنيسة، وانما لمعطيات ذات طابع خلاصي عميق أيضاً وكلتا الحججتين هاتين، اذ لهما في الفكر الارثوذكسي رابط وصل داخلي، تنفيان نفياً قاطعاً الأولوية الرومانية في الولاية والعصمة⁽²⁾.

كما تم ايضاح ان سلطة الولاية هذه التي تقتضي تبعية في مراتب السلطات الكنيسية وخضوعاً (ليس فقط في ما يتعلق بالايمان والأخلاق، وانما أيضاً في جميع الحقول ذات الارتباط بالنظام ورعاية الكنيسة المنتشرة في العالم اجمع))⁽³⁾.

لقد تصدر الفكر السياسي عند رجالات البابوية في هذه المرحلة أربعة من كبار (رجال الدين المسيحي) وهم: القديس: أمبروز (340-397) والقديس أوغسطين (Augustine) ت430م والبابا جيلاسيوس الأول (492-496م) والبابا جريجوري الأول (590-604)⁽⁴⁾، و((لما شبت الكنيسة ووجدت في نفسها القوة للمساءلة انقسمت الى قسمين: أحدهما يؤيد سلطة الدولة والثاني يعارضها ولا يرضى بتدخل الدولة في شؤون الكنيسة))⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ط: جان ماري تيار، اسقف روما، ص123.

⁽²⁾ م.ن، ص22.

⁽³⁾ ط: جان ماري تيار، اسقف روما، ص123.

⁽⁴⁾ ط: النظم السياسية عبر العصور: 168.

⁽⁵⁾ م.ن، 183.

ولنا أن نقف هنا لنبين ان الفكر المسيحي في المرحلة السابقة على العصور الوسطى أي في القرون الخمسة التالية لظهور المسيح يعتقد انه تمّ تمييز بالفصل المطلق بين الكنيسة والدولة⁽¹⁾ أي بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية، أو بين البابا والامبراطور⁽²⁾. فقد جاء في الانجيل(دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله) وكذلك (ليست مملكتي في هذا العالم) .

ويبدو ان هذا لم يحدث بتاتا لان شريعة الله واحدة لاتقبل الفصل فالديانة الموسوية قامت على قيادة الامة في الجانبين الديني والدنيوي ، اصف الى ان السيد المسيح قد اخذ المبادرة لتصحيح الجانب الاخلاقي "الديني" الذي مرّ به المجتمع اليهودي ،بالإضافة للإصلاحات التي اذمت الموقف مع اليهود والرومان. مما استدعى من اليهود ان يتهموه بانه قد صرح بالدعوة بانه ملك ليناكس الحاكم الامبراطورية اليونانية⁽³⁾.

ويذكر المفكرون المسيحيون ان المسيحية في بداية ظهورها لم تحدث ثورة في الانظمة السياسية القائمة بل تركتها دون ان تمس شيئاً منها وأبعد من ذلك كان القديسون وعلى رأسهم سلن بير البابا الأول⁽⁴⁾ يدعون الى الخضوع للحاكم وإطاعة أوامره⁽⁵⁾ ولما جاء القديس بولس لم يقتصر على الدعوة الى الخضوع للحكام، بل كان فوق ذلك يرجع مسند السلطة الى الله، قائلاً بان كل سلطة مصدرها الإرادة الإلهية، ومن ثم الخضوع يقوم على أساس ديني، وليس أساس الخوف، وتكون سلطة الأمير ملزمة لأنه لا يعدو ان يكون منفذ لإرادة الله، ومن عصا الامير فقد عصا الله⁽⁶⁾.

وكان لهذا الامر مبرراته عند من صدره وهو بولس خصوصا في زمانه وذلك لانه كان يستخم اسلوب المداينة لتحقيق طموحاته ،ورغباته عند الامبراطورية الرومانية.

(1) ان مقولة ((دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)) هي مقولة قد استخدمت لغرض التقية ،عند السيد المسيح(ع) ،وقد فصل البحث القول فيها ،راجع مطلب مفهوم الخلافة من هذا الفصل.

(2) بدوي ، د. ثروت، أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى، منشورات، دار النهضة العربية، 1967، القاهرة (د.ت)، ص105.

(3) للمزيد من التعرف لدور المسيح السياسي والديني وانه لم يقل هذه المقولة الا لغرض التقية راجع: المطلب الاول من نفس هذه الرسالة.

(4) بدوي، د. ثروت، أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى، ص105، نقلاً عن محاضرات القانون الدستوري المقارن: مارسل بريلو: 231.

(5) م.ن.

(6) م.ن.؛ نقلاً عن تاريخ النظرية السياسية: سابين: 163، ولقد اخذت المسيحية نظرية المصدر الالهي للسلطة السياسية عن الديانة اليهودية وتكاد تكون هذه النظرية هي كل ما خلقتة اليهودية في السياسة واليهودية وان ارجعت السلطة الى الله وأوجبت لها الخضوع على الأساس، فقد جعلت ممارستها واجباً على الملوك من أجل الخير العام، وليست مجرد حق يستعملونه وفق مشيئتهم، ومن ثم فقد قال البعض ان الخضوع للسلطة مشروط لان تكون ممارستها مشروعة وهي لن تكون كذلك اذا ما حادت عن طريق الحق، وبالتالي لن تلزم الأفراد، بل لهؤلاء حق مقاومتها، ظ:م.ن.

ولما كان المسيحيون يحلون اغلب ازماتهم ومشاكلهم الفكرية والدينية ان يقيموا مجامع يكون دورها حلّ هذه المشاكل، كان على الباحث اعطاء بيان عن هذه المجمع.

المجامع المسكونية دورها وأسباب قيامها:

ان الحديث عن المجمع ودورها هي لما تشكله من دور بارز ومهم على الديانة المسيحية فالمجامع المسكونية ، فقد اختلفت الرؤى عند الفكر المسيحي حول دور المجمع المسكونية، فقسم يعتبرها اعلى من دور خلافة البابا، وقسم اخر يعتبرها انها نظرت لمكانة البابا وخلافته. فلقد كانت المجمع التي أقيمت من القرن الخامس حتى القرن العشرين وهو المجمع الفاتيكاني الثاني قد قررت العقيدة المسيحية الحاضرة⁽¹⁾ فأولها وهو مجمع نيقية 225م قرر فيها ألوهية المسيح، وثانيها قرر ألوهية الروح القدس، وثالثها قرر ان المسيح اجتمع فيه الانسان والاله لا الانسان فقط، وان مريم ولدت الاثنين ورابعها قرر ان المسيح ذو طبيعتين منفصلتين، لا طبيعة واحدة متحدة، والمجمع الثلاثة الأولى اتفقوا على انها مجامع عامة تلزم ((الطوائف المسيحية جميعها))⁽²⁾، اما المجمع الرابع فهو ليس مجمعاً عاماً في نظر الأقباط الأرثوذكس، وكذلك السريان الأرثوذكس وقد عرفوا قبلاً باليعاقبة نسبة الى يعقوب البرادعي⁽³⁾. بينما أخذت امبراطورية القسطنطينية على عاتقها ان تفرض على اراضيها عقيدة خلقيدونية القومية الارثوذكسية⁽⁴⁾. أما المجمع التي جاءت ما بعد خلقيدونية ليس فيها مجمع قد اجمع عليه المسيحيون قاطبة بانه مجمع عام مسكوني كما يعبرون⁽⁵⁾ وهي كما يلي:

1- المجمع القسطنطيني الثاني وهو المجمع الخامس سنة 553 وكان انعقاده بسبب ان بعض الاساقفة اعتنق فكرة تناسخ الارواح، حتى قال انه ليس هناك قيامة⁽⁶⁾.

(1) ط: اضواء على المجمع المسكونية: الخور اسقف بيوس تاشا: 19-40.
(2) الاب د. يوسف مرقص توما الدومينيكي: حوار اجراه معه الباحث في كلية بابل الحبرية اللاهوت والفلسفة في عينكاوه-اربييل 2010 2/1-1/26.
(3) يعقوب البرادعي هو أسقف الرها (541-578) واليه ينسب اليعاقبة وهم السريان الارثوذكسية ط: الخور اسقف بيوس قاشا ، اضواء على المجمع المسكونية، ص50.
(4) ط: يعقوب البرادعي هو أسقف الرها (541-578) واليه ينسب اليعاقبة وهم السريان الارثوذكسية ط: الخور اسقف بيوس قاشا ، اضواء على المجمع المسكونية: 49.
(5) الاب د. يوسف مرقص توما الدومينيكي: حوار اجراه معه الباحث في كلية بابل الحبرية اللاهوت والفلسفة في عينكاوه-اربييل 2010 2/1-1/26 ، وط: ابو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، ص157.
(6) اضواء على المجمع الكنسية: 49-61 ، وط: محاضرات في النصرانية، ص158.

2- مجمع القسطنطينية الثالث وكان عمله لعن وطرده كل من يقول بالمشيئة الواحدة كما لعن وحرّم وكفر من قال بالطبيعة الواحدة، وكان مؤلفاً من نحو تسعة وثمانين ومائتي أسقف⁽¹⁾.

3- ثم جاء المجمع المسكوني السابع وهو مجمع (نيقيا الثاني) 787 حيث انشغل القرن الثامن بالجدل حول الايقونات لذا أمر ملوك القسطنطينية في القرنين الثامن والتاسع بتحطيم الايقونات المقدسة واضطهدوا الرهبان بسببها اضطهاداً عنيفاً وقد اختلف المؤرخون في معرفة أسباب حملتهم⁽²⁾.

وتنبغي الإشارة الى ان المجمع الثاني "مجمع القسطنطينية الأول" 381⁽³⁾ هو أساس انفصال الكنائس الشرقية التي ترأسها كنيسة القسطنطينية عن الكنائس الغربية التي ترأسها كنيسة روما.

4- المجمع المسكوني الثامن (المجمع القسطنطيني الرابع) 869، لقد حدث في العاصمة البيزنطية انقلاب سياسي غير مجرى الحوادث كلها إذ قتل باسيلوس المقدوني الملك ميخائيل الثالث واستولى على الحكم في القسطنطينية، فعزل فوتيوس واعاد اغناطيوس الى السدة البطريركية ثم دعاه الى عقد مجمع مسكوني (869-870) حضره ممثلو البابا والنواب البطارقة الملكيين، فرشق المجمع فوتيوس بالحرّم، واعتبره دخيلاً معتصباً وبقي اغناطيوس بطريحا حتى سنة 877 وتوفي في علام الكنيسة ولما توفي اجمع رأي الأساقفة على اعادة فونيوس الى المنصب البطريركي فتولى فوتيوس سنة 877 للمرة الثانية المنصب البطريركي والف حوله الأساقفة الى فئة قليلة⁽⁴⁾.

المجامع المسكونية اللاترانية⁽⁵⁾ الاربعة

أ- المجمع المسكوني التسع - المجمع الاتراني الأول 1123

ب- المجمع المسكوني العاشر - المجمع اللاتراني الثاني 1131

ت- المجمع المسكوني الحادي عشر - المجمع الاتراني الثالث 1179

ث- المجمع المسكوني الثاني عشر - المجمع اللاتراني الرابع 1215⁽⁶⁾

من الاقوى في سلطانه البابا أو المجامع المسكونية؟

(1) ط.م.ن: 61-66.

(2) ط: أضواء على المجامع المسكونية: 69-74.

(3) ط: م.ن: 25-32.

(4) ط: أضواء على المجامع السمكونية: 77-78.

(5) لاتران: قصر في روما كان مقدماً للبابوات مدة عشرة قرون، عقدت فيه خمسة مسكونية بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر قرية كنيسة مار يوحنا اللاتراني شيدها الامبراطور قسطنطين سنة 324 وهي احدى كنائس روما الخمسة الكبرى ط: م.ن.

(6) ط: أضواء على المجامع السمكونية، 79-88.

نجد ان المؤرخين يذكرون حوادث تبرز ان موقف البابا هو الأقوى من المجامع ففي نهاية القرن السابع
عما رفض البابا سرجيوس الاول ان يعترف بقرارات مجمع تولو الذي انعقد عام 691م كان الصدام بين
الامبراطورية في بيزنطة وبين البابوية في روما، وخطط الامبراطور جستينان الثاني لعزل البابا ولكن الجنود
رفضوا طاعة أوامر الامبراطور وثاروا في روما وتمردت وحدثت ثورات في البلاد ترتب عليها اعلان البنادي
استغلالها كدوقية مستقلة⁽¹⁾.

في نهاية القرن الخامس عشر ظهرت الأمم العصرية التي تطعت الى الاستقلال عن الدولتين (أي
البابوية والإمبراطورية الألمانية)⁽²⁾.

واراد بعضهم العودة الى الجذور أي الى نصوص الكتاب المقدس وآباء الكنيسة ليطهروا الكنيسة من
الشوائب التي ظهرت على مر القرون فلم تعد الكنيسة الغربية، فقد اتخذت عدة بلدان أوربية ملامح الدولة
بالمعنى المعروفة كما وطد الملوك سلطتهم في جميع المجالات وفي سنة 1516 كان الملك فرانسوا الأول
من البابل لاون العاشر بمعاهدة بولونيا حق تعيين جميع أساقفة المملكة ورؤساء أديرتها كان له بذلك
سلطة واسعة جداً على كنيسة فرنسا⁽³⁾.

ولما كان البابا هو الذي يمنح الحاكم الزمني سلطته فان له أيضاً ان يحرمه منها اذا هو لم يقم
بالواجبات المفروضة عليه، وقد نتج عن ذلك ان بدأ البابا بفرض سلطته على الحاكم الزمني⁽⁴⁾. لقد كان
للبابا دور في أواخر الميورفنجية وبداية قيام البيت الكارولنجي مساو للامبراطور فهو قسيم مع الامبراطور
في سلطانه وكل واحد منا مساو للآخر في واجب العمل على مد أطراف مملكة المسيح.

وبالاضافة الى الأوضاع السياسية في اوربا كانت كنيسة روما قد نظمت العالم الغربي دينياً واصبح
لها جيشا من رؤساء الاساقفة والقساوسة الذين يتولوا شؤون الكنيسة بالاضافة الى جيش من الرهبان
والحقيقة ان رجال الكنيسة كانوا على قدر من العلم أكثر بكثير من رجال الدنيا وبما كان للكنيسة من قوة

(1) اضواء على المجامع المسكونية: 68.

(2) م.ن 111.

(3) ط: قصة الحضارة: 19-20: 253-263.

(4) وهذه النظرية تسمى بنظرية الحق الالهي غير المباشر، ط: اسماعيل ، دفضل الله، الإرادة العامة في الفكر
الغربي الحديث بين الحرية والجبرية، منظور نقدي، 2008، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية-مصر، ص63، نقلاً
عن مبادئ التنظيم السياسي، عبد الكريم احمد، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1975، ص38.

اخرى ممثلة من قرارات الحرمان من رحمة الكنيسة تعمل على دفع نفوذها لتسود دولة الكنيسة على الدولة الدنيوية⁽¹⁾.

واعتمد رجال الدين في ادعاء وتسيير السلطة الدينية على السلطة الدنيوية على نظرية الباب جلاسيوس القائمة على نظرية السيفين التي غيرت الروح والجيد الانف ذكرها.

مما تقدم يتبين ان دور الخليفة بعد قيامة السيد المسيح (ع)، قيادة شعب الله والتبشير باقتراب ملكوت الله الذي ،انقسمت فيه الرؤى فالمسيحيون يعلنون ان ملكوت الله هوالتوبة للاستعداد بالمجيء الثاني للسيد المسيح (ع)، بينما نجد من المفكرين المسيحيين⁽²⁾ الذين غيروا ديانتهم ، يعتبرون ملكوت الله هو التبليغ بمجيء خاتم الانبياء . بمعنى انه هو الممهد للرسالة الخاتمة وهذا مايرجحه الباحث.

والفكر المسيحي كثيرا ما يؤكد انه توجد آلاف الاستشهادات التاريخية والحفرية على استشهاد بطرس وبولس في روما حيث نبتت كنيسة روما من دمها المقدس⁽³⁾ بحسب زعمهم ولهذا فان اول من اسس كنيسة روما هما بطرس وبولس وبالتالي فان أسقف روما هو خليفة القديس بطرس والقديس بولس.

النتائج:

1- من خلال الأدلة النقلية والعقلية يجد الباحث ان الخلافة في الديانة المسيحية متجسدة في السيد المسيح(ع) بنفسه ،فقد ظهر السيد المسيح وأعلن لليهود وظيفته النبوية والكهنوتية.

2- يتضح إن معنى الملكوت الذي أشار إليه المسيح هو السلطة والحكم، وهذا التعريف للملكوت هو قريب لمفهوم الخلافة ،فمن خلال الأناجيل يجد المفكرين المسيحيين أن هدف المسيح هو إقامة ملكوت الله.

3- لقد اعطى المسيح(ع) من وقته الكثير ليعدّ من يخلفه لهذه المهمة (مهمة الخلافة) من بعده، وذلك من خلال سياحته معهم ، وافعاله واقواله لهم ،لذا فان كيفية الاعداد كانت قد مرت بعدة اساليب.

⁽¹⁾ وهذه النظرية تسمى بنظرية الحق الالهي غير المباشر، ط: اسماعيل ، د.فضل الله، الارادة العامة في الفكر الغربي الحديث بين الحرية والجبرية، منظور نقدي، 2008، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية-مصر، ص63، نقلاً عن مبادئ التنظيم السياسي، عبد الكريم احمد، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1975، ص38.

⁽²⁾ عبد الأحد داود ، الانجيل والصليب ، شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع:

منتديات جازان الثقافية، <http://www.Gazan.org>.

⁽³⁾ م.ن

4- يتضح من الدراسة أن الفكر المسيحي قد انقسمت فيه الرؤى حول استخلاف السيد المسيح كما هو الحال في عقيدة التوحيد والنبوة، لذا فإن مفهوم الخلافة ينقسم على تعريفين حسب رؤية الذين رأوا بأن السيد المسيح(ع) هو بشر ونبي أرسل من قبل الله ، وهؤلاء هم الموحدين وفريق آخر يعتبرون بأن السيد المسيح هو ابن الله وبالتالي فإنهم يعتقدون بألوهيته ويسمون بالمثلثين.

5- يستنتج الباحث ان الديانة في زمن السيد المسيح ،ومن بعد رفع السيد المسيح كانت على جانب التوحيد ولم تتغير الا بعد دخول بولس الذي تغذى من الفلسفة الرواقية ، حيث الاعتقادات الحلولية ، ومبدأ التجسد والفداء ،كل هذا طبقه بولس على السيد المسيح ،جاعلا منه الفادي والمخلص، للبشرية من الخطيئة الاولى ،وذنوب البشر، لذا فان هذه الديانة انقسمت الى فريقين ، فريق اتخذ مبدأ التوحيد، وهم اصحاب المسيح (ع)، من التلاميذ الاثني عشر والنصارى من شيعتهم الابيونيين والاسينيين ،والقائلين ببشرية السيد المسيح، وبنبوته وبالتالي ،فانه عليه السلام ،قد اوصى للحفاظ على الرسالة الالهية التي جاء بها ،من خلال ديموميتها وتبليغ الناس بالبشارة بالملكوت ، والحفاظ على الدين من خلال تبليغ الناس باحكام الشريعة ،ومواجهة الاختلاف ،بعد ان نصّ على خليفته من بعده جريا على ماجاء به الانبياء من قبله ،وخصوصا رسالة موسى (ع)، بينما نجد ان هناك فريق اخر اتخذ مبدأ التثليث، وهم جماعة بولس .الذين جعلوا من السيد المسيح الها .

6- ان الفرقة الموحدة في زمن الرسل، استمرت في دعوتها بنبوة المسيح(ع) ،وان رسالته قد عهد بالحفاظ عليها وديموميتها،من خلال التنصيب والاختيار الالهي، لخليفته بطرس الذي عانى من جراء دخول مدعي الخلافة الذي جعل من السيد المسيح الها وهو بالتالي يريد ان يجعل ان لاوجود لخلافة السيد المسيح، والتي مهمتها ان تبشر باقتراب الملكوت الالهي وهو خاتمة الاديان رسالة النبي محمد(ص) ،والدستور الخاتم وهو القرآن، وبرسالة الاسلام الخاتم للديانات السماوية .

7- اما اصحاب عقيدة التثليث فانهم انقسموا الى اراء متعددة منهم من قال ان خليفة المسيح هو بطرس الرسول واثبتوا ذلك من خلال النصوص الانجيلية ومصادرهم الكتابية خصوصا في الزمن الذي جاء قريبا جدا من زمن الرسل ومنها التحقيقات الاكليمنضية، وتاريخ الكنيسة ، وهي ما تمثله الكنيسة الكاثوليكية، وقسم اخر ادعوا بان الخلافة هي لمقرس الرسول وهو ما تمثله الطائفة الاورثوذكسية وهاتان الطائفتان قد اعتمدت لبيان حجيتهما على النصوص الانجيلية باختيار بطرس الرسول لاول خليفة له وهو لينييس، وكذلك قول الرسول بولس لتيموثاوس بحفظ الوديعة وهناك فريق ثالث ادعى ان الخلافة انتهت مع اخر الرسل فلا حاجة من بعد هؤلاء لخليفة للرسل لان الكنيسة التي بناها السيد المسيح على صخرته وهو بطرس لا تحتاج الى خليفة وكهنة لان الجماعة المؤمنة المسيحية كلهم مجموعة من الكهنة هذا من

جانب ومن جانب اخر ان الوسيط الوحيد والشفيع هو السيد المسيح فلا وسيط ولا شفيع لغيره وبالتالي لا يحتاج المؤمنون الى وساطة بالتقرب الى الله.

8- اتضح للباحث ان للخلافة أهمية كبيرة وضرورة حتمية ،لأنه اذا لم يكن هناك وجود للخلافة ، فإن ذلك سوف يؤدي إلى انحراف للتعليم المسيحي المعاصر ، وسوف تتعدد المدارس الفكرية في المسيحية، مما يستتج خروج أناس يدعون المعرفة ويحرفون الإيمان، لذا فهم يعتقدون أن الخلافة الرسولية مبنية على أساس مشروعية الرسل حينما نصبوا لهم خلفاء من بعدهم.

9- تبين للباحث ان أهمية الخلافة عند اهل التوحيد فهي المحافظة على رسالة المسيح واكمال ديمومتها التي هدفت إلى هداية الانسان وتكامله المعنوي في بعده الفردي والاجتماعي نحو الله والحقيقة والصالح، فيكون عابدا لله وسائرا مع الحق والحقيقة هو ليس مقتصرنا بني اسرائيل وحدهم، وانما يشمل مستوى الخليقة جمعاء والأرض كلها، وقضى استمرار المسيرة حتى بلوغها الهدف المنشود برعاية قادة ربانيين يخلفون السيد المسيح إلى مجيء الديانة الخاتمة، والدليل على ذلك ما اقتبسه الفكر المسيحي في زمن بولس بالتحديد، بان ياخذ، ويستفاد من التنظيم الكنسي من اهالي قمران ،حيث ان لديهم تنظيم كنسي قد جعل للخليفة اهمية كبيرة من حيث المسؤولية الملقاة على عاتق الامة بالالتزام باوامره وطاعته المترتبة على اتباعه الذي جاء بنص الهي انه واجب الطاعة له، يقول العهد الجديد((كما أرسلني الأب كذلك أنا أرسلكم))،وفي نص آخر((من سمع منكم فقد سمع مني...ومن نبذني فقد نبذ الذي أرسلني)).

10- اتضح من خلال الدراسة ،انه ومع تحريف بولس للشرائع واحكام الدين الذي نزل على السيد المسيح وماجاءت به مسيحية بولس، من قرارات المجامع الكنسية عبر الزمان الممتد من نيقية ، وحتى الراعي الازلي وختمته بالمجمع الفاتيكاني الثاني، مع كل هذا نجد ان القوم يقرّون بالتنصيب والاختيارالإلهي على شخصية معينة يكون رأس الكنيسة وأساسها وهذه الكنيسة سيكون خليفتها من بعده "بطرس" مباشرة، وهناك ايضا ادلة عقلية تثبت مشروعية الخلافة.

11- يستنتج الباحث ان مشروعية الخلافة عند الموحدين من اتباع المسيح(ع) عن طريق مخطوطات قمران والتي وجدت بالقرب من البحر الميت تتحدث عن معلم الصدق مدبر الجماعة قمران الذي تنطبق صفاته على صفات خليفة المسيح(ع) بطرس وحياته، ولقد ذكر الفكر المسيحي ان الطائفة الأبيونية تعتقد بأن المسيح(ع) بشر وانه نبي، لذا وصمت بالهرطقة، ولما كان المسيح(ع) قد أوصى بشكل واضح من خلال انجيل متى ،والتي تعترف به جماعة قمران، حيث يقول هذا الانجيل((أنت صخرتي وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة)).

المبحث الثاني

الخليفة في الديانة المسيحية:

اهمية وجوده وكيفية تعيينه.

يتناول الباحث في هذا المبحث تحديد بيان كيفية تعيين الخليفة عن طريق الصفات والشروط التي وضعها أصحاب الفكر المسيحي من الفريقين، الذين قالوا بالتوحيد ومن الذين قالوا بالتثليث ، ويتطرق البحث لأهمية وجود الخليفة من خلال أهم الأسباب لضرورة ، واهمية وجوده وما هي الآثار المترتبة على عدم وجود هذه الشخصية.

المطلب الأول

أهمية وجود الخليفة

يقوم الاعتقاد عند الفكر المسيحي على أن السيد المسيح(ع) يأتي الخلاص منه فقط ، لذا فانه (ع) ، قد أعد خليفة ليكون له الاستمرار في دور عرض الخلاص على البشرية، من هذا كان لوجود الخليفة الذي أعده السيد المسيح (ع) عند قيامته إلى اللقاء به وبما ان البشر أحياء فقط في زمان ومكان ، لذا فهو (ع) قد أسس الكنيسة التي بناها على صخرة ،وهذه الصخرة يمثلها (بطرس) خليفته الذي تجمع الأقوال على خلافته عند الطوائف والفرق المسيحية ، وقد استمر بناء الكنيسة تعيش في زمان ومكان، لذا جاء التسلسل الرسولي ،وتقليدها من بعد بطرس ليكون له خلفاء لكرسيه الذي يمثل خلافة السيد المسيح(ع) وهكذا استمرت الخلافة بوجودها.يستخلفون على هذا الكرسي لكي يساعدوا المؤمنين المسيحيين على اللقاء بالسيد المسيح من خلال كنيستهم (1) .

ولاهمية وجود الخليفة، انه بعد رفع المسيح انتشرت النصرانية في بلاد انطاكية ، وحتى وصلت الى روما، إلا أن اليهود لم يرضهم ذلك فأحدثوا صداما بينهم، وبين أتباع السيد المسيح(2)، واستعانوا ببولس الذي كان قد تزامن وصوله مع وصول بطرس وهنا تأتي أهمية وجود الخلافة:

اولا: فبفضل وداعته وقيادته وحنكته وتواضعه الجميل استطاع أن يستوعب هذا الخلاف لكي يحافظ على وحدة الأمة، فضلا عن صيانة الدين، فهو لم ينس بما أوصاه السيد المسيح(3).

ثانيا: ومن أهمية وجود الخليفة إن الفترة التي عاشها بطرس كانت مرحلة اضطرابات ، فالثورة اليهودية مستعرة وكرهية اليهود لأتباع السيد المسيح على أشدها، وكذلك فإن الرومان لا يفرقون بين أتباع هذا الدين أو ذاك ، انما يعتبرون جميع بني اسرائيل هم خارجين عن السلطة فالرومان يمثلون الحاكم الامبراطوري في فلسطين لذا ولخطورة المرحلة احتاجت تلك الظروف لوجود قيادة تبلغ بالإنجيل الكلمة الحسنة، يقول بطرس: ((أيها الرجال الأخوة أنتم تعلمون انه منذ ايام قديمة اختار الله بيننا ،إنه بفي يسمع الأمم كلمة الانجيل ،ويؤمنون)) (4)؟.

ثالثا: ثم جاءت أهمية وجود الخليفة عندما دعى بولس للتحرر من الناموس والديانة الموسوية،وذلك عندما طرد بطرس من روما عام 51، فأى الى القدس (5)وسرعان ما تألب عليه بولس وأتباعه ،وكون مسيحية جديدة، ودين جديد يدعو للتحرير من الشريعة بينما بقي أتباع السيد المسيح بطرس ويعقوب

(1) الأب د.يوسف مرقس توما الدومينيكاني ، اللاهوت العقائدي للسنوات 1، 2، 3، السنة الثانية، منشورات كاتدرائية

يوسف ، بغداد- العراق ، 200، ص 9(د.ت).

(2) ظ: مجموعة من المؤلفين، دائرة المعارف الكتابية، ج2، ص 156.

(3) ظ: لوقا 21: 31-33.

(4) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل: 15: 6-7.

(5) ظ: من، أعمال الرسل، وظ: الدبس، تاريخ الشعوب المشرقية، ج3، 455.

واخوته يقيمون التوراة والانجيل معا، وينادون بالإيمان بموسى، وعيسى، معا، ويرفعون شعار العماد والختان⁽¹⁾، ويقول جورج عبدالمسيح: ((هذا...تضم بطرس الرسول))⁽²⁾.

رابعاً: من أهمية وجود الخليفة أن الضغط اليهودي الروماني قد زداد على خليفة السيد المسيح، فهاجر من القدس الى انطاكية وتبعه بولس الى عزلته، وأخذ يشوش أفكار النصارى ، وبدأ الصراع ينحى اتجاهها تصاعديا بعد أن أثار بولس الخلافات حول أقدس معتقد في ديانة عيسى(ع) وهو وحدانية الله ، فبين العامين 57- 52 أثار بولس الجدل حول هذه المسألة واكتشف فكرة الاقانيم الثلاثة المكونة للذات الإلهية⁽³⁾، فتحول الصراع بينهما الى صراع جوهرى⁽⁴⁾.

مما تقدم يتضح أن نصرانية بطرس كانت الامة الوسط بين اليهودية الكافرة والمسيحية الغالية بقيادة بولس، ومن الامور الاخرى التي تبين اهمية وجود الخليفة.

1- يعتقد الفكر المسيحي أن أهمية وجود الخليفة هو لأجل أن يسمع الانجيل لأكبر عدد ممكن من الناس ، فالانجيل عندهم ليس مجرد كتاب بل هو قوة ديناميكية أكالة مذبية كالسيف يقطع⁽⁵⁾، ويتحدى الأشخاص والمجتمعات في صميم الحياة، من هنا جاءت ميررات وجود الكنيسة من خلال سلطتها، فهي شاهدة على هذا التحدي .

2- يذكر الفكر المسيحي أن المسيح وكما عاش بشكل منظور يشهد بحياته وأعماله ، فانه قد طلب من خلفائه الرسل أن يكونوا كذلك بمعنى ان الدعوة التي حملها وأودعها لهم ، هي ان يعلنوا البشرى السارة بالكلمة ، وبالحياء الجماعية ((انظروا كم يحب بعضا)) واستمر الحال للخلافة عند خلفاء بطرس ((خلفاء الكرسي الرسولي))⁽⁶⁾. لذا فإن هذه الخلافة استمرت بهذا الحال من خلال الاستعداد للاستقبال، ولهذه الواقعية عليها أن تلتزم بثلاثة أمور:

أ . يعتقد الفكر المسيحي ان الخلاص في الانجيل واقعي وليس غامض .وأراد الله سبحانه من السيد المسيح حسب قول المفكرين المسيحيين أن يجعل الخلاص أمرا ملموسا بكلمات وإرشادات ورموز ويتحول ذلك أولا بالكلام ثم بإشارات ومواد، لها مدلولاتها ومنها (السلام ، الماء ، الخبز، الخمر، الزيت، ألخ وكذلك ينشئ من التنظيم الداخلي السلطة والخدمة)⁽⁷⁾، وهذا ما يعجب له كل فكر، إذ كيف يمهّد الإنسان لخلاصه من خلال ممارسات هي بنفسها تجلب له الويلات ، ومنها لا تغني ولا تسمن ، بل الخلاص ، ولتمهيد المجيء الثاني، ونزولا لإيمان ومايعتقده الفكر المسيحي كان من أهمية وجود السيد المسيح أن يجعلوا العبادة أهم ركيزة لأن يكون الإنسان مهيباً روحياً، ليساعده السيد المسيح للخلاص .

ب . يعتقد الفكر المسيحي أن الخلاص شيء مجاني، إلا أن هذا الكلام شيء والواقع التاريخي للكنيسة شيء آخر، فقد تحولت الأسرار مثلاً في كثير من الحقب الزمنية التي مرت على الديانة المسيحية أن هذه الأسرار

(1) الحداد، يوسف درة، القرآن دعوة نصرانية، ص 29.

(2) جورج عبد المسيح، فكرنا الديني، ص 110.

(3) هاشم شريف ، الإسلام والمسيحية في الميزان، ط 1 ، 1409 هـ، 1988م، بيروت لبنان، ص 233.

(4) الحداد ، يوسف درة ، القرآن دعوة نصرانية،

(5) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل: 1: 16.

(6) ام.ن.

(7) م.ن ص 15.

مثلا في كثير من الحقب الزمنية التي مرت على الديانة المسيحية أن هذه الأسرار تباع وتشتري، وأعطى الكهنوت لأشخاص أفنوا من خلالها الحرث والنسل⁽¹⁾ فأين هذه المجانية للخلاص.

ت . يقولون ان الخلاص "شامل لكل البشر"، وهذا يتصادم وواقع الحال بين الفكر المسيحي الذي يتقيد بمواد، ورموز معينة من جهة، وبين ثقافة المجتمعات الاخرى التي لا يمكن لها أن تستجيب لهذه الأسرار والرموز والمواد⁽²⁾، من جهة اخرى.

المطلب الثاني

كيفية تعيين الخليفة

إن لتعيين الخليفة صفات وشروط ، وقد اختار السيد المسيح من يخلفه من بين التلاميذ ، وهو بطرس وقد تم الاختيار أمام الجميع "جميع التلاميذ بنص واضح وصريح" شهدت له الأناجيل والمجامع والكنسية والفكر المسيحي لحد الآن وأما بعد استشهاد بطرس اشتد الكفر والشرك على أتباعه ومحبيه وعظم البلاء⁽³⁾ وكان أتباعه بين عدوين، بني إسرائيل أعداء نبيهم ، والوثنيين الداخلين للمسيحية بين دينهم فزادوا تمسكا بالشرعية الإلهية في أماكن تواجدهم كالقدس وقمران وبييلة وبيروباد المدن العشر وسواها من مدن فلسطين وسوريا⁽⁴⁾.

وقد قال السيد المسيح لتلاميذه: (ليس أنتم اخترتموني ، بل أنا اخترتكم) وهذه الكلمات تلخص تعليم الكتاب المقدس بخصوص الاختيار فلأن الله هو الخالق الكلي القدرة ، فهو الذي يتخذ القرارات المطلقة وليس الإنسان ويخبرنا الكتاب المقدس كيف اختار الله أناسا فهو اختار هابيل لا قابيل ، ويوسف لا اخوته، وقد قال موسى لبني اسرائيل : ((ياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا... ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب ... بل من محبة الرب إياكم" " ولا تقل في قليل : لأجل بري أدخلتني لأمثلك هذه الأرض)) ، فأن سبب اختيار الله مخبوء في علم سبحانه ، ولا يستطيع أي مخلوق بشري أن يفهمه، على انه واضح أن الذين يقبلون تحدي اختيار الله متوقع منهم أن يطيعوه فيكرسون حياتهم لخدمته ، هكذا كانت حال إبراهيم والشعب القديم، والأمر عينه ينطبق على المسيحيين المؤمنين : ((وأما أنتم فجنس مختار ، وكهنوت ملوكي ، أمة مقدسة ، شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب))⁽⁵⁾.

(1) م.ن.

(2) م.ن.

(3) الصدوق، اكمال الدين واتمام النعمة، 1: 16-161، ط: النيلي، منتخب الأنوار المضيئة، 70، ط: بحار الأنوار، 14: 346.

(4) ط: فياض ورفيعة، النصراني، ص47-48، وط: موقف الإسلام من الوثنية، خالد، 682، ط: الحداد، القرآن دعوة نصرانية، 47.

(5) موسوعة الكتاب المقدس، 11، صدر عن دار منهل الحياة، منصور، وط: تثنية 7: 6 - 9: 9 - 4: 6، ط: رومية 9: 18 - 19.

واتفق المفكرون المسيحيون أن هناك صفات وشروط من خلالها يتم تعيين الخليفة قد ذكرتها النصوص الانجيلية وهذه الصفات والشروط توفرت لمقام الخلافة عموماً (خلافة السيد المسيح) عندما اختار رسله، ومنها:

أولاً: التنصيب والاختيار الإلهي للخليفة:

إن ما لا يرقى إليه الشك وجود إرادة من قبل السيد المسيح (ع) الصريحة في إنشاء الكنيسة ، وقد عمل في اثناء حياته على تكوين نواتها الأولى بتبشيره بالملكوت ، ودعوته إلى التوبة والإيمان، وسكبه نعمة الله على المرضى لشفائهم وعلى الخطاة لمغفرة خطاياهم ، وجمعه حوله رسلاً لمتابعة كرازته.

وهناك نص جلي يظهر بوضوح إرادة السيد المسيح هذه ، حيث يعترف بطرس الرسول ، "وحسب اعتقاد الفكر المسيحي" بأن يسوع هو "المسيح ابن الله الحي" ويجيب يسوع على هذا الاعتراف، بالتنصيب على الخلافة ، تقديراً لما اعترف به بطرس ، ففي إنجيل متى هناك كلام يبين عدم معرفة الفريسيين والصدوقيين على تمييز علامات الأزمنة وعدم إيمانهم بيسوع⁽¹⁾، إلى أن يصل النص بالقول: ((ولما انتهى يسوع إلى ضواحي قيصرية فيلبس ، سأل تلاميذه قائلاً: من ترى ابن البشر في نظر الناس؟ قالوا : بعضهم يقولون إنه يوحنا المعمدان ، وغيرهم انه إيليا، وغيرهم انه إرميا ، أو واحد من الأنبياء ، فقال لهم وفي نظركم ، أنتم من أنا؟ أجاب سمعان بطرس وقال : أنت المسيح ابن الله الحي، أجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان ابن يونا، فإنه ليس اللحم والدم أعلننا لك هذا، بل أبي الذي في السموات وأنا أقول لك : أنت الصخرة ، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيسة ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وسأعطيكم مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات))⁽²⁾.

من خلال هذا النص يمكن أن تستخلص الأمور الآتية:

1- يعلن المسيح لبطرس ان الأب هو الذي أوحى إليه باعترافه للسيد المسيح (ع)، وهو دليل على ان هذا الرجل هو الوحيد لان ينال هذه المرتبة الرفيعة، بنص من الله لينال الخلافة نتيجة اعترافه بالمسيح .

ويبدو ان اعتراف بطرس ببنوة المسيح هو تعبير مجازي لا يصل لبنوة المسيح الحقيقية، والشواهد كثيرة على ذلك⁽³⁾، فمجمع نيقية لم يعقد الا لهذه المسألة حيث ان اكثر من ثلثي المجتمعين كانوا مع آريوس لاعتقادهم ان المسيح عبد الله وهو بشر وليس ابنا لله⁽⁴⁾ .

(1) العهد الجديد، متى 16 : 1 - 12 .

(2) العهد الجديد ، انجيل متى 16 : 13 - 19 .

(3) ظ: اينوك باول ، تطور الانجيل "المسيح ابن الله ام ملك من نسل داود، ص 87 .

(4) ظ: الخور اسقف تيوتس ، اضواء على المجمع الكنسية، ص 25 ، وظ: عبد الأحد داود ، الانجيل والصليب ، شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع:

2- يغير اسم سمعان فيسميه بطرس أو "كيفاً" أي الصخرة وإعطاء اسم جديد يشير إلى رسالة جديدة ، فبطرس سيكون الصخرة التي سيبني عليها المسيح كنيسته ، وأبواب الجحيم ، أي قوى الشر لن تقدر عليها ولن تدمرها .

3- يعلن رغبته في بناء الكنيسة ، ويدعوها "كنيستي" والكنيسة في اعتقاد المفكرين المسيحيين هي كنيسة المسيح أي الجماعة الذين يعترفون "وحسب اعتقاد هذا الفكر" على غرار بطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحي، وهذا الإيمان بالمسيح هو الصخرة التي ستتحطم عليها قوى الجحيم وسيحاول الشيطان أن يغربل كالحنطة بطرس وسائر الرسل وجميع المؤمنين بالمسيح ليبيدهم من الإيمان إلا ان يسوع صلى لاجلهم وبنوع خاص لأجل بطرس لكي لا يزول ايمانه ، فيستطيع بدوره أن يثبت ايمان اخوته((سمعان ،سمعان هو ذا الشيطان قد طلب في إلحاح أن يغربلكم كالحنطة وأنا صليت لأجلك • لكي لا يزول إيمانك . وأنت متى عدت فتثبت إخوتك))⁽¹⁾ .

4- يعطي بطرس ((مفاتيح ملكوت السموات ، وسلطان ((الحل والربط)) ،وفي موضع آخر نسمع يسوع ينتقد الفريسيين والكتبة ((لأنهم يغلقون في وجه الناس ملكوت السموات، فلا يدخلون ، ولا يدعون الداخلين يدخلون))⁽²⁾ .

ويمنح هنا بطرس مفاتيح الملكوت لإدخال الناس إليه، وان مفاتيح الملكوت هي في الواقع مفاتيح الكنيسة التي تضم جميع بني الملكوت النهائي في السماء، أما سلطان "الحل والربط" فلا يقتصر كما يفسر البعض على حل الخطايا وربطها، بل هو سلطان الرعاية الكامل على الكنيسة فسيد البيت هو الذي بيده مفاتيح البيت وهو الذي يحل ويربط أي يدير جمع شؤون البيت⁽³⁾ .

والجدير بالذكر فان السيد المسيح باعتراف المفكرين الكاثوليك ،انه قد نص على خلافة بطرس⁽⁴⁾ ، بينما الفكر الأرثوذكسي ،وهو وان كان يشترك مع الفكر الكاثوليكي في التنصيب الإلهي لتنصيب الخليفة⁽⁵⁾ للقيام بأعباء الدعوة الرسالية من بعد السيد المسيح، إلا ان الارثوذكس يقولون ان الخليفة هو مرقس⁽⁶⁾ صاحب الانجيل الثاني من الكتاب المقدس بمعنى انهم يشتركون يشتركون من حيث النظرية ، إلا انهم يختلفون في المصداق، فهم يسمون مرقس هو الخليفة من

* واضح ان التعيين واضح لشخص بطرس وهو دليل على شرعية تعيين بطرس خصوصا أمام محفل من التلاميذ الاثني عشر لكن هذا التحليل سوف يبعد بطرس من الخلافة ، فالباحثين المنصفين ن المفكرين المسيحيين يشكلون هذا التحليل ويقولون ان بطرس ليس يعنى الكنيسة إنما هو خليفة ورسول المسيح وله الزعامة والسلطة من بعد المسيح (ع)، ط: المطران يوسف الدبس، تاريخ الشعوب المشرقية : 3: ص544

(1) العهد الجديد، انجيل لوقا 22: 31، 32.

(2) م.ن. 23: 13.

(3) الأب سليم بسترس ، اللاهوت المسيحي والانسان المعاصر : 2: 204.

(4) ط: الرهبانية اليسوعية ، الكتاب المقدس - الالف باء والياء ، العهد الجديد ، سفر متى 16: 18-23، حاشية رقم (5)

(5) الانبا رافائيل ، الخلافة الرسولية ، ص 6

(6) شبكة المعلومات ، الانترنت ، مقتبس من موقع <http://www.orethouthux>

بعد المسيح(ع) لذا فإن بطرس عندهم هو ضمن الاخوة المتساويين⁽¹⁾،بينما البروتستانت، فإنهم وان كانوا يعترفون بخلافة بطرس من بعد المسيح إلا أنهم لا يعترفون بالخلافة الرسولية من بعد بطرس الرسول.

ثانياً: العصمة

فالفكر المسيحي يعتبر أن السيد المسيح باختياره الاثنى عشر قد ميّزهم بميزة خاصة، فهو يعتبر العصمة في الدعوة، هي ميزة الأنبياء، لذا فعندما سلّم المسيح (ع) سلطانه المعصوم إلى رسله "الاثنى عشر"، أصبحوا معصومين بالدعوة والكتابة، ((إنهم أهل السلطة، والعصمة في تبليغ الانجيل وتفصيله))⁽²⁾، ومن مميزات العصمة عند الفكر المسيحي ان السيد المسيح (ع) قام بتأييده الشخصي عن طريق حضوره الدائم، ووعدهم بتأييد الروح القدس ((وأنا أسأل الأب فيعطيكم فارقليطاً آخر، ليقم معكم إلى الأبد، روح الحق يقيم معكم ويكون فيكم))⁽³⁾، فروح الله يكون معهم بإقامته فيهم والعمل بهم، ((وهذا هو عمله فيهم ومعهم و بهم))، يذكر العهد الجديد ((أما والروح القدس، الذي سيرسله الأب بإسمي، فهو الذي يعلمكم الكل، ويذكركم بجميع ما قلت لكم))⁽⁴⁾، فهو الذي يعصمهم في تبليغ الانجيل وفي تفصيله فشهادتهم للمسيح من شهادة روح الله نفسه: ((ومتى جاء الذي أرسله إلهكم من الأب، روح الحق الذي ينبثق من الأب، فهو يشهد لي، وأنتم أيضاً تشهدون بما انكم معي منذ البدء))⁽⁵⁾. إنها شهادة التاريخ وشهادة الوحي معاً. فالروح القدس ينزله عليهما الله الأب، والمسيح معاً، لذلك فشهادة الرسل للمسيح والانجيل هي شهادة إلهية، شهادة الله الأب، وشهادة المسيح، وشهادة الروح القدس، وهذه هي العصمة المطلقة في شهادتهم دعوة وكتابة، ويصف الفكر المسيحي هذه الشهادة بشهادة غالية، وبالرغم من مؤامرات ابليس وأعدائه من البشر، إلا انه ((متى جاء الروح القدس فإنه يفحم العالم بشأن الخطيئة والبر والدينونة، فبشأن الخطيئة لأنهم لم يؤمنوا بي، وبشأن البر لأنني منطلق ولا تروني من بعد⁽⁶⁾، وبشأن الدينونة، لأن زعيم هذا العالم قد دين))⁽¹⁾ باستشهاد

(1) لقاء الباحث مع الدكتور يوسف توما.

(2) الحداد، يوسف درة، فلسفة المسيحية، ص 11.

(3) العهد الجديد، انجيل يوحنا، 14: 15 - 17.

(4) م.ن 14: 26.

(5) م.ن، انجيل يوحنا، 15: 26.

(6) إن نزول الروح القدس على الرسل (الخلفاء) الاثنى عشر، كان على دفعتين الأولى في العشاء الرباني والثاني بل ارتفاع السيد المسيح إلى السماء، وهذا إن دل فإنما يدل على ان الرسل الاثنى عشر قد خصص لهم الروح القدس بشكل يتلائم

المسيح ستغلب شهادة الرسل، إبليس والعالم الكافر، لأنها وحسب ما يعتقد الفكر المسيحي تعتبر هذه الشهادة شهادة البر والإيمان.

ويعتبر الفكر المسيحي ان شهادة الرسل هي شهادة كاملة وشاملة لأنها خاتمة لا نبوة من بعد الرسل ولا وحي لهم، وبهم يتم تنزيل الوحي كله، فهي ختام الانجيل عندهم⁽²⁾ ((ومتى جاء روح الحق فانه يرشدكم إلى الحقيقة كلها))⁽³⁾، لذا فهم يعتبرون أن تأييد السيد المسيح الشخصي لهم، وتأيد الروح القدس ، روح الحق عصم السيد المسيح رسله في تبليغ الرسالة، وكذلك فإنه عصم كتابتها، وفي سلطانهم المعصوم ميزتهم الثنائية في حفظ الوحي الانجيلي، وتدوينه، في تبليغه، وتفصيله على كل صحابة ودعاة⁽⁴⁾.

وقبل ارتفاع السيد المسيح(ع) دنا السيد المسيح منهم، وكلمهم قائلاً: ((إني أوليت كل سلطان في السماء والأرض فاذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم))⁽⁵⁾.

فسلطانهم في الدعوة المعصومة من سلطان المسيح نفسه وعصمتهم من عصمته بحضوره الدائم معهم، ومع خلفائهم إلى يوم الدين، ((ها أنذا معكم كل الأيام إلى نهاية العالم))⁽⁶⁾. وهذا هو سلطان الخلافة المعصومة قد أويدت من قبل (ع) في تبليغ الانجيل وتفصيله، والفكر المسيحي يعتبر الخلافة، هي سلطان شامل ، فالرسل هم الذين يقومون بتقديس الآخرين وهذه المهمة لا ينبغي لأحد غيرهم((عمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس))⁽⁷⁾ كذلك فإن السيد المسيح اختارهم وأعطاهم سلطان التعليم، يقول العهد الجديد((وعلموهم))⁽⁸⁾ وهذا السلطان الذي أعطي لخلفاء(ع) ، قد أشركهم السيد المسيح أن يقوموا بسلطان الإدارة والقضاء((أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم))⁽⁹⁾.

مما تقدم يتبين أن السيد المسيح(ع) عند اختياره لتلاميذه، قد ميّزهم عن الآخرين من نواحي عديدة منها:

ومهمتهم الرسالية الملقاة على عاتقهم، حيث ان نزول الروح القدس في العشاء الرباني له أهمية وخصوصية ، لما حوى ذلك العشاء من طقوس جعلت منهم نوابا للمسيح(ع). ظ: الحداد، يوسف درة ، فلسفة المسيحية ، ص 12، وظ: زيدان، يوسف، اللاهوت العربي والعنف، ص124.

⁽¹⁾ العهد الجديد، انجيل يوحنا 16: 8-11.

⁽²⁾ الحداد، يوسف درة ، فلسفة المسيحية ، ص 63.

⁽³⁾ العهد الجديد، انجيل يوحنا 16: 13.

⁽⁴⁾ الحداد، يوسف درة ، فلسفة المسيحية، 13.

⁽⁵⁾ العهد الجديد، انجيل متى 28: 18-19.

⁽⁶⁾ م. ن 28 : 20.

⁽⁷⁾ م. ن 28 : 19.

⁽⁸⁾ م. ن 28 : 20.

⁽⁹⁾ م. ن.

1 - أنهم أهل الزعامة والعصمة حيث ان العصمة في الدعوة ميزة الأنبياء، ولما كان السيد المسيح قد سلم سلطانه المعصوم "خلفائه" فإنه بهذا التسليم وحسب العقيدة المسيحية قد أختتم الانجيل⁽¹⁾.

2 - إن السيد المسيح عند تسليم سلطانه لرسله فانه دائم الحضور معهم، ليس هذا فحسب، بل هو حاضر مع خلفائهم الذين سيختارونهم من بعدهم، وسيظل هذا الحضور الدائم إلى يوم الدين .

3 إن هذا السلطان الذي خصه(ع) لرسله فقط هو سلطان شامل وهو يشمل:

أ - سلطان التقديس ، فالرسل "الخلفاء" هم فقط مختصون بتعميد المؤمنين ويجري هنا التقديس لمن بعدهم من خلفائهم لحد يومنا هذا.

ب . سلطان التعليم، وقد أوصاهم السيد المسيح عند اختياره لهم أن يقوموا بوظيفة التعليم والتبليغ.

ج - إن هذا السلطان هو سلطان الإدارة ، وهي إدارة شؤون المؤمنين بما يتطلب منهم من تنظيم والتزام باحكام الشريعة وكذلك أن يقوموا بالقضاء ((أن تحفظوا جميع ما أوصيتكم به))⁽²⁾.

ويعتبر الفكر المسيحي أن هذه وصية السيد المسيح لتلاميذه كانت الأخيرة لهم، وفيها تبرر عصمة الرسل في خلافتهم التي هي شاملة كاملة.

ثالثا: وضع الأيدي على الخليفة المنتخب:

يعتبر الفكر المسيحي ان هناك شرط اخر لتصيب الخليفة، وهي عملية "السيامة"، ولقد تمت سيامة تيموثاوس أسقفا راعيا على كنيسة أفسس عند زيارة بولس لها بعد أسره الأول، لذا فبولس يكتب إليه بمناسبة تسلمه السلطة الراعوية ((على حسب النبوءات التي سبقت بشأنك لكي تتجند على مقتضاها التجنيد الحميد))⁽³⁾.

ثم يضيفون ، ان انتخاب تيموثاوس راعيا لأفسس تم بناء على نبوءة الأنبياء في مجلس الكهنة والمعلمين في أفسس نفسها ، وكان الرسامة عن طريق وضع أيدي الكهنة الأساقفة على

(1) الحداد، يوسف درة، فلسفة المسيحية، ص 11.

(2) العهد الجديد، انجيل متى، 28 - 20.

(3) م.ن ، رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس 1: 18.

رأسه⁽¹⁾ ((لا تهمل الموهبة التي فيك ، التي أوتيتها عن طريق النبوة بوضع ايدي مجلس الكهنة))⁽²⁾.

يعتقد الفكر المسيحي انه تمّ الاعتماد كلياً على رعية أي كنيسة مسيحية من خلال رسالة بولس الأولى لتيموثاوس والتي تعتبر هي ((وصية)) ، بل اعتبرها الفكر المسيحي هي القانون الإداري لرعاية أي كنيسة مسيحية⁽³⁾.

ويبدو من خلال الشرط الثالث ان الفكر المسيحي قد اعتمد كلياً على وصية بولس، والذي جعلها قانوناً تمسكت مسيحية بولس بها لحد هذا اليوم حيث ان وصية بولس لتيموثاوس اقرت حتى في المجمع الفاتيكاني الثاني، عام 1965، ولم يتطرق بان هذه قد نص عليها السيد المسيح ، ولما عرفنا ان تنصيب اتباع بولس جاءت وفق اجتهادات بولس نفسه، لذا فان الخلافة انحرفت عن مسارها واخذت من اصحابها الشرعيين.

لذا فالفكر المسيحي يعتقد إن الخلافة جاءت متسلسلة من خلال وضع أيدي الرسل على خلفائهم واستمر هذا الوضع لنوابهم وخلفائهم كما هو الحال مع بولس عندما اختير رسولاً⁽⁴⁾.

والمعروف ان اختيار بولس لم يكن عن طريق الخليفة الشرعي "بطرس" بل هو عن طريق اشخاص لم يعلن عنهم العهد الجديد.

مما تقدم يتبين أن تعيين الخليفة ،هي موكولة لاشخاص معينين، وقد نصبوا للخلافة بشروط وهي النص والاختيار الالهي، وشرط العصمة ، وكذلك شرط الرسامة، وهذا الشرط الاخير جاء بوصية بولس وليس عن طريق المسيح ولاخليفته بطرس. ويجد الباحثين والمفكرين المسيحيين أن هناك اختلافات في النظرة اللاهوتية لقضية الخلافة الرسولية، بمعنى آخر هل يمكن أن يقوم أي إنسان بخلافة السيد المسيح؟.

النظرة اللاهوتية للخلافة في الفكر المسيحي : يعتقد الفكر المسيحي عموماً أن

الله يدعو بعض المسيحيين إلى الكهنوتية، ولكن المسيحيين جميعاً يشتركون في كهنوت المسيح، والسبب كما يدعون، لأنهم بالمعمودية يصيرون أعضاء في جسد المسيح، لذا جاء السؤال

⁽¹⁾ الحداد ،يوسف درة ،فلسفة المسيحية ،الرسائل ص 428.
⁽²⁾ العهد الجديد ،رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس 4: 14 ، وظ: 6: 14.
⁽³⁾ فلسفة المسيحية، الرسائل ص 428.
⁽⁴⁾ العهد الجديد، سفر ا'مال الرسل 13: 3 ، ظ: فلسفة المسيحية (الرسائل)

المهم الذي يتبادرالى الذهن ما الذي يميز هذين النوعين من الكهنوت؟ لذا هناك نوعين من الكهنوت:

أولاً: كهنوت المسيحيين: يعتبر المسيحيين الخدمة الكهنوتية وجميع أعضاء شعب الله هم كهنة فإنهم بالمعمودية يصيرون أعضاء للمسيح ،ويشتركون بالتالي في رسالته كمعلم وكاهن ومملك ، هذا ما تدعوه الكنيسة " كهنوت المؤمنين المشترك " لأنه مشترك بين جميع المسيحيين ، علمانيين وكهنة))⁽¹⁾. وفكرة الكهنوت المشترك هذه تعود إلى العهد الجديد فيقول: ((ابنوا من انفسكم كمن حجارة حية، بيتا روحيا ، وكهنوتا مقدسا ، لاصعاد ذبائح روحية مقبولة لدى الله يسوع المسيح ...أنتم جيل مختار،كهنوت ملكي...))⁽²⁾. ويؤكد المجمع الفاتيكاني الثاني كهنوت المؤمنين⁽³⁾، ومن هذا النص يستنتج:

1 - ان المسيحيون هم جميعا كهنة ، بمعنى آخر يكون المسيحيون قد تم تعيينهم جميعا كهنة عن طريق توفر شرطين المعمودية (التعميد بالماء) والتثبيت وهي المسحة التي يمسحون بها تمنحهم الروح القدس ، فيكرسون كهنة ، وهو ما يشابه مسحة العهد القديم إلا أن مسحة العهد الجديد مسحة الروح القدس التي مسح بها يسوع للتبشير والكرامة⁽⁴⁾، ثم مسح بها التلاميذ بحلول الروح القدس يوم العنصرة تشمل كل إنسان ، وحسب قول يوثيل النبي سيكون في الأيام الأخيرة اني أفيض من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم⁽⁵⁾.

2_ يمارس المسيحيون كهنوتهم بتقدمة حياتهم وأعمالهم ذبائح روحية ، وبالشهادة للمسيح في كل مكان ،بالاشتراك في الصلوات والأسرار ،ولا سيما الافخارستيا .

ثانياً: الكهنوت عند خلفاء السيد المسيح ويسمى(بكهنوت الخدمة الراعية):

تقدم القول أن جميع المسيحيين هم كهنة بمسحة الروح القدس، وكيانهم البشري يتكرس باشتراكهم في تكريس المسيح ،بمعنى آخر ان جميع المسيحيين يشتركون على حد سواء في

(1) الأب سليم بسترس ، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، ج3، ص 292.

(2) العهد الجديد، رسالة بطرس الأولى 2: 5 - 10.

(3) ظ:الدستور العقائدي في الكنيسة(10) ، المجمع الفاتيكاني الثاني، وهو يركز إلى ذلك من خلال النصوص الواردة في العهد الجديد كما في سفر الرؤيا 1: 6، 5: 9 - 10، وظ: سفر أعمال الرسل: 2: 42 - 47 ، وظ: أنجيل رسالة بولس إلى أهل روما 12: 1 ، وظ: رسالة بطرس الأول 3: 15 .

(4) ظ: العهد الجديد، انجيل لوقا 18: 4.

(5) العهد القديم،سفر يوثيل 2: 28 ، وظ: العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 2: 17.

السمة الكهنوتية التي تتسم بها الكنيسة جسد المسيح ، إذ أن بعضا منهم توكل اليهم مهمة خاصة في هذا الجسد، فالفرق بين النوعين من الكهنوت ليس من جهة كيان المسيحي والكاهن، بل من جهة المهمة⁽¹⁾. وهذا الفرق توضحه جيدا طقوس الأسرار ، فكهنوت المؤمنين المسيحيين المشترك يمنح بالتغطيس بالماء في المعمودية ومسحة الميرون في التثبيت فالمعمودية يشترك المسيحي في موت المسيح وقيامته ويصبح عضوا فيه وبالتثبيت يمنح (ختم موهبة الروح القدس)) ، وكلا السرين يتعلقان بكيان المسيحي ، فيجددانه ويجعلانه كائنا جديدا على صورة المسيح إنسانا ممتلاً من روح الله ، مسكنا وهيكل للروح، ولما كان تحديد الكهنوت هي الوساطة بين الله والناس، يتضح أن تلك الوساطة قد تحققت في شخص المسيح ، وتتحقق في كل انسان يصير عضوا للمسيح ، إذن فكهنوت المؤمنين هو على صعيد الكيان أما كهنوت الخدمة فيمنح "بوضع اليد" ووضع اليد يعني اعطاء سلطة ومهمة خاصة فكهنوت الخدمة يمنح الخليفة الكاهن مهمة خاصة يكون قوامها وظائف⁽²⁾ معينة.

ويعتقد المفكرون ان الجماعة المسيحية لا تختار "خليفة المسيح" ولا تمنحها هي سلطتهم ومهمتهم، إنما تميز بين أعضائها من وهبهم الروح تلك الموهبة. لذلك في صلوات تعيين الكهنة ورسامتها ينادي على المرتسم: ((هذا هو العبد المختار من الله ومن الروح الكلي المقدسة... المزمع أن يرتسم شماسا أو كاهنا أو أسقفا))، وكذلك يقول في صلوات وضع اليد ((النعمة الإلهية التي في كل حين تشفي المرضى وتكمل الناقصين هي تندب فلانا))⁽³⁾.

مما تقدم تبين أن تعيين الخليفة ، وبحسب اعتقاد الفكر المسيحي تم بطريق إلهي حيث تدخلت فيها الحكمة النبوية الصادقة وامتزجت بالعدالة ، ويستدلون بقول بولس ((بل اختار الله جهال العالم ليحزي الحكماء، واختار الضعفاء ليحزي الأقوياء واختار الله أدنياء العالم... لكي لا يفتخر كل ذي جسم أمامه))⁽⁴⁾.

وهو كلام خطير جدا لبولس، لأنه تكلم به عندما قدم أتباعه وهم من الذين ضلوا واضلوا الناس عن دين المسيح الحق ، حيث قدم أتباعه الذين لاعلاقة لهم بالمسيح ولم يكونوا معروفين بالحكمة ، ولا بالعلم باحكام دين الله. وهذا ان دلّ على شيء، فانما يدل على ان هذا الرجل كان على صراع لاخذ الخلافة. والكنيسة باعتقاد الفكر المسيحي هي ان في أسرارها ، تكمل حضور المسيح على الأرض ويتم ذلك عن طريق الخدمة الكهنوتية ، وهو ما يقوم به الكاهن ، وهنا تفترق نظرة الفكر المسيحي بالنسبة للكهنوت إلى عدة رؤى:

(1) اللاهوت المسيحي ، الإنسان المعاصر ج3 ص 294.

(2) الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، ج3 ، ص 294 ، هامش رقم (254).

(3) م.ن ، ص 296. ووظ: العهد الجديد، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 12: 5 -

(4) العهد الجديد، رسالة بولس الأول إلى أهل كورنثوس ، 1: 27 - 31 ، ظ: متى 21 : 31.

آراء الفكر المسيحي في الكهنوت

أولاً: الكهنوت عند البروتستانت⁽¹⁾:

ولدى البروتستانت رأي في قضية استخلاف الرسل، حيث يقولون ان يسوع هو رئيس كهنة المؤمنين العظيم الذي نضح روح الأقداس السماوي بدمه والذي جلس عن يمين الأب هناك حيث هو الآن يشفع فيهم⁽²⁾، لذا فإن كان الكاهن في العهد القديم يضع يده على الخاطئ واليد الأخرى على الذبيحة ويطلب من الرب لغفران الخطايا، فان بمجيء المسيح لخلص نفوسنا بموته على الصليب، صار هو الذبيح الأعظم، وأيضاً هو رئيس الكهنة فصار الوسيط والشفيع بيننا وبين الله، ولذلك نحن الآن لسنا في احتياج لشفيع أو وسيط غير المسيح⁽³⁾، فهو الآن يشفع من أجلنا عند الرب، وعندما ينظر الاب إلى الذبيح الأعظم يرى ان الدين قد أوفى الدين، والحساب قد سدد، فيأمر بالبركة، وهذا ما يقول الكتاب المقدس: ((ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً))⁽⁴⁾.

لذا فالبروتستانت يقولون ان الكهنوت اللاوي قد هدمه المسيح عن طريق موته على الصليب ويستدلون بأن لو كان الكهنوت اللاوي فيه كمال اذا الشعب أخذ الناموس عليه ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق ولا يقال على رتبة هارون⁽⁵⁾ لذا تعود في هذه الأيام ونسير وراء كهنوت آخر لا يمت بصلة للمسيح؟ فالمسيح وحده هو الكاهن على رتبة ملكي صادق ((كما يقول في موضع اخر أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق))⁽⁶⁾، لذا فالبروتستانت لا يقرون بالخلافة، بل يجعلون الكاهن هو مختص بالقضايا الدينية فقط أي يتقيدون بالنص الانجيلي، فليس للكاهن أي اعتبارات خارج عن دائرة الوعظ والارشاد والتبليغ هذه هي مهمته، لهذا فانهم يشترطون في هذه الوظيفة الكهنوتية صفات يجب توافرها لمن يتصدى لهذا المنصب الديني:

1. لزوم إقامة الكاهن من بين البشر لينوب عنهم⁽⁷⁾.

(1) Commision International The olgie de theol Ogie Le Ministere saceadtal, coll :ظ: "Cogitatiofidei" No. 51 Paris Cerf, 1971, pp 23 -27.

(2) ظ: العهد الجديد، سفر الرسالة إلى العبرانيين 4 : 14.

(3) ظ: العهد الجديد، سفر الرسالة إلى العبرانيين 7 : 25.

(4) م.ن 9 : 12.

(5) ظ: م.ن 7 : 11.

(6) العهد الجديد، سفر الرسالة إلى العبرانيين: 5 : 6.

(7) ظ: م.ن: 5: 1 - 6.

2 . لزوم اختياره من الله وفرزه لتلك الغاية⁽¹⁾.

3 . لزوم كونه قديسا مكرسا لخدمة الرب ((مقدسين يكونون لإلههم ولا يندسون اسم الههم لأنه يقربون وقائد الرب طعام الههم فيكون قديسا...لأنني قدوس أنا الرب مقدسكم))⁽²⁾.

4 . أن يكون له حق الاقتراب إلى الله بتقديم الذبائح والشفاعة في الشعب⁽³⁾.

لذا فإن المسيح هو الكاهن الأعظم الذي ينوب عن المؤمنين المسيحيين فيما يختص بالذبائح والشفاعة من أوضح الأدلة هي الموجودة في الكتاب المقدس⁽⁴⁾.

وبما أن المسيحي المؤمن متحد بالمسيح اتحادا روحيا فهو يشترك في فوائد موته وفي أمجاد نصرته وله حقوق خاصة من نعمة الله مبنية على تلك الشركة ومنه ((حق القدوم رأسا الى الله بالمسيح حتى حق الدخول إلى الأقداس بدم يسوع))⁽⁵⁾.

ويمكن ايجاز تعليمهم في الكهنوت بالنقاط الآتية:

أ . في العهد الجديد لم يعد سوى كاهن واحد هو يسوع ويعطون ذلك بالقول ((لأننا إذا حددنا الكاهن بقولنا " إنه الوسيط بين الله والناس " فمن الواضح ان يسوع المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والناس وتتقدمه ذاته على الصليب أزال كل الذبائح والقربان التي كان من شأن الكهنة في العهد القديم تقدمها إلى الله)).

ب - أن جميع المسيحيين بالمعمودية يصبحون أعضاء المسيح ويشتركون في كهنوته دون تمييز بين كاهن وعلمانى ،فالالاتحاد بالمسيح والدخول في علاقة خلاص مع الله يتم مباشرة بالمعمودية ولا يحتاج إنسان لإنسان آخر للحصول على هذا الاتحاد بالمسيح وعلى هذا الخلاص.

(1) ظ: م.ن 4: 4 ، وظ: عدد 16 : 5.

(2) العهد القديم ، سفر لاويين 21: 6 ، 8 ، وظ: مزمو 106: 6.

(3) ظ: م.ن سفر الخروج 19: 22.

(4) ظ: عماد عبد المسيح ، مفهوم الكهنوت الكتابي، شبكة المعلومات ، الأنترنت ، مقتبس من، موقع:

<http://www.Arthothour.com.org>

(5) ظ: العهد الجديد، الرسالة إلى العبرانيين 10: 19- 23.

ث - أما سر الكهنوت لم ينشئه المسيح ، بل انشأته مطامع البشر ورغبتهم في السيطرة والتسلط على اخوتهم .

ح - إن الخدمة الدينية في العهد الجديد ، تقوم على تغذية الإيمان ودعمه بالكلمة الإلهية وأسرار الكلمة ، فلفظة الكاهن لفظة يهودية أو وثنية ، ويجب الاستعاضة عنها بلفظة "ال خادم" ، مما يعني أن ليس هناك خلافة عند البروتستانت من بعد رسل المسيح (ع) ومن ثم لا حاجة عند هم لتتصيب الخليفة .

مما تقدم يتضح أن المسيح هو رئيس الكهنة الذي يشفع للمؤمنين ، لذلك لا يحتاج المؤمنين إلى رئيس كهنة "خليفة" كي يكون ممن ينظر إلى الانسان كوسيط بينه وبين الله⁽¹⁾ ، ((لأن المسيح وسيط بين الله وبين الناس))⁽²⁾ فمن ينظر إلى أي انسان كوسيط بينه وبين الله فهو بالتالي يدخل في دائرة بعيدة عن كلمة الله⁽³⁾

ثانيا: الكهنوت عند الكاثوليك والارثوذوكس:

والكهنوت عند باقي الطوائف المسيحية من كاثوليك وأرثوذوكس يعتبرون ان جذور الخدمة الكهنوتية يمكن ايجادها في رسالة يسوع الذي كان يجول المدن والقرى مبشرا بملكوت الله وبالتوبة الضرورية للدخول فيه⁽⁴⁾ وعند تتبع سر الخدمة الكهنوتية تبين من خلالها على كيفية تعيين الخليفة عند هذين الفريقين :

1 - ففي اثناء رسالته اختار من بين تلاميذه الاثنى عشر رسولا وأعددهم أعدادا خاصا وأرسلهم للتبشير وشفاء المرضى⁽⁵⁾ .وتقوم دعوة الرسل على أنهم مرسلون من قبل السيد المسيح، كما انه هو مرسل من قبل الأب بقوة الروح القدس، فمن يقبلهم يقبل المسيح ، ومن يقبل

(1) عماد عبد المسيح ، مفهوم الكهنوت الكتابي، شبكة المعلومات ، الأنترنت ، مقتبس من، موقع:

<http://www.Arthothour.com.org>

(2) ظ:العهد الجديد، رسالة تيموثاوس الأولى ثيماتاوس الأولى، 2: 5.

(3) ظ: م.ن الرسالة إلى العبرانيين 8: 6.

(4) الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والانسان المعاصر (الأسرار والحياة الأبدية) ، ط4 ، 2003، منشورات المكتبة

البولسية ، لبنان ، بيروت، ج3 ، ص 281.

(5) ظ: العهد الجديد، انجيل مرقس 3: 14 ، 6: 7.

المسيح يقبل الأب الذي أرسله ، ويقومون بالأعمال نفسها التي يقوم بها المسيح . والمسيح سيكون معهم ، حضوره سيتم بواسطة الروح القدس⁽¹⁾ .

2 - وفي الفترة التي قام الرسل في أورشليم (30 - 43) في ما يخص الخدمة في الكنيسة من خلال تعيينهم للقيام بأعباء الخدمة الكنسية "الخلافة" .

3 اختاروا اولاً الرسول الثاني عشر لإكمال عددهم الثاني عشر لقتل يهوذا ومجيء متياس عوض يهوذا ، والطريقة التي قاموا بها لتعيين هي الاختيار بالقرعة والتي تشير إلى انها اختياره هو من الله نفسه⁽²⁾ .

4 - تعيينهم سبعة شماسة للاعتناء بفقرء وهذا التعيين تم بالصلاة ووضع أيدي الرسل عليهم ((وأقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيدي))⁽³⁾ .

مما تقدم يتبين أن التعيين كان لاكمال العدد الناقص من خلفاء المسيح الاثنى عشر ، أما التعيين الثاني فهو جاء لغرض التنظيم الإداري للكنيسة لادارة أمور المؤمنين المالية والإدارية والاجتماعية. ويضيف الفكر المسيحي ان هناك صفات وشروط لابد من توافرها لمقام خليفة السيد المسيح وهي كالاتي :

الصفات والشروط الاخرى التي يجب توافرها لخليفة السيد المسيح:

1. يجب أن يكون ممن كانوا مع المسيح منذ المعمودية يوحنا إلى صعود المسيح، وفي تلك الفترة وقعت كل الاحداث المتعلقة باعمال التبشير جاء في العهد الجديد ((ونحن فينا رجال رافقونا طوال المدة التي قضاها يسوع بيننا منذ أن عمده يوحنا إلى يوم ارتفع عنا))⁽⁴⁾ .

2. أن يكون قدوساً مثل عيسى عليه السلام ، الذي لم يأتهم ولم يطلب غفرانا لنفسه بل قال : ((من منكم يبكتني على خطية))⁽¹⁾ ، ويقول: ((إن ذهب أرسله اليكم ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة))⁽²⁾

(1) م.ن، انجيل يوحنا 20 : 22 ، انجيل لوقا 4 : 48 - 49 ، ظ: أعمال الرسل 1 : 6 .

(2) العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل 1 / 15 - 26 ، وظ: اللاهوت المسيحي ص 282 .

(3) م.ن 1 : 1 - 6 .

(4) م.ن ، أعمال الرسل، 1 : 21 - 22 .

3 أن يمكث إلى الأبد فقبل أن يصلب المسيح قال لتلاميذه ((أنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا⁽³⁾ آخر ليمكث إلى الأبد ويذكركم بكل ما قلته لكم))⁽⁴⁾.

4 أن يرسله المسيح(ع)وأن يشهد لا نفسه بل للمسيح الذي أرسله يقول العهد الجديد((متى ماجاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم من الأب ومن الحق من عند الرب ينبثق فهو يشهد لي))⁽⁵⁾.

5. وتعد صفة الرسول موهبة من الواهب التي يمنحها الروح القدس للكنيسة⁽⁶⁾.

6. وهذه الصفة تكون عادة مصحوبة بآيات وعجائب⁽⁷⁾.

7. أن يأتي بقوة روحية وبمحنة يغزو بهما قلوب الناس ، يقول العهد الجديد: ((وها أنا

أرسل إليكم موعداً أبي فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى))⁽⁸⁾.

8. لا يعرفه إلا أتباع المسيح ((عن جميع ما ابتداء يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي

ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم))⁽⁹⁾.

9 أن يكون ممثلاً بروح القدس⁽¹⁰⁾.

10 - أن من صفات الرسالة المسيحية الرسمية هي الكهنوت فالأثنى عشر وحدهم حضروا

العشاء الرباني ألداعي وأمرؤا بتجديد قربان الرب إحياء لذكراه⁽¹¹⁾

(1) م.ن، يوحنا : 8 : 46.

(2) م.ن ، 7 : 11.

(3) المعزي في الفكر المسيحي هو الروح القدس، ط:شارل جنبيير، المسيحية نشأتها: 132، وظ:عرفان عبد الحميد، النصرانية:ص76 .

(4) العهد الجديد، انجيل يوحنا 14 : 26.

(5) ط:العهد الجديد، انجيل يوحنا 15 : 26.

(6) ط: م.ن، رسالة بولس الاواكور 12 : 28

(7) 2كور 12 : 2.

(8) العهد الجديد: لوقا 24 : 49.

(9) العهد الجديد، رسالة بولس لاهل كورنثوس ،وظ: أعمال الرسل، 4 : 8 ، ط: أعمال الرسل 1 : 8.

(10) ط: م.ن، سفر أعمال الرسل 5 : 2.

(11) يوسف درة الحداد، فلسفة المسيحية : 181 - 182.

فالمؤسسة الرسولية الأساسية هم الاثنى عشر التي بنيت الكنيسة ((أورشليم الجديدة)) ولسور المدينة اثنا عشر أساسا، عليها اثنا عشر أسماء هم أسماء رسل الحمل الاثنى عشر⁽¹⁾. ولذا فيوحنا فيوحنا آخر الرسل عهدا بتدوين الوحي الإلهي لا يعترف باسم رسول بالمعنى الحصري إلا للاثنى عشر صحابة المسيح*.

وهذا لايعني إن الخلافة لاتكون إلا بمن حضر العشاء الرباني الوداعي وهي بذلك محصورة بذلك الجيل فقط، بل الخلافة امتدت لتابعي الخلفاء الذين نصبوهم الرسل (الخلفاء) ليكونوا خلفاء من بعدهم فالنصوص الإنجيلية تذكر بان بطرس عين خليفته لينوس من بعده وان بولس قد عين ورسم السيامة لاسقف افسس خليفته (تيموثاوس) في تلك المدينة، وهو لايمثل أسقف كنيسة محلية، بل أسقفا بعنوانه الشامل وكذلك فانه قد عين ورسم السيامة لأسقف كريت خليفته (تيطس) ، ويذكر المفكرون المسيحيون إن خلفاء بطرس انتخبوا وفق إجراءات التي عمل بها لتعين خليفة بطرس لان في ذلك الوقت كان بطرس قد استشهد.

ويتبين من خلال مخطوطات قمران ان بولس وجماعته لم تكن وفق ماتم التعامل به مع معلم الصدق ، فبولس كان دائما على خلاف مع بطرس وفرقته لذا فان الحديث عندما يذكر بخليفة بطرس وبالتحديد منذ زمن استشهاد بطرس سواء كان هذا الخليفة لينوس أو غيره لايتطابق بتاتا مع ماتذكره المصادر والوثائق القمرانية المكتشفة، إلا إن بولس استطاع بغزارة علمه ودهائه ان يغير ديانة السيد المسيح ويتحكم بمقدراتها من الشريعة والعقيدة وغيرها مع الاخذ بنظر الاعتبار عنده انه لم يخرج خليفة السيد المسيح من دائرة تغييراته لرسالة السيد المسيح(ع)، لذا فان بولس عندما يختار لايسمي الخليفة من بعده خليفة بولس على الاطلاق بل الذين يختارهم يعتبرون خلفاء لبطرس. لذا كان الفكر المسيحي يذكر دائما على ضرورة تسلسل الاكليروس من زمن الرسل الاثني عشر وذلك لبيان حاجة المؤمنين للكنيسة ولما كانت الكنيسة قد اوصى بها السيد المسيح واوصى بها خليفته بطرس باتفاق الفكر المسيحي وهذا العهد والتتصيص هي لادراك السيد المسيح لاهمية وجود راع ينظم شؤون الكنيسة ومجتمعها المؤمن .

(1)العهد الجديد: سفرالرويا 21: 14.

* من هنا قامت مشكلة بولس كرسل بالمعنى الحصري ، ظ: يوسف الحداد ، فلسفة المسيحية ، 182.

ويبدو لي ان هذه الضرورة قد انحرف مسارها من حيث الاختيار للشخص وجاءت بمدّعين للخلافة ،اما الخلفاء الشرعيين فانهم ،من جراء الضغوطات والممارسات التي استخدمها ضدهم اليهود وعلى رأسهم بولس الذي ادعى زورا وبهتانا انه شاهد المسيح واخبره بان يبدأ بصفحة جديدة من خلال انفتاحه على الوثنيين والغاء الناموس وأحكامه وغيرها من الامور التي لايعقلها أي عاقل من قبيل التثليث والتجسد والختان ،أضف إلى ذلك هناك عدو آخر للخليفة الشرعي وهي الإمبراطورية الرومانية، كل هذه الامور دعت الخليفة الشرعي ان يحفظ على البقية من اتباع معلمه وسيده وهاجروا الى مناطق بعيدة عن اورشليم ونظموا انفسهم حسب دين السيد المسيح(ع).

الحادي عشر: . وقد يكون من تابعي المسيح كما هو الحال، عندما اختار الرسل بقيادة بطرس بديلا عن يهوذا ليكملوا عددهم الرمزي الذي أراده السيد المسيح نفسه، يقول بطرس : ((فيكون شاهدا معنا بقيامته))⁽¹⁾،ولهذا تم اختيار متياس .

إن الذين يؤمنون بيسوع المسيح ويقبلون الملكوت يكونون جماعة يدعوها العهد الجديد(الكنيسة) ،وهذه اللفظة لا ترد إلا مرتين في الإنجيل⁽²⁾ بينما ترد(20) مرة في سفر أعمال الرسل، و(60) مرة في رسائل القديس بولس ،لكن الإنجيل يرينا يسوع يعد ،في أثناء حياته جماعة يدعوها المفكرون المسيحيون الجماعة الماسيوية(أي التي أرادها الله لزمان مجيء الماسيا، أي المسيح،وهذه الجماعة تؤمن أن يسوع هوالمسيح المنتظر،وتتفتح على ملكوت الله، فتتحقق فيها نبوءة دانيال النبي عن قديس العلي الذين يأخذون الملكوت الذي أقيم ابن البشر سيديا عليه⁽³⁾).

لقد جمع المسيح حوله تلاميذ وظل يعلمهم ويتقهم ويكشف لهم((أسرارملكوت السموات)⁽⁴⁾، ومن بين هؤلاء عين يسوع اثني عشر رسولا⁽⁵⁾، ليكونوا معه ويرسلهم للكراسة⁽⁶⁾ وقد علمهم طرق الرسالة⁽⁷⁾،وأولية الخدمة في علاقاتهم بعضهم مع بعض⁽⁸⁾.

إن يسوع باختياره اثني عشر رسولا لم يرد انشاء مؤسسة دينية إلى جانب المؤسسات القائمة في إسرائيل، بل أراد جمع كل الشعب الإسرائيلي بقبائله الاثني عشر شعب الله الجديد⁽⁹⁾، وهذا ما يعنيه رقم (الاثني عشر) عشر) الذي اختاره لرسالته، وقد حرصوا عليه ، بحيث ان أول عمل قاموا به بعد قيامة المسيح (يسوع) كان اختيار متيا ليكون الرسول الثاني عشر عوضا عن يهوذا⁽¹⁰⁾.

تعيين الخليفة من بعد آخر الرسل (كيفية تعيين الآباء الأولون والبابا)

(1) العهد الجديد، متى 16 : 18 ، 17 : 17.

(2) الأب سليم بترس : اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، 2 : 201 ، ط: 3 : 200 منشورات المكتبة البوليسية ، شارع القديس بولس ، بيروت، لبنان .

(3) ط: العهد الجديد ، سفر دانيال دا 7 : 14 - 27. متى 13 : 11 ، وقد دعاهم بالقطيع الصغير ، لوقا 12 : 32 ، فقد عرفهم بأنه الراعي الصالح ، ط: يو 10 ، والذي جاء ليجمع في الوحدة أبناء الله المتفرقين يو 11 : 52 ، كخراف ضالة ، متى 24 ، ط: متى 9 : 36.

(4) م.ن ، انجيل متى 13

(5) ط: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، الأب سليم بترس، 2 : 201.

(6) ط: مرقس ، 3 : 14 - 19.

(7) ط: مرقس 6 : 6 - 11.

(8) ط: م.ن 9 : 35.

(9) الاب سلسم بترس، اللاهوت المسيحي المعاصر، 2 : 202.

(10) ط: العهد الجديد، أعمال الرسل، 1 : 15 - 26.

بعد أن أسس الرسل وأشادوا الكنيسة سلموا إدارتها الاسقفية إلى لينوس⁽¹⁾ وقد خلفه من بعده انا كليتوس ثم آلت الأسقفية في المرتبة الثالثة بدءا من الرسل إلى كليمنضوس الذي رأى الرسل أنفسهم وخاطبهم ، وكان لا يزال يحفظ مراكزهم في أدينة .

أن تعيين الخليفة في الشرق يختلف عنه في الغرب ، لذا فإن الشرق المملوء بالأحداث والممزق بحكم وضعه رغم جهود سلطة الأباطرة فيه وقد باعد بين الشرق والغرب لوجود بون شاسع استمر اطرادا ومع ذلك فإن رومه لها دور متميز بفضل دعم السلطة السياسية مما جعل من البابا عند رومه فرض المفهوم بحديث (الحكم والقاضي ، في الإيمان لقويم) .

إن اسقف رومه ترد إليه من أولية كنيسته التي تدين بها إلى ما وصفته فيها شهادة بطرس وبولس المجيدة، اذن فالسلطة الخاصة به ليست له إلا بسبب امتيازات كنيسته المحلية.

ان تسمية اسقف رومة بـ(خليفة بطرس) سوف تجوب القرون ،كما ان دستور المجمع الفاتيكاني الثاني بصلتها بلقب الحبر الروماني في فصوله الأكثر أهمية⁽²⁾ .

يدعي الفكر المسيحي عموما إن أسقف الكنيسة قد اسسها بطرس وبولس سواسية .((فقد جمعتهما دعوتهما، وما شابه بينهما عملهما وساوى في ما بينهما موتهما)) ان هذا الاسقف يخلف بطرس ولكن عليه أن يضع خدمته الاسقفية في انسجام مع " ما يناله "من بولس بواسطة كنيسته،هذا هو الفرق البسيط والليتورجية نفسها،حتى في الشرق فانه تحمل صبغة هذا الوضع.

ويجد الباحث ان الطوائف المسيحية الأخرى ومنها الارثوذكس يعتبرون بطرس هو الأول بين الاخوة المتساويين فالكنائس الارثوذكسية هي كنائس بطرياركية يعتبرون وحدة البابا هو مثل بطرس ولكن بطرس ليس وحده الرسول وانما هناك اثني عشر رسولا⁽³⁾ .

لقد ظهرت أول كنيسة هي في اورشليم وهي الأكثر شأنا للمسيحية لكنها لم تحصل على الأولوية علما ان البند السابع للمجمع النيقاوي لم يمنح كنيسة المدينة المقدسة سوى أولية شرفية.

(1) يذكر بولس في رسالته إلى تيموثاس ، وظ: خوان داثيو ، معجم البابوات ، نقله للعربية انطوان سعيد خاطر ، ط1 ، 2001 ، منشورات دار الشرق ، بيروت، وظ: المطران انطوان طربية، الأسقف بين الأمس واليوم،: 35.

(2) يذكر بولس في رسالته إلى تيموثاس ، وظ: خوان داثيو ، معجم البابوات ، نقله للعربية انطوان سعيد خاطر ، ط1 ، 2001 ، منشورات دار الشرق ، بيروت، وظ: المطران انطوان طربية: الأسقف بين الأمس واليوم،: 35.

(3) لقاء مع الدكتور الاب توما الدومنيكاني في كلية بابل الحبرية للاهوت ، بروفسور متخصص في الفلسفة واللاهوت.

أما سبب أولية كنيسة رومه المحلية، باعتقاد الفكر الكاثوليكي هي بسبب استشهاد بطرس وبولس فيها قد جعل ثمة موضع الشهادة الرسولية⁽¹⁾. بينما لا يعتقد الاورثوذكس بذلك ، وهو ما يعتقده البروتستانت.

بينما يجد المفكرون المعاصرون ان بطرس لم يستشهد في روما⁽²⁾

و يذكر المفكرون المسيحيون أن هناك سلطة تراتبية قائمة على هذا النحو : في القمة بطرس الرئيس الأعلى ودونه مرتبة الرسل الذين يدبرون ويرئسون ، ويوازيهم مساعدون انتقوا من بين التلاميذ الأولين ، وأخيرا جماهير المؤمنين التي تسمع وتطيع . والتكوين التراتبي للسلطة الدينية هو حاليا نفسه بشكل مماثل ، ففي القمة هناك ابو القديسين البابا، نائب يسوع وخليفة القديس بطرس الرئيس المرئي لكل الكنيسة ، أبو جميع المسيحيين ومعلمهم. ودونه مرتبة ، الأساقفة خلفاء الرسل، المكلفون بالرئاسة الروحية على الأبرشيات ، في ظل سلطة الأب القديس، البابا، يعاونهم الخوارنة والكهنة الذين هم أعوان الأساقفة ويعملون تحت إمرتهم لخلص النفوس البعض منهم كالخوارنة على رأس الرعايا، والباقون كالنواب والمرشدين أعوان لهم ، وفي الأخير ، يشكل المؤمنون البسطاء ، مثلما في القديم كتلة القطيع الموكل إلى عناية الرعاة⁽³⁾.

وإزاء هذه الرؤية للبابا وكأنه بديل المسيح . وهذا ما يبرر المنزلة العليا التي يعرف له بها . يتردد صدى التأكيدات التالية.

البابا هو نائب يسوع المسيح ، فعنده مهمة يسوع المسيح عينها ، والسلطان ذاته ، والمصير نفسه ، من تعلم وتقديس وعمل الخير والتألم⁽⁴⁾.

وأما خليفة القديس بطرس فانه يشغل محل يسوع المسيح على الأرض⁽⁵⁾، ولقد وضع الراعي الأزلي⁽⁶⁾ شروطا وصفات من خلالها اعتبار البابا معصوما من الخطأ، ويشير المفكرون المسيحيون إلى أن وظيفة الأساقفة في الأبرشيات تابعون ليس إلا ، لذا يصرح اكليرس بواتيه متوجها في الكلام إلى المطران ببيوس الذي نصب كاردينالا ((إن البابا بولس الثاني قد قال إن الحبر الأعظم يمكنه أن يكتفي بنور إنساني في الأمور العادية، وانه يعوزه نور ملائكي ، لدى انتقاء الأساقفة أما في حال انتخاب الكرادلة فيلزمه النور الإلهي))⁽⁷⁾.

(1) ظ:م.ن : 104

(2) ظ: غيزا، فيرم، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ص66 وظ: رستم، د.اسد، مخطوطات البحر الميت، ص231.

(3) ظ: غيزا، فيرم، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ص66 وظ: رستم، د.اسد، مخطوطات البحر الميت، ص231.

(4) م.ن ، وظ: رستم، د.اسد، مخطوطات البحر الميت، ص51.

(5) ظ:م.ن : 51.

(6) ويقصد به المجمع الفاتيكاني الأول.

(7) ظ: جان ماري تيار ، أسقف روما : 55.

إن الكنيسة المحلية "كنيسة رومة" منذ أن تأسست، وهي لا وجود لها مع ذلك دون أسقف عليها هذا الأخير، والكرسي الاسقفي قائم فيها وأيضاً، فانها هي التي تنتقي خلال القرون الأولى من سوف يتبواً عليه ذلك الذي يرسمه أساقفة الكراسي المجاورة، بمجرد ان تضمن بنفسها إيمان المنتخب ومزاياه.

إن التقليد الرسولي يهدف إلى أكثر من سلوك ديمقراطي لا معنى له في تلك الفترة عندما يرسم . في مطلع القرن الثالث ،معتمداً دون شك على عادة قديمة أن ((ليكرس أسقفاً ذلك الذي لا مأخذ عليه والذي أصطفاه الشعب كله، ويرضى الجميع ، يضع الاساقفة عليه الأيدي فنظراته نظرة مفهوم لاهوتي في الكنيسة ، يندرج ضمن الخط الذي أردها، كذلك هو الحال بالنسبة إلى لاون الكبير(في القرن الخامس) عندما يرجع بشدة صدى هذا القانون⁽¹⁾.

أما في الشرق وعندما تطور النظام في اتجاه (نوع من الانتخاب المشترك على مستوى المصنف الاسقفي) لم ينكر الشرع الكنسي أبداً ، رغم ذلك على الكنيسة المحلية ((حقها في المشاركة في انتقاء اسقفها))⁽²⁾ حتى في نصوص القرن الرابع فالكنيسة المحلية من حيث هي كذلك ، تبقى الأولى وتتصب حارساً للرسولية في شركة الكليس والعلمانيين لديها ، ويتعاقب على كرسيها الأساقفة ، وإذا يأخذ كل واحد منهم مكانه على (سدتها) بعد أن يكون شاغلو الكراسي المجاورة قد وضعوا أيديهم عليه، وسط صلاة الجماعة ،ويصبح حاملاً لتقليد هذا الكرسي ، مكلفاً في أن يقبله ، ويذود عنه، ويعمل على تنمية ويحفظه في الشركة مع جميع الكنائس وينطبق هذا الكلام أيضاً على العلاقة بين كنيسة رومه وأسقفها.

أن المفكرين المسيحيين أتبعوا مبدأ الشورى ولأزالوا على هذا النهج في تعيين السلطة الكنيسة العليا - البابا - فعندما يموت أي بابا فان كرادلة العالم المسيحي تجتمع في الفاتيكان لتنتخب أحد علماء المسيحية ليحل محل الباب وعندما يعلن عن فوزه فانه لا يجوز بعد ذلك عزله أو اعفائه كما هو الحال في نظام الحكم في الإسلام ونظام الحكم في اليهودية، والسبب في ذلك لأنه يعتبرونه ظل الله في الأرض

(1) يقول جان ماري تيار: " لدى انتخاب الحبر الأعظم ، ليتقدم على الكل من ينفق عليه الكليس والشعب ، فإن اختلف أصوات الفرق فلتقض المحكمة الكنسية بالأفضلية لمن يتمتع بثقافة أوسع وفضيلة أكمل . إلا انه يجب إلا يعرض شخص على أناس لا يريدونه لئلا تحتقر أو تكره المدينة أسقفاً لم ترغب به وخشية أن تفقد من تدينها إذا لم ينح لها الاسقف الذي تريد". وفي رسالة دونت عام 445 يجعل القديس لاون الكبير كمبدأ إن كل من يحكم على الجميع ، ينبغي أن ينتخبه الجميع" وفي حالة شعور الاسقفية يدعى المؤمنون إلى تقديم اقتراح ، ويشرع الكليس بعدها بالانتخاب ، وهكذا فامتثالاً للرسوم ، البابوي ، ويشترط المجمع المنعقد في كليومون عام 535 انه "يتوجب على الاسقف أن ينتخبه رجال الكليس والشعب ، مع موافقة المتربوليت ع ليه" مستعيداً بذلك صيغة خص بها مجمع اورليان الثاني (المنعقد عام 533) المتربوليتين وحدهم دون غيرهم ثم ان مجمع أورليان الثالث المنعقد عام 538ايضا لهذه القعدة التي لن يدعها الحق القانوني تقع في الزوال وبعد مرور خمسة قرون يعلن Barchardde worms انه لا يمكننا اعتبار الذين لم ينتخبهم رجال الكليس اساقفة ، وحتى اولئك الذين لم يلتمس الشعب تكريمهم ، أو الذين لم يرسمهم اساقفة معاونون بعد الأخذ برأي المتربوليت، ط:جانماري تيار، اسقف روما: 95 نقلا عن Epist. 14, 5cp15, 673.

(2) ط: العهد الجديد، اسقف روما : 96.

إضافة إلى ذلك فإنه يعتبر ممثل المسيح وخليفته وهو معصوم عن الخطأ فلا يجوز إبداله عند الكاثوليك إلا عندما يعزل بالموت وعدم خضوعهم لأي قرار يتضح من إصدار القرار للملك لويس الخامس عشر سنة 1777م قانوناً في مقدمته ((إننا لم نتلقى التاج إلا من الله فسلطة القوانين من اختصاصنا وحدنا ولا يشاركنا في ذلك أحد، ولا نخضع في علمنا لأحد))⁽¹⁾ أما البروتستانت فان إدارة الطائفة تنتخب مدينا من قبل السلطات الدينية غير المقدسة لتعين مجموعة تدير شؤون الكنيسة البروتستانتية⁽²⁾، أما الكنيسة القبطية والشرفية فانها تمارس نفس الصلاحية التي تقوم بها الكاثوليكية في الفاتيكان حيث انها تمارس لغاية وفاته⁽³⁾. لذلك فان مجالس الفاتيكان أو المجمع الكنيسة هي مركز الشورى المسيحي إلا انها شورى محددة بالعلماء وقادة الدين منهم.

ويتولى البابا منصبه عن طريق الانتخاب من قبل الكرادلة ولانتخاب البابا طقوس خاصة حيث يجتمع الكرادلة في الكنيسة في الفاتيكان ويبقون فيها حتى انتخاب البابا الجديد ويعلنون عن ذلك عن طريق دخان أبيض يتصاعد من المدخنة أما في حال فشلهم في انتخابه فيتصاعد دخان أسود بدل الأبيض⁽⁴⁾. وتجري الانتخابات الآن وفقا لهذه الضوابط التي أصبحت تطبق منذ القرن السادس عشر الميلادي فعندما يموت البابا يخبر كبير الكهنة مجمع الكرادلة بخلو المنصب، ويدعون إلى اجتماع في مدينة الفاتيكان يعقد خلال مدة لا تتجاوز عشرين يوما بعد موت البابا وخلال ثلاثة أيام يتم انتخاب البابا عن طريق الاقتراع السري، وبعد اختيار شخص معين يسأى عن قبوله للمنصب فإذا استجاب يسأل عن الاسم الذي يختاره ويعلن الاسم لكل الكرادلة، ثم يعلن أكبر الكرادلة سنا الاختيار إلى الجمهور، ويقام تنويج رسمي للبابا فيما بعد⁽⁵⁾. والسلطة البابوية لا تتنازل إلا بالانتخاب، ولقد سبقت البابوية الامبراطورية في الجانب، فحددت في النصف الثاني من القرن الحادي عشر قواعد انتخاب البابوات⁽⁶⁾ فقد عمل البابا نيقولا (1059-1061) رغم مدته القصيرة على دعم الكنيسة ففي السنة الأولى التي تولى فيها البابا نيقولا سدة البابوية عقد مجمعا في روما ووضع القواعد اللازمة لاختيار البابوات، ومن هذه القواعد ان يتم اختيار البابا من بين رجال الدين في كنيسة روما نفسها، ويمكن اختيار البابا من كنيسة أخرى في حالة عدم تواجد الشخص المناسب في كنيسة روما، وأن يتم اختيار البابا عن طريق كرادلة روما وضواحيها السبع ثم يجتمع هؤلاء الكرادلة مع بقية الكرادلة والأساقفة لإقرار الانتخابات. ولا شك أن هذه القواعد قد قطعت خط الرجعة على

(1) محمد كامل ليلة، المبادئ والنظم، ص 252 .

(2) ينظر: الأديان المعاصرة: ص 81.

(3) ينظر: م.ن.

(4) ينظر: البابا، مقال مقتبس من الأنترنت، موقع موسوعة المعرفة الشاملة.

(5) ظ: موقع موسوعة المعرفة الشاملة.

(6) م.ن.

المتدخلين في شؤون الكنيسة وقد ورد في هذه القواعد انه إذا تم اختيار بابا بغير الطريقة القانونية يجب حرمان مثل هذا البابا ومن ساعده من رحمة الكنيسة⁽¹⁾.

لقد اشار الباحث ان في القرن العاشر تدخلت الأباطرة في شؤون الكنيسة بشكل لم يسبق له مثيل عبر القرون الوسطى منذ نشأتها إلا ان في القرن الحادي عشر ، وفي عام 1095 قام البابا نيقولاوس الثاني بتوضيح قواعد انتخاب البابا ، وأهمها انتخابه باختيار الكرادلة وحدهم ، ويكتفي سائر الاكليروس ، والشعب بإعادته بالهتاف للمنتخب الجديد فبدأ الكرادلة انطلاقا من هذا الوقت يقومون بورد خاص في الكنيسة والمقصود بهم أبرز الأعضاء في اكليرس رومه، من أساقفة منطقة رومة والمسؤولين عبر أكبر كنائس رومه والشمامسة السبعة المكلفين بإدارة شؤون الكنيسة، ولكن الامبراطور استاء من ابعاده عن التدخل في تعيين البابا وانتهدز قيام الأزمة ليعين مرشحه منافسا للبابا الذي اختاره الكرادلة⁽²⁾. وفي ذلك الحين عزم البابا غريغور السابع (1073 . 1085) على القيام باصلاح اخلاقي في عام 1074م⁽³⁾ .

ولم يميز غريغوريوس السابع بين الأموال التابعة للمنصب والمنصب نفسه، وكاد أن يعير اهتماما لمسألة هذه الأموال كان جل اهتمامه أن تكون الأسقفية مستقلة عن السلطة الزمنية ،وهذا تدبير جذري بدا أمرا جديدا في بعض جوانبه ، فلم يعد الشعب يشارك في الانتخابات كما كان في التقليد القديم وفي الوقت نفسه ، يقرر البابا حقه في هذا التصرف على نحو يؤكد سلطته على الكنيسة الجامعة وعلى الامراء بهذه القرارات البابوية⁽⁴⁾. فما كان من هنري الرابع (امبراطور المانيا) إلا ان عارض القرار البابوي الذي أفقده قدرا كبيرا من سلطته في بلد يعد فيه الاساقفة من أكبر الموالى، ونتج عن ذلك نزاع طويل بين الباباوات والأباطرة فأعلن هنري الرابع سقوط غريغوريوس السابع لكن غريغوريوس خلع هنري الرابع وحل رعاياه من قسمهم له بالطاعة، فتذلل هنري أمام غريغوريوس⁽⁵⁾ في كنوسا (1077) لاستعادة سلطته ، لكن غريغوريوس السابع مات، رغم ذلك في المنفى(1085) إلى أن مرت عشرات السنين حتى حلت المشكلة حيث عمل التفكير على ا لتمييز في المنصب الاسقفي ، بين المجال الروحي والمجال الزمني وعاد السلام على اثر إبرام معاهدة فورمس عام(1122) وانعقاد المجتمع اللاتيراني(1123) فتنازل الامبراطور عن سلطة تعيين الاساقفة ، التي كان يمز لها بتسليم العكاز والخاتم ، وقبل البابا أن يولي الامبراطور سلطته الدينية للأسقف بتسليمه الوسام ، وبالتالي يخضع الاسقف للملك في المجال الزمني ، وفي الوقت نفسه ثبت الاصلاح الذي قام به غريغوريوس السابع وخلفاؤه⁽⁶⁾. وان انتخاب البابا اليوم يتم بطريق

(1) النظم السياسية عبر العصور، 205.

(2) الأب جان كمبي: تاريخ الكنيسة ، 174.

(3) م.ن: 174.

(4) م.ن: 175.

(5) تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها،ص234

(6) ظ: الاب جان كمبي ، تاريخ الكنيسة ، ص176

الموكلين وهم الكرادلة وهم جمع كردينال وهم ممثلين الشعوب ويتم تعيينه من قبل البابا⁽¹⁾. ولقد مرت السلطة البابوية بفترات خلال الالفي سنة بشكل متفاوت فأحيانا يمتلك الباب السلطة البابوية الزمنية والدينية، فقد كان للبابا فوق الابطرة الحق في تعيين الملوك. واحيانا فصلت السلطة البابوية الزمنية واقتصرت على السلطة الدينية فقط عندما نجد ذلك في عام 1929 مع بيان ميلانو ، عندما رفع موسيليني السلطة البابوية الزمنية وصادر الاراضي والممتلكات وأعطى البابا فقط أراضي صغيرة جدا في الفاتيكان وأعطاه فقط سلطة روحية فحلت المشكلة بعد قطيعة دامت 100 سنة، وهناك اذن تداخل في السلطة البابوية الزمنية والدينية.

النتائج:

1- اتضح للباحث ان من اهمية وجود الخليفة أن نصرانية بطرس كانت الامة الوسط بين اليهودية الكافرة والمسيحية الغالية بقيادة بولس، ومن الامور الاخرى التي تبين اهمية وجود الخليفة:

أ- فبفضل وداعته وقيادته وحنكته وتواضعه الجميل استطاع أن يستوعب هذا الخلاف لكي يحافظ على وحدة الأمة، فضلا عن صيانة الدين، فهو لم ينس بما أوصاه السيد المسيح.

ب- يتبين ان أهمية وجود الخليفة انه عندما دعى بولس للتحرر من الناموس والديانة الموسوية، وذلك عندما طرد بطرس من روما عام 51، فالى القدس⁽²⁾ وسرعان ما تألب عليه بولس وأتباعه، وكون مسيحية جديدة، ودين جديد يدعو للتحرير من الشريعة بينما بقي أتباع السيد المسيح بطرس ويعقوب واخوته يقيمون التوراة والانجيل معا، وينادون بالإيمان بموسى، وعيسى، معا، ويرفعون شعار العماد والختان.

2- يتبين من خلال الدراسة ان لكيفية تعين الخليفة هناك تنصيب الهي لتتصيب الخليفة من خلال النصوص الانجيلية التي تبين بوضوح التنصيب والاختيار الالهي لخليفة السيد المسيح حيث ان هناك وجود إرادة من قبل السيد المسيح(ع) الصريحة في إنشاء الكنيسة من خلال النص الجلي الذي يظهر بوضوح إرادة السيد المسيح هذه، حيث يعترف بطرس الرسول، "وحسب اعتقاد الفكر المسيحي" وحاشا الله السيد المسيح من ذلك، بأن يسوع هو "المسيح ابن الله الحي" ويجيب يسوع على هذا الاعتراف بالتنصيب الالهي على الخلافة، تقديرا لما اعترف به بطرس، يقول النص: ((أجاب يسوع وقال له :طوبى لك يا سمعان ابن يونا، فإنه ليس اللحم والدم أعلننا لك هذا، بل أبى الذي في السموات وأنا أقول لك : أنت الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيسة...)).

⁽¹⁾ من الجدير بالذكر ان البابا بولس السادس عام 1964 صدر قانونا يمنع فيه الكردينال الذي تجاوز عمره 80 سنة لا ينتخب ولا ينتخب خوفا من وقوع الكنيسة في يد المسنين.
⁽²⁾ ظ: العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل، وظ: الدبس، تاريخ الشعوب المشرقية، ج3، 455.

3- اتفق المفكرون المسيحيون أن هناك صفات وشروط من خلالها يتم تعيين الخليفة قد ذكرتها النصوص الانجيلية وهذه الصفات والشروط توفرت لمقام الخلافة عموماً (خلافة السيد المسيح) عندما اختار رسله، ومنها:

أ- التنصيب على الخليفة.

ب- أن السيد المسيح (ع) عند اختياره لتلاميذه، قد ميّزهم عن الآخرين من نواحي عديدة اهمها أنهم أهل العصمة حيث ان العصمة في الدعوة ميزة الأنبياء، ولما كان السيد المسيح قد سلم سلطانه المعصوم "خلفائه" فإنه بهذا التسليم وحسب العقيدة المسيحية قد أختتم الانجيل.

ت- يعتبر الفكر المسيحي ان هناك شرط اخر لتنصيب الخليفة، وهي عملية "السيامة" وهي وضع الايدي على الخليفة المنتخب، ولقد تمت سيامة تيموثاوس أسقفا راعيا على كنيسة أفسس عند زيارة بولس لها بعد أسره الأول، وان انتخاب تيموثاوس راعيا لأفسس تم بناء على نبوءة الأنبياء في مجلس الكهنة والمعلمين في أفسس نفسها، وكان الرسامة عن طريق وضع أيدي الكهنة الأساقفة على رأسه.

ث- ويبدو من خلال الشرط الثالث ان الفكر المسيحي قد اعتمد كلياً على وصية بولس، والذي جعلها قانوناً تمسكت مسيحية بولس بها لحد هذا اليوم، لذا فان الخلافة انحرفت عن مسارها واخذت من اصحابها الشرعيين، لذا فالفكر المسيحي يعتقد إن الخلافة جاءت متسلسلة من خلال وضع أيدي الرسل على خلفائهم واستمر هذا الوضع لنوابهم وخلفائهم كما هو الحال مع بولس عندما اختير رسولاً، والمعروف ان اختيار بولس لم يكن عن طريق الخليفة الشرعي "بطرس" بل هو عن طريق اشخاص لم يعلن عنهم العهد الجديد.

4- يتبين بعد أن أسس الرسل وأشادوا الكنيسة سلموا إدارتها الاسقفية إلى لينوس عن طريق وضع الايادي وقد خلفه من بعده اناكليتوس ثم آلت الأسقفية في المرتبة الثالثة بدءاً من الرسل إلى كليمنطوس الذي رأى الرسل أنفسهم وخاطبهم، الى ان وصل الى عهد لاوي الكبير حيث تبدأ عهد تنصيب البابوات.

5- يتبين ان البابا يكون تنصيبه عن طريق الانتخاب من قبل الكرادلة .

6- يستنتج ان السلطة البابوية قد مرت بفترات خلال الالفي سنة بشكل متفاوت فأحياناً يمتلك البابا من خلال السلطة البابوية السلطة الزمنية والدينية، حيث كان للبابا فوق الاباطرة الحق في تعيين الملوك، كما جرى عند البابا غريغوريوس السابع، وأحياناً فصلت السلطة البابوية الزمنية واقتصر على السلطة الدينية فقط عندما نجد ذلك في عام 1929 مع بيان ميلانو.

المبحث الأول

الخلافة في الإسلام

مفهومها وأهميتها ومشروعيتها ودورها

يتناول هذا المبحث شيئاً من التفصيل حول خلافة الأنبياء من ناحية مفهوم الخلافة، فمن غير المعقول ان أكمل الشرائع السماوية وخاتمتها لا تحتوي على خلافة الهية، كيف والنبي محمد (ص) كان القائد الأعلى للدولة الإسلامية، حيث من خلال سير الاحداث، وصفات وسمات النبي (ص) يجد انه جسّد أعلى مستويات القيادة عبر التاريخ.

مفصلاً القول فيها من حيث ابراز التعريف اللغوي والاصطلاحي، ثم بيان اقسام الخلافة، بالإضافة إلى ذلك بيان أهمية وضرورة الخلافة ، فقد أولى الاسلام مسألة القيادة اهمية بالغة، وجعلها من صلب أهدافه وغاياته، وقد تمثلت اول ما تمثلت، بشخصية النبي الكريم محمد (ص)، ثم خلفائه من بعده.

ثم التطرق لمشروعيتها من خلال الأدلة التي تثبت خلافة النبي محمد (ص) ، عند الفرق الإسلامية ، ويتم تفصيل القول في بيان الرؤية التي تتساءل هل تقف القيادة الدينية والدينية التي تمثلت عند النبي(ص) فحسب ، ام يكون لها امتداد طبيعي بمعنى اخر هل تحتوي الديانة الإسلامية على خلافة امتدادية للنبي (ص)، قد حازت بصفات شبيهة لمثل تلك الصفات التي كان يحملها النبي ، وهو القائد الديني والديني ،وتلك الصفات قد شهد النبي محمد (ص) بنفسه عليها، بل وحرص على تنشئة الخليفة، ليكون حصن الإسلام من بعده ،ومن ثم إعطاء بيان للدور الذي لعبته الخلافة. فكان على البحث في خلافة النبي محمد (ص)، أن يحدد مفهوم الخلافة وأهميتها وضرورتها ودورها عموماً عند الفرق الإسلامية .

الفصل الثالث

خلافة الانبياء في الاسلام

المبحث الأول: الخلافة: مفهومها وأهميتها ومشروعيتها ودورها.

المطلب الأول/ مفهوم الخلافة.

المطلب الثاني/ أهمية الخلافة.

المطلب الثالث/ مشروعية الخلافة (الأدلة النقلية والعقلية).

المطلب الرابع/ دور الخلافة.

المبحث الثاني: الخليفة: اهمية وجوده وكيفية تعيينه.

المطلب الأول: أهمية وجود الخليفة .

المطلب الثاني: كيفية تعيين الخليفة .

المطلب الأول

مفهوم الخلافة

في هذا المطلب كان على الباحث ان يبين مفهومي الخلافة ، والامامة ، لغة واصطلاحا ، عند الفرق الاسلامية ، بالاضافة الى ذلك ، فانه سيبين في هذا المطلب اقسام الخلافة .

تعريف عام بالخلافة والامامة

اولا: الخلافة:

ويرى العلماء عند رجوعهم إلى الأصل اللغوي لكلمة خليفة انهم يجدون أن الخليفة في الاستعمال اللغوي، هو من يقوم مقام الأصل الذي ذهب كما يقوم الخلف بعد السلف .

لذا فان تعريف مفهوم الخلافة هو:

1- الخليفة لغةً : السلطان الأعظم ، و الجمع خلائف وخلفاء ، وخلفه خلافة كان خليفته وبقي بعده⁽¹⁾ ، وتأتي بمعنى النيابة عن الغير كما في الآية الكريمة ((وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ))⁽²⁾ وخلفته أيضا إذا جئت بعده ويقال : خلفت فلانا أخلفه تخليفاً واتخلفه أنا جعلته خليفتي ... واستخلفه جعله خليفته⁽³⁾.

ثانياً: الخلافة اصطلاحاً: يقول الراغب الأصفهاني ((هي النيابة عن الغير أما لغيبة المنوب عنه، واما لموته، واما لعجزه، واما لتشريف المستخلف. وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض⁽⁴⁾، قال تعالى: ((وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ))⁽⁵⁾. وقد ذكرت الخلافة في القرآن لتعبّر عن مفهوم في غاية سمو والرفعة وهو اصطفاء الله سبحانه وتعالى من ينوب عنه، ويقوم مقامه في تحمل مسؤولية إعمار الأرض وتسخير مقدراتها وخيراتها بل وكل ذرات الكون من أجل السير بالبشرية نحو سعادتها الحقيقية.

وفي تفسير قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا)⁽⁶⁾.

يقول السيد الطباطبائي: ان الخلائق جمع خليفة ، وكون الناس خلائق في الأرض هو قيام كل لاحق منهم مقام سابقه وسلطته على التصرف والانتفاع منها كما كان السابق مسلطاً عليه وهم إنما نالوا هذه الخلافة من جهة نوع الخلق وهو الخلق من طريق النسل والولادة فإن هذا النوع من الخلق ينقسم المخلوق إلى سلف وخلف⁽⁷⁾، فجعل الخلافة الأرضية نوع من التدبير مشوب بالخلق غير منفك عنه ولذلك استدل به على توحيده تعالى في ربوبيته لأنه مختص به تعالى لا مجال لدعواه لغيره⁽⁸⁾.

وللتقارب والترادف اللفظي ما بين الخلافة والإمامة، كان على الباحث ان يتطرق لمفهوم الإمامة ، لبيان وتوضيح، المقصود منها.

(1) الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط : 1044، ط2، مؤسسة الرسالة - تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة.

(2) سورة الأعراف: 142.

(3) لسان العرب: ابن منظور، 9: 83، دار صادق للطباعة والنشر، بيروت، 1388 هـ - 1968م، مكتبة صادر، وظ: عبد الكريم الخطيب: 339 الخلافة والإمامة ديانة وسياسة : ، ط1، 1383 هـ - 1963م، دار الكتاب العربي، مصر.

(4) ظ: سورة فاطر : 39.

(5) سورة هود: 57 ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني : 294 ، تحك صفوان عدنان داودي ، طبعة دار القلم، دمشق ، 1412 هـ - 1992م..

(6) سورة فاطر: 39.

(7) السيد الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: 17: 52، ط1، 1417هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، لبنان، شارع المنار، 1997م.

(8) م.ن.

2- الإمامة : فبالنسبة لمفهوم الإمامة هناك أوجه اختلاف وتشابه عند الفرق والمذاهب الإسلامية لذا فالإمامة هي:

أ- الإمامة لغة: قال الجوهري: أمتت القوم في الصلاة إمامة، ويؤتم به: اقتدى به، والإمام الذي يقتدى به، وجمعه أئمة وأصله أمة على فاعله، مثل إناء وأنية وإله وآلهة⁽¹⁾.

ب- في الاصطلاح: فقد عرفها المرتضى بأنها الولاية العامة على جميع أمور المسلمين⁽²⁾ وهو أعلى منازل الدين بعد النبوة⁽³⁾ وعرفها العلامة الحلي: هي خلافة شخص من الأشخاص للرسول صلى الله عليه وآله ((في إقامة قوانين وحفظ حوزة الملة على وجه يجب إتباعه على كافة الأمة))⁽⁴⁾.

ويقول أبو الحسن الماوردي ((الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وساسة الدنيا))⁽⁵⁾. يتبين من تعريف الإمامة أنه لا يوجد فرق جوهري بين تعريفاته حيث أنها تشترك في اعتبار منصب الإمامة الذي يتمثل في رعاية شؤون المسلمين وذلك إذا ما توفرت في شخص لديه صفات معينة يكون مؤهلاً لهذا المنصب⁽⁶⁾.

ومن الملاحظ ان هناك فرق بين الإمامة والخلافة عند المذاهب الإسلامية.

الفرق بين الإمامة والخلافة :

فقد اختلف علماء المذاهب الإسلامية إلى فريقين:

الفريق الأول: ويرى ان الإمامة ثابتة للإمام ، لا يمكن انتزاعها منه ، وهو ما ذهب إليه الأمامية⁽⁷⁾ مستدلين بذلك على ما يأتي: .

1. إن الإمام عليه السلام ، لا يمكن له أن يخلع نفسه عن الإمامة ، أو يتنازل عنها إلا انه قد يتنازل عن خلافته، وقد حصل ذلك للإمام الحسن عليه السلام (ت50هـ) عند تنازله لمعاوية ، عندما ترك حقه

(1) الصحاح: الجوهري: يراجع المجلد والصفحة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، يراجع المجلد والصفحة.

(2) الشافعي : الشريف الرضي: 118.

(3) م.ن: 169.

(4) الحلي: الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): ص2، ط2، 1388هـ، المطبعة الحيدرية.

(5) الماوردي: أبو الحسن: الأحكام السلطانية والولايات الدينية5، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1386هـ -

1966م، وينظر: م.ن المطبعة المحمودية ، مصر (د.ت) : 3.

(6) ط: الشمري، رؤوف رسالة ماجستير : الشريف الرضي متكلمًا، ص177.

(7) م.ن .

في الخلافة لقوله (فتركته لصالح الأمة) ⁽¹⁾، وكذلك لما تولى الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد، بجمعه بين الإمامة ونيابة الخلافة ⁽²⁾ .

لذا فالإمامة بعد حصولها للإمام لا تخرج منه ⁽³⁾ .

2. إن الإمامة هي الولاية العامة على جميع أمور المسلمين كالأمور التشريعية ، بينما الخلافة : هي الولاية الخاصة على أمر المسلمين كالأمور التنفيذية .

3. الإمام يجوز له أن يستخلف على جميع رعيته خلفاء فيجعل إليهم التصرف فيما إليه التصرف فيه من تدبير الأمور الحاضرة والغائبة ، وتولية الولاية، واستخلاف الخلفاء فيما نأى من في البلاد ⁽⁴⁾ .

الفريق الثاني: ما ذهب إليه بقية المذاهب الإسلامية ، من أنه لا يوجد فرق بينها ، فقد ذهب ابن خلدون في مقدمته ((وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة، في حفظ الدين وسياسة الديانة به تسمى خلافة أو إمامة والقائم خليفة أو إمام)) ⁽⁵⁾، ويقول القاضي عبد الجبار ((ولم يرو عن الصحابة ذكر الإمامة وإنما كانوا يذكرون الأمير أو الخليفة)) ⁽⁶⁾، ويعلل الشيخ أبو زهرة الترادف بين اللفظتين عند القائلين به بقوله:(وسميت خلافة، لأن الذي يتولاها يكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي في إدارة شؤونهم ، وتسمى الإمامة، لأن الخليفة كان يسمى إماماً ولأن طاعته واجبة ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه ، كما يصلون وراء من يؤمهم الصلاة) ⁽⁷⁾ فالنيابة عن الرسول 4 عند الفرق الإسلامية . عدا الأمامية . ليست مطلقة في مسائل الدين، بل لا تعدو أن يكون صاحبها حاملاً للشريعة ⁽⁸⁾ (فهو يحمل الناس على العمل بما أمر الله تعالى، وهو رئيس السلطة القضائية والإدارية والحربية والحربية ولكن ليس لديه سلطة تشريعية إلا تفسير الأمر أو اجتهاد فيما ليس فيه نص) ⁽⁹⁾ .

اذن فمضمون الإمامة المعصومة، كمضمون الخلافة، يشتمل على هذين الأمرين ولكن الكلام في أن (الإمامة المعصومة) أو (الخلافة) هل تتقو بهما معاً، بحيث اذا فقد أحدهما تزول صفة (الإمامة المعصومة) أو (الخلافة) عن الشخص الفاقداً لأحدهما، أو انهما تتقوم بأحدهما ويكون الآخر تابعاً له

⁽¹⁾ الشريف المرتضى تنزيه الأنبياء ، علم الهدى: 172 - 174 منشورات الشريف الرضي ، قم - إيران، إيران.

⁽²⁾ م.ن: 179.

⁽³⁾ م.ن: 172.

⁽⁴⁾ م.ن: 67.

⁽⁵⁾ ابن خلدون، المقدمة:ص191.

⁽⁶⁾ القاضي عبد الجبار: المغني : 20 ق1:ص121، وظ: الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية:ص5.

⁽⁷⁾ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية: 31، ط1(د.ت)، دار الثقافة العربية، القاهرة.

⁽⁸⁾ ظ : الشمري، رؤوف رسالة ماجستير : الشريف الرضي متكلماً، ص179..

⁽⁹⁾ أحمد أمين ، فجر الإسلام، 171 ، ط7، 1374 هـ - 1955م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة.

ومتفرعاً عنه أو ثانوياً وغير مقوم للماهية، بحيث اذا فقد مع بقاء الأمر المقوم تبقى (الامامة المعصومة) والخلافة ثابتة للشخص المتصف بالأمر المقوم، وان كان فاقداً للأمر الآخر المتفرع عنه.

وإذا كان الأمر كذلك فأَيّ الأمرين المذكورين هو المقوم للإمامة المعصومة عند الأمامية، وللخلافة عند الفرق الاسلامية، بحيث يدور وجودهما وعدمهما مداره وجوداً أو عدماً؟

وهل هو المنصب التشريعي الذي مجاله الإسلام والأمة، أو المنصب السلطوي الذي مجاله الدولة والمجتمع السياسي؟ لقد بحث الفقهاء الكلاميون المسلمون في واجبات ومسؤوليات الامام المعصوم والخليفة تجاه الاسلام وتجاه الامة، وفيما يتصف بالأولوية الأولى من هذه المهام والمسؤوليات والواجبات ومن هذه الأبحاث يظهر (فهم وعقيدة) الشيعة والفرق الاسلامية، الإمامة المعصومة والخلافة التي تتصف بالأولوية عند هؤلاء وهؤلاء ويعتبرونها جوهر وماهية الإمامة المعصومة والخلافة والعلة في تشريعها⁽¹⁾.

ومن خلال البحث والتأمل في أبحاث الأمامية والمذاهب الإسلامية المعقودة لشرح المراد من مصطلح (الإمامة المعصومة والإمام المعصوم) ومصطلح (الخلافة والخليفة) اختلاف جوهري وأساس بين مفهوم (الخلافة والخليفة) عند أهل المذاهب الإسلامية، من حيث المضمون والجوهر ومن حيث المهمة الأساس التي تتصف بالأولوية الأولى في مسؤولياتها ومهام وعمل الامام المعصوم عند الشيعة والخليفة عند المذاهب الإسلامية.

الملاحظ ان دلالة السنة المروية على ماهية وجوهر الخلافة معدومة عند المذاهب بحيث لا يمكن توضيح جوهر الخلافة وماهيتها كما هو الحال عند الفكر الأمامي بالنسبة للإمامة (الخلافة).

لكن من الواضح ان ما ورد عندهم في شان هذه المسألة يركز على مبدأ الطاعة من الشان السياسي التنظيمي، ولم يرد على الإطلاق ما يشير الى الاتباع في المجال التشريعي.

ولقد كان للامام المعصوم (ع) ، قدرة على الاحداث في الكون⁽²⁾.

(1) محمد حسن الرضوي: أسس النظام السياسي عند الإمامية : 30 .
(2) لتعريف الولاية التكوينية في اللغة ، ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 13: 63 - 364، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت، 1375 هـ - 1956 م، دار صادر للطباعة والنشر، وظ: ابن منظور: لسان العرب 8: 823 ، تح: عامر أحمد حيدر، ط1، 1426 هـ - 2005 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون ، وظ: لجوهري، الصحاح: حققه وطبعه شهاب الدين أبو عمرو ، ط1، 1418 هـ - 1998 م، ط2، 1424 هـ - 2003 م، دار الفكر، بيروت، لبنان: 2: 1832، وظ: هشام شري العاملي: الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة: 21 - 22، ط1، 1420 هـ - 1999 م، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، وظ: ضياء السيد عدنان القطيفي، الولاية التكوينية بين القرآن والسنة: 13، ط1، 1426 هـ - 2005 م، مطبعة مسرور ، إيران ، قم . ولتعريف الولاية التكوينية في الاصطلاح، ظ: السيد كاظم الحائري الإمامة وقيادة الأمة: 119، ط1، 1416 هـ - 1995 م، مطبعة باقري، من إصدارات مكتب آية الله السيد كاظم الحائري، وظ: هشام شري العاملي، الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة: ، ط1، 1420 هـ - 1999 م، دار الهادي للطباعة والنشر

ان الامامة المعصومة عند الشيعة الامامية تنقوم بالايولوجيا والتشريعات، وترتبط بهما ويكُونان ماهيتها ومن خلال هذه المهمة يكون مجالها الأمة، ولا ترتبط بالوضع السياسي التنظيمي، ومن ثم بالمجتمع السياسي الا بالدرجة الثانية، وبالتبع لما يشكل ماهيتها، وهو الاعتبار الاول .

مما تقدم يتبين ان بين الفريقين خلافاً جوهرياً مفهوماً في المراد من الإمامة المعصومة عند الشيعة الامامية والمراد من الخلافة عند الفرق الاسلامية الأخرى، حيث ان ما يقوم الامامة المعصومة ويكُون ماهيتها، هو كونها استمراراً للنبوة (من دون الوحي) بالنسبة الى الاسلام والأمة، وان ما يقوم الخلافة ويكُون ماهيتها هو الوضع السياسي التنظيمي للمجتمع السياسي والدولة، دون ان تتحمل مسؤولية الاسلام والأمة. لقد كان النبي محمد (ص) القائد الاعلى للدولة الاسلامية، حيث من خلال سير الاحداث، وصفات وسمات النبي (ص) يجد انه جسّد اعلى مستويات القيادة عبر التاريخ.

فاذا كانت هذه القيادة هي قيادة الهيئة نبوية، فلاشك في ان التأثير والتنسيق وضرب المثل الاعلى في الافعال والاقوال سيكون في اعلى مستوياته لكان شخصية النبي الالهية الكاريزمية.

وهذا الأمر يستدل منه الباحثون الى القول ان الخلافة على مراتب متعددة ودرجات متفاوتة أعلاها رتبة قيادة الأنبياء، مما يجعل ان سمات للخلافة أيضاً لها درجات متفاوتة هي الأخرى.

لذا فان الخلافة على مراتب متعددة من حيث الشدة والضعف فمنها:

1- الخلافة النبوية؛ وهي مرتبة ذات درجات متعددة كما ورد في النقل وايده العقل، فاولي العزم من الرسل اعلى طبقات الخلافة والقيادة لكونهم اعلى طبقات النبوة واصحاب الشرائع السماوية، ثم يليهم طبقات الأنبياء الأخرى كانباء مدينة او لقرية او لغيرها، مع كون هياولي القيادة في أولى نشأتها واحد في الجميع لكون مصدرها واحد هو الله سبحانه على سبيل الجعل، والواحد لا يصدر عنه الا واحد رتبة ومقاما، وأشدّها رفعة وشانا عند الله من حيث الكم، والكيف، والايين، والتمتّى، والوضع، والفعل، والانفعال، والإضافة بحسب النص الديني، هو النبي محمد (ص)⁽¹⁾.

والتوزيع: 22- 23، وظ: عبد الأعلى السبزواري ، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: 16 - 362، مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1402 هـ - 1982 م .
(¹) ظ: سورة الاحزاب: 40، وظ: سورة الاسراء: 252. وظ: الخامنئي، كتاب الولاية، ط1، بيروت، دار الهادي، 1994.

ان توفر الانبياء على صفات القيادة من الامور البديهية لمكان نبوتهم ، فهم يحملون سمات مشتركة وان اختلفت من حيث الشدة والضعف⁽¹⁾.

2- الخلافة الامتدادية، على مر التاريخ خلف الأنبياء والمؤسسين، من هم أشبه خلق الله بهم صفة وسمة، وكانوا يُعرفون بتعين الأنبياء لهم.

المطلب الثاني

أهمية الخلافة

يبين الباحث في هذا المطلب ضرورة الخلافة واهميتها، عند المسلمين .

فمعلوم أن النبوة ضرورة تقتضيها طبيعة الوجود الإنساني لما لها من أهمية في بيان أمور الشريعة على المستوى العقائدي والفقهية والأخلاقي ، ولما كان الله تعالى لم يجعل الخلد لبشر، استنادا إلى قوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)⁽²⁾ فإن العقل يحكم بالأبدية بخلافة النبي صلى الله عليه وآله الخاتم،

(1) علي بوسلمان: نظرية القيادة في الاسلام، ص98.
(2) سورة الزمر: 3

حفاظا على ديمومة العطاء الذي يمثل التراكم الجهادي للأنبياء عليهم السلام في سبيل هداية أقطامهم، وإلا فإن جهود الأنبياء(ع) ستذهب سدى، ولا معنى من بعثهم، الأمر الذي يعني فراغ الساحة من قائد يقود الخلق إلى الحق، وهذا ما اشار إليه الإمام الصادق بقوله (لولا الإمام لساخت الأرض)، من هنا جاءت أهمية وضرورة الخلافة.

فمن أهمية الخلافة، انها تمثل الدور التربوي لوجود الإمام كقدوة، ودوره أيضا في حفظ المجتمع وهدايته إلى السعادة الأبدية ، فان هناك حاجة فطرية وضرورية لوجود القائد في الحياة الاجتماعية، ولما كان الإسلام هو دين الفطرة الذي يتناغم في قوانينه مع حاجات الإنسان الاجتماعية والفردية، فانه من الضروري أن يلبي الإسلام هذه الحاجة الفطرية في الفكر الاجتماعي. إن الله عز وجل قد وفر كل ما هو ضروري في تكامل الإنسان، ونموه جسميا وروحيا، فكيف يمكن حرمانه من هذه الحاجة الفطرية العامة والحيوية⁽¹⁾، ويعد أصل الإمامة في النصوص الإسلامية روح الشريعة الإسلامية والقلب النابض فيها ، وان حذفه أو تهميشه سيجعل من الدين جثة هامدة لا حياة فيها ولا رمق.

أولا: أهمية الخلافة عند الأمامية

يقول النبي الأكرم (ص) ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية))⁽²⁾، ومن خلال هذا الحديث نكتشف أن الجاهلية كانت خواء من التوحيد والنبوة والخلق الإنساني ، وهذا ما يضيف على الحديث الشريف أهمية فائقة وحساسية بالغة لارتباط الجهل بالإمامة بالمصير الجاهلي.

(1) اللاري ، مجتبي الموسوي ،دراسة في أسس الإسلام ، ترجمة كمال السيد : 258 ، 1418 هـ - 1998م، مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم، الجمهورية الإسلامية في إيران.

(2) أحمد بن حنبل(ت241هـ): مسند أحمد بن حنبل: 3 / 96 ، ط1، 1413 هـ، 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وظ: صحيح مسلم: 7 : 120، منشورات دار الأفاق الجديدة - بيروت، وظ: الحافظ القاسم الطبراني (ت360هـ)، المعجم الكبير: تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ج1ص 46، ص 48، ط2، 1422 هـ - 2002م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

فالإمامة اختيار الفرد الأمثل من لدن الله ، ونصبه قُدوة للناس، وهاديا للأمة وهو ذلك الفرد الذي يتمتع بخصائص مثلى فلا يغلبه هوى، وهو يحكم فقط بشريعة الله فلا رأي له لأن المشرع الله عز وجل وهو الأمين على الشريعة فقط. ولما كان المشرع هو خالق الإنسان، المحيط بأسراره وطموحاته ومصالحه الحقيقية، والقائد فرد منتخب من لدن الله ، قد اصطفاه بعد أن حباه بالعلم والعصمة، فإنه سوف تكون هناك صعوبة قصوى في تصور حكومة في مثل هذا الإطار فتكون مستبدة .

ومن أهمية الخلافة والإمامة ، أن الإمامة ضرورة اجتماعية ، فإن أمة إذا لم يكن هناك من يسوّسها ويقودها فإن الفوضى ستسود حياتها وبالتالي ستكون عرضة للفناء.

ومن هنا فإننا نلاحظ وعبر مسار البشرية الطويل ظاهرة القيادة وهي تواكب التاريخ الإنساني⁽¹⁾.

وعلى هذا فإننا أمام حالتين لا ثالث لهما ، وجود الإمام أو عدمه والحالة الثانية ستؤول بالمجتمع إلى الزوال ، فتبقى إذن الحالة الأولى. وما دامت الإمامة والقيادة ضرورة اجتماعية يبقى النقاش حول خصائص القائد فيما أن يكون عالما عادلا لا تقيًا شعبيًا ، وبعبارة واحدة صالحًا وأما أن يكون ظالمًا فاسدًا شريرا أنانياً وبعبارة واحدة أيضا طالحا.

ومن المنطقي هنا أن العقل والضمير يرجحان الأول، على أن هناك اختيار آخر عندما نقف بين فردين أحدهما صالح والآخر أصلح فاضل وأفضل، وهنا نواجه مسألة الأفضلية وهي المسألة التي أثارت جدلا بين المذاهب الإسلامية فغالبية المذاهب الإسلامية عدا الإمامية يرون جواز إمامة المفضول بوجود الأفضل وهي رؤية تصدم مع المنطق العقلي، لأن العقل يرفض الترجيح دون مرجح، فكيف يمكنه قبول ترجيح المرجوح على الراجح. وتأسيسا على هذا يبقى طريق واحد فقط وهو وجود الإمام (القائد) الذي يتفوق على أهل زمانه في كل الخصال الطيبة.

لذا فرؤية الإمامية تتسجم ومنطق العقل والفترة والضمير⁽²⁾ ولا تتطوي هذه الرؤية على أية تحديد للحرية، ولا على أي استبداد ولا على أي شيء يتناقض ويصطدم مع موقف العقل.

إن مصدر الولاية والقدرات والسلطات ومنبع الصلاحيات هو منه تعالى ثم منه تعالى إلى النبي⁴ ومنه إلى المعصومين عليهم السلام أي إلى المهدي عجل الله فرجه وهذه الولاية فعلية له في عصر الغيبة وستارها وحجابها وعدم تصديه في الظاهر العالمي لا يعني عدم تصديه في الواقع الخفي ومن ثم تكون الصلاحية مفوضة للفقهاء والمجتهد نيابة محدودة غير بديلة عن ولايته . عجل الله فرجه . بل قائمة

(1) اللاري ، الموسوي، دراسة في أسس الإسلام : 261.

(2) اللاري ، الموسوي، دراسة في أسس الإسلام: 261 - 262.

بولايته . عجل الله تعالى فرجه وان الأئمة⁽¹⁾ من قبله رسموا شرائط خاصة لمن له تلك الصلاحية النيابية وإنهم فوضوا إحرار تلك الشرائط في المصاديق إلى الأمة ويشير إلى هذه الطولية قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)⁽²⁾ ومفاد الآية يشير إلى المراتب الثلاثة الأولى: أي ولاية الله وولاية الرسول وولاية المعصومين ويشير إلى المرتبة الرابعة النيابية قوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ)⁽³⁾ حيث جعل الأحبار في المرتبة المنشعبة عن مرتبة الرابانيين الوارثين للكتاب الإلهي، أي الأوصياء المعصومين .

مسؤولية الخلافة اتجاه الأمة:

ومن اهم الاختصاصات للخلافة والقيادة عند مذهب الامامية ان المعصوم يختص بالوصاية على المجتمع البشري وهذا الاختصاص مؤداه ان هذه المسألة العظيمة التي لا تفوقها مسؤولية سياسة أخرى لا يتأهل بالاضطلاع بها من لم يتوفر على العصمة في الجانب العلمي والعملية ويقود الى هذه النتيجة جملة من البراهين الحقوقية وفلسفات القانون المدرسية في أدبيات القانون الوضعي البشري، فضلاً عن الأدلة العقلية⁽⁴⁾. ومن ثم لو أردنا ان نستقرأ نفس الأنبياء، فالنبي ابراهيم (ع) قد جعله الله تعالى اماماً وهذا يخاطب به كل المسلمين حيث ورد النص بامامته، فلم لم يسع للخلافة الظاهرية بكل وسيلة كان فيها تفریط بالمبادئ، لا بمعنى السعي بمعناه المطلق والا فهم دائماً يسعون⁽⁵⁾.

يذكر المفكرون الاسلاميون ان لاهمية الخلافة مصلحة في النظام الاسلامي ، وهناك رؤية حول هذه المصلحة سواء فسرت بالوصول اليه أو بالمحافظة عليه، هل تسوغ ارتكاب المحرمات الأولية بقاعدة حكومة مصلحة النظام الاسلامي على الاحكام الأولية أم لا؟ لذا فان هناك بنود يذكرها العلماء لفهم القانون الالهي⁽⁶⁾.

فالحاكم السياسي أو الشرعي يجب عليه ان يتحفظ على الملاكات والاحكام الشرعية واقامتها بقدر الوسع المستطاع بتدبير يتكفل مراعاتها أجمع مع ما امكن الى ذلك سبيلا وبعبارة أخرى ان هدف الإسلام ان يغير الظروف الاجتماعية المريضة التي هو فيها لا أن يتأثر منه والا فان النظام الرأسمالي او النظام الشيوعي ضرورة عصرية فالضرورة عنوان فضايف لا بد أن يحدد ان كان يرجع الى بديهيات عقلية، وان كان يرجع الى نظريات علمية ويصادم الأحكام الشرعية الأولية فلا يعول

(1) السند ، محمد ، تقارير محمد حسن الرضوي، أسس النظام السياسي عند الإمامية : 30 - 31.

(2) سورة النساء: 59.

(3) سورة المائدة: 44.

(4) السند ، محمد ، تقارير محمد حسن الرضوي، أسس النظام السياسي عند الإمامية : 161.

(5) م . ن : 260.

(6) للمزيد من التعرف ظ: السند ، محمد ، تقارير محمد حسن الرضوي، أسس النظام السياسي عند الإمامية ص260.

عليه. وعلى ضوء هذا الأصل أي لزوم تحفظ الحاكم على الأغراض الشرعية والاحكام الأولية كان اللازم الفحص في الشبهة الموضوعية للحاكم لأن اقامة الأحكام واداء الأغراض الشرعية لا يتم الا بذلك لا ان يعالج هذه الموضوعات بعفوية وبالادراك السطحي الظاهري لها، بل عليه أن يفحص جوانبها وجهاتها درءاً عن التدافع بين الاحكام فضلاً عن التطبيق الخاطئ لها⁽¹⁾.

ولتحديد ومعرفة درجات الاهمية في الملاكات وموازنتها بعضها مع البعض وموازنة درجة التدافع بينها لاسيما بحسب اختلاف أفراد موضوعات كل منهم لا يتيسر الا للمعصوم واما غيره فليس له حظ من ذلك الا في موارد محدودة. وعلى ذلك فلايسوغ له الخوض في أعمالها بالتزني والتحدس⁽²⁾.

فمقتضى وترجيح الحكومة السياسية الظاهرة وولاية الحكم السياسي على كل الفروع هو موضوعيته الذاتية في قبال تلك الاحكام فلا يصح حينئذ تعليل أهميتها وثبوتهم بانه يتوصل بها الى اقامة الاحكام ولحفظ بيضة الدين لأن هذا التعليل يقتضي أهمية الغاية على ذي الغاية لا العكس⁽³⁾ مع ان مقتضى القول بأهمية الحكومة على كل فروع الدين هو كون الحكومة غاية بنفسها لا انها وسيلة للأحكام الشرعية فبين هذه الدعوى ودليلها تدافع بين وكيف يحتمل ان تكون الحكومة السياسية لغير المعصوم أهم من الحكومة السياسية للمعصوم التي وصفت في الادلة الشرعية بانها وسيلة لاقامة الحق في قوله(ع) في نهج البلاغ:(وا لله ليهي⁽⁴⁾ احب ألي من أمرتكم الا ان اقيم حقاً أو أدفع باطلاً)⁽⁵⁾ ولا يصح مقايسة ولاية غير المعصوم في الحكومة السياسية للمعصوم باصل ولاية اهل البيت (ع) وذلك لما اتضح من ان الحكومة السياسية للمعصوم هي احد شؤون ولايته لا كل ولايته وان الحكومة السياسية الظاهرة للمعصوم ليست في حد ودرجة أصل ولاية المعصوم فكيف بالحكومة السياسية الظاهرية لغير المعصوم.

والغريب التفسير للمصلحة الدينية بنفس الحكومة السياسية وبقائه ثم الاستدلال على ذلك بفعل أمير المؤمنين (ع) في الخمسة والعشرين سنة، حيث غض الطرف عن المواجهة⁽⁶⁾ المسلحة مع حكومة السقيفة لأجل عدم التفريط لمصالح الدين ، ووجه الغرابة ان معالم الدين اذا كانت أهم من الحكومات السياسية الظاهرية للمعصوم فكيف يكون هذا دليلاً على أهمية الحكومة السياسية الظاهرية لغير المعصوم على معالم الدين واذا فسرت المصلحة بالاحكام الأولية ومعالم الدين فكيف تفسر تارة أخرى بالحكومة السياسية الظاهرية مع ان الحكومة التي هي الضرورة فيها آلية لاقامة الأحكام الأولية فاذا فقدت حيثية الآلية مسخت وتبدلت ماهية الحكومة.

(1) م.ن: 275.

(2) م.ن.

(3) م.ن.

(4) أي النعل.

(5) نهج البلاغة خطبة 23.

(6) السنن ، محمد ، تقريرات محمد حسن الرضوي، أسس النظام السياسي عند الإمامية : 279.

ثم ان هذا الاستدلال المتدافع ينطوي على مغالطة أخرى أيضاً وهي تصوير ان حفظ معالم الدين والاحكام الاولية لا يتم الا بالحكومة السياسية الظاهرية الدينية مع ان التجربة التاريخية للمسلمين تكذب هذه الدعوى فان الحكومات السياسية المتعاقبة على المسلمين قروناً عديدة لم تكن دينية حقيقة وان تقمص جملة منهما باسم الدين ومع ذلك تم المحافظة على جملة مهمة من معالم الدين⁽¹⁾.

ويشير (ع) الى حكم العقل الضروري باقامة النظم والتدبير في الاجتماع السياسي البشري فهذا الحكم مما يقتضي به العقل بديهية وفيه:

ان هذا خلط ضرورة الحكومة واقامة النظام وبين تفاصيل جزئيات التدبير وتصرفات الحاكم فان ضرورة الحكومة وفعل النظم والتنسيق في التدبير والأمور لا يعني ضرورة جزئيات كل تدبير، بل ان مقتضى ذلك هو ضرورة التدبير في الجملة⁽²⁾ مما يحفظ النظم واتساق الأمور وهو لا يتوقف على مخالفة الأحكام الأولية بل الأحكام الأولية المفروض انها تشريع سماوي يُقيم النظم لا انه يشيع الفوضى غاية الأمر قد يقع التزاحم بين موضوعات التشريعات الأولية أو الورد ونحو ذلك فكيف يتصور ان تكون هناك مصلحة مدركة لم يعلمها الشارع الأقدس ويدركها البشر بعد فرض عدم كون الأمر الذي تعلق بذلك الفعل منحدرًا ومنشعبًا عن أصول تشريعية أولية وان الفرض كونه في عرضها هذا أولاً.

واما ثانياً فلأن ماهية الحكومة في علم القانون والعلوم السياسية والادارية والعلوم الإنسانية ليست الا تدبيراً لتطبيق الأحكام والقوانين الكلية. ثم ان طاعة الرسول لا تنفك عن طاعة الله كما ان طاعة الله تعالى لا تنفك عن طاعة الرسول، فطاعة أولي الأمر ليست منحصرة في الشأن العام وتدبير الحكم والسبب في هذا الوهم والخطب هو تفسير الأمر بالشأن العام مع لفظ الأمر قد ورد في رواياتهم (ع) تفسيره بنحو بين بمعنى (روح القدس) و(الروح الأمرى الإبداعي) كما في قوله تعالى ((تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر))⁽³⁾.

ان القيادة والتدبير الحكيم والحكومة هي من الضرورات المهمة في النظام الاجتماعي وقد استدلت الحكماء على ضرورة النظام الاجتماعي، حيث قالوا بأن الإنسان مدني بالطبع لا يتم وصوله الى كماله وسعادته الا بالتكافل الاجتماعي وتبادل الخدمات والصناعات والمهارات مع بني جنسه ولا يتم ذلك الا بالنظم والنظام الاجتماعي واقامة السنن والقوانين وتطبيقها واجرائها لحصول النظم⁽⁴⁾.

(1) م.ن: 280-301.

(2) ظ: م.ن ، 303.

(3) سورة القدر: 4، وينظر: سورة يس: 82، وينظر: سورة الشورى: 52.

(4) م.ن: 311.

ويتضح من هذا الدليل الذي صاغوه ان النظم بنفسه فعل راجح وكمال مطلوب ولعله اليه الاشارة في قوله (ع): وانه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في أمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاقل به العدو وتأمين به السبل ويؤخذ للضعيف من القوي حتى يستريح بل ويستراح من فاجر. وقال: (أما الامرة البرة فيعمل فيها التقى وأما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي الى أن تنقطع مدته تدرکه منيته)⁽¹⁾. وهذا التقريب يقضي بأن الحكم والحكومة والتدبير فعل مطلوب لذاته وانه من المهام الكبرى في مصالح الاجتماع البشري بل ليقاس بأهميته شئ كما في صحيح زرارة عن أبي جعفر (ع) قال: بني الاسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية⁽²⁾. فجعلت الولاية - بمعنى الحكومة - مفتاحاً، أي علة لاقامة تلك الأركان من الدين والوالي والحاكم هو المقيم لهن.

مما تقدم يتبين ان الحكم والحكومة هو من أهم الواجبات في الدين ويعتبر من الواجبات الركنية في الدين ولا يعدلها بقية الأركان فهي حكم اولي بنفسها وعلى درجة من الأهمية مقدمة على الأحكام الأولية الأخرى⁽³⁾ حيث ان التدبير والنظم انما يتحقق ويرسو بتطبيق القوانين والحدود لا بتضييعها فالحكومة والتدبير ليس الا اجراء وتنفيذ للأحكام والتشريعات الكلية وهو غاية الحكم والحكومة، فكيف يُفرض بالغاية في سبيل المقدمة ولا يكون ذلك الا نقضاً للغرض ((كَأَلَّتِي نَقَضْتُ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثٍ))⁽⁴⁾.

ان التدبير والحكومة اذا كان بنفسه ميزاناً وواقعية فهذا يقضي اما بصحة وكمال كل أنواع الحكومات البشرية بان الفرض ان كلها تحكم وتملك القدرة واما باستصواب بعضها والحكم بفساد الأخرى ولا يكون ذلك الا بفرض موازين واقعية حاكمة على النهج الحكومي وفعل السلطة، فاذا روعيت تلك الموازين أصبحت الحكومة صائبة والا تكون افسادا في الارض. وقد يحصل التزاحم والمدافعة بين الضرورات الأولية في النظام الاجتماعي وغايات الحكومة وبين الضرورات الكمالية اللاحقة المطلوبة في التشريع الالهي لتأمين السعادتين الدنيوية والاخروية للبشر وهنا ليس من دوران الأمر بين تلك الغايات الدنيوية من الحدود الالهية والحكومة بما هي هي كما قد يصور بل انما هو دوران بين الضرورات المعيشية المدنية والغايات التشريعية وهذا التدافع ليس بطبيعة الأشياء الأولية بل هو طارئ بسبب سوء التدبير في النظام السياسي الاجتماعي المدني وبسبب الاعراف والعادات الفاسدة المنتشرة في الظواهر الاجتماعية⁽⁵⁾. فمع اصلاح التدبير واصلاح الاعراف والعادات يتوسط سلسلة من العوامل والمناشئ يعود الونام والتناسب بين ضرورات المعاش المدني وبين غايات التشريع، بل ان طبيعة الاجتماع البشري الأولية تقتضي بفطرتها المسير نحو تلك الغايات اذا أريد لها الكمال والتكامل.

(1) نهج البلاغة: الخطبة 40.

(2) الحر العاملي وسائل الشيعة: ت 1104 هـ، تح: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، ج 1، كتاب الطهارة، ابواب مقدمات العبادات، ب 1، ح 2، 13 ط 1424 هـ، 2003 م، منشورات، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، بيروت، لبنان.

(3) السند، محمد، تقارير محمد حسن الرضوي، أسس النظام السياسي عند الإمامية: 312.

(4) سورة النحل: 92.

(5) ظ: السند، محمد، تقارير محمد حسن الرضوي، أسس النظام السياسي عند الإمامية: 313.

ان القائلين بحصر ولاية الأئمة المعصومين في التشريع في دائرة الحكومة والقوانين التنفيذية والاجرائية غفلوا عن أقسام الحكومة فان الحكومة وقدرة تدبير المجتمعات البشرية وسياسة العباد لا تنحصر في الحكومة السياسية العلنية المؤقتة، بل تعم الاشكال والانماط الأخرى من الحكومة كالحكومة الخفية، وكذلك دولة الظل وكذلك قدرة النفوذ في التيارات الاجتماعية والثقافية فضلاً عن قدرة بناء الحضارات التمدنية⁽¹⁾، فان هذه نمط من الحكومة على المجتمعات لا تحدّ بسنين قصيرة بل تتناول قروناً مديدة قد تبلغ محاذاة طول عمر البشر وهذا النمط بخصوصه من الحكومة الذي يؤسسه الأنبياء والرسل والأوصياء (وخلفاء الانبياء) تكون قوانين المشرعة فيها بمنزلة القوانين التشريعية الثابتة التي لا تتغير وبالتالي فصلاحيّة التشريع لديهم تندرج في اطار الاحكام التشريعية الثابتة وهذا وجه اختلاف ولاية وحكومة المعصومين عن الحكومة وصلاحيّة الفقهاء حيث قدرة غير المعصوم من ناحية العلم والمعلومات والاحاطة بالبيئات المختلفة وقدرة التدبر لا تصل الى عالم واحاطة وتدبير المعصوم (ع)، فان احاطة المعصوم ثاقبة للدوار الزمانية المتباعدة المتطاولة ون ثم امتنع تماثل صلاحية غير المعصوم لصلاحية وولاية المعصوم(ع)⁽²⁾. ولاهمية الخلافة كان لها عدة ابعاد ستطرق لها الباحث:

ابعاد الخلافة : ان للامامة⁽³⁾ عدة أبعاد مهمة منها:

الأول: ان الامامة هي هداية الناس الى الله تعالى من خلال تقدمهم في المسيرة الربانية عملياً وهذا ما أكدته مجموعة من الآيات الكريمة التي تحدثت عن الامامة وقرنت الامامة بالهدى⁽⁴⁾.

الثاني: ان الامامة عهد الهي الى عبادة الصالحين، كما تصرح بذلك الآية الكريمة ((قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))⁽⁵⁾، ويفهم ذلك من قوله تعالى (أني جاعلك للناس اماماً)، والسّر في ذلك ما أشرنا اليه من انها هداية بأمر الله تعالى ولذلك لا بد ان نفترض فيها جانباً من الاصطفاء والاجتباء من ناحية كما تشير اليه الآيات التي تحدثت عن الاصطفاء⁽⁶⁾، مثل قوله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)).

الثالث: ان الامام لا يمكن ان يكون ظالماً كما تصرح بذلك الآية الكريمة (لا ينال عهدي الظالمين) ولا بد ان يكون انتقاء الظلم عن الامام بدرجة عالية لما تقتضيه عدة قرائن حالية ومقامية ومقالية، تمّ تناولها في أبحاث التفسير⁽⁷⁾.

(1) ظ: م: ن: 314.

(2) ظ: م: ن: 315.

(3) ظ: قوله تعالى في سورة البقرة: 124.

(4) ظ: سورة الانبياء: 73.

(5) سورة البقرة: 124.

(6) محمد باقر الحكيم (قدس): الامامة واهل البيت (ع) النظرية والاستدلال، ط1، ص21.

(7) الطبطنائي (قدس): الميزان: 1: 273-274.

الرابع: إن هذه الإمامة هي إمامة عالمية وللناس جميعاً وليست خاصة بالقوم والجماعة أو المنطقة والإقليم بل هي للناس (أني جاعلك للناس إماماً...) (1) وهذا جانب آخر من تطور النبوة في مساحة عملها وحركتها الخارجية. ويبقى السؤال لماذا كان الضروري ان تستمر الرسالة الإسلامية من خلال الإمامة مع ان هذه الرسالة هي رسالة خاتمة فلماذا لم يكن هذا الاستمرار بهذه الصورة في الرسائل السابقة بل كان من خلال النبوات التابعة؟ أما عدم الاستمرار من خلال النبوات التابعة فلأن الاستمرار للنبوة في الرسائل السابقة كان أمراً طبيعياً وذلك للوصول بالرسالة والانسانية معاً الى مرحلة التكامل الرسالي والانساني فكان من الضروري ان يأتي أنبياء تابعون للرسالة الالهية كانت تتعرض الى التحريف فيها لدرجة تفقدها دورها الرسالي المطلوب من ناحية كما ان الرسائل لم تبلغ التكامل الرسالي المفروض الذي بلغته في الرسالة الخاتمة من ناحية أخرى (2).

ثانياً: أهمية الخلافة عند الفرق الإسلامية: يذكر المفكرون الاسلاميون ان أهمية الخلافة عند الفرق الإسلامية ، تظهر بأنهم يعتقدون انه لا قيام للدين وأحكامه على الوجه الأكمل إلا بها، ولا أمن ولا أمان للمسلمين ولديارهم من أعدائهم إلا بها، ولا رادع للظالمين وقاطعي الطريق إلا بها ، لذا فهم يستشهدون بالقول انه أثر عن النبي ﷺ أنه قال: " إن الله ليزع - أي ليردع - بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " (3). فالقرآن الكريم لا بد له من قوة وسلطان يحميه ويفرضه على الناس، ويرعاه ويتعاهد أحكامه وشرائعه.. فالقرآن وسيف السلطان يسيران جنباً إلى جنب يؤيد بعضهما البعض، وأيهما يتخلف عن الآخر فإن مسيرة الإسلام - لا محالة - سيعتريها الضعف والنكبات والانتكاسات ، وقال ﷺ: " إنما الإمام جُنَّةٌ يُقَاتِلُ من ورائه، ويُتقى به " (4). وعن أبي بكره قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه، أكرمه الله، ومن أهانه، أهانه الله " (5) فالسلطان المسلم العادل ظل الله في الأرض؛ والخلافة، والسلطان، والدولة وغير ذلك من معاني الشوكة والقوة كلها تدخل كوسائل مباشرة وهامة لتطبيق أحكام الله تعالى وشرائعه في الأرض، وبه تُحفظ حرمان الدين، وتعلو راياته، ويقولون لاشك أن الغاية الجوهرية من قيام الدولة الإسلامية هي إيجاد الجهاز السياسي الذي يحقق وحدة الأمة الإسلامية وتعاون أفرادها ، ويتابع تطبيق أحكام الإسلام وتنفيذها، ومراقبة سيرها التطبيقي في شتى مجالات الحياة وهذا لا يتم إلا بنصب الخليفة أو الإمام. وكما أن الله تعالى جعل هذه الأمة أمة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ (6)، والأمة الواحدة ينبغي أن يكون لها رأس واحد يجمعها على كلمة سواء في وجه الظلم والبغي والتعدي على ثرواتها وأعراضها. ويذكر المفكرون ان المذاهب الإسلامية جعلوا الإمامة على انها ليست من العقائد (7) بل هي من الفقهيات (1)، وقد انطلق هذا الاعتبار بفرعيه الخلافة والإمامة، وتهميش موقعها ضمن تعاليم الدين من اعتقادهم بعدم تدخل الشريعة من الأساس بتعيين من

(1) م.ن.

(2) الامامة وأهل البيت (ع): 29 .

(3) بن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت ، 1401هـ ، ج 3 ، ص 60.

(4) رواه البخاري في صحيحه - 1080 / 3 ، ومسلم في الصحيح - 1471/3 .

(5) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1400هـ 492/2 - قال الشيخ ناصر في التخریج 1024: حديث حسن.

(6) سورة المؤمنون: 52 .

(7) ظ: الأمدي ، سيف الدين ، غاية المرام في علم الكلام : 366 .

يخلف النبي وإنما يرون إن هذا الأمر قد أوكل إلى الصحابة ابتداء والى الناس في كل عصر ليختاروا أولياء أمورهم⁽²⁾ استنادا إلى قوله تعالى: ((وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ))⁽³⁾.

مما تقدم يتبين ان الخلافة عند المذاهب الإسلامية عدا الإمامية في جوهرها منصب سياسي وتنفيذي لتطبيق حدود الشريعة ، وحفظ مصالح العباد ومحاربة الأعداء ولا تقع على عاتق هذا المنصب مسؤولية حفظ الدين أو تفسير ما غمض من حقائق أو تبيان حدوده وتوضيح معالمه وغير ذلك من الأمور المتعلقة بفهم الشريعة وتفهمها ، أما قول علماء أهل السنة بتحمل الخليفة مسؤولية حراسة الدين فانما يقصد من ذلك الدفاع عن وجود الدين ضد أي تهديد سياسي أو عسكري يستهدف الإطاحة بالنظام الحاكم⁽⁴⁾، بينما الإمامية يعطون لمنصب الخلافة دورا أكثر دينيا مما تعطيه المذاهب الإسلامية الأخرى وذلك لأنها تعتبر عندهم الخلافة الإلهية في الأرض ومهمتها استخلاف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم وبيّن لهم المعارف والأحكام ويشرح لهم مقاصد الشريعة ويصون الدين من التحريف فالإمامة تعتبر منصب إلهي وامتداد للنبوّة في وظائفها باستثناء كل ما يتعلق بالوحي⁽⁵⁾. وبهذا المفهوم تكون الإمامة هي أسمى من مجرد القيادة والزعامة في أمور السياسة والحكم⁽⁶⁾ وبذلك يظهر الفرق بين الإمامية وباقي المذاهب الإسلامية حيث يعتبر الإمامية ان الإمام هو المبين للشرع وهو كاشف عن ملتبس الدين وغامضه⁽⁷⁾ كما يعتبرونه صاحب هداية الخلق إلى الحق.

المطلب الثالث

مشروعية الخلافة

لقد اشار الباحث في المطلب السابق على اهمية الخلافة وضرورتها ووجودها لما تمثله في حفظ الشريعة وديموميتها وبيان تعاليمها ، لكن هذه الخلافة بهذه الكيفية من الالهية تحتاج الى ادلة لاثبات حقيقتها لاستلام هكذا منصب خطير وحساس ،حيث انقسم المسلمون، الى فريقين،كل فريق يدعي ان الخلافة يجب ان تكون بحسب ادلته لاثبات مشروعيتها ،وان الإمامة الكبرى والخلافة العظمى ولاية عامة ، وقد كانت من وظائف الأنبياء وواجباتهم الرئيسية وعنصرا أساسيا من النبوّة في الأمم السالفة قال الله

(1) الغزالي ، أبو حامد ، الاقتصاد في الاعتقاد : 234.

(2) اسعد قاسم ، أزمة الخلافة والإمامة وأثارها المعاصرة:ص44.

(3) سورة الشورى: 38.

(4) اسعد قاسم ، أزمة الخلافة وأثارها المعاصرة: 45.

(5) م.ن.

(6) م.ن : 45.

(7) الشريف المرتضى: الشافي: 3: 24.

تعالى في آدم عليه السلام (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (1) (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) (2) وقال في داود (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) (3) .

وهنا يتم البحث في مسألة طرق إثبات الإمامة وقد انقسم المسلمون فيها إلى فرقتين:

الفريق الأول: فهو يرى أن الإمامة تكون بالنص وهؤلاء قسمان، قسم يرون أن الإمامة بالنص بالإسم، ومنهم من أجاز أن يكون النص من النبي على الإمام بالوصف.

أما الفريق الثاني: أن الإمامة بالإختيار ويمثل هذا الفريق هو المعتزلة والأشعرية والخوارج (4)

أولاً: مشروعية الخلافة عند الأمامية: فهو يرى أن الإمامة تكون بالنص وهؤلاء قسمان، قسم يرون أن الإمامة بالنص بالإسم، وهم الإمامية، وممن ذهب من المسلمين إلى أن الإمامة واجبة على الله هم الشيعة الإمامية، ومن المعتزلة النظامية والمايضية والحديثية (5) فهؤلاء القائلون باشتراط النص الجلي (6)، ومنهم الجلي (6)، ومنهم من أجاز أن يكون النص من النبي على الإمام بالوصف لا بالإسم، وهم الجارودية و من الزيدية أصحاب أبي الجارود، حين يرون أن النبي دلّ على علي بن أبي طالب بالوصف دون الإسم (7) وهؤلاء يرون كفاية النص الخفي (8)، فالشيخ المفيد يذكر في كتابه أوائل المقالات ((واتفقت الإمامية على أن الإمامة لا تثبت مع عدم المعجز لصاحبها إلا بالنص على عينه والتوقيف)) (9)، وكذلك هناك البكرية ومعهم ابن وهناك اختلاف فيما بين هؤلاء في هذا القسم في ناحية المسمى، أما الزيدية فإنهم يرون النص هو على أوائل حسن أئمتهم، علي والحسن والحسين عليهم السلام، وبالصفة على من يلي هؤلاء.

(1) سورة البقرة: 30

(2) سورة البقرة: 124.

(3) سورة ص: 126.

(4) ظ: عبد الجبار القاضي: المغني 20: ق: 1: 120 - 121، 319، وظ: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: 753.

(5) ظ: الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت548هـ): 1: 57 - 58، ط1، 1368هـ - 1948م، مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق، مطبعة حجازي بالقاهرة.

(6) شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط3، 1412هـ - 1992م، دار الثقافة للطباعة والنشر، إيران، قم: ص: 105، ظ: الشمري د.رؤوف، رسالة ماجستير، الشريف الرضي متكلماً: ص55

(7) الملل والنحل: الشهرستاني: 1: 280 وما بعدها، وظ: شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار: 514، ط1، 1422هـ - 2001م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

(8) الطوسي (ت460هـ) تلخيص الشافي: 2: 46، ط1، مؤسسة انتشارات المجتبي، مطبعة المعراج 1383هـ ش، وظ: تلخيص الموصل: الخواجة نصير الدين الطوسي: 4008 و 416، ط2، 1405هـ - 1985م، دار الاضواء، لبنان، ويذكر مهدي شمس الدين ((ومن الغريب رأي الشريف المرتضى فيما يتعلق بـ(النص الخفي والجلي) حيث اعتبر أن حديث الغدير) من النص الخفي وقال بعد حديث الغدير ((وهذا الضرب من النص هو الذي يسميه أصحابنا (النص الخفي) وهو رأي تفرد به ولا نوافقه عليه(كلام شمس الدين) لأن حديث الغدير من أظهر مصاديق النص الجلي)). راجع الشافي في الإمامة 2: 67، ط: مؤسسة أهل البيت بيروت، 1407هـ - 1986م، ظ: مهدي شمس الدين، نظام الحكم في الإسلام: 106.

(9) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: الشيخ المفيد: 5، ط2، 1382هـ ش، مطابع مؤسسة انتشارات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الأبحاث الإسلامية.

يذكر العلامة الحلي: ذهبت الإمامية خاصة الى ان الإمام يجب أن يكون منصوفا عليه والدليل على ذلك وجهان، الأول أنه لما كان الإمام يجب أن يكون معصوماً، والعصمة أمر خفي لا يعلمها الا الله تعالى، فيجب أن يكون نصبه من قبله تعالى لأنه العالم بالشرط دون غيره، والثاني أن النبي 4 كان أشفق على الناس من الوالد على ولده حتى انه أرشدهم إلى أشياء لا نسبة لها إلى الخليفة بعده كما أرشدهم في قضاء الحاجة إلى أمور كثيرة مندوبة وغيرها من الوقائع، وكان إذا سافر عن المدينة يوماً أو يومين استخلف عليها من يقوم بأمر المسلمين ، و من هذه حاله كيف ينسب إليه إهمال أمته وعدم إرشادهم في أجل الأشياء واسناها وأغمضها قدراً وأكثرها فائدة وأشدهم حاجة إليها وهو المتولي لأموارهم بعده فوجب في سيرته 4 نصب إمام بعده والنص عليه وتعريفهم إياه⁽¹⁾، بينما سبقه الشريف المرتضى كغيره من الإمامية القائلين بالنص حيث يرى أن النص مبني على أصليين هما : ان الإمام لا يكون إلا معصوماً كعصمة الأنبياء والثاني أن الحق لا يجوز خروجه عن جميع الأمة من حيث ان بينهم معصوماً، لا يجوز أن يخلو منه زمان من الأزمنة .

ومما تقدم تبين ان هناك صفة للإمامة لا يمكن للإنسان أن يدركها وهذه الصفة هي صفة العصمة، ولا بأس من البحث في العصمة لمعرفة حقيقة عند الإمامية، يقول الشيخ المفيد ((إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء وأنهم لا يجوز منهم صغر إلا مثل ما قدمت ذكر جواز علة الأنبياء ، وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام ، وعلى هذا مذاهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم وتعلق بظاهر روايات لها وتأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب⁽²⁾ بمعنى أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن الخلاف لله بينما لا ترى بقية الفرق الإسلامية باستثناء ما اتفق بين الاسماعيلية مع الإمامية في ذلك⁽³⁾ . ولقد استدلت الامامية على مشروعية الخلافة عن طريق الادلة النقلية والعقلية ، فمن الادلة النقلية ، القران الكريم ، والسنة النبوية ، والاجماع ،بالاضافة للادلة العقلية.

1- الاستدلال بالقرآن الكريم عند الإمامية:

استدل الامامية على مشروعية الخلافة عن طريق بالآيات القرآنية والتي تمثل المصدر الاول الذي يعتمد عليه جميع المذاهب الاسلامية، ومنها:

(1) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : العلامة الحلي: 495 - 496، ح: الشيخ حسن زاده الأعلمي ، ط9، 1422 هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم، الشافي في الإمامة : الشريف المرتضى: 2: 207.

(2) المفيد ، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: 19.

(3) ظ : الحلي : الألفين : 21، 45، وط : الرسالة السعدية: 80.

أ- قال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1)

ووجه الاستدلال في الآية ان معنى وليكم في الآية من كان مستحقا للأمر وأولى بالقيام به وتجب طاعته وأيضاً فان المراد بالذين آمنوا أمير المؤمنين عليه السلام واذا ثبت الأمر ان ثبتت إمامته عليه السلام وهذه الجملة تحتاج إلى بيان اشياء

أولها : ان لفظة (ولي) تفيد الأولى في اللغة.

وثانيها: إن المراد بها في الآية ذلك .

وثالثها : ان المراد بالذين آمنوا أمير المؤمنين عليه السلام.

والدليل الأول: استعمال هذه اللفظة في اللغة لأنهم يقولون فلان ولي المرأة اذا كان أولى بالعقيدة عليها، وفلان ولي الدم اذا كان له المطالبة بالدية والعفو ويقولون ولي عهد المسلمين المرشح للخلافة(2).

والدليل على ان المراد في الآية ذلك: انه اذا أثبت ان المراد بالذين آمنوا كان مؤتياً للزكاة في حال الركوع فيجب أن يراعي ثبوت الصفتين ، وقد علمنا أن أحد لم يعط الزكاة في حال الركوع غير علي عليه السلام فوجب أن يكون هو المعني بها دون غيره وأيضاً فإنه تعالى نفى أن يكون وليا غير الله ورسوله والذين آمنوا بلفظة إنما وهي تفيد التحقيق ما ذكر ونفي الصفة عن من لم يذكر بدلالة قولهم إنما ذلك عندي درهم يريدون ليس لك إلا درهم. والذي يدل على ان المراد بالذين آمنوا علي عليه السلام أمران أحدهما انه إذا ثبت أن المراد بالولي الأولى والأخص فكل من (3) قال بذلك قال هي جهة إليه لأن من خالف في ذلك حملها على الموالاتة في الدين لجميع المؤمنين .

والثاني : انه ورد الخبر من طريق العام والخاص بنزول الآية عند تصدقه بخاتمه في حال ركوعه، والقصة في ذلك مشهورة ، وإذا ثبت انه المختص بالآية ثبتت إمامته دون غيره، لأن كل من قال بأن الآية تفيد الإمامة قال هو المخصوص بها دون غيره(4). وذكر المرتضى إن النبي 4 لما عرف أن عليا عليه السلام تصدق بخاتمه وهو راعع قال ان الله أنزل فيه قرآنا ، وقرأ 4 الآيتين(5).

(1) سورة المائدة: 55.

(2) الطوسي(ت460هـ)، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1399هـ، 1979م، ص110.

(3) الطوسي(ت460هـ)، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1399هـ، 1979م، ص111.

(4) ط : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : العلامة الحلي ، ص232 .

(5) م.ن: 233.

ب- قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)⁽¹⁾. قال الجمهور إنها نزلت في بيان فضل علي عليه السلام يوم الغدير⁽²⁾، ولقد ذكر العلماء المسلمين قاطبة ان عملية تنصيب امير المؤمنين في واقعة الغدير هي ان اقامه في يوم 18 ذي الحجة وجعل امير المؤمنين خليفة عليهم واقامه امام الناس بان جعل منبرا يشاهده كل الحشود المتوجهة الى بلادهم بعد اكمالهم فريضة الحج ونصب عليا (ع) اماما من بعده ورفع يده عاليا اشارة لفهم الجموع بانه الامير من بعده وهذا ما يناظر العهد القديم عندما نصب موسى هارون للكهانة والامامة⁽³⁾.

ت- وقال تعالى ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))⁽⁴⁾.

في تفسير التبيان يذكر الشيخ الطوسي⁽⁵⁾ ان (الكلمات) هي عند الحسن بمعنى الكوكب والقمر وبالشمس وبالختان وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة فكلهن وحي الله فيهن⁽⁶⁾.

ويذكر السيد الطباطبائي: ان قوله تعالى ((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)) عندما فسرهما عدة من المفسرين بانها النبوة هي في غاية السقوط⁽⁷⁾، لقد فسروا قوم الإمامة بأنها النبوة والتقدم والمطاعية مطلقا وفسره آخرون بمعنى الخلافة أو الوصاية أو الرئاسة في أمور الدين والدنيا وكل ذلك لم يكن فإن النبوة معناها تحمل النبأ من جانب الله والرسالة معناها تحمل التبليغ والمطاعية والإطاعة قبول الإنسان ما يراه أو يأمره وهو من لوازم النبوة والرسالة والخلافة نحو من النيابة وكذلك الوصاية والرئاسة نحو من المطاعية وهو مصدرية الحكم في الاجتماع وكل هذه المعاني غير معنى الإمامة التي هي كون الإنسان بحيث يقتدي به غيره بأن يطبق أفعاله وأقواله بنحو التبعية ولا معنى لأن يقال لنبي من الأنبياء مفترض

(1) سورة المائدة: 67.

(2) ظ: الحلي : نهج الحق وكشف الصدق : 172 - 173 ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة - بيروت - لبنان ، 1982م. وينظر: المظفر ، دلائل الصدق لنهج الحق : 4: 314.

(3) العهد القديم ، سفر اللاويين 9 : 22-24.

(4) سورة البقرة: 124.

(5) التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي(ت460هـ) : 2: 217، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين المدرسين ، قم المقدسة، ط1 ، 1417هـ.

(6) الطبري(ت504هـ)، عماد الدين بن محمد: أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، رمل الظرفي، شارع البحتري، بنابة مكارث ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، 1: ص14.

(7) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: 1: 266، تح: الشيخ حسين الأعلمي ، ط1(1417هـ - 1997م) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت- شارع المطار - قرب كلية الهندسة، ملك الأعلمي.

الطاعة إني جاعلك للناس نبيا أو مطاعا فيما تبلغه بنبيوتك أو رئيسا⁽¹⁾ تأمر وتتهي في الدين أو وصيا أو خليفة في الأرض تقضي بين الناس في مرافعاتهم بحكم الله⁽²⁾ .

إن القضية في الخليفة باقية الي يوم القيامة، ومن زعم ان الخليفة أراد به النبوة فقد أخطأ من وجه ،وذلك ان الله عز وجل وعد أن يستخلف من هذه الأمة خلفاء راشدين (³).

مما تقدم تبين أن الإمامة مجعولة وأن الإمام يجب أن يكون معصوما⁽⁴⁾.

2- الاستدلال بالسنة الشريفة:

استدل الامامية على مشروعية الخلافة عن طريق السنة النبوية ،والتي تشمل احاديث النبي(ص) وفعله ،فمن الاحاديث التي دلت على الخلافة :

أ- حديث المنزلة: في مسند أحمد من عدة طرق وفي صحيح البخاري ومسلم ومن عدة طرق أن النبي لما خرج إلى تبوك استخلف عليا في المدينة ،وعلى أهله، فقال علي: ما كنت أؤثر أن تخرج في وجه إلا وأنا معك، فقال:أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي⁽⁵⁾ ووجه الاستدلال به انه نفى النبوة من علي وأثبت له كل شيء سواه ومن جملته الخلافة ، يقول المفكرون المسلمون⁽⁶⁾ هذا في روايات الصحاح، وهذا لا يدل على النص كما ذكره العلماء⁽⁷⁾ حيث يجيب على وجه وجه الاستدلال بالحديث:ان هارون لم يكن خليفة موسى، لأنه مات قبل موسى، بل المراد باستخلافه بالمدينة حين ذهابه إلى تبوك كما استخلف موسى هارون عند ذهابه إلى الطور لقوله تعالى(اخلفني في قومي)⁽⁸⁾.

وقد علم على جميع الوجوه أنه لا ينافي الاستدلال بالحديث على المدعى موت هارون قبل موسى، كما علم في بطلان أن يكون المراد مجرد استخلاف أمير المؤمنين في المدينة خاصة فإن خصوص

(1) م.ن: 267.

(2) م.ن: 21: 276.

(3) سورة النور: 55، وظ: الصدوق ، اكمال الدين واتمام النعمة: ص40، وللمزيد من التعرف على الموضوع ، ظ: الطهراني، محمد الحسين الحسيني ، معرفة الإمام: 2: 3 - 4 ، ط1 ، 1416هـ - 1996م، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، ج2 ، ص3-4.

(4) ط : الصدوق: اكمال الدين واتمام النعمة: 34، تج: علي أكبر غفاري، ط4، 14 22هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

(5) ط: احمد بن حنبل ،مسند احمد ، كتاب الفضائل - باب فضائل أمير المؤمنين،ص58

(6)المظفر، الشيخ محمد حسن (ت1301هـ): دلائل الصدق لنهج الحق، 6: 80، تج: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط1، ط1 ، 1426 ، مطبعة ستارة، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم -

(7) ط :الأربعين في أصول الدين - الفخر الراوي: 2/ 283 - 285، وط : الموافق: الأيجي: 8/ 362 - 363.

(8) سورة الأعراف: 142.

المورد لا يخصص العموم الوارد ولا سيما أن الاستخلاف بالمدينة ليس مختصاً بأمير المؤمنين لاستخلاف النبي (ص) غيره في بها في باقي الغزوات ، ومقتضى الحديث ان الاستخلاف منزلة خاصة به كمنزلة هارون من موسى التي لم يستثن منها الا النبوة فلا بد أن يكون المراد بالحديث إثبات تلك المنزلة العامة له إلى ما بعد النبي واستدل الفضل على ارادة الاستخلاف بالمدينة خاصة حين ذهاب النبي إلى تبوك بقوله تعالى: (الْخُلَفَاءُ فِي قَوْمِي) ⁽¹⁾ وهو خطأ ظاهر لأن مجرد وقوع الاستخلاف الخاص من موسى لا يدل على اختصاص خلافة هارون في ذلك المورد دون غيره فكذا استخلاف النبي (ص) لعلي (ع) بل العبرة بعموم الحديث مع اقتضاء شركة هارون لموسى في أمره ثبوت الخلافة العامة فكذا علي (ع) ⁽²⁾، وأيضا يثبت به لأمر المؤمنين فضيلة الأخوة المؤازرة لرسول الله في تبليغ الرسالة. لا ريب ان الاستثناء دليل العموم ⁽³⁾ فنثبت لعلي عليه السلام جميع منازل هارون الثابتة له في الآية سوى النبوة ومن منازل هارون: الإمامة لأن المراد بالأمر في قوله تعالى ((وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي)) ⁽⁴⁾ هو الأعم من النبوة . التي هي التبليغ عن الله تعالى ،ومن الإمامة التي هي الرئاسة العامة ، فإنها أمران مختلفان ، ولذا جعل الله سبحانه إبراهيم نبيا وإماما بجعلين مستقلين وكان كثير من الأنبياء غير أئمة كمن كانوا بزمن إبراهيم وموسى فإنهم أتباع لها وخاضعون لسلطنتهما.

ويقول المفكرون الإسلاميون: ان خلافة هارون لموسى لما ذهب إلى الطور ليست كخلافة سائر الناس ممن لا حكم ولا رئاسة له ذاتا، بل هي خلافة شريك لشريك أقوى ولذا لا يتصرف بحضور فكذا علي عليه السلام بحكم الحديث لدلالته على ان له جميع منازل هارون التي منها شركته لموسى في أمره سوى النبوة فيكون علي أماما مع النبي في حياته فلا بد أن تستمر امامته إلى ما بعد وفاته ولا سيما أن النظر في الحديث إلى ما بعد النبي 4 أيضا ولذا قال ((إلا انه لا بني بعدي)) ⁽⁵⁾ ثم يضيف الشيخ محمد حسن المظفر ولو تنزلنا عن ذلك فلا إشكال بأن من منازل هارون ان يكون خليفة لموسى لو بقي بعده لان الشريك أولى الناس بخلافة شريكه، فكذا يكون علي عليه السلام ، مع أن الآية الكريمة قاضية بفضل هارون على سائر قوم موسى فكذا علي بالنسبة إلى المسلمين فيكون إمامهم ⁽⁶⁾.

ويدل على عدم إرادة ذلك الاستخلاف الخاص بخصوصه ورود الحديث في موارد لا دخل له بها.

(1) م.ن.

(2) المظفر ، الشيخ محمد حسن ، دلائل الصدق ، ج6، ص81.

(3) ط : البيضاوي: منهاج الوصول في معرفة علم الأصول: 76، نقلا عن دلائل الصدق للمظفر: 6: 84

(4) سورة طه: 32.

(5) المظفر ، دلائل الصدق: ص 85.

(6) م.ن.

فالشريعة الإمامية ذهبت إلى إن الذي يعين الإمام هو النص من النبي 4 فبالنص يتعين الإمام لا بشيء آخر⁽¹⁾ هذا ما أراد النبي ذكره في وصيته تحت عنوان الحدث الأول وهو يوم الرزية .

ب- ومنها :من أن النبي 4 علل تحليل المسجد لعلي جنبا بأنه منه بمنزلة هارون من موسى⁽²⁾ فقد ذكر السيوطي ما يدل على ان استثناء باب علي عليه السلام لطهارته وجواز أن يجتنب في المسجد أو يمر فيه جنبا ولكونه من النبي 4 بمنزلة هارون من موسى.

قال: قال رسول الله 4 لعلي: إن موسى سأل ربه أن يطهر مسجده لهارون وذريته. وأني سألت الله أن يطهر مسجدي لك ولذريتك من بعدك ((ثم أرسل إلى أبي بكر أن سد بابك فاسترجع وقال سمعا وطاعة فسد بابه ثم إلى عمر كذلك ثم صعد المنبر فقال ما أنا سددت أبوابكم ولا فتحت باب علي ولكن الله سد أبوابكم وفتح باب علي))⁽³⁾ .

لقد بدأ الله عز وجل بالخليفة قبل الخليفة، فلذلك ابتدأ به أنه سبحانه حكيم، والحكيم من يبدأ بالأهم دون الأعم، وذلك تصديق قول الصادق جعفر بن محمد عليهم السلام حيث يقول: ((الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق))⁽⁴⁾.

ت - وإما فعل الأنبياء في تعيين الوصي وولي الأمر لأنهم من بعدهم.

لقد سلسل المسعودي اتصال الحجج وأوصياء الأنبياء من لدن آدم حتى خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . وأوصيائه ، فقد ذكر مثلا: ان وصي آدم كان هبة الله وهو شيت بالعبرانية وأن وصي إبراهيم كان إسماعيل عليه السلام، وان وصي يعقوب كان يوسف عليه السلام ، وأن وصي موسى كان يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف عليه السلام وقد خرجت عليه صفورا زوجة موسى عليه السلام⁽⁵⁾ وقد ورد يوشع في القرآن بكلمة ((وقال لفتاه) وكذلك في مصادر الدراسات الإسلامية.

لذا فالنظريات المطروحة حول مشروعية النظام يمكن تصنيفها حسب نظرتها إلى الكون إلى صنفين: نظريات دينية ونظريات لا دينية⁽⁶⁾. وسيذكر الباحث بعض الأدلة العقلية والتي خصصت بعضها بشأن

(1) شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي ، نظام الحكم والإدارة في الإسلام : 105 ، ط3، 1412هـ - 1992م، دار الثقافة للطباعة والنشر، إيران، قم.

(2) م.ن.

(3) السيوطي(ت 911هـ) ، جلال الدين: اللآلي المصنوعة ف الأحاديث الموضوعية: 1: 317 - 3128، تج: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، ط1، 1417هـ - 1996م، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،

(4) الصدوق ت381 ، أبو جعفر ، كمال الدين واتمام النبوة ، مؤسسة النشر .

(5) ظ: المسعودي، إثبات الوصية: 5 - 70.

(6) ظ: الإبراهيمي ، الشيخ قاسم ،مقالة أنظمة الحكم ومشروعية النظام ،مجلة المنهاج : عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية: العدد 22: 157 ، ط2 ، السنة السادسة : 1422هـ - 2001م، رئيس التحرير ، بيروت، لبنان ، الغدير للدراسات والنشر والتوزيع - حارة حريك ، الطريق العام بناية البنك اللبناني السويسري.

خلافة أمير المؤمنين ولكن بعد القول بعدم الفصل بين الامام علي (ع) وبقيه الأئمة فتكون الأدلة عامة لجميع الأئمة:

3- الأدلة العقلية:

ذكر علماء الامامية عدة ادلة على مشروعية الخلافة ومنها، أدلة عقلية في النص على الإمام، منها:

أ_ إن الإمام اذا وجبت عصمته ... وكانت العصمة غير مدركة بالحواس ولم يكن أيضاً دليل عليها يوصل إلى العلم بحال من اختص بها بالنظر في الأدلة فلا بد من صحة هذه الجملة من وجوب النص على الإمام بعينه أو إظهار المعجز القائم مقام النص عليه⁽¹⁾.

ب_ كيف يجوز من النبي 4 أن يفوض أعظم الأمور إلى غيره وهو توليه الإمام مع علو مرتبة هذا الأمر؟ فإن أعظم المراتب هي النبوة والإمام نائب عنه وحاكم كحكمه، ووال كولايته، ولا يتولى الولاية بنفسه فكيف يهمل ذلك؟ وهذا يبطل العقد بالاختيار ويوجب إثبات النص لا يقال جاز أن تكون المصلحة شرعا في أن يفوض عليه السلام اختيار الأئمة إلى غيره . لأننا نقول : نعم انتفاء المصلحة في ذلك بل ثبوت مفسد كثيرة لو جاز ذلك أن يعلم الله تعالى أن تكون المصلحة في أن يفوض إلى المكلفين تعيين الأنبياء⁽²⁾ .

ت . قد أوجب الله تعالى الوصية⁽³⁾ كما في كتابه وحث عليها رسول الله 4 حتى قال : من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية، فكيف يجوز أن يليق نسبة النبي 4 إلى ترك هذا الواجب المجمع وجوبه المنصوص عليه في القرآن والمتواتر من الأخبار؟ وكيف يوجب على الأمة وعليه حكما، ثم يتركه من غير فسح ولا ابطال؟ ولو سب الكفار نبينا عليه السلام لم يسبوه بأعظم من ذلك وإذا امتنع عليه الصلاة والسلام ترك الوصية بطل القول لاختيار لا يقال: إنما ندب إلى الوصية ، من كان عليه دين أو وصاية لغيره، أو كان له طفل إلى ماجرى هذا المجرى وأما الأمور الدينية فلم يرد الشرع بالوصية فيها اصلا لأننا نقول الوصية في الدن أعظم من الوصية في الأمور الدنيوية بالخصوص من النبي 4 الذي هو مبدأ الخير ومنبع الدين ومعلمه والمرشد إليه والذال عليه وقد حصر الله أحواله في الإنذار فقال تعالى: ((إن أنت إلا نذير)) ومنصبه أعلى المناصب وأرفعها شأنًا، فكيف يجوز أن يهمله ويجعله منوطا بمن يتلاعب به ومن يوصله إلى غير مستحقه وكيف يمتنع ندبا لوصية في الأمور الدينية ن وقد ذكر الله تعالى في كتابه

(1) العلامة الحلي(ت726هـ) : الألفين: 47، تح: حسين الأعلمي ، ط3، 1982 - 1402م. منشوات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

(2) العلامة الحلي(ت726هـ) : الألفين: 47.

(3) م.ن.

وصية إبراهيم لبنيه؟ وكذلك يعقوب، وقال الله تعالى: ((ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب)) وكف يجوز أن تجب الوصية في أمور الدنيا ولا تجب في أمور الدين ممن هي منوطة به ومبعوثة لأجلها وللإرشاد إليها⁽¹⁾.

ث- دليل اللطف: وهي ان الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده وقد غمرهم برحمته ولو تأمل الإنسان في ما وهبه الله من نعم لوقف على حقيقة كبرى هي ان الله هو الرحمة المطلقة واللطف المطلق، فمثلاً العين هذا العضو الذي نبصر به ما حولنا من جمال حفظها الله من الغبار بالأهداب ومن حبات العرق بالحاجب وهذا غيض من فيض فكل ما فينا وما حولنا يهتف بهذه الحقيقة. ومن لطف الله سبحانه ان جعل لنا دليلاً ومرشداً، يهدينا الى طريق السعادة ويرشدنا نحو الكمال، لأن ذلك حاجة إنسانية عفيفة مودعة في فطرة الإنسان وحاشا ان يتركهم ظامئين فلا ينعم عليهم بهذه النعمة. والله سبحانه أودع فينا الشعور بالظماً وهو الذي خلق الماء لنتروي واودع فينا البحث عن الكمال، فنصب لنا من يساعدنا في تحقيق تلك الغاية السامية⁽²⁾. إن حكومة الإمام علي عليه السلام كما كانت حائزة على المشروعية الدينية ومحلا لتأييد الباري تعالى، فقد كانت حاصلة على المشروعية السياسية وحق الإلزام والامرية أيضاً وأساس هذين الأمرين، كان هو النصب الإلهي لعلي عليه السلام للإمامة ففي قاعدة اللطف يقال: إن ((الإمام لطف فيجب نصبه على الله تعالى تحصيلاً للغرض))⁽³⁾ أي ان اللطف من فروع الحكمة الإلهية، فعباد الله تعالى لا يعرفون الكثير من مصالحهم ومفاسدهم في أمور دنياهم وآخرتهم والخالق الحكيم لم يخلق عبثاً وإنما خلقهم للكمال والعبادة وهو أمر غير ممكن من دون إرسال الرسل والأنبياء والتكليف، إذن فمن الواجب عليه تعالى إرسال الرسول، وحيث إن الرسول أيضاً كبقية الناس مفارق للدنيا كما تقتضيه الحكمة الإلهية، احتاجت الناس إلى الإمام المعصوم - حيث لا خليفة للرسول - نظراً لحب الشهوات والرياسة الغالب على الناس، وقلة العلم واليقين الأقل من الكبريت الأحمر⁽⁴⁾، ومعه فوجود الإمام لطف واللطف واجب على الله تعالى، وبناء عليه فلأجل تحقق الأغراض الدينية والدينية للشارع لا بد من نصب إمام لرئاسة المجتمع دينياً ودنياً بالإضافة إلى دليل اللطف الذي يثبت الإمامة العامة⁽⁵⁾، وهناك ثلاثة عوامل هزت النظام السياسي والإسلامي هذا عنيفاً ونسفته، وجعلت إمكانية تطبيقه بعد وفاة الرسول 4 على الأقل فيما يتعلق برئيس الدولة، أمراً في غاية العسر ان لم يكن مستحيلاً، وتوقف تطبيقه تعيين رئيس الدولة⁽⁶⁾.

الحدث الأول: هو يوم الرزية⁽⁷⁾.

والحدث الثاني: مواجهة العترة الطاهرة وعزلها والغاء دورها ومحاولة تفتيتها⁽¹⁾.

(1) الحلي، الألفين: 48.

(2) م.ن، 23.

(3) الطوسي، الخواجة نصير الدين، توضيح المراد على شرح تجريد الاعتقاد: 367 - 372.

(4) ظ: الملا نظر علي طالقاني، كاشف الأسرار: المقالة الثانية، فص 4، وجوب اللطف، والمقالة الرابعة (الإمامة) فص 4.

(5) ظ: الطوسي، تمهيد الأصول في علم الكلام، فصل في أن الإمامة بعد النبي (ص) بلا فصل، 370، وظ: العلامة الحلي، شرح تجريد الاعتقاد: 367.

(6) أحمد حسين يعقوب، النظام السياسي في الإسلام: ط 2، رمضان 1412 هـ، مطبعة الصدر، قم المقدسة، مؤسسة انصار بيان للطباعة والنشر.

(7) صحيح مسلم: 2: 14، وينظر: صحيح البخاري: 1: 22، وينظر: الطبقات الكبرى: ابن سعد: تح: محمد عبد القادر القادر عطا: 2: 187 - 188، ط 1، 1410 هـ - 1999 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الحادث الثالث: هي الحادثة التي نسفت النظام السياسي الإسلامي وهي (الفلته) كما يسميها عمر بن الخطاب⁽²⁾، ولا شك أن في هذا المطلب يود الباحث إثبات الأدلة الشرعية لقضية الخلافة الإسلامية للنبي الأكرم من خلال ذكر هذه العوامل الثلاث التي عطلت مشروعية الخلافة لحجج واهية والتي أوجزناها لكي لا يطول بنا المقام، وأما الحدث الثاني فهو واضح من خلال عزل الامام علي (ع) فترة طويلة عن منصبه الشرعي، وحتى عندما تسلم هذا المنصب نرى كيف حدثت المؤامرات فكانت وقعة صفين والجمل والنهروان أما الحدث الثالث فخطره يكمن بمقولة الفلته كما يسميها الخليفة الثاني وأثرها في منع التفكير لأن العمل فقط بمفهوم النص الذي دعا إليه النبي وأراد تأكيد بيانه في الحدث الأول وهو يوم الرزية. وهؤلاء حينما يشترطون النص إنما يسيرون وفقاً لما ذهبوا إليه في وجوب الإمامة وأنه على الله وأنها من الأصول فهي عندهم بهذين الاعتبارين: اعتبار وجوبها على الله واعتبارها من أصول الدين . مسألة توفيقية لا مرجع فيها غير الشارع ، فلذلك يشترطون النص، وقد سبق وأن أشار الباحث إلى النصوص الثابتة من الكتاب⁽³⁾ والسنة الشريفة ومن العقل.

ثانياً: مشروعية الخلافة عند المذاهب الإسلامية : وأما القائلون بالاختيار⁽⁴⁾ وهي مرجعية الأمة وهو

أن تعيين الإمام راجع إلى الأمة المسلمة وهؤلاء في رأيهم هذا يسيرون وفقاً لما ذهبوا إليه من وجوب الإمامة على الأمة المسلمة ومن كونها من فروع الدين وقد قدموا الأدلة الشرعية مستنديين على ذلك من القرآن والسنة والإجماع والعقل. ويقول البغدادي ((قال الجمهور الأعظم من أصحابنا ومن المعتزلة والخوارج والنجارية: إن طريق ثبوتها الاختيار من الأمة باجتهاد أهل الاجتهاد منهم واختيارهم من يصلح لها . وكان جائز ثبوتها بالنص، غير ان النص لم يرد فيها على واحد بعينه فصارت الأمة فيها إلى الاختيار))⁽⁵⁾.

(1) ظ: ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ) : الإمامة والسياسة : تح: طه الزيني: 1: 18، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، وظ: تاريخ الطبري: الطبري: 2: 443، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ص. ب، (7120).

(2) ظ: تاريخ الطبري: الطبري: 2: 446.

(3) ظ: العامل، شرف الدين، المراجعات : 189- 195 ، وظ: أحمد حسين يعقوب ، النظام السياسي في الإسلام: 45- 67.

(4) عمارة ، محمد: الإسلام وفلسفة الحكم 27 - 122 ، ط2، بغداد ، 1984 م ، مؤسسة العربية للدراسات والنشر .

(5) البغدادي، عبد القاهر ، أصول الدين ، 308 ، تح: أحمد شمس الدين ، ط1، 1423 هـ - 2002 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، وينظر: شرح المواقيف: الأيجي: 8: 382.

فالادلة على مشروعية الخلافة عندهم هي أيضاً قد ثبتت عند البعض بوجودها ، ويرى الماوردي أن الخلافة مؤسسة ضرورية لا معدى عنها للدين والدنيا، فهي ضرورية شرعا، وهي ضرورية بالعقل⁽¹⁾ وهي فرض عين وهي فرض كفاية في آن واحد معا، فهي ضرورية شرعا لأن الشرع قضى بتفويض الأمور الدولية في الدين قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ))⁽²⁾. لذا فالادلة على مشروعية الخلافة عند هذا الفريق هي كالآتي:

1- الاستدلال من القرآن الكريم: استدلّت المذاهب الإسلامية على مشروعية الخلافة عن

طريق القرآن الكريم والتي يمثل المصدر الأول الذي يعتمد عليه جميع المذاهب الإسلامية.

أ- قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ))⁽³⁾. وجه الاستدلال من الآية: إذا كان الله - تعالى - قد أوجب علينا إطاعة الحكام والولاة الذين يحكمون بالعدل، ويؤدون الأمانات إلى أهلها، ويرعون شؤون الأمة الدينية والدنيوية، فمن البديهي أن يكون من الواجب علينا إقامة حاكم أعلى للدولة، يكون تحت يده من يعاونه من الحكام والولاة وإلا انتهينا إلى القول بوجود طاعة من لا تجب إقامته، وهذا لا معنى له⁽⁴⁾، بل يكون قولاً لا يقره عقل أو منطق مستقيم. فمن الكتاب.

ب . قوله تعالى: ((إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا))⁽⁵⁾ فهم يقولون إن الرسول 4 قد اختار أبا بكر بياومة بالصلاة لأنه صاحبه ووزيره ويستدلون على ذلك بقوله: ((إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ)) ويستدلون على ذلك بالحديث القائل: إن وزيره (ص) من أهل الأرض أبو بكر وعمر.

مناقشة الدليل: من المسلم فيه أن الرسول 4 قد اصطحب أبا بكر معه بهجرته بناء على طلب أبي بكر وأنه قد صحبهما ابن أريقط الدليل المشترك المؤمن .ماذا يكون الموقف لو أن دليلهما المشترك والذي أسلم فيما بعد طالب بالخلافة لأنه صحب الرسول في هجرته⁽⁶⁾، وكيف نفسر النص الشرعي (هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة) وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة بين الحق والباطل وهذا يعسوب المؤمنين⁽⁷⁾، وكيف نفسر النصوص الشرعية من القرآن الكريم ، فحقيقة أن أبا بكر رضي الله عنه كان واحدا من وزراء الرسول ، ولكن أبا بكر نفسه يفرق بين منصب الإمارة ومنصب الوزارة. انظر إلى قوله للأَنْصَارِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ (نحن الأمراء وانتم الوزراء)⁽⁸⁾ .

(1) الماوردي (ت450هـ)، أبي الحسن البصري البغدادي ،الأحكام السلطانية والولايات الدينية:تج: القاضي نبيل عبد الرحمن جباوي:35، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع(د.ب)

(2) سورة النساء: 59.

(3) م.ن.

(4) عليان ، د. رشدي: الإسلام والخلافة: 29، ط1، 1396 هـ - 1976م، مطبعة دار السلام، بغداد.

(5) سورة التوبة: 40.

(6) أحمد يعقوب ، النظام السياسي : 26.

(7) أحمد يعقوب ، النظام السياسي : 26.

(8) ظ: الطبري: تاريخ الطبري: ، ظ: بن قتيبة : الإمامة والسياسة:

2- الاستدلال من السنة النبوية.

أ. يقول الرسول(ص) ((ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))⁽¹⁾.

وجه الاستدلال من الحديث:يدل الحديث صراحة على وجوب البيعة للإمام فتكون إقامته واجبة على المسلمين من باب أولى، وإلا لانتهينا إلى القول بوجوب البيعة امن لا تجب إقامته، هذا قول غير سليم.

ب . بالأحاديث التي توجب طاعة الأمراء والولاة والخلفاء منها: عن أنس أن رسول الله4قال: ((اسمعوا وأطيعوا وان أمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة))⁽²⁾.

ومنها : عن أم الحصين انها سمعت رسول الله4 يخطب في حجة الوداع يقول: ((... ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا وأطيعوا))⁽³⁾ ، ومنها : عن أبي هريرة أن النبي(ص) قال: ((سيلكم)) (سيلكم ولاة بعدي فيليكم البريرة، والفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم و أطيعوا في كل ما وافق الحق ، وصلوا وراءهم ، فان احسنوا فلکم ، وان أساءوا ملككم فعليهم)) ووجه الاستدلال في هذ الأحاديث وما في معناها لا يخرج عن وجه الاستدلال بالكتاب الكريم ، فانه يستفاد من وجوب طاعتهم وجوب إقامتهم، وإلا لأدى ذلك إلى وجوب طاعة نم لا تجب إقامته وهو لا معنى له⁽⁴⁾.

ت . بفعل الرسول4 نفسه فقد أقام أول دولة إسلامية، في المدينة بعد أن مهد لها وهو في مكة ، وصار هو4 أول رئيس الدولة وما معاهدته مع يهود المدينة ، ثم مع غيرهم إلا من مظاهر السلطان السياسي الذي أخذ يباشره بصفته رئيسا لدولة الإسلام. وقد أدرك الفقهاء اجتماع صفة الإمامة(الرئاسة) مع صفة النبوة في شخص النبي الكريم 4 وينسوا حكم ما يصدر عنه بهذه الصفة أو تلك⁽⁵⁾.

ث . تقرير رسول الله (ص) :استدللت المذاهب الإسلامية أن هناك نظرية واضحة من تقرير الرسول4قد سمي خليفة ضمنا وعين ولي عهده ضمنا لأنه كلفه بواسطة زوجته وابنه الخليفة وهي عائشة أم المؤمنين بأن يؤم الناس في الصلاة أثناء مرضه وبما انه قد أم الناس بالصلاة فعل، وبما ان الصلاة عماد الدين لذا فإن الرسول قد كلفه بالإمامة الكبرى أو إمارة المؤمنين⁽⁶⁾.

(1)ظ: مسلم ، الجامع الصحيح ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ج 1:ص 30 - 32.

(2) م.ن

(3)ظ : صحيح البخاري،ج1، ص22

(4)عليان ، د. رشدي: الإسلام والخلافة : 30.

(5) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة : 153 ، ط : الفروق : القرافي : 1 : 207 - 208.

(6)ظ: الطبقات الكبرى: ابن سعد: 3: 133 - 135.وظ: الإمامة السياسية: ابن قتيبة: ص 10 - 12.

فيقول ابن خلدون اعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة فكأنها الإمام الكبير والأصل الجامع، وهذه كلها منقرعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر أحوال الملة الدينية والدنيوية، وتنفيذ أحكام المشروع فيها على العموم فأما إمامة الصلاة فهي أرفع هذه الخطط كلها وأرفع من تلك الملل بخصوصية المندرج معها تحت الخلافة، ويشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله ﷺ لأفلا نرضاه لديننا، فلو لا الصلاة أرفع من السياسة لما صح القياس⁽¹⁾.

مناقشة أدلة القائلين بنظرية الصلاة:

1- كان سالم مولى ابن حذيفة يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء⁽²⁾.

2. في غزوة ذات السلاسل كان عمر بن العاص يؤم المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر وكان أميرهم⁽³⁾.

3. وأثناء مرض الخليفة عمر كان صهيب الرومي يؤم المسلمين بما فيهم التسعة المبشرين بالجنة⁽⁴⁾.

ألا يستطيع هؤلاء كلهم بناء على ذلك أن يطالبوا بإمامة المسلمين تحت شعار أنهم أموا المسلمين في الصلاة والصلاة عماد الدين؟ ثم إن صح التكليف فإنه كان أثناء مرض الرسول وقد حيل بين الرسول وكتابه وصيته التي وصفها الرسول بأنها تشكل تأميناً ضد الضلالة. ووجه الذين عارضوه في كتابة وصيته، إن المرض قد اشتد به في ألطف أقوالهم ولا حاجة لهم بوصية الرسول لأن عندهم القرآن فإذا كان مرض الرسول يمنعه من التصرف فماذا يقولون لو قال شخص أن أمر الرسول لأبي بكر بالصلاة كان أثناء المرض، وقد منعتهم من كتابة وصيته لأنه مريض فكيف تجوزون أمره لأبي بكر بالصلاة مع أنه مريض⁽⁵⁾. وفكرة منع الرسول ﷺ من كتابة وصيته حقيقية لا يمكن لأحد انكارها وحسب اجتهادهم أن الرسول (ص) ((حاشا لله)) قد هجر، وبكلامهم الملطف قد اشتد به الوجع، مع أن الرسول يؤكد أن الوحي أكثر ما كان يأتيه وهو مريض⁽⁶⁾ وإلى إمامة أبي بكر بالصلاة استند حقه بالخلافة⁽⁷⁾.

ج- وجوه أخرى ومنها : ان الواجب لا يتم إلا بإقامة خليفة، وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فتحصل أن إقامة خليفة واجب.

(1) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون: تح: علي عبد الواحد وافي: 2: 735، طبع لجنة البيان العربي (د.ت).

(2) الطبقات الكبرى: ابن سعد: 3: 64، وظ: السيرة الحلبية: 2: 23، ظ: الخلفاء الراشدين: المجلد 4، طه حسين: 232.

(3) ظ: تاريخ الطبري: ابن جرير الطبرسي: 3: 126.

(4) ظ: الإمامة السياسية: 24.

(5) النظام السياسي في الإسلام: أحمد حسين يعقوب: 26.

(6) ظ: الطبقات الكبرى: ابن سعد: 2: 173.

(7) مقدمة ابن خلدون: 2: 735

أما كبرى الدليل فواضحة، وأما صغراه فلأن الشارع أمر بإقامة الحدود، وسد الثغور، وتجييش الجيوش للجهاد، وكثير من الأمور المتعلقة بحفظ النظام⁽¹⁾ وهي ضرورية عقلا لما في طباع العقلاء من التسليم لولي أمر منهم يمنعهم من الظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم ولولا الولاة لكانوا في حال من التوحش و الهمجية والفوضى والضياع⁽²⁾. وقد ذهب علماء المذاهب الإسلامية إلى القول بمرجعية الأمة، وأن تعيين الإمام راجع إلى الأمة المسلمة، وهؤلاء في رأيهم هذا يسرون وفقا لما ذهبوا إليه من وجوب الإمامة على الأمة المسلمة، ومن كونها من فروع الدين، فهي إذن من شؤون الأمة المسلمة. ويعتبر هذا القول جملة من الأسئلة بسبب الغموض الذي يكتنف (مرجعية الأمة) فكيف تكون الأمة هي المرجع في تعيين الإمام وهل يجب أن تجتمع الأمة المسلمة بأسرها على شخص واحد ليكون هو الإمام؟ أم أن هناك شكلا آخر من أشكال التعيين تكون الأمة المسلمة هي المرجع فيه.

أما (الأمة) فهذه الكلمة وردت في أحاديث رواها أهل البيت عن النبي 4ولسنا الآن بصدد البحث عن صحة هذه الأحاديث أو عدم صحتها وفقا لمعايير علم مصطلح الحديث، وان ما يجب أن نقرره هو أن هذه الطائفة قد جعلت كما يبدو للباحث هذه الأحاديث مصدرا تشريعيا لما ذهبت إليه.

منها: ((لا تجتمع أمتي على ضلالة))⁽³⁾ و((لا تجتمع أمتي على خطأ))⁽⁴⁾، وهناك أحاديث أخرى ورد فيها لفظ ((الجماعة)) كالحديث الذي رواه ((يد الله مع الجماعة))⁽⁵⁾. فهذه الأحاديث مانح الأمة عصمة عن الخطأ حين تجمع على أمر من الأمور وقد فهم البعض من لفظ ((الأمة)) ما يدل عليه ظاهره مذهب إلى انه يعبر في الإمام أن تجمع عليه الأمة أسرها، وهذا مذهب (الهتامية) من المعتزلة و((أبي بكر الأصم)) فقد ذهبوا إلى أنه يعتبر إجماع الأمة عن بكر أبيها وهذا فيما يلوح، وهو الذي دفع بهؤلاء إلى القول بعدم انعقاد الإمامة في أيام الفتنة، وذلك لعدم أماكن تحقق الشرط⁽⁶⁾.

وآخرون ذهبوا إلى أن المراد من لفظ ((الأمة)) شيء آخر غير ما يبدو من ظاهره، لأنهم رأوا أن اشتراط إجماع الأمة عن بكرة أبيها شرط لا يمكن تحقيقه لأنه تكليف ما لا يطاق، فهو لذلك غير صحيح⁽⁷⁾. وهكذا فقد رأى هؤلاء أن المراد بالأمة هو جماعة خاصة يناط بها هذا الأمر وقد سموهم ب((أهل الحل والعقد)) وفسروا لفظي الأمة والجماعة الواردين في الأحاديث النبوية بهذه الطائفة من الناس، فمن اتفقوا على إمامته كان إماما⁽⁸⁾، لذا، فمن ذهب إلى أن الإمامة تثبت بالإتفاق والاختيار وإنما شوري شوري بين المسلمين، يريد بذلك شوري، واتفاق أهل الحل والعقد واختيارهم. ولكن هل يعتبر في الإمام أن يبايعه أهل الحل والعقد في الأمة بأسرها أم يكفي أهل الحل والعقد في بلد فقط، وإذا اكتفينا بمن في بلد الإمام فهل يشترط اجتماعهم كلهم، أو يكفي اتفاق عدد محدد منهم؟ أم لا يشترط العدد أصلا فتكفي بيعة

(1) ظ: الطوسي، الخواجة نصير الدين، توضيح المراد على شرح تجريد الاعتقاد: 2: 679وط: رشدي عليان الإسلام والخلافة، ص 31.

(2) الماوردي، الأحكام السلطانية: 35.

(3) الشهرستاني، الملل والنحل، 1: 13، ابن المرتضى: البحر الزاخر: 1: 178.

(4) شرح النهج: 20: 34.

(5) الخضري، الشيخ محمد: أصول الفقه: 287 وما بعدها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: 1424 هـ - 2004 م.

(6) الشهرستاني الفصل في الملل والنحل، 4: 167 - 168.

(7) ظ: الأشعري، أبي الحسن عل بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد الحميد: 2: 132، ط 1، 1369 هـ - 1950 م، مكتبة النهضة المصرية.

(8) محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام: 108.

الواحد؟ ولا شك هناك أقوال مختلفة عند المذاهب الإسلامية⁽¹⁾، ويمكن القول إن الرأي عند المذاهب الإسلامية جميعاً قد استقر إلى عدم اشتراط العدد إطلاقاً، فيكفي بيعة الواحد إذا شهد عليه الشهود⁽²⁾ كما ردوا قول من ذهب إلى اشتراط إجماع أهل الحل والعقد في الأمة بأسرها ببيعة أبي بكر باختيار من حضرها ، ولم ينتظر لبيعة قدوم غائب⁽³⁾ . وهناك أقوال مختلفة عند المذاهب الإسلامية⁽⁴⁾، ويمكن القول القول إن الرأي عند المذاهب الإسلامية جميعاً قد استقر إلى عدم اشتراط العدد إطلاقاً، فيكفي بيعة الواحد إذا شهد عليه الشهود⁽⁵⁾ كما ردوا قول من ذهب إلى اشتراط إجماع أهل الحل والعقد في الأمة بأسرها ببيعة بيعة أبي بكر باختيار من حضرها ، ولم ينتظر لبيعة قدوم غائب.

3- الإجماع: فقد أجمع أعلام الأمة على اختلاف مذاهبهم إلا من شذ على وجوب إقامة رئيس

أعلى للدولة الإسلامية ، يجمع كلمة الأمة، ويرعى شؤونها الدينية أو الدنيوية⁽⁶⁾.

وقد أجمعت الأمة قاطبة إلا من لا يعتد بقوله على وجوب نصب الإمام على الإطلاق وان اختلفوا في أوصافه وشرائطه⁽⁷⁾، فعلماء المذاهب الإسلامية ينصّون على وجوب الإمامة وعدم الاستغناء عنها في عصر من العصور فالإمامة عند الماوردي عقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع⁽⁸⁾، وعند ابن حزم يؤكد هذا الوجوب ويناقش أدلة المنكرين له ((اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة وان الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله4.

4- الأدلة العقلية: ان الإنسان وانطلاقاً من فطرته السليمة ينشد الكمال الذي هو غاية الخلق على

ان المسار التكلمي الذي يحاول الإنسان سلوكه تعتروه عقبات وأخطار تجعل اكتشاف ذلك المسار لدى الإنسان دون تسديد من آخرين امراً مستحيلاً.

(1) ظ: الأشعري ، أبي الحسن عل بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين : 460، وظ: الأحكام السلطانية : 7، ظ: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي: 4: 167، ظ: القلقشندي ،مآثر الأنافة في معالم الخلافة: 1: 43- 44.
(2) عبد القاهر البغدادي(ت429هـ)، أصول الدين: تح: أحمد شمس الدين : 308 - 309، ط1، 1423 هـ - 2002م، منشورات محمد علي بيضون، نشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
(3) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ص 112 - 113، نقلا عن الفصل والملل: ابن حزم: 4: 167 - 168.
(4) ظ: الأشعري ، أبي الحسن عل بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين: 460 ظ: ابن حزم الأندلسي الفصل في الملل والأهواء والأهواء والنحل: 4: 167، ظ: مآثر الأنافة في معالم الخلافة: للقلقشندي : 1: 43- 44. وظ: التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة :أبي بكر الباقلاني(ت403هـ) ،تح: الخصري: 164، وظ: الأحكام السلطانية : 7.
(5) عبد القاهر البغدادي(ت429هـ)، أصول الدين: تح: أحمد شمس الدين : 308 - 309، ط1، 1423 هـ - 2002م، منشورات محمد علي بيضون، نشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
(6) رشدي عليان: الإسلام والخلافة : 31، وظ: عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة : 759 .
(7) القلعي(ت630هـ) ، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: تح: إبراهيم يوسف مصطفى: 74، ط1، 1405 هـ - 1985م، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، شارع الفاروق، وظ: الأحكام السلطانية: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت458هـ): صحح عليه وعلق عليه : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1421 هـ 2000م.
(8) الماوردي الأحكام السلطانية والولايات الدينية: 17 - 25 .

ومن هنا يتوجب وجود طريق يضمن تحقيق هذا الهدف لتحقيق غاية الخلق وهذه المسألة محلولة في زمن النبي، غير ان التحدي مستمر بعد غياب النبي لأنه لا ينحصر في مقطع زمني محدد.

واذن فوجود إنسان كامل يكون معلماً في مسار الإنسانية أمر ضروري وهذا الإنسان الكامل هو (الإمام) أي الإنسان المعصوم الذي يرفع لواء التوحيد ويتطلى بكل مقومات الإمام كإنسان كامل. انه بمنزلة الشمس التي تسطع فوق ذرى الإنسانية لتهدى الحائرين الى الطريق وهو الإنسان الذي تتعكس من خلاله فيوضات السماء، وحلقة الوصل بين عالمي الغيب والشهادة ... الإنسان الذي صانته السماء وحفظته من الخطأ والخطيئة والنقص. فمن المستحيل أن يحدد الله سبحانه غاية الخلق في الكمال المنشود ثم لا يجعل ذلك مجسداً في إنسان يكون دليلاً وبرهاناً على امكانية تلك الغاية المنشودة⁽¹⁾. وهناك ادلة ونظريات لمشروعية الخلافة كلها تتفق مع الفريق الثاني والقائلين بعدم اشتراط النص وهي كالآتي⁽²⁾:

أ- القرابية: لقد تمّ التأكيد على هذه النظرية من قبل المذاهب الإسلامية حيث حاججوا الأنصار وأخذوا الأمر منهم لأن (المهاجرين) أهل الرسول وعشيرته، ولأن العرب تأتي أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم، وقد قال عمر رضي الله عنه (من ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته)؟ ولكن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم، والعرب لا ينبغي أن تولي الأمر إلا من كانت النبوة فيهم من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياءه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم⁽³⁾.

ب- نظرية كبر السن والخبرة بالأنساب: يذكر علماء المذاهب الإسلامية أن أولى الناس وأحقهم بالخلافة بعد رسول الله 4 هو أبو بكر الصديق وذلك لكبر سنه وعلمه بالأنساب كما ذكر العقاد⁽⁴⁾.

مناقشة الدليل: لاشك أن هناك أنبياء أوصى الله اليهم وغلمة كيوسف وعيسى ويحيى واختارهم الله للنبوة وهم كذلك ثم ان هنالك من ولد قبل النبي 4 نفسه، أما علم أبي بكر بالأنساب سلاحاً بيد المسلمين ولا ينكر كغيره من الأسلحة كعلم علي في مجال الحرب.

ت- نظرية العهد (مرجعية العهد): اعتبر الماوردي (ت450هـ) أن العهد من الأمام السابق أحد الوجهين اللذين تتعقد بها الإمامة، والوجه الآخر هو اختيار أهل الحل والعقد . وقال ((والإمامة تتعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل العقد والحل، والثاني بعهد الإمام من قبله...)) ((وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله، فهو مما انعقد الإجماع على جوازه ووقع الإتفاق على صحته، عمل المسلمون بها ولم يتناكروه من قبيل الأول: أحدهما: ان أبا بكر عهد بها إلى عمر ، فأثبت المسلمون إمامته بعهد . والثاني: أن عمر عهد بها إلى أهل الشورى فقبلت الجماعة دخولهم فيها ، وهم أعيان العصر ، واعتقاد الصحابة العهد بها، وخرج باقي الصحابة منها ، وقال علي للعباس حين عاتبه على الدخول في الشورى: ((كان أ مرا عظيماً من أمور الإسلام ، لم أر لنفسي الخروج منه)) فصار العهد إجماعاً في انعقاد الإمامة . فإذا أراد الإمام أن يعهد بها فعليه أن يجهد رأيه في الأحق بها، فإذا تعين له الاجتهاد في واحد، فان لم يكن ولداً ولا والد جاز أن ينفرد بعقد البيعة له وبتقويض العهد إليه، وان لم يستشر فيه احد من أهل الاختيار))⁽⁵⁾ واعتبار

(1) دروس في الإمامة والقيادة: 21-22.

(2) الباحث لم يتوسع في هذه النظريات لضيق المقام.

(3) تاريخ الطبري: ج3، ص76 ظ: الإمامة والسياسة: ابن قتيبة: ص33

(4) العقاد ، عباس محمد: عبقرية الصديق: المجلد الأول: 190 - 191، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة، بيروت،

لبنان (دت)، وظ: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 18 - 19، ط1 (1420 هـ - 1999م، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .

(5) الأحكام السلطانية: 1 ، ظ: التفتازاني: شرح القاصد : 5: 233 ، ظ: ابن سعد الطبقات الكبرى: ص3: 199 - 200.

العهد طريق آخر . غير ان الأمة . لإسناد الإمامة إلى المعهود إليه هو ظاهر كلام أبي الحسن الأشعري(ت330هـ)⁽¹⁾ وهذا هو الظاهر أيضا من أبي بكر الباقلاني (ت403هـ)⁽²⁾ ، وقد جرت العادة فيما بعد ن يسمي رئيس الدولة الحالي خليفة ويرشحه للأمة.

ث نظرية الشورى⁽³⁾ ويرى المفكرون المسلمون⁽⁴⁾ ان هناك تناقض عند علماء المسلمين⁽⁵⁾.

ويبدو ان مسألة الخلافة بعد عصر الخلفاء الراشدين أخذت خطأ تنازليا، وبدأت معالمها تتهاوى الواحدة تلو الاخرى. ففي عهد الخليفة الثاني كان الإصرار على البيعة، والعقد في أوج قوته، ولكن الخليفة الثاني نفسه طعن بشرط القرشية باستعداده لنصب خليفة من غير قریش لمسألة الخلافة. ثم جرى التحلي عن مبدأ الشورى مع تحول الخلافة الى مسألة وراثية بعد مقتل ابن الزبير اخر المنادين بها⁽⁶⁾. ثم جرى التنازل عن مسألة البيعة والعقد ليحل محلها مسألة القهر والغلبة تحت ضغط الاحداث المتلاحقة في الأندلس وفي الشرق بشكل عام حيث تولى مقام السلطة خلفاء لا يحملون صفات الخليفة الوارد ذكرها في أصحاب الاختيار، ولا حتى بعضها، ومع سقوط الخلافة نفسها سقطت البيعة التي كانت تمثل اخر معاقل النظرية، لتدخل بعدها النظرية السياسية⁽⁷⁾ في مآزقها التاريخي لعدم قدرتها على مجارات الواقع وتطورات الاحداث. وبالتالي يتبين ان أصحاب التنصيص والاختيار الالهي عند تركيزهم على الصفات النفسية للفرد المراد منه ان يتلبس بمقام الخلافة تظهر هذا الفرد على انه شخصية كاريزمية يتمتع بصفات اشد واعمق بحيث يتبين لنا بانه افضل الموجودين على الاطلاق والاقرب الى صفات النبوة والقطرة الانسانية جارية في اختيار الافضل والاكمل والاقرب الى صفات الانبياء⁽⁸⁾، ولذا تمسك الشيعة الاثنا عشرية بنظرية النص والامامة، لانها جارية على سنة الانبياء في استخلاف الاوصياء ذوي الصفات الحميدة والفعال الرشيدة الذين يجسدون جميع ابعاد الطروحات السماوية كما جاء بها النبي المؤسس، ويظهر ذلك بوضوح من النبي موسى عند مقارنتنا في العهد القديم واستخلافه ليشوع بن نون⁽⁹⁾ وصموئيل الذي عين طالوت لمنصب الملكية⁽¹⁰⁾، وداود الذي استخلف سليمان⁽¹¹⁾. والنبي عيسى الذي استخلف شمعون الصفا⁽¹²⁾ على رأس حواربييه، فمن تأمل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، بتجرد وروية، يصل إلى قاعدة كلية مضطردة في المقام مفادها: ان اشبه خلق الله بالأنبياء خلقا وصفة وفعلا هم الأوصياء، ولذا اعتنى الأنبياء بالنص عليهم لاسيما

-
- (1) ظ: الأشعري ، أبي الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة: تح: بشير محمد عيون:، 169، ط5، 1424هـ - 2004م، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ساحة الحجاز . ظ: م.ن: 187، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ط11981م.
 - (2) ظ: الباقلاني: التمهيد في الرد على الروافض: 179. وظ: محمد البغدادي ، أصول الدين :ص 312.
 - (3) وللمزيد للتعرف على هذه النظرية ظ: الإمامة والسياسة: 3- 5، 6، تاريخ الطبري:3: 199.
 - (4) ظ: محمد عمارة، المعتزلة واصول الحكم، ط2، بغداد 1984، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص226.
 - (5) ظ: الجرجاني، شرح المواقف، ج3، ص261-262، وظ: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص210، ص210، وظ: ابن خلدون، المقدمة ص1723، ولازال هذا التناقض عند المفكرين المسلمين في الوقت الحاضر، ظ: الرئيس، د. محمد رياض الدين ، النظريات السياسية الاسلامية، ط4، 1966، دار المعارف بمصر - القاهرة، ص222.
 - (6) علي بو سلمان، نظرية القيادة في الاسلام، ص138.
 - (7) شمس الدين ،محمد مهدي ، نظام الحكم والادارة، ص381-383.
 - (8) علي بو سلمان، نظرية القيادة في الاسلام، ص139.
 - (9) العهد القديم، سفر العدد 27: 18.
 - (10) م.ن، سفر صموئيل اول 10: 20-26.
 - (11) م.ن، سفر ملوك اول 1: 28-40.
 - (12) ظ: سفر يوحنا 21: 15-18، وينظر: م.ن، سفر متي 16: 13-21.

موسى⁽¹⁾ وعيسى⁽²⁾، اللذان يمثلان أعلى طبقات النبوة، فكيف يختم لشرائعهم بكمال الفضل وعلو الدرجة الدرجة بوصي تستمر له الشريعة، ولا يتسنى للنبي محمد(ص) سيد الأنبياء وتمام عدة النجباء ذلك، ومقامه اعلى مقام وشريعته اكمل الشرائع وخاتمتها، كيف لا تهتم الشريعة الخاتمة بنظرية القيادة والخلافة التي تجعلها ذات سيادة على المدى الطويل بينما المذاهب الوضعية تهتم بنظريات القيادة منذ تأسيسها لتستمر ذات سيادة على المدى البعيد⁽³⁾.

المطلب الرابع

دور الخلافة

هنا في هذا المطلب يبين البحث أمران لا بد من معرفة درجة علاقة كل واحد منهما بمفهوم (الامامة المعصومة) عند الشيعة، و(خلافة النبي (ص)) عند الفرق الاسلامية الأخرى، فقد كان النبي (ص) بعد الهجرة، يقوم بالأمرين معاً ويمارسهما في حياته العملية وهما:

- 1- المهمة التشريعية التبليغية: وهي مهمة تتصل بالإسلام عقيدة وشريعة، وبالأمّة باعتبارها تكويناً بشرياً عقدياً.
 - 2- المهمة السلطوية (الحاكمية السياسية): وهي مهمة تتصل بالدولة وبالمجتمع السياسي.
- وقد سبق ان أشار الباحث الى ان علماءنا كانوا يذكرون أنه لا يمكن فصل الخلافة عن الإمامة، لأنه لا يمكن الفصل بين قيادة الرسول ونبوته وذلك لأن الإسلام سياسياً أو معنوياً كل واحد لا يقبل التفكيك، كما ان البعد الروحي للإسلام جزء لا ينفك عن بعده السياسي.
- وانقسم علماء المسلمين الى فريقين بالنسبة لدور الخلافة :

(1) ان الامامة كانت بنص مجعول من قبل موسى ثم امتدت لذرية هارون كفريضة ابدية دهرية مدى اجيالهم كما في سفر الخروج 40: 12-15، ثم جاء بعده يوشع لقيادة الامة للخلافة الدينية والدنيوية ، ظ: العهد القديم، سفر العدد 27: 18.

(2) العهد الجديد، سفر يوحنا 21: 15-18، وظ: م.ن، سفر متي 16: 13-21.

(3) علي بو سلمان، نظرية القيادة في الاسلام، ص172-173، وظ: مواقف الشيعة ، ج2، ص343-344.

أولاً : دور الخلافة عند الإمامية: لقد بين البحث في المطالب السابقة مفهوم الإمامة ومفهوم الخلافة، إلا إن البحث في هذا المطالب يريد أن يبين دور الخلافة عند الفريقين فلاشك في أن (الإمامة المعصومة) عند الشيعة و(الخلافة) عند السنة تقتضيان الولاية على الأمة في القضية السياسية التنظيمية أي الحاكمة السياسية والواجب عند هؤلاء التسليم والطاعة في المجال التشريعي والتعليمي والتبليغي⁽¹⁾.

ويعتبر الخليفة عند الفرق الإسلامية الأخرى مسؤولاً عن (حراسة الدين) بالإضافة إلى (سياسة الدنيا) كما ورد في تعريف الخلافة⁽²⁾.

أذن فمضمون الإمامة المعصومة، كمضمون الخلافة، يشتمل على هذين الأمرين ولكن الكلام في أن (الإمامة المعصومة) أو (الخلافة) هل تتقوم بهما معاً بحيث إذا فقد أحدهما تزول صفة (الإمامة المعصومة) أو (الخلافة) عن الشخص الفاقداً لأحدهما، أو انهما تتقوم بأحدهما ويكون الآخر تابعاً له ومتفرعاً عنه أو ثانوياً وغير مقوم للماهية، بحيث إذا فقد مع بقاء الأمر المقوم تبقي (الإمامة المعصومة) أو الخلافة ثابتة للشخص المتصف بالأمر المقوم، وإن كان فاقداً للأمر الآخر المتفرع عنه أو الثانوي؟

وإذا كان الأمر كذلك فأبي الأمرين المذكورين هو المقوم للإمامة المعصومة عند الإمامية، وللخلافة عند الفرق الإسلامية، بحيث يدور وجودهما وعدمهما مداره وجوداً أو عدماً؟

وهل هو المنصب التشريعي الذي مجاله الإسلام والأمة، أو المنصب السلطوي الذي مجاله الدولة والمجتمع السياسي؟

لقد بحث الفقهاء الكلاميون في واجبات ومسؤوليات الإمام المعصوم والخليفة تجاه الإسلام وتجاه الأمة، وفيما يتصف بالأولية الأولى من هذه المهام والمسؤوليات والواجبات ومن هذه الأبحاث يظهر (فهم وعقيدة) الشيعة والفرق الإسلامية، الإمامة المعصومة والخلافة التي تتصف بالأولية عند هؤلاء وهؤلاء ويعتبرونها جوهر وماهية الإمامة المعصومة والخلافة والعلة في تشريعها⁽³⁾.

ومن خلال البحث والتأمل في أبحاث الإمامية والمذاهب الإسلامية المعقودة لشرح المراد من مصطلح (الإمامة المعصومة والإمام المعصوم) ومصطلح (الخلافة والخليفة) اختلاف جوهري وأساس بين مفهوم (الخلافة والخليفة) عند أهل المذاهب الإسلامية، من حيث المضمون والجوهر ومن حيث المهمة الأساس التي تتصف بالأولية الأولى في مسؤولياتها ومهام وعمل الإمام المعصوم عند الشيعة والخليفة عند المذاهب الإسلامية. حيث إن هذا الاختلاف بين الفريقين في الإمامة المعصومة/الخلافة،

(1) شمس الدين ، نظام الحكم والادارة ، 32.

(2) الماوردي ، الاحكام السلطانية، ص123.

(3) شمس الدين ، مهدي، نظام الحكم في الادارة في الاسلام، 327

ومن ثم في الواجبات والمسؤولية الأساس ذات الأولوية الأولى للإمام المعصوم/والخليفة، يبرر الخلاف السياسي الرئيس بين الفريقين حول قضية الحكم في الاسلام في مرحلة تاريخية تمتد من حين وفاة النبي (ص) الى بداية الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر (ع) سنة (329هـ).

من الملاحظ ان مدار كلام علماء الامامية المعبر عن جهود المعتقد الشيعي الامامي في قضية الامامة المعصومة، هو على ان الامامة المعصومة ممثلة بالأئمة الاثني عشر (ع) -امتداد واستمرار للنبوة- من دون الوحي، في مهمة النبوة الأساس، وهي (الاسلام) من حيث تبليغه بما هو عقيدة وشريعة، منزل من عند الله تعالى، وحمائته وحفظه مما هو معرض له من التشويه، والتحريف والزيادة فيه، والنقص منه، وتأويل الجاهلين لعقائده وأحكامه بما يخالف حقيقته، وتفسيره بشرح وبيان ما اقتضت حكمة التشريع اجماله.

وليس مدار كلام الامامية عن الامامة/الخلافة وان لم تكن معصومة ولصرف النظر عن كونها استمراراً للنبوة في مهمة النبوة الأساس، والفرق كبير وجوهري بين الامامة بما هي (استمرار للنبوة) وبينها بما هي (خلافة عن النبوة).

فعلى الأول: لم تنته مهمة النبوة بوفاة النبي (ص) (1).

وعلى الثاني: انتهت مهمة النبوة بوفاة النبي (ص).

هذا الموقف الفقهي - الكلامي للشيعية هو في مقابل المذاهب الاسلامية الذين يدور كلامهم في قضية الحكم بعد النبي (ص) حول الخلافة غير المعصومة وغير الممثلة بأشخاص معينين منصوص عليهم (2)، لذا فمهمة الامامة، و أساس تشريعها في الله تعالى في المعتقد والتشريع عند الامامية، هي مهمة تتعلق بالاسلام نفسه عقيدة وشريعة على مستوى الحراسة، والتبليغ والتفسير، والحفظ.

فحراسة الاسلام: عقيدة وشريعة، من التحريف والتشويه، والزيادة فيه والنقص منه، وتأويل الجاهلين، وحفظه من كل ذلك.

وتفسير الاسلام: بشرح وبيان ما اقتضت حكمة التشريع اجماله في القرآن الكريم وفي السنة المحمدية (ص) رعاية لوضع المجتمع حين صدور التشريع في زمن النبي (ص) وعلى لسانه، وما آل اليه وضع المجتمع الاسلامي في زمن الامام المعصوم الشارح والمفسر.

(1) ظ: الشري، محمد جواد ، الخلافة في الدستور الاسلامي:تح:محمد السماوي،ص109،ظ:عقائد الامامية،ص76.
(2) شمس الدين، نظام الحكم في الادارة في الاسلام، 327.

وهي مهمة (ملء الفراغ التشريعي) وذلك بتفريع القواعد العامة في الكتاب والسنة الى قواعد أكثر تفصيلاً، وبالكشف عن أبعاد تشريعية في هذه القواعد لم تكن ظاهرة منها وصريحة فيها أو تفصيل القاعدة العامة الى أحكام وتطبيقات جزئية، وهذا أهم دور ومن أولويات الامامة المعصومة⁽¹⁾.

أما المهمة السياسية التنظيمية (مهمة الحكم السياسي) فتقع في الدرجة الثانية من مهمات الإمام ولا تكون ماهية الإمامة⁽²⁾، والأدلة التي قدمها علماء الامامية على عقيدة الامامة المعصومة من الكتاب والسنة، صريحة وظاهرة فيما ذكرنا ، وقد تناول البحث السابق في مشروعية الامامة المعصومة لدى الامامية استدلال علماء الامامية الا اننا في هذا البحث نخصص استدلالات العلماء في خصوص مهمة ودور الامامة من خلال:

1: القرآن الكريم: لقد استدلت علماء الشيعة بآيات كثيرة من القرآن الكريم على الإمامة المعصومة من وجوهها المختلفة. إلا ان الذي يهم البحث هو استدلالات علماء الأمامية فيما يخص الإمامة والمهمة ذات الأولوية الأولى لدور الإمامة ومنها:

أ- قوله تعالى ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))⁽³⁾.

ووجه الاستدلال بالآية انها دلت على كون الإمامة من عهد الله تعالى وعلى اعتبار عصمة الامام. وأخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال: يخبره انه كائن في دريته ظالم لا ينال عهده، ولا ينبغي له أن يوليه شيئاً من أمره⁽⁴⁾ وروي عن مجاهد قال (المعنى لا أجعل اماماً ظالماً يقتدى به)⁽⁵⁾.

ب- قوله تعالى ((قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))⁽⁶⁾، وقوله تعالى ((هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون))⁽⁷⁾.

ووجه الاستدلال بالآية ان رياسة الامامة رياسة دينية، وزعامة الهيئة، ونيابة عن الرسول (ص) في اداء وظائفه، فلا تكون الغاية منها مجرد حفظ الحوزة، وتحصيل الأمن في الرعاية والا لجاز أن يكون

(1) م.ن ، 328.

(2) م.ن.

(3) سورة البقرة، 124.

(4) السيوطي ت911هـ الدر المنثور في التفسير المأثور، ، 1: 221، ط2، 2004م-1424هـ، منشورات محمد علي بيضون نشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان.

(5) المظفر، دلائل الصدق، 2: 16-17.

(6) سورة يونس: 35.

(7) سورة الزمر: 9.

الامام كافر أو منافقاً، أو أفسق الفاسقين، اذا حصلت به هذه الغاية، بل لا بد أن تكون الغاية منها تحصيل ما به سعادة الدارين كالغاية من رسالة الرسول وهي لا تتم الا أن يكون كالنبي معصوما وأحرص الناس على الهداية، وأقربهم للاتباع والانتفاع به في أمور الشريعة والآخرة، وأحفظهم للحوزة وحقوق الرعية وسياستها على النهج الشرعي⁽¹⁾.

2- السنة: عند تتبع الروايات التي وردت عن أئمة أهل البيت (ع) التي تضمنت شرح وبيان جميع جوانب وأبعاد الإمامة المعصومة نجدتها في كتاب الكافي وكذلك ما رواه الشيخ الصدوق (381هـ).

أ- يروي الكليني عن (يونس بن يعقوب)، الحوار بين (هشام بن الحكم) و(عمر بن عبيد) كما قصه هشام على الإمام الصادق (ع) وفيه قول (هشام) ل(عمر بن عبيد)، فقلت له: يا أبا مروان، فالله تعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها اماماً يصحح وينقي به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم اماماً يردون اليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد الهي حيرتك وشكك؟ قال هشام: فسكت (ابن عبيد) ولم يقل لي شيئاً.
قال يونس بن يعقوب: فضحك أبو عبد الله (ع) وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت شئ أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى⁽²⁾.

والرواية صريحة في ان الإمامة المعصومة والأولوية الأولى في دور الخلافة المعصومة تقوم بالجانب التشريعي التبليغي، وحفظ الإسلام من التحريف.

ب- الروايات التي اوردتها في باب (ان الأرض لا تخلو من حجة)⁽³⁾. هي روايته عن (إسحاق بن عمار) عن الامام الصادق (ع) قال: (سمعتة يقول: ان الأرض لا تخلو الا وفيها امام، كما ان زاد المؤمنون شيئاً ردهم، وان تقصوا شيئاً أئمة لهم).

3- نسق الاستدلال الكلامي لفقهاء ومتكلمي الشيعة والإمامية.

فقد أورد علماء الأمامية نصوصاً لهم ذكروها في مقام الاستدلال على الإمامة المعصومة وما يتعلق بها وبالتالي بين دور الإمامة ومهمتها.

أ- قال الشريف المرتضى ت436هـ (فأما الامام فلم يستغنى عنه في وجوب الصلوات، لأن أصحابنا قد ذكروا وجوه الحاجة اليه في ذلك:

فمنها: تأكيد العلوم وإزالة الشبهات، ومنها: انه يبين ذلك، ويفصله وينبه على مشكله وغامضة، ومنها: كونه من وراء الناقلين، ليأمن المكلفون من أن يكون شئ من الشرع لم يصل اليهم.

⁽¹⁾ المظفر، دلائل الصدوق، 2: 29-31.

⁽²⁾ الكليني ت328هـ، أصول الكافي، كتاب الحجة، باب الاضطرار الى الحجة، 1: 170.

⁽³⁾ م.ن: 177، الروايات، 1، 2، 3، وهناك روايات اخرى، ط: الصدوق: علل الشرائع، ت 381، ط1، 1329هـ، منشورات: الشريف الرضي، ج1، باب 153، ص254-261.

ولو وجب ان يطلق الاستغناء عن الامام في هذه الأمور من حيث كان لنا طريق يوصل الى العلم بها من غير جهة، لوجب على صاحب الكتاب وأهل مذهبه ان يطلقوا الاستغناء عن الرسول في جميع ما أداه البنا مما علمناه قبل ادائه بالعقل، ومن أطلق ذلك خرج من جملة المسلمين، وليس يمكن ان يمتنع منه، ويحتج فيه، الا بمثل ما احتجنا به⁽¹⁾، ولقد أشار الباحث في المبحث السابق ان أساس الاستدلال الكلامي على وجوب نصب الامام المعصوم في علم الكلام الشيعي هو (قاعدة اللطف) وقد اعتبر الطوسي وشارحه (الحلي) ان هذه القاعدة تقتضي أمرين:

أحدهما: الأمر السياسي التنظيمي.

ثانيهما: الامر التشريعي التبليغي.

وقد جاء في الوجهين الاول والثاني من وجوه رد الاعتراض الثالث على (قاعدة اللطف) قول العلامة الحلي: (انه الامام يحفظ الشرائع ويحرسها من الزيادة والنقصان، ان اعتقاد المكلفين بوجود الامام، وتجويز انفاذ حكمه عليهم في كل وقت سبب لردعهم عن الفساد، ولقربهم الى الصلاح، وهذا معلوم بالضرورة)⁽²⁾.

ويذكر الباحثون المسلمون ان هذا واضح في اقتضاء أن يكون جوهر مهمة الامامة هو الجانب التشريعي، حيث ان فعل الامام حجة بما هو صادر عنه، وقوله حجة بما هو صادر عنه ومتعلق بشخصه، ومن هنا اعتبار الفعل والتقدير -كالقول- من السنة اللازمة المراعاة والاتباع، وأما لو كان جوهر الامامة وماهيتها هو الجانب السياسي -التنظيمي، فان الطاعة ليست (لأمره) الشخص، والاتباع، ليس (الفعله) الشخصي، وانما هو للشرع واحكامه.

ب- ويدل على ما ذكرنا نسق الاستدلال الكلامي للشيخ محمد حسن المظفر (1301 - 1375)

حيث قال في الرد على (الفضل بن روزبهان): (ويشهد لكون الامامة من أصول الدين ان منزلة الامام كالنبي في حفظ الشرع، ووجوب إبتاعه والحاجة اليه ورياسته العامة)⁽³⁾.

ان للخليفة دور مهم وهو احداث تغيير في الحالات تقتضي التصرف بدون توسط البدن، وقدرة محدودة بحد معين أو مطلق.

فالولاية التكوينية تتأتى بمعنى القدرة، فالأنبياء والأوصياء ، وفي اظهار قدرة الانبياء والاصياء كثيرة فقد تعرض القرآن الكريم لها من خلال معجزاتهم .

وهنا يدور البحث حول ان هذه المعجزات هل صدرت عنهم وكانت من فعلهم بحيث ان الله تعالى أعطاهم القدرة على ذلك أم لا ؟

انقسم العلماء إلى فريق مثبت لها وفريق نافي لها :

(1) الشريف المرتضى ت436هـ، الشافي الامامة، 7-76، السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط2، 1426هـ-2006م، نشرات مؤسسة الصادق (ع) للطباعة والنشر، طهران- ايران.

(2) ظ: نصير الدين الطوسي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، شرح الحلي، 389، ط1، 1399هـ-1979م منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت -لبنان.

(3) ظ: المظفر، دلائل الصدق، 2: 14.

فأدلة الفريق الاول وهم المثبتين: تمسكوا واستدلوا بآيات من القرآن الكريم لإثبات صدور المعجزات عنهم وهي كثيرة منها عل سبيل المثال: قوله تعالى: ((قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ... وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ))⁽¹⁾ وتذكر هذه الآيات قصة عرش بلقيس إذ استطاع أن يأتي به الذي عنده علم من الكتاب من اليمن إلى الشام قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه وقد فعل ذلك بنفسه⁽²⁾. وهذا التفسير قد يفهم منه ان يخرج مسألة الإتيان بعرش بلقيس عن كونها من فعل الذي عنده علم من الكتاب ويجعلها من فعل الله تعالى مباشرة ولم يكن دور الرجل سوى ان دعا الله وسأله حصول ذلك⁽³⁾ وهناك الكثير من الآيات الدالة على معجزهم صلوات الله عليهم أجمعين⁽⁴⁾.

الفريق الثاني وهم النافين: لصدور المعجزات عنهم عليهم السلام حيث تدل على كون الأنبياء عليهم السلام لا يفعلون المعجز بأنفسهم وانما هو الله تعالى فاعل المعجزة وقعت عليهم او قامت فهم⁽⁵⁾ محل المعجزة ولا فاعل المعجزة وهذه الآيات منها: ((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ))⁽⁶⁾، وعند البحث في دور الخلافة عند المذاهب الإسلامية الأخرى، انهم يرون ان المهمة الاساسية التي تكوّن ماهية الخلافة وجوهرها هي المسألة السياسية-التنظيمية فقط ومباشرة الحكم السلطوي لا غير، أما المهمة المتصلة بالاسلام في مجال التشريع، فهم يرون انها مهمة اكتملت بالنبي(ص) ولم يبق منها شئ لأحد بعده واما في مجال التبليغ والشرح فهي بالنسبة الى الخليفة مهمة ثانوية تلحظ بصورة ثانوية وتبعية من خلال اشتراط الاجتهاد في الخليفة، أو لا تلحظ على الاطلاق كما حدث غالباً في الواقع التاريخي للخلافة لأنها ليست مهمة الخليفة، وان كان مجتهداً وانما هي مهمة الفقهاء والمحدثين ،ولم يلحظ الانسان المسلم في تشريع الخلافة باعتباره موجوداً دينياً مكلفاً بالشريعة وانما لوحظ المسلم باعتباره موجوداً سياسياً، يحتاج الى النظام في حياته من مجتمع سياسي⁽⁷⁾. ان السنة المروية في شان الخلافة على قسمين:

احدهما: ما يتضمن أهل التشريع، فيقرر ان وجود الخليفة ضرورة لا بد منها، من قبيل (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، ويدخل في هذا القسم ما وروي في تعيين كون الخلافة في قريش، من قبيل الأئمة من قريش، وقدموا قريشاً ولا تقدموها، وبما جرى⁽⁸⁾.

ثانيهما: ما يركز على مبدأ (الطاعة) في الشأن السياسي التنظيمي، من قبيل ما رواه عبد الله بن عمر وابن العاص عن النبي (ص) ((.....ومن بايع إماماً فأعطاه صنعته يده، وثمره قلبه فليطعه نا استطاع، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر، واسمعوا وأطيعوا...)).

ثانيا : دور الخلافة عند المذاهب الاسلامية :

- (1) سورة النمل : 38 - 39.
(2) الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة، 68، وظ: الطوسي، تفسير التبيان، 19: 96.
(3) م.ن : 70 - 71.
(4) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: 3: 420.
(5) ظ:سورة آل عمران:49، وظ:سورة ص: 36،وظ: سورة سبأ: 10،وظ: سورة الأنبياء: 80، وظ:سورة الكهف:96.
(6) سورة الإسراء : 59، وظ : العاملي ، هشام ،الولاية التكوينية من الكتاب والسنة، ص76.
(7) نظام الحكم والادارة في الاسلام: شمس الدين: 365.
(8) م.ن: 369.

وعند عرض النصوص التي تعرض لها، فقهاء متكلمي المذاهب الاسلامية لبيان دور الخلافة.

يتبين ان الخلافة عند علماء المذاهب الاسلامية منصب دنيوي تنفيذي، يقتضيه ويفرضه المجتمع السياسي بسبب ماله من ضرورات العيش والتماكك والاستمرار ولا علاقة له بالأمة لذا، فمهمة هذا المنصب كما هو شأنه في المجتمعات السياسية غير الاسلامية تنظيمية- سياسية، ولا علاقة له بمهمة التشريع والحفظ والتفسير والشرح⁽¹⁾.

ومن هنا جاء اتفاقهم على عدم اشتراط النص وعدم اشتراط العصمة وكفاية الاجتهاد اذا حصل، وعدم اعتباره في صحة الخلافة اذا لم يحصل.

وعدم اشتراط الأفضلية في الخليفة بل تصح إمامة المفضل مع وجود الأفضل واتفاقهم على انه اذا عقدت الخلافة لأحد من الناس، لم يجز العدول عنه الى الأفضل، اتفاقهم على عدم الانعزال بالنسق⁽²⁾.

وكل المباني الفقهية والكلامية عند علماء المذاهب الاسلامية التي لا يمكن فهمها الا على أساس اعتبار الخلافة مؤسسة لا تتعلق بتكوين الأمة على الاسلام، وانما تتعلق بالدولة، والمجتمع السياسي والضرورات السياسية والتنظيمية للمجتمع السياسي، وهي لذلك كله، منصب تنفيذي محض لا علاقة لاعلانه له بالاسلام ما هو حركة نمو مستمرة في مجال التشريع، التفسير، والشرح والتفصيل والحفظ، وملء مساحات الفراغ التشريعي التي تنشأ بسبب نمو الحياة وتنوعها ومما يستدعي ذلك من نشوء مسائل جديدة تواجه الانسان المسلم، والأمة المسلمة، وعلاقة الخلافة بالاسلام هي انه أساس تشريعها وانها تحكم مجتمعاً تعتقده في حياته، وان عليها ان تحكم هذا المجتمع وفقاً لعقيدة وشريعة.

ان الخلافة ترتبط بالسياسة والضرورات السياسية التنظيمية وتتبع منها ولا ترتبط الا بصورة ثانوية بالأيدولوجيا وسيرورة حركة الشريعة في الأمة والعالم، أو لا ترتبط بذلك على الاطلاق ويترتب على هذا ان شرعية الخليفة، ودوره في المجتمع، ينبعان من كونه يتولى المهمة السياسية بالفعل ويمارس السلطة فاذا فقد السلطة فقد الشرعية⁽³⁾.

ومن هنا فمهمة الامام المعصوم ليست سياسية- تنظيمية سلطوية بالدرجة الأولى ولا يشكل هذا الامر مهمة امامته، وانما هي عقائد تشريعية بالدرجة الأولى وسياسية تنظيمية بالدرجة الثانية ومن هنا اشتراط الشيعة النص والعصمة والافضلية.

ومن هنا فان الامام المعصوم عندما يفقد منصبه السلطوي باعتباره حاكماً للدولة في المجتمع السياسي فانه لا يفقد إمامته، ولا يضعف⁽⁴⁾ مركزه على الاطلاق، لأن الامامة لا تتقوم بالسلطة، وليس مجالها السياسي المجتمع السياسي، وليس بتعبيرها بممارسة الحكم في الدولة، وانما تتقوم بدوره الديني التشريعي ومجالها الأمة وتعبيرها في قيادة الأمة على مستوى التبليغ والتشريع.

ان الامام المعصوم، وهو خارج السلطة الفعلية بل هو مطارد من قبلها يبقى مستمراً بشرعيته الكاملة، في منصب الإمامة، باعتباره إماماً للأمة، وقيادة سياسية تشريعية ثقافية.

(1) الأشعري، أبي الحسن، الابانة في أصول الديانة: 324، تح: بشير محمد: 168، ط5، 1424هـ-2004م، مكتبة دار البيان، دمشق.

(2) ط: غياث الامم: الجويني ت478هـ: 141-144 وط: الاحكام السلطانية: الماوردي.

(3) نظام الحكم والادارة في الاسلام: 381.

(4) م.ن، 383.

وهناك محطات بارزة في تاريخ الاسلام تشهد على هذا النهج الذي ألتزمته الإمامة في حملها لمسؤولية الاسلام والأمة⁽¹⁾.

من هنا يرى الباحث ان دور الإمامة المعصومة ومهمتها ذات الأولوية الأولى هي:

حفظ الاسلام وحراسته كمن التحريف والتشويه وسوء التأويل وشرحه وتفسيره وتفصيله بملاء مساحات الفراغ التشريعي، والمسؤولية السياسية التنظيمية تابعة ومنفرعة لا يؤثر فقدانها على دور الإمامة المعصومة والإمام المعصوم بالنسبة إلى الإسلام والأمة.

أما دور الخلافة وأهميتها فهي: تنظيم وتسيير المجتمع السياسي عن طريق بناء الدولة، دون ان يتحمل أية مسؤولية عن الإسلام والأمة، وشرعية الخليفة تدور مدار تولي السلطة الفعلية، فاذا فقدتها لم يعد خليفة، ويفقد شرعيته، ودوره في المجتمع السياسي، وفي الدولة، وعلى هذا فالباحث يرى ان كلام علماء الامامية واستدلالهم مختلف من كلام علماء السنة واستدلالهم، والموقف الفقهي السياسي من أنظمة الحكم التي تولت السلطة في المجتمع السياسي الإسلامي مختلف بين الفريقين في الفترة الزمنية الممتد من وفاة النبي الى حين الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر (ع).

فعند الشيعة هي أنظمة جور غير شرعية، لانها قامت، وحكمت المجتمع خارج شرعية الامامة المعصومة الظاهرة، وعند المذاهب الاسلامية هي أنظمة شرعية لأنها قامت وحكمت وفقاً للأصول الكلامية.

النتائج:

1- تظهر الدراسة ان بين الفكر الامامي والمذاهب الاسلامية خلافاً جوهرياً مفهوماً في المراد من الإمامة المعصومة عند الشيعة الامامية والمراد من الخلافة عند الفرق الاسلامية الأخرى، حيث ان ما يقوم الامامة المعصومة ويكوّن ماهيتها، هو كونها استمراراً للنبوة (من دون الوحي) بالنسبة الى الاسلام والأمة، وان ما يقوم الخلافة ويكوّن ماهيتها هو الوضع السياسي التنظيمي للمجتمع السياسي والدولة، دون ان تتحمل مسؤولية الاسلام والأمة. لقد كان النبي محمد (ص) القائد الاعلى للدولة الاسلامية، حيث من خلال سير الاحداث، وصفات وسمات النبي (ص) يجد انه جسّد اعلى مستويات القيادة عبر التاريخ، فاذا كانت هذه القيادة هي قيادة الهيئة نبوية، فلاشك في ان التأثير والتنسيق وضرب المثل الاعلى في الافعال والاقوال سيكون في اعلى مستوياته لمكان شخصية النبي الالهية الكاريزمية.

2- تبين لي ان الخلافة الامتدادية هي استمرار لنهج الانبياء من جهة، ومن جهة اخرى فهي تتوافق مع سيرة العقلاء، وحكم العقل وبناء الحكومات، في كل زمان ومكان⁽²⁾، ولهذه المسألة شواهد وردت في

⁽¹⁾ ظ: محمد عبده، شرح نهج البلاغة، 1: 22، وقال له العباس: أمدد يدك ابابيك فيقول الناس عم رسول الله (ص) بايع ابن رسول الله فلا يختلف عليك اثنان، وظ: أصل الشيعة واصولها، محمد حسين كاشف الغطاء، ص 108-109.

⁽²⁾ ويعبر عن ذلك الامام علي (ع) بالقول ((لابد للناس من امير برّ كان او فاجرة، يعمل في امرته)).

القران وفي احاديث النبي محمد (ص) وفي سيرة الانبياء السابقين عليه من خلال الكتاب المقدس في العهدين القديم والجديد.

3- وتبين لي ان الشريعة الاسلامية قد سبقت النظريات الوضعية بإيلائها الخلافة اهتماما بالغاً، لما لها من اثار خطيرة في قيادة الدولة والامة والحفاظ على الشريعة والحق والعدالة بحسب الوجود الخارجي.

4- ان للخلافة اهمية كبيرة عند جميع الفرق الاسلامية ، فقد أولى الاسلام مسألة القيادة اهمية بالغة، وجعلها من صلب أهدافه وغاياته، وقد تمثلت اول ما تمثلت، بشخصية النبي الكريم محمد (ص)، ثم خلفائه من بعده ، الا انهم اختلفوا في ماهية هذه الخلافة ، فالامامية جعلوا للخلافة ابعادا مختلفة لاهمية الخلافة ومنها:

أ- اذا كانت هذه القيادة هي قيادة الهية نبوية، فلاشك في ان التأثير والتسويق وضرب المثل الأعلى في الأفعال والأقوال سيكون في اعلى مستوياته لمكان شخصية النبي الالهية الكاريزمية.

ب-تعتبر عندهم هي الخلافة الإلهية في الأرض ومهمتها استخلاف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم وبيّن لهم المعارف والأحكام ويشرح لهم مقاصد الشريعة ويصون الدين من التحريف فالإمامة تعتبر منصب إلهي وامتداد للنبوّة في وظائفها باستثناء كل ما يتعلق بالوحي. وبهذا المفهوم تكون الإمامة هي أسمى من مجرد القيادة والزعامة في أمور السياسة والحكم.

ت-ان الامامة هي هداية الناس الى الله تعالى من خلال تقدمهم في المسيرة الربانية عملياً وهذا ما أكدته مجموعة من الآيات الكريمة التي تحدثت عن الامامة وقرنت الامامة بالهدى⁽¹⁾.

ث- ان الامامة عهد الهي الى عبادة الصالحين، كما تصرح بذلك الآية الكريمة ((قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين))⁽²⁾، ويفهم ذلك من قوله تعالى(أني جاعلك للناس اماماً)،والسرّ في ذلك ما أشرنا اليه من انها هداية بأمر الله تعالى ولذلك لايد ان نفترض فيها جانباً من الاصطفاء والاجتباء من ناحية كما نشير اليه الآيات التي تحدثت عن الاصطفاء،مثل قوله تعالى((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))⁽³⁾.

ح- ان الامام لا يمكن ان يكون ظالماً كما تصرح بذلك الآية الكريمة ((لا ينال عهدي الظالمين)) ولايد ان يكون انتقاء الظلم عن الامام بدرجة عالية لما تقتضيه عدة قرائن حالية ومقامية ومقالية، تم تناولها في أبحاث التفسير.

(1) ظ: سورة الانبياء: 73.

(2) سورة البقرة: 124.

(3) سورة ال عمران: 33-34.

خ- إن هذه الإمامة هي إمامة عالمية وللناس جميعاً وليست خاصة بالقوم والجماعة أو المنطقة والإقليم بل هي للناس (أني جاعلك للناس إماما...) وهذا جانب آخر من تطور النبوة في مساحة عملها وحركتها الخارجية.

5- اما اهمية الخلافة عند المذاهب الاسلامية فهي عندهم تمثل ان الخليفة يتحمل مسؤولية حراسة الدين، والتي يقصد بها الدفاع عن وجود الدين ضد أي تهديد سياسي أو عسكري يستهدف الإطاحة بالنظام الحاكم، ومن هذا يتوضح ان الإمامية يعطون لمنصب الخلافة دوراً أكثر دينياً مما تعطيه المذاهب الإسلامية الأخرى، وبذلك يظهر الفرق بين الإمامية وباقي المذاهب الإسلامية حيث يعتبر الإمامية ان الإمام هو المبين للشرع وهو كاشف عن ملتبس الدين وغامضه، كما يعتبرونه صاحب هداية الخلق إلى الحق.

6- ومن النتائج المهمة التي توضحت لدي ان الامامية قد تمسكت بنظرية النص التي تنص على الامام (الخليفة من بعده) وعلى الائمة من اهل البيت، والسبب لانها كانت جارية على سنة الانبياء في استخلاف الاوصياء ذوي الصفات الحميدة والفعال الرشيدة، الذين يجسدون جميع ابعاد الطروحات السماوية، كما جاء بها الانبياء في الديانات السماوية.

7- يتبين من الادلة التي يستدل بها الامامية على مشروعية الخلافة أن الإمامة مجعولة وأن الإمام يجب أن يكون معصوماً، وقد استدلوا على ذلك عن طريق النصوص القرآنية وكذلك من السنة النبوية ومن الاجماع ومن الادلة العقلية.

8- يتبين من الادلة التي استدل بها المذاهب الاسلامية الاخرى على مشروعية الخلافة انها تثبت من خلال بالاتفاق والاختيار وانها شورى بين المسلمين وهذه الاستدلالات جاءت عن طريق النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والاجماع والادلة العقلية.

9- يستنتج الباحث من خلال هذه الدراسة ان الخلافة ومقارنة للديانات الاخرى وحسب المشروعية التي استدلوا بها يتوضح ان مسألة مشروعية الخلافة جاءت عن طريق التنصيص والاختيار الالهي ولم يتدخل الناس لاختيار الخليفة وهذا ما يناظر علماء الامامية الذين يقولون بالتنصيص الالهي.

10- من خلال البحث والتأمل في أبحاث الامامية والمذاهب الاسلامية المعقودة لشرح المراد من مصطلح (الامامة المعصومة والامام المعصوم) ومصطلح (الخليفة والخليفة) يجد الباحث ان هناك اختلاف جوهري وأساس بين مفهوم (الخليفة) عند أهل المذاهب الإسلامية، من حيث المضمون والجوهر ومن حيث المهمة الأساس التي تتصف بالأولوية الأولى في مسؤولياتها ومهام وعمل الإمام المعصوم عند الشيعة والخليفة عند المذاهب الاسلامية.

11- تظهر الدراسة ان الخلافة عند الامامية يكون دورها بحفظ الشرائع وحراستها من الزيادة والنقصان حيث يذكر الباحثون ان هذا واضح في اقتضاء ان يكون جوهر مهمة الامامة هو الجانب التشريعي، حيث ان فعل الامام حجة بما هو صادر عنه ومتعلق بشخصه ومن هنا اعتبار الفعل والتقدير - كالقول - من السنة اللازمة المراعاة والاتباع واما لو كان جوهر الامامة وماهيتها هو الجانب السياسي التنظيمي فان الطاعة ليست (بامره) الشخصي، (وليس لفعله) الشخصي وانما هو للشرع واحكامه لذا فهم يعتبرون ان الخلافة لها القدرة على المعجزات وقد استدلوا على اثبات المعجزات عنهم من خلال القران الكريم.

12- بينما المذاهب الاسلامية يعتبرون دور الخلافة مهمتها هي المسالة السياسية التنظيمية فقط ومباشرة الحكم السلطوي لا غير. اما المهمة المتصلة بالاسلام في مجال التشريع فهم يرون انها مهمة اكتملت بالنبي (ص) ولم يبق منها شيء لاحد منهم واما في مجال التبليغ والشرح فهي بالنسبة للخليفة مهمة ثانوية لذا فهم اتفقوا على عدم اشتراط النص وعدم اشتراك العصمة وعدم اثبات صدور المعجزات.

المبحث الثاني

ال خليفة في الإسلام

أهمية وجوده وكيفية تعيينه

يتناول الباحث في هذا المبحث بيان الرؤى التي اختلفت في كيفية تنصيب وتعيين الخليفة عند المذاهب الاسلامية، عن طريق بيان الصفات والشروط الواجب توافرها لصاحب هذا المقام ، وقد استند كل فريق على نصوص الكتاب الكريم والسنة الشريفة، متطرقا لبعض مناقشة الادلة عند بعض الفرق الاسلامية ، وكذلك يتم البحث لأهمية وجود الخليفة، من خلال أهم الأسباب لضرورة ، واهمية وجوده ، وما هي الآثار المترتبة على عدم وجود هذه الشخصية.

المطلب الأول

أهمية وجود الخليفة

ان مسألة ضرورة وجود خليفة للنبي موضع اتفاق المسلمين ، ولا يمكن أن يتصور وجود جماعة او أمة بدون إمام، وقد أثبتت المسيرة الإنسانية في جميع مراحل سيرها انه لا يمكن الاستغناء عن الإمام والإمامة، فالمجتمع الاول وان كان محدوداً في كنه ونوعه وانتصاره على أسرة آدم (ع) الا انه لم يستغن عن الإمام⁽¹⁾، فكان آدم (ع) يمثل الإمام في نظامه أسرته التي هي بمثابة مجتمع صغير، فكان (ع) هو الموجه والمربي والمشرف على شؤون أسرته وكان حلقة الوصل بين البشر وبين الله وفي صدد عدم الاستغناء وعن الإمام الحاكم، يقول الدكتور صادق الاسود (كان انقسام أفراد المجتمع الى حكام ومحكومين يكاد يكون واقعة عامة في كل المجتمعات تقريباً)⁽²⁾. وكان الأنبياء (ع) يمثلون دور الإمامة في الأمم السابقة وأوضح تجربة في ذلك هي تجربة بني اسرائيل⁽³⁾، قال رسول الله (ص) (كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما ملك نبي خلفه نبي...)⁽⁴⁾. ولوجود الإمام ضرورة ملحة للفرد والمجتمع لدوره

⁽¹⁾ سعيد العذاري، تولى الإمام، ط2، 1425هـ-2004م، الناشر، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، مطبعة محد، ص35.

⁽²⁾ صادق الاسود، علم الاجتماعي السياسي، ، 293 .

⁽³⁾ م.ن.

⁽⁴⁾ صحيح مسلم 3: 1471، كتاب الامارة حديث 1842.

الكبير في الاشراف والتوجيه وتنظيم المسيرة الإنسانية ببعديها الروحي والمادي والإمامة ركن هام في التكوين للوجودات الإنسانية في مختلف المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وفي استمرارها في روح التغيير والبناء الخلقي والاجتماعي، يقول الدكتور عبد الرحمن عيسوي (وتعد ظاهرة القيادة ضرورية بالنسبة لتكوين الجماعات ولاستمرار بقائها)⁽¹⁾.

وقال الدكتور عبد العزيز القوسي (والزعامة ضرورية في كل جماعة تريد أن يكون لها كيان، فللقبائل زعمائها، ولكل جماعة او حزب زعيم، وكذلك تنصيب الملوك على الشعوب من أقدم العصور وكان يقصد به التنظيم والتوجيه للشعب)⁽²⁾. وقد اختلفت الرؤى حول اهمية وضرورة وجود الخليفة بين الفرق الاسلامية، وهي كالاتي:

أولاً: اهمية وجود الخليفة عند الامامية

تقول النظرية الشيعية انه لا يمكن فصل الخلافة عن الإمامة لأنه لا يمكن الفصل بين قيادة الرسول (ص) ونبوته ، فالأرض لاتخلو من إمام منصب من قبل الله تعالى أو من ينوب عنه، قال الحسين بن خالد للإمام علي بن موسى الرضا (ع) (أتخلو الأرض من إمام؟ فقال: لا)⁽³⁾ ، قال الإمام الصادق (ع) (لو لم يبق في الأرض الا اثنان لكان أحدهم الحجة)⁽⁴⁾. وحينما سئل الإمام الرضا (ع) عن علة تنصيب الإمام أجاب (لعل كثيرة منها: ان الخلق وقفوا على حد محدود وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم، ولم يكن يثبت ذلك ولا يقوم الا بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم .. من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

وتأتي ضرورة الإمام لدوره الخطير في المجتمع وتوقف جميع المهام والتكاليف على وجوده، وفي ذلك يقول الإمام (ع) ((ان الإمامة منزلة الانبياء وارث الاوصياء ،ان الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدين وعز المؤمنين، ان الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تقام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفي الصدقات، وامضاء الحدود والأحكام ومنع التغور والاطراف))⁽⁵⁾.

تعتبر الامامية ان وجود الخليفة ضرورة كضرورة الرسل. فكما ان مهمة الرسل هي هداية اقوامهم وارشادهم الى الصراط المستقيم كذلك مهمة الامام بالنسبة لقومه. والامام هو وصي الرسول. وما من

⁽¹⁾ عيسوي ، د. عبد الرحمن، دراسات في علم النفس الاجتماعي، ص376، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).

⁽²⁾ علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية: 395.

⁽³⁾ الصدوق ت381 ،، أبو جعفر، اكمال الدين واتمام النعمة، مؤسسة النشر .

⁽⁴⁾ م.ن.

⁽⁵⁾ م.ن.

رسول الا وله وصي يكون حجة على قومه من بعده كهارون بالنسبة الى موسى. وعلي بالنسبة الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ونظرا لكون الرسول محمد هو خاتم المرسلين فالحاجة لوجود امام من بعده اشد واكثر ضرورة من حاجة الرسالات السابقة.

ويرى المفكر الاسلامي صالح الورداني ، انه اذا كان الله يرسل الرسل الى اقوامهم لاجل هدايتهم واصلاح معتقداتهم فيمكنك الرسول فيهم الى ما شا الله حتى اذا توفي وطال على قومه الامد، انحرف قومه وفسدت معتقداتهم مما يقتضي ارسال رسول جديد لهم ، فما هو الضمان الذي يحول دون انحراف امة محمد من بعده وهم كبقية الامم السابقة لا بد ان ينطبق حالها على حالهم؟

لذا يقول ، ((لعل الجواب البديهي عن هذا السؤال هو القرآن . لكن هذه الاجابة مردودة على اصحابها لسبب وجيه هو ان الرسل السابقين كانوا يتركون في اقوامهم كتبا ومع ذلك انحرفوا، ترك موسى التوراة وضل بنو اسرائيل، وترك عيسى الانجيل وضل انصاره في سبل شتى. اذن لا بد من حجة قائمة تحمي الكتاب الذي جاء به الرسول وتحفظه للامة من بعده وتكون علامات على طريق الهداية والصراف المستقيم الذي دعا اليه الرسول))⁽¹⁾. وقد يقول قائل: اذا كان هناك وصي للرسول يكون حجة من بعده وهدى للناس، فلماذا ضلت الناس اذن وتطلب الامر ارسال رسول آخر؟ اننا يجب علينا ان نعلم اساسا انه ليست مهمة الرسل هي هداية جميع الناس او تحويلهم لملائكة. فان الرسول مهمته الاساسية هي البلاغ والسامع مخير بين ان يهتدي وان يختار الضلالة ، وقد ذهب موسى لميقات ربه وترك هارون على قومه فعبدوا العجل ولم يستطع هارون ان يحول بين قوم موسى وبين عبادة العجل، فاذا كان الناس يضلون في عهد الرسل افلا يضلون في عهد الاوصياء⁽²⁾.؟ واذا كان الرسل لم يستطيعوا الحيلولة دون ضلال الناس فهل يستطيع الائمة ؟ ان الله سبحانه يقول: ((وقل الحق من ربكم فمن شا فليؤمن ومن شاء فليكفر))⁽³⁾ ويقول: ((لست عليهم بمصيطر))⁽⁴⁾، وهي نصوص موجهة للرسول بهدف تبصيره بحقيقة

(1) الورداني ، صالح ، عقائد السنة وعقائد الشيعة ((التقارب والتباعد)) ، ط2، 1424هـ - 2003م، منشورات الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت-ص147، وظ: الورداني ، صالح ، عقائد السنة وعقائد الشيعة، مقتبس شبكة المعلومات ، الانترنت ، موقع :

شبكة الشيعة العالمية ، http://www.shiaweb.org/shia/aqaed_sunnah_shia/index.html

(2) السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن ج3، ص217-221.

(3) سورة الكهف: 29 .

(4) سورة الغاشية: 22.

موقف الجماهير من الدعوات الالهية ، فليس من سلطة الرسول اكراه الناس على الايمان. ولاجل ذلك فان الذين اهتموا واتبعوا الرسل هم قلة. وكذلك الامر بالنسبة للوصي.

الا ان الامر بالنسبة للاقوام السابقة انه بعد الرسل وبعد الاوصياء ، كان الله سبحانه يجدد دعوته بارسال رسل يكملون مهمة الرسل السابقين لهم، او ياتون بدين جديد. لكن الامر بالنسبة لقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان مختلفا. اذ ان الرسول كان خاتم المرسلين، مما يقتضي الامر وجود اوصياء على مر الزمان من بعده وحتى تقوم الساعة (1).

وهنا تبرز فكرة اهمية وجود الخليفة ، حيث ان دور الامام انما هو مكمل لدور الرسول ومتمم له. فقد يكون وسيلة لدخول اقوام آخرين في دين الله لم يدخلوا في حياة الرسول. وقد يكون وسيلة لحسم الردة والخلاف من بعد الرسول. وهو سنة ثابتة تسير مع حركة الدعوات الالهية وليست معصومة منه امة محمد. وقد يكون وسيلة لتبصير الناس بحقيقة دينهم الا ان ذلك كله ليس هو المهمة الاساسية للامام. انما مهمة الامام الأساسية هي اقامة الحجة على الناس من بعد لرسول.

ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى: ((يوم ندعوا كل اناس بامامهم)) (2)، فهذا النص انما هو موجه الى الاقوام التي سوف تاتي بعد الرسول، حيث لا رسل ولا انبياء وانما ائمة يدعون الى حقيقة الاسلام ويكونون حججا على الناس يوم البعث والحساب. وهناك حديث يقول: ((من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية)). فكان الامام هو الفيصل بين الاسلام والجاهلية، فمن تبعه فقد دخل في حظيرة الاسلام ومن خالفه دخل حظيرة الجاهلية.

والمذاهب الاسلامية ، فسروا الامام في النص القرآني المذكور بالكتاب وبالرسول كما فسروا الامام في النص النبوي بالحاكم، ولذا كان ابن عمر وانس والتابعون يسارعون الى مبايعة الحاكم في زمانهم والالتزام بخطه مخافة ان يموتوا على الجاهلية. حتى ان ابن عمر بايع الحجاج في زمانه مخافة ان يموت دون ان يكون مرتبطا بامام زمانه وكان قبل ذلك قد بايع معاوية ويزيد ولم يبايع عليا (3). وتفسير الامام بالكتاب هو قول مردود لعدة وجوه:

الاول: ان هذا التفسير مناقض للغة فلم يرد الكتاب بمعنى امام في اللغة.

الثاني: ان هناك كثيرا من الاقوام لم يبعث اليهم رسل وليس لديهم كتب.

(1) الورداني ، صالح ، عقائد السنة وعقائد الشيعة (التقارب والتباعد)، ص148.

(2) سورة الاسراء: 71.

(3) عاش ابن عمر حتى عصر الحجاج ، ظ: تاريخ الطبري ، وانظر حديث : ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة . البخاري كتاب الفتن وهو يكشف موقف ابن عمر السلي من موقعة الحرة عام 61 هـ بعد مصرع الحسين عليه السلام وقد ذكر ابن عمر هذا الحديث محتجا به على ضرورة التمسك ببيعتة ليزيد الذي خلعه المدينة بعد وقعة كربلاء ، ظ: فتح الباري ج 13 ، ص68 وما بعدها.

الثالث: ان تفسير الامام بالرسول مناقض للغة، فالرسول يمكن ان يكون اماما من باب الوصف والمجاز وليس من باب المعنى الحرفي.

الرابع: ان الذين فسروا الامام بالكتاب اعتمدوا في تفسيرهم على قوله تعالى: (فمن اوتي كتابه بيمينه..). وقوله: (امام مبين)، وفاتهم ان الكتاب المقصود هنا هو سجل الاعمال الخاصة بالمرء في الدنيا. وليس الكتاب الذي جاء به الرسل.

الخامس: انه لا يعقل ان يبعث كل انسان يوم القيامة بكتابه. وهذا يناقض ما جا في القرآن. والله سبحانه لم يبين لنا ذلك في حق الرسل، فكيف يمكن ان يتحقق في اتباعهم او أقوامهم؟ ثم ان كل رسول هو حجة على قومه بالكتاب الذي جا به اليهم. فما هي الحاجة الى ان يبعثوا بكتابههم..؟ ان وجود الامام بالنسبة للأمة ضرورة حيوية ينبني عليها وجودها ومستقبلها. وان ما عانتها الامة من بعد الرسول وحتى يومنا هذا من فرقة وشتات ومظالم ومفاسد وانحرافات اضاعت هوية الإسلام واشقت المسلمين انما يعود سببه الى فقدان الامامة من واقع المسلمين⁽¹⁾.

وضرورة الامامة هي ضرورة شرعية قبل ان تكون ضرورة عقلية حددها الرسول للامة قبل وفاته. ولقد نبت بعد الرسول اكثر من اسلام، واكثر من حكومة، بالاضافة الى آلاف الروايات، كل ذلك بهدف سد الفراغ الذي احدثه غياب الامام، او بمعنى ادق تغييبه عن واقع الامة.

يقول السيد شير: ان ما ذكر في بيان الاضطرار الى الرسل فهو بعينه جار في الاضطرار الى اوصيائهم وخلفائهم، لان الاحتياج اليهم غير مختص بوقت دون آخر، وفي حالة دون اخرى. ولا يكفي بقاء الكتب والشرائع من دون قيم لها عالم بها. الا ترى الى الفرق المختلفة والمذاهب المتباينة كيف يستندون في مذاهبهم كلها الى كتاب الله عز وجل، فيستند المجسم الى قوله تعالى: ((الرحمن على العرش استوى))، و((يد الله فوق ايديهم))، والمجبر الى قوله: ((قل كل من عند الله))، ومن قال برؤية الله الى قوله: ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة))، ومن قال بخلق الافعال الى قوله: ((يضل من يشاء ويهدي من يشاء)). وبالجملة فانك لا ترى فرقة من الفرق الاسلامية، الا وهي تستند الى كتاب الله بل والى سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لان كتاب الله فيه المحكم والمتشابه والمجمل والمؤول والناسخ والمنسوخ، والسنة فيها ذلك ايضا مع وقوع الكذب والتحريف والتصحيف. هذا كله مع جهل اكثر الخلق بمعانيها وتشنت اهوائهم وزين قلوبهم.

فلا بد حينئذ لكل نبي مرسل بكتاب من عند الله عز وجل ان ينصب وصيا يودعه اسرار نبوته واسرار الكتاب المنزل عليه، ويكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصي هو حجة ذلك النبي على امته، ولئلا تتصرف الامة في ذلك الكتاب بأرائها وعقولها، فتختلف وتزيغ قلوبها كما اخبر الله تعالى بذلك فقال: ((هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم))⁽²⁾. ان ادراك مدى اهمية

(1) الورداني، صالح، عقائد السنة وعقائد الشيعة (التقارب والتباعد)، ص 149.
(2) سورة ال عمران: 7، وظ: حق اليقين في معرفة أصول الدين، ج 1، ط (بيروت)، ص

الامامة وضرورتها يتبين لنا اذا ما قمنا برصد الجانب الاخر الذي حل محل الامام وتسلط على الامة. ماذا قدم للاسلام والمسلمين..؟ هل تمكن من سد الفراغ الذي حدث بغياب الامام..؟ هل قضى على الفرق والخلافات والمظالم والانحرافات..؟ هل عبر عن الوجه الحقيقي للاسلام..؟ لا شك ان اي متامل في واقع المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله وسلم يمكنه ان يجيب بالنفي. فلا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا معاوية وبنوه ولا بنو العباس تمكنوا ان يقنعوا الامة بامامتهم. نعم لقد اعتبرتهم الامة خلفا وحكاما لكنها لم تعتبرهم ائمة، فقط سمعنا وعلمنا انه قيل الامام علي. فالقوم على الرغم من موقفهم من قضية الامامة الا ان الله انطق الحق على لسانهم فمحنوا لقب الامام لعلي وحده .

وتقول الامامية اننا اذا اعتبرنا الامامة منصبا اجتهاديا او يقوم على الشورى كما تقول المذاهب الاسلامية فان ضرورتها تنتفي وتكون بهذه الصورة مسالة اختيارية تتغير بارادة الرعية ، اما اذا اعتبرناها منصبا الهيا فهنا تكمن ضرورتها. فان الله سبحانه لا يوجب على العباد شيئا لا ضرورة له او تكون له اهمية هامشية. فغير الواجب يترك امره للامة تاخذ به او تتركه، فهي في مواجهته بالخيار، اما في مواجهة الواجب فهي ملزمة مقيدة به⁽¹⁾.

يقول الشيخ جعفر السبحاني: ان رحلة النبي الاكرم احدثت فراغا هائلا في مختلف المجالات المادية والمعنوية، ومقتضى لطفه سبحانه وعنايته بالعباد ان يملا هذا الفراغ بانسان يخلف النبي، ولا يقدر على ذلك الا الانسان المثالي الذي يكون له من الوعي والتربية والعلم والشجاعة مثل ما كان للنبي سوى كونه نبيا ذا شريعة ومتلقيا للوحي ، كان النبي صلى الله عليه و آله وسلم يقوم بمسؤوليات كثيرة، كادارة امور الامة في مختلف مجالاتها الحيوية: السياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية وغيرها مما تجمعها ادارة الحكومة، وتفسير الكتاب العزيز وتوضيح مقاصده وبيان اهدافه وكشف اسراره، والاجابة عن الاسئلة الشرعية التي لها مساس بعمل المسلم في حياته من حيث الحلال والحرام، والرد على الشبهات والتشكيكات التي يلقيها اعداء الاسلام ويوجهونها ضده من يهود ومسيحيين وغيرهم، فكان يرد عليها تارة بلسان الوحي المقدس واخرى بلسان الحديث ، وصيانة الدين الاسلامي عن اي فكرة تحريفية، وعن اي دس في التعاليم. فلم يكن لاي الدسائس مقدرة على تحريف الدين اصولا وفروعا ،يدفع بامته في طريق الكمال والتقدم الروحي ،ولا شك ان النبي كان يقوم بهذه المسؤوليات، وكان فقده وغيابه عن الساحة يلزم حدوث فراغ هائل في حياة الامة لا يسد الا بانسان يتمتع بتلك الكفاءات عدا النبوة وتلقي الوحي ، والفراغ الاول وان كان يملا باختيار الامام من جانب الامة ، لكن الفراغ الباقي لا يسد الا بانسان مثالي تربي في وضع خاص من العناية الالهية ، ولما كانت هذه الامور النفسية والمؤهلات المعنوية التي يتمكن بها الانسان المثالي من ملء الفراغ لا يمكن الوقوف عليها ومعرفتها الا بتعريف من الله تعالى

(1) الورداني ، صالح ، عقائد السنة وعقائد الشيعة((التقارب والتباعد))،ص153.

وتعيين منه، فلاجل ذلك صار الاصل عند الشيعة في مسألة الامامة هو التنصيب والتعيين من جانبه سبحانه⁽¹⁾.

وهناك عدة ضرورات تبين أهمية وجود الخليفة عند الفكر الامامي، منها:

1- ان الهدف من خلق الانسان ولأن أساس الخليفة هو التكامل المعنوي له فالانسان يطوي طريقاً طويلاً كثير المنعطفات والعثرات في سيره نحو الله ومن البديهي انه لا يستطيع ان يقطع هذا الطريق بنجاح بغير هداية قائد يتصف بالعصمة، ولا يستطيع ان يطوي هذا الطريق بغير معلم سماوي لأنه طريق محفوف بالظلمات والمزالق. فصحيح ان الله قد اعطى الانسان العقل والحكمة، ومنحه قدرة التمييز، وارسل اليه كتباً سماوية ولكن الانسان مع كل هذه الرسائل التكوينية والتشريعية، قد يخطئ في تمييز خط سيره ، لذلك فان وجود الخليفة يأخذ بيده ليقال كثيراً من احتمالات الانحراف والضياع فبناء على ذلك نستنتج ان (وجود الخليفة يكمل الهدف من خلق الانسان)⁽²⁾، وهذا ما يطلق عليه في كتب العقائد اسم (قاعدة اللطف) ويصدون بها ان اله اللطيف بعباده، يمد الانسان بجميع الأمور اللازمة له لكي يصل الى هدف الخلق ومن ذلك بعث الانبياء وتعيين خلفاؤهم والا فانه يكون قد (نقض الغرض).

2- ان من أهمية وجود الخليفة وضرورته هو حماية الشرائع السماوية، فالأديان الالهية عند نزولها على الانبياء تكون أشبه بقطرات المطر النقية الشفافة التي تمنح الحياة وتربي الروح ولكنها عندما تدخل المحيط الملوث والأدمغة الضعيفة تتلوث بالتدرج ، وتضاف اليها الخرافات والأوهام، بحيث انها تفقد شفافيتها ولطافتها الأولى ، وعندئذ تفقد الكثير من تأثيرها التربوي ، من هنا تتضح ضرورة وجود خليفة النبي بصفته الشخص الذي يحمي اصالة الدين، ويحافظ على خلوص المناهج الدينية، ويحول دون أي اعوجاج وانحراف وفكر وافد ونظرة سقيمة غريبة، ويصونه من الخرافات والاساطير، اذ لو بقي الدين بدون هذا القائد الحامي لفقد في فترة قصيرة اصالته ونقاءه⁽³⁾. لذا نجد الامام(ع) يقول في احدي خطبه: ((اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة اما ظاهراً مشهوراً، واما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته))⁽⁴⁾.

3- ان الجماعة من الناس اذا لم يكن لها نظام اجتماعي يقف على رأسه قائد قادر، لاتكون قادر على ادامته حياتها، ولهذا نجد الأقوام منذ أقدم العصور وحتى الآن يختارون لأنفسهم زعيماً وقائداً ، وهذا القائد قد يكون صالحاً ، ولكنه كثيراً ما لا يكون كذلك ومن جهة أخرى ولكي يتمكن الانسان من الوصول الى هدفه المعنوي، يجب عليه ان لاينفرد في مسيرته ، بل عليه ان ينضم الى المجتمع لأن طاقات الفرد الفكرية والجسمية والمادية والمعنوية ليست شيئاً يذكر بازاء طاقات المجتمع الجبارة. ولكن المجتمع

(1) السبحاني ، جعفر ، مفاهيم القرآن، ط (بيروت) ، ج5، ص 123 .

(2) مكارم الشيرازي، دروس في العقائد الاسلامية، ترجمة جعفر صادق الخليلي، ط ، المؤسسة البعثة، ص143.

(3) مكارم الشيرازي، دروس في العقائد الاسلامية ، ص144.

(4) نهج البلاغة ، الحكمة: 147، .

المطلوب هو الذي يسدده نظام سليم تبرز فيه مواهب الانسان ويقف بوجه الانحرافات ويحافظ على حقوق جميع الأفراد للوصول الى أهدافه، ويضع الخطط ضمن اطار من الحرية يشمل المجتمع كله.

4-ولما كان الانسان العادي المعرض للخطأ غير قادر على حمل هذه الرسالة العظيمة بدليل ما ارتكبه قادة امم من انحرافات عبر التاريخ للجادة الصواب كانت هناك الحاجة والضرورة لان يختار الله خليفة للنبي من بعده للاضطلاع بمهمة الاشراف ويقف بوجه الانحرافات وهذا وجه آخر من اوجه فلسفة وجود الامام المعصوم، وفرع آخر من فروع (قاعدة اللطف).

5- ان من أهمية ضرورة وجود الامام ان وجوده لا يقتصر على ائارة القلوب المستعدة للهداية والسير في طريق التكامل، بل يعتبر اتماماً للحجة على الذين ينحرفون متعمدين عن الطريق السوي، وذلك كيلا يكون العقاب الذي ينزل بهم بدون بب ولكيلا يحتجوا بانهم لو أخذ بايديهم مرشد الهي ليقودهم الى طريق الرشاد، لام ساروا في طريق الانحراف فوجود الامام يقطع الطريق على كل عذر وحجة⁽¹⁾.

ثانياً: أهمية وجود الخليفة عند المذاهب الاسلامية: ان الإمام ضرورة في حركة المجتمعات والأمم وخصوصاً الأمة الإسلامية لخطورة المهام المستندة اليه، وعلى رأسها هداية الإنسان وربطه بالله تعالى. وهذه الهداية بحاجة الى قدوة يقتدي بقوله وفعله ويتبع نهجه من أجل الحركة التكاملية نحو الله تعالى بتوفير الأرضية المناسبة للسير السليم بعد تحرير الإنسان من كل وجوه العبودية والتسلط والاستغلال⁽²⁾.

المطلب الثاني

كيفية تعيين الخليفة

ذهبت الفرق الإسلامية عدا الأمامية، انه يجب على الأمة إقامة خليفة منهم ليرعى شؤون الأمة الدينية والدنيوية⁽³⁾، ويشرف على جميع دوائر الدولة.

لقد انقسم المسلمون في كيفية تعيين الخليفة.

أولاً : كيفية تعيين الخليفة عند الأمامية :

(1) مكارم الشيرازي، دروس في العقائد الاسلامية : ص146.

(2) ط: عليان، د. رشدي، الإسلام والخلافة، ص22.

(3) عليان، د. رشدي، الإسلام والخلافة: 64.

يرى متكلمي الإمامية ان الشيعة خلفاً عن سلف، إلى أن يتصل بالنبي(ص) على أن النبي(ص) نصّ على الإمام علي (ع)⁽¹⁾.

ويستند الإمامية في هذا الأمر إلى أحاديث واردة عن النبي(ص)، فقد روي عنه(ص) أنه قال:(لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش)⁽²⁾.

والواقع أنّ رأي الإمامية الإثنا عشرية القائل بالنص على الأئمة واحداً بعد آخر، حتى الإمام الثاني عشر . محمد بن الحسن(ع) . يعني إبطال ما تذهب إليه الفرق الشيعية الأخرى، كالكيسانية القائلين بإمامة محمد بن الحنفية⁽³⁾ (ت:84هـ)، والزيدية القائلين بإمامة زيد بن علي بن الحسين(ع)⁽⁴⁾، والإسماعيلية الذين ساقوا الإمامة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق(ع) إلى ابنه إسماعيل بدلاً من أخيه الإمام موسى بن جعفر⁽⁵⁾(ع)، والناووسية⁽⁶⁾ الذين وقفوا على إمامة جعفر الصادق⁽⁷⁾ (ع)، والفضحية القائلين بإمامة عبد الله الأفضح بن الإمام جعفر الصادق(ع)⁽⁸⁾، والواقفة الذين وقفوا على إمامة موسى بن جعفر (ع)⁽⁹⁾، وغيرهم، إذ يتمثل بطلان إمامة هؤلاء في وفاتهم ، وعدم ادعاء أتباعهم العصمة لهم، بينما صرح الشيخ الطوسي من الإمامية باشتراطها عندما استدل على إمامة الحسن والحسين(ع)⁽¹⁰⁾.

ومما يؤيد بطلان إدعاء هذه الفرق إمامة من تقدم . باستثناء الإثنا عشرية . قول الإمام الرضا(ع) في بعضها: الزيدية كالواقفة والنصاب بمنزلة واحدة، وكان يقول: الواقفة حمر الشيعة⁽¹¹⁾، ثم تلا قوله تعالى:(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً)⁽¹²⁾.

وعند التعرض لآراء الامامية في هذا الجانب، نجدها تصب في رافد واحد، فهم يرون من أنّ الإمامة منساقة في أبناء علي(ع) من الحسن إلى ابن الحسن المنتظر (ع)⁽¹³⁾. كما يرون أنّ الإستدلال على إمامة الحسن(ع) ومن بعده من الأئمة(ع) إلى عصرنا هذا يتم من خلال الرجوع إلى النقل الظاهر

(1) ن،م ص88.

(2) أبو داود: السنن ج4 ص 170 ن مسلم: الصحيح ج12 ص 201-203، وأورد الكليني في الكافي ج1 ص 286 عن الإمام الصادق(ع) حديثاً يظهر منه نص كل إمام على من بعده.

(3) الشريف المرتضى: الشافي ص 183 ، الشيخ الطوسي: الغيبة ص 15.

(4) ن،م ص 185.

(5) الشيخ الطوسي: تلخيص الشافي ج2 ص 201-202، الاقتصاد ص 328-329.

(6) نسبة إلى رئيسهم في هذه المقالة عبد الله بن ناووس . راجع الشريف المرتضى: الفصول المختارة ج2 ص88.

(7) الشيخ الطوسي: الاقتصاد ص366، الغيبة ص119.

(8) ن،م ص366، ص57.

(9) الشريف المرتضى: الشافي ص 185.

(10) الشيخ الطوسي: تلخيص الشافي ج4 ص 167.

(11) الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، تحقيق: احمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د.ت) ج5 ص 131.

(12) سورة الفرقان: آية 44.

(13) الشريف المرتضى: جمل العلم ص 46 ، وذكر الشريف المرتضى الأئمة الإثني عشر (ع) بأسمائهم في الأصول الاعتقادية ص81.

بين الشيعة الوارد مورد الحجة بنص النبي . مجملاً ومفصلاً . وكذلك ما ورد عن أمير المؤمنين(ع) في ذلك؛ لأنّ الأخبار متظاهرة عنه بين الشيعة، ينقلها خلف عن سلف بنصه الإمامة على الحسن(ع) في مقامات كثيرة، وبإشارته إلى الأئمة(ع) من ولد الحسين . بأعدادهم وصفاتهم . وكذلك القول في نص الحسن على الحسين ونص كل واحد على من بعده(1).

ويورد الشريف المرتضى أمثلة على ذلك . في معرض رده على ما ادّعاها المعتزلة من أنّ الإمام علي لم يستخلف أحداً من بعده . يظهر من خلالها استخلافه للحسن(ع)، منها: ما رواه الإمام الباقر(ع) من أنّ علياً(ع) قال . لإبنة الحسن .: إِدُنْ مِنْي حَتَّى أُسِرَّ إِلَيْكَ مَا أُسِرَّ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ(ص) وَاتَّيَمَّنَكَ عَلَى مَا اتَّيَمَّنِي عَلَيْهِ(2)، وما رواه هذا الإمام أيضاً من أنّ أمير المؤمنين(ع) أوصى إلى الحسن(ع) وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً . يعني ابن الحنفية . وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتب والسلاح في خبر طويل يتضمن الأمر بالوصية في واحد بعد واحد(3).

ومما تقدّم يتضح أنّ الإمامية جميعاً يذهبون إلى أنّ الإمامة بالنص الجلي على الأئمة الإثني عشر: أولهم علي بن أبي طالب(ع) وآخرهم محمد بن الحسن . المهدي المنتظر . وخالفهم في ذلك جميع أهل الفرق إلّا ما تُسبب إلى النّظام المعتزلي من موافقتهم بذلك(4).

لذا فإن الامامية قد اشترطوا لكيفية تعيين الامام عدة صفات .

صفات الإمام:-

وشروط الإمامة عند الإمامية فهي:

1- ان يكون معصوماً. من المسائل التي خالف بها الشيعة من عداهم، مسألة العصمة وهي في الإمام شرط أساسي لا يكون اماماً شرعياً عندهم الا اذا التبس به (5).

2- لقد انفردت الإمامية(6) باشتراط العصمة للامام.

يذكر العلماء انه يجب ان يكون الإمام معصوماً لأنه قد جاز عليه الخطاب لاقتنار الى امام آخر يسدده، كما انه لو جاز عليه فعل الخطيئة، فان وجب الانكار عليه سقط من القلوب(1). هذا فضلاً عن ان الإمام حافظ للشرع (فلو لم يكن معصوماً مالم يؤمن فيه الزيادة والنقصان)(2).

(1) الشريف المرتضى: الشافي ص 184.

(2) م، ن ص 173، وقد أشار المسعودي في إثبات الوصية ص 119 إلى ذلك.

(3) م، ن، وراجع المسعودي: إثبات الوصية ص 122-123.

(4) الشهرستاني: الملل ج 1 ص 72.

(5) شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والادارة في الإسلام: 285.

(6) ط: المفيد، اوائل المقالات، ص 65، الشريف المرتضى، الاقتصاد في الاعتقاد، الطوسي، ص 305.

ويقول الشيخ الطوسي ت460هـ (ومما يدل على ان الإمام يجب ان يكون معصوماً ما ثبت من كونه مقتدى به، ألا ترى انه انما سمي اماماً هو المقتدى به) (3). وليست العصمة امراً يخرج بالإمام عن كونه انساناً كعامة الناس، يحس بما يحسون من لذات والام، وهو ليس مخلوقاً آخر لا يلتقي معهم في خصائصهم كما يريد البعض ان يعتبر من مفاهيم الشيعة واما هذه العصمة التي يشترطها الشيعة في الإمام، فهي عبارة عن ملكة لنفسه لا تصدر المعاصي ممن اتصف بها مع قدرته على مفارقتها، ويزيد آخرون العصمة بياناً فيرون انها لطف من الله تعالى بصاحبها.

والملاحظ ان مسألة العصمة لا تشترطها الإمامية فقط فهناك طائفة كبيرة من المفكرين الإسلاميين تشترط كالشيعة العصمة في الإمام، وكذلك مذهب الهذيلية من المعتزلة (4). وذهب (النظامية) من المعتزلة بهذا القول فقد قال ابراهيم بن سيار النظام (5). وممن ذهب الى ان العصمة ضرورة لا غنى عنها في مسألة الحكم في الإسلام العلامة (محمد بن زكريا الرازي) الا انه لم يشترطها في الحاكم وانما اشترطها في أهل الاجماع أي ان العلماء اذا أجمعوا على شئ واتفقت أقوالهم فيه كان ذلك دليلاً على عصمتهم وقد استند بذلك على قوله تعالى (أطيعوا الله... منكم) (6)، و (أولوا الأمر) عنده هم أهل الاجماع (7). ومن الملاحظ ان نظرية العصمة ليست نتاجاً عقلياً يحتاج بل تستند في كثير من عناصرها الى نصوص قرآنية ونبوية، شأنها شأن أغلب جوانب التفكير الديني عند المسلمين فهذا التفكير يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالكتاب والسنة ويستلهما في سائر خطواته واذن فلا بد من ان يكون لهذه النظرية جذور ممتدة فيهما تدل على العصمة وتشير الى بعض ملامحها. فمن الكتاب قوله تعالى مخاطباً نبي الله ابراهيم عليه السلام ((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) (8). فالآية دالة على ان الإمامة على الخلق لا تجوز الا لمن يرى من الظلم أما من كان ظالماً فلا يصح ان يحكم، والظلم هو المعصية، ويتحقق إما بظلم النفس أو بظلم الغير واذن فيتعين ان يكون الإمام معصوماً قد يرى من

(1) المفيد، النكت الاعتقادية، 37، دار الاضواء (د.ت).

(2) م.ن.

(3) الطوسي ت460، تلخيص الشافي : 201.

(4) ط: الملل والنحل: 1 : 53.

(5) ط: الملل والنحل: 1 : 57.

(6) سورة : النساء، 59.

(7) الرازي ت604هـ ، تفسير الفخر الرازي ، 10 : 148، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ولعله قد انفرد بهذا القول

بين علماء أهل السنة، ينظر: نظام الحكم والادارة في الإسلام، 288.

(8) سورة البقرة، 124.

ارتكاب الذنوب منذ الصغر⁽¹⁾. وقوله تعالى في آية التطهير ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً))⁽²⁾. وقد وردت الرواية في سبب نزولها عن عائشة أم المؤمنين قالت (خرج رسول الله (ص) غداة يوم، وعليه مرط مرجل من شعر اسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا⁽³⁾).

ومن السنة جملة من الأحاديث: منها حديث الثقلين وقد جاء فيه: (فلا تقدموها فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم)⁽⁴⁾.

وإذا تتبعنا السنن الالهية المرتبطة بحركة الأنبياء والرسل (ع)، وتتبعنا سيرة الرسول (ص) في مواقفه تجاه الاحداث وتتبعنا سير الأحداث والمواقف والظروف التي عاشها المسلمون في أيام رسول الله (ص) وبعد رحيله نجد ان النص ضروري في تولي الإمام الذي يقوم بأداء دور القدوة والحجة، ودور المطبق والمنفذ للشريعة الإسلامية وسنن الله تعالى قائمة على أساس النص والاصطفاء والاختيار فالأمر اليه تعالى في اختيار من يخلف النبي في أمته، وهناك ادلة تبرهن على أساسها ان النص على امام باسمه وشخصه ضروري في ادامة سير الرسالة وانجاح حركتها في أرض الواقع.

أ- الوصية في سيرة الأنبياء السابقين:

الوصية من السنن البارزة في حياة الأنبياء (ع)، فلكل نبي وصي، يقوم مقامه في الأمة يكمل دور النبي السابق له من هداية الناس وتولي شؤونهم فأدم (ع) حينما حضرته الوفاة (جعل وصيته الى شيث وأمر شيئاً ابنه أن يقوم بعده في ولده فيأمرهم بنقوى الله وحسن عبادته وينهاهم ان يخالطوا قابيل اللعين وولده⁽⁵⁾). وحينما أراد ابراهيم (ع) ان يرتحل من مكة أوصل الى ابنه اسماعيل⁽⁶⁾ ولما حضرت اسماعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحاق⁽⁷⁾. واوصى اسحاق ابنه يعقوب وهكذا استمرت الوصية ابن عن أب أو أخ أو من نفس الأسرة ، واستمرت الوصية فأوصى داود الى ابنه سليمان وأوصى عيسى (ع) الى شمعون، وهكذا استمر التعيين والاختيار الالهي في الديانة المسيحية فقد عين يسوع اثني عشر رسولا⁽⁸⁾،

(1) ط: الطباطبائي، الميزان: 2: 21ص

(2) الاحزاب، 33.

(3) صحيح مسلم، 7: 72 وما بعدها.

(4) الصواعق المحرقة، 148.

(5) اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الامير مهنا، ط1، 1993م-1413هـ، مؤسسة الأعلمي للطبوعات بيروت- ، ط: م.ن: 1: 33-35.

(6) م.ن، 48-52.

(7) العذاري، سيد سعيد، تولي الإمام: 61.

(8) ط: الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، 2: 201.

ليكونوا معه ويرسلهم للكرامة⁽¹⁾ وقد علمهم طرق الرسالة⁽²⁾، وأولية الخدمة في علاقاتهم بعضهم مع بعض⁽³⁾، وكان على راسهم بطرس (شمعون) وكانت طريقة تعيينه ان نص عليه امام تلاميذه، فلما حضرت شمعون الوفاة أوصى الله اليه ان يستودع في الله الحكمة وجميع موارد الانبياء يحيى بن زكريا، وأمر الله تعالى يحيى بن زكريا "ان يجعل الإمامة في ولد شمعون والحواريين من أصحاب عيسى"، واستمرت الوصية وانتهت بيحيى بن هوف الوصية⁽⁴⁾. الى ان قام بالأمر نبينا محمد (ص). وهذا ما يستدل به الفريق الاول وهم الموحدون اما غير الموحدون فان طريقة تعيين الخليفة كانت ايضا بنص الهي .

ب- الوصية: في سيرة رسول الله: تضافرت الروايات عن رسول الله (ص) انه أوصى الى ابن عمه علي بن أبي طالب (ع)⁽⁵⁾.

2- الأفضلية: ومن صفات وشروط الإمام ان يكون أفضل من كل واحد من رعيته يقول الشيخ الطوسي: الكلام فيكون الإمام أفضل من كل واحد من رعيته ينقسم على قسمين:

أحدهما- يجب ان يكون أفضل منهم بمعنى انه أكثر ثواباً عند الله.

والقسم الآخر- انه يجب ان يكن أفضل منهم في الظاهر في جميع ما هو امام فيه⁽⁶⁾. ويقول العلامة الحلي: يجب ان يكون الإمام أفضل من الرعية، لأن تقديم المفضل على الفاضل⁽⁷⁾، قبيح، عقلاً وتقالاً قال الله تعالى (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)⁽⁸⁾

3- العلم: اجتمعت كلمة الإمامية على وجوب كون الإمام عالماً بجميع ما إليه الحكم فيه⁽⁹⁾، بينما لا ترى بقية الفرق الإسلامية وجوب ذلك⁽¹⁰⁾.

ويبدو أنّ ما ذهب إليه الإمامية يتفق وما ورد على لسان أئمتها (ع) بهذا الخصوص. إذ قال الإمام محمد الباقر - ع - (ت114هـ) في تفسير قوله تعالى: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)⁽¹¹⁾

(1) ظ: العهد الجديد، انجيل مرقس 3: 14 - 19.

(2) ظ: م. ن 6: 6 - 11.

(3) ظ: م. ن 9: 35.

(4) ظ: المسعودي، اثبات الوصية: 70 - 76.

(5) ظ: الهيثمي ت807هـ، مجمع الزوائد، علي بن بكر 9: 113، 114، ينظر: كنز العمال 11: 610 حديث (32952) عن أبي سعيد الخدري، وط: حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني ت430هـ، 1: 63، 64.

(6) ظ: الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، 306.

(7) يقول العلامة لأن هناك من يقول بجواز امامة المفضل مع قيام الأفضل: ط: الملل والنحل: 1: 155.

(8) سورة يونس، 36، ظ: الرسالة السعدية، العلامة الحلي ت726هـ، 83: تخ: عبد الحسين محمد علي بقال ط1 المحققة، 1413هـ، 1992م، دار الصفوة، بيروت-لبنان، ظ: الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص 308، ط2، 1406هـ-1986م، دار الاضواء: بيروت-لبنان.

(9) الشريف المرتضى: الناسخ والمنسوخ، مخطوط، ورقة 92، الشيخ الطوسي: الاقتصاد ص 310 المحقق الطوسي: تجريد العقائد ص 100، العلامة الحلي: الألفين ص 124 .

(10) القاضي عبد الجبار: المغني ج20 ق1 ص 199، البغدادي: أصول الدين ص 277.

(11) سورة الزمر: 9.

قال: إنما نحن الذين يعلمون⁽¹⁾، وقال ولده الإمام جعفر الصادق(ع): إننا أهل بيت عندنا معاقل العلم وآثار وآثار النبوة وعلم الكتاب وفصل ما بين الناس²، وقال(ع) أيضاً: والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين⁽³⁾.
والآخرين⁽³⁾.

يقول الشريف المرتضى يجب توفر هذه الصفة في الإمام ويعلل ذلك بقوله:(لو لم يكن أعلم الناس لم يؤمن عليه تقلب الأحكام والحدود، وتختلف عليه القضايا المشككة، فلا يجيب عنها أو يجيب عنها بخلافها)⁽⁴⁾.

على أنّ هناك أمراً مهماً يشير الشريف المرتضى إليه، وهو: أنّ صفة الأعلمية للإمام لا تجري مجرى العصمة؛ لأنّ تلك يجب أن يكون الإمام عليها في العقل وقبل الشرع وبعده، غير إنّها وإن لم تجعل كونه عالماً بجميع الأحكام من الشروط العقلية في الإمامة، فإنّ بعد العبادة بالشرائع، وثبوت كون الإمام إماماً في جميع الدين، نعلم بدليل العقل وقياسه أنه لا بد من أن يكون عالماً بجميع الأحكام من الوجوه التي ذكرناها⁽⁵⁾، أي الأدلة الثلاث السابقة.

والقائلون بعدم وجوب أعلمية الإمام بجميع الأحكام - كالمعتزلة مثلاً - يوردون حججاً يستندون عليها فيما يذهبون إليه، فهم يعتقدون أنذر قول الإمامية بوجوب علم الإمام بالجميع يلزم منه أن يعلم كل ما يتصل بالأحكام: من القيم والإروش وما يتصل بالصناعات⁽⁶⁾، كما يلزم منه أن يكون الإمام أفضل حالاً من العلم بالرسول⁽⁷⁾(ص).

إلا أنّ الشريف المرتضى في رده على ذلك يرى أنّ وجوب كون الإمام عالماً بالأحكام من كان رئيساً فيها، وحاكماً في جميعها، ومتقدماً على الناس كلهم في عامتها، ولم يوجب أن يكون عالماً بما لا تعلّق له بالأحكام الشرعية⁽⁸⁾. وعلى أساس ما تقدّم يصرّح الشريف المرتضى بأنّ العلم بالصناعات والمهن ليس الإمام رئيساً في شيء منها ولا مقدّماً فيها، ولو كان رئيساً في الصناعات لوجب أن يكون عالماً بها⁽⁹⁾. لكن المرتضى يرى جواز رجوع الإمام إلى أهل الخبرة عند وقوع المتاجرات من أرباب الصناعات والترافع فيها إليه، ومتى اختلفت أقوالهم رجع إلى قول أعدلهم⁽¹⁰⁾. وبذلك يخالف المرتضى

(1) الكليني: الكافي ج1 ص 303.

(2) المفيد: الاختصاص، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط 1، 1971، ص303.

(3) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ج3 ص 374.

(4) الشريف المرتضى: المحكم والمتشابه ص 79 - 80 وهو ما يراه المسعودي في مروج الذهب ج3 ص 238.

(5) م، ن .

(6) القاضي عبد الجبار: المغني ج20 ق1 ص 208 ، 106.

(7) ن، م، ص 106.

(8) الشريف المرتضى: الشافي ص 76، أجوبة مسائل أهل الري، ورقة 2 ب - 3 أ، مخطوط.

(9) م، ن.

(10) م، ن ص 76 بنصرّف.

أستاذة الشيخ المفيد الذي يرى معرفة الأئمة (ع) بجميع الصناعات⁽¹⁾، بينما وافق الشيخ الطوسي أستاذه المرتضى فيما يراه⁽²⁾.

4- الأشجعية: ⁽³⁾.

ويرى علماء الإمامية المتأخرين، ان العلة في وجه وجوب الأشجعية بقولهم: (وإذا لم يكن أشجع الناس سقطت إمامته؛ لأنه في الحرب فئة المسلمين. فلو فرّ لدخل فيمن قال الله عنه: (وَمَنْ يُوَلِّمْهُم يَوْمئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ)⁽⁴⁾. وهذا ما يراه الشيخ الطوسي⁽⁵⁾ أيضاً.

وهذا التعليل المتقدم غير كافٍ، فإنه إنما يثبت لزوم الأشجعية في حالة ابتلاء الإمام ورعيته بالجهاد والقتال، وينفي الحاجة إليها مع عدم ابتلائه، مما يعني لو فرض تسلط الإسلام على البسيطة وخضوع البشرية جمعاء للدين الإسلامي - بأن حقق الله ما بشر وأنجز وعده لقوله تعالى: (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)⁽⁶⁾ فقُتِدَت الحاجة إلى القتال - أمكن أن يكون من في الرعية أشجع من الإمام.

والذي ينبغي أن يقال: أنّ الشجاعة صفة كمال يحتاج إليها كل عاقل في جميع مجالات الحياة؛ لأنّ الشجاعة ليست عبارة عن التهور وعدم الخوف في المهالك - كالحرب ونحوه - بل هي عبارة عن طاعة قوة الغضب للعاقلة في الإقدام على الأمور الهائلة وعدم اضطرابها بالخوض في ما يقتضيه رأيها⁽⁷⁾. فالشجاعة تلازم الشجاع في كافة شؤونه، فليكن الشجاع شجاعاً في الحرب وفي محاربة الأنفس، وفي طاعة الله سبحانه، وكل عمل يقوم به في أي ظرف. فالشجاعة لها مظهر في جميع مجالات الحياة، وفي كافة الأمور الدينية والدنيوية، فمع فرض لزوم أفضلية الإمامة ينبغي أن يكون أشجع من الجميع؛ لأنّ الشجاعة صفة كمال لا ينبغي أن يتفوق عليه غيره فيها، وإلاّ لزم تقديم المفضل على الفاضل. ولعلّ عذر الشريف المرتضى وتلميذه الشيخ الطوسي أنّ نظرهما - في بيان وجه الأشجعية - انصب على جانب من مظاهر الشجاعة، ولذلك اقتصرنا على ما رأيناه.

ثانياً: كيفية تعيين الخليفة عند المذاهب الإسلامية :

وكما أشار الباحث من ان المذاهب الإسلامية قد ذهبوا إلى ان الأمة هي مصدر سلطة الخليفة وإنها هي التي تقيمه وترصد أعماله.

ويبقى السؤال هو كيف تقوم الأمة بواجبها هذا أو بعبارة أخرى كيف يتم تعيين واختيار الخليفة من قبل الأمة؟

(1) المفيد: أوائل المقالات ص 79.

(2) الطوسي: الاقتصاد ص 311، وللتعرف على هذا الشرط، ط: الطوسي: الاقتصاد في ما يتعلق بالاعتقاد، 310-311.

(3) الطوسي: الاقتصاد. 312-313.

(4) سورة الأنفال: آية 16.

(5) الطوسي: الاقتصاد ص 312.

(6) سورة التوبة: آية 33.

(7) التراقي، أبو القاسم: شعب المقال في أحوال الرجال، مطبعة كليبار - بزد، 1367 هـ - ج 1 ص 244.

من الملاحظ ان المذاهب الإسلامية قد اختلفت فيما تتعقد به الإمامة على أقوال⁽¹⁾:

1- قال الاسفرائيني ت406هـ (وتتعقد الإمامة بالقهر، والاستيلاء ولو كان فاسقاً أو جاهلاً أو عجمياً)⁽²⁾.

2- قال الماوردي (ت450هـ) اختلف العلماء في عدد من تتعقد به الإمامة منهم، على مذاهب شتى فقالت طائفة، لا تتعقد الا بجمهور أهل الحل والعقد من كل بلد، ليكون الرضا به عاماً، والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها وقالت طائفة أخرى: أقل ما تتعقد به منهم الإمامة، خمسة يجتمعون على عقدها، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين⁽³⁾.

أحدهما: ان بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعه الناس فيها، وهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة.

والثاني: ان عمر جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهما برضا الخمسة وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة، وقال آخرون من علماء الكوفة تتعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين⁽⁴⁾.

3- قال امام الحرمين الجويني (ت478هـ) اعلموا انه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تتعقد الإمامة، وان لم تجمع الأمة على عقدها والدليل عليه ان الإمامة لما عقدت لأبي بكر، ابتدر لامضاء أحكام المسلمين ولم يتأن لانتشار الاخبار الى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم ينكر عليه منكر⁽⁵⁾.

4- وقال التفتازاني ت791: وتتعد الإمامة بطرق:

أحدهما: بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم من غير اشتراط عدد، ولا اتفاق من في سائر البلاد بل لو تعلق الحل بواحد مطاع كفت ببيعته.

(1) يقول الدكتور رشدي عليان في هذا الصدد: يبدو لي ان من الممكن ان يتم ذلك بإحدى طريقتين الطريقة الأولى بواسطة الانتخاب الحر المباشر من جميع الأفراد المكلفين في الأمة رجالاً ونساءً، والطريقة الثانية بواسطة الانتخاب غير المباشر وذلك بأن يترك أمر الاختيار والانتخاب لممثلي الأمة ونواب لشعب (أهل الحل والعقد) كمجلس الشورى وسائر المجالس النيابية. وعلى كل حال فان الأمة اذ تختار الخليفة بطريقة الانتخاب المباشر تجد سنداً لهذه الطريقة من قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ط: ، عليان ، د: رشدي الإسلام والخليفة: 65، وط: محمد عبد الله العربي، نظام الحكم في الإسلام ، مطبعة دار الفكر، وط: أصول الدعوة ، زيدان، د. عبد الكريم، ط1 390هـ-1970، مطبعة العاني بغداد.

(2) الاسفرائيني ت406، الجنائيات: ص224.

(3) الماوردي ت450هـ: الأحكام السلطانية، 6، ط1، 1380هـ، 1960م شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر.

(4) الماوردي ت450هـ: الأحكام السلطانية، ص6-7.

(5) الجويني ت478هـ الارشاد، ط: القرطبي، تفسير القرطبي، ج1، ص260، وط: جعفر السبحاني الالهيات، ، بقلم حسن محمد مكي العاملي ، 20: 4، 5، ط5، 1423هـ.ق، مؤسسة الإمام الصادق، مطبعة الاعتماد-قم، وط: الايجي، ت757، الموافق: ص399-400، وط: الجرجاني ت810هـ، شرح المواقف، ج2، ص351-353.

الثاني: استخلاف الإمام وعهده، وجعله الامر شورى بمنزلة الاستخلاف، الا ان المستخلف عليه غير متعين فيتشاورون، ويتفقون على أحدهم واذا خلع الإمام نفسه كان كموته، فينتقل الامر الى ولي العهد.

الثالث: القهر والاستيلاء، فاذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف، وقهر الناس بشوكته انعقدت الخلافة له وكذا اذا كان فاسقاً او جاهلاً على الاظهر⁽¹⁾.

خلاصة القول: ان المذاهب الإسلامية باختلافهم في كيفية تعيين الخليفة (الإمام)، جعل من الخلافة وبالأعلى المسلمين، فلقد أصبحت الخلافة الإسلامية إمبراطورية وملك عضوضاً⁽²⁾.

لقد بين الباحث حقيقة الإمامة عند المذاهب الإسلامية وقد عرفنا ان ما يتبنونه لا يقتضي أزيد من الشرائط المتوفرة في رؤساء الدول غير ان الإمامة عند الشيعة تختلف في حقيقتها عما لدى اخوانهم فهي أمرة الهية، واستمرار لوظائف النبوة كلها سوى تحمل الوحي الإلهي، ومقتضى هذا اتصاف الإمام بالشروط المشتركة في النبي، سوى كون طرفاً للوحي.

فالنبي الاكرم (ص) كان يملأ فراغاً كبيراً وعظيماً في حياة الأمة الإسلامية ولم تكن مسؤولياته مقتصرة على تلقي الوحي الالهي وتبليغه الى الناسي فقط بل كان يقوم بأمر أخرى منها: تفسير الشريعة والاحكام وصون الدين من التحريف⁽³⁾، وهذه الأعمال هي التي مارسها الرسول الأعظم (ص) في أيام حياته، ومن المعلوم ان رحلته وغيابه صلوات الله عليه، يخلف فراغاً هائلاً ومفزعاً في هذه المجالات لذا فيكون التشريع الإسلامي حينئذ أمام احتمالات ثلاثة:

الاول: أن لا يبدي الشارع اهتماماً بسدّ هذه الفراغات الهائلة التي ستحدث بعد الرسول، ورأى ترك الأمور لتجري على عواهنها.

الثاني أن تكون الأمة، قد بلغت بفضل جهود صاحب الدعوة في اعدادها، حدّاً تقدر معه بنفسها على سدّ ذلك الفراغ.

الثالث: ان يستودع صاحب الدعوة، كل ما تلقاه من المعارف والأحكام بالوحي وكل ما ستحتاج اليه الأمة بعده يستودعه شخصية مثالية لها كفاءة تقبل هذه المعارف والأحكام وتحملها فتقوم هي بسدّ هذا الفراغ بعد رحلته (ص) أمام الاحتمال الأول فساقط جداً، لأنه لا يمكن ان ينسجم مع أهداف

(1) التفقازاني، شرح المقاصد: ص272.

(2) ظ: صحيح مسلم، 6: باب الأمر بلزوم الجماعة، باب حكم من فرق أمر المسلمين .

(3) ظ: سورة النحل: 44، و ظ: سورة القيامة: 16-19، نهج البلاغة، الخطبة (1)، ظ: سورة ال عمران: 59، و ظ: سورة الزخرف: 57-61، وراجع كتب السيرة وخاصة تلك التي تتعلق بسيرته صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين من خلال قيادته الحكيمة في غزوة الحديبية وكذلك ما نجم في غزوة المطلق من تمزيق وحدة الكلمة وكذلك ما حدث في حجة الوداع، حيث أمر من لم يسبق هدياه بالاحلال، ونجم الخلاف من بعض أصحابه فمسهه بفصله القاطع.

البعثة البشرية لأن في ترك سدّ هذه الفراغات ضياعاً للدين والشريعة وبالتالي قطع الطريق أمام رقي الأمة وتكاملها.

لذا فبقي الاحتمالان الأخيران، فلا بد لتعيين واحد منهم، ان يبحثا من خلال العقل والتاريخ.

لقد كانت أهم نقطة حساسة في تاريخ التشريع الإسلامي ومهمته هي هل ان الامة كانت مؤهلة لسد تلك الفراغات؟

نعم ، لعل هناك من يزعم ان الأمة قادرة على ملء هذه الفراغات، لكن الاحداث التاريخية والمحاسبات الاجتماعية يبطلان هذه النظرة ويضادانها، ويثبتان انه لم يقدر للأمة بلوغ تلك الذروة بسدّ هذه الثغرات التي خلفها النبي الأكرم (ص) ففي جانب التفسير للقرآن الكريم هناك الاختلاف الفاحش في تفسير آيات الذكر الحكيم، فلا ترى آية الا ما شدّ اتفق في تفسيرها قول الأمة⁽¹⁾، حتى ان الآيات التي ترجع مفادها الى عمل المسلمين يوماً وليلاً لم تصن عن الاختلاف⁽²⁾.

أما الآيات القرآنية في مجال الأحكام، فهي لا تتجاوز الثلاثمائة آية⁽³⁾ أو اكثر بقليل على اختلاف الآراء والأقوال.

وأما الأحاديث -في هذا المجال- فالذي ورثته الأمة يتجاوز الخمسمائة.

قال الإمام أمير المؤمنين (ع) ((اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبياناته))⁽⁴⁾.

وقال الإمام الباقر (ع): ((ان الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لما يعرف الحق من الباطل))⁽⁵⁾. هذه المأثورات من أئمة اهل البيت (ع) تعرب عن ان الفرض الداعي الى بعثة النبي (ص) داع الى وجد امام يخلف النبي في عامة سماته ، سوى ما دل القرآن على انحصاره به، كونه نبياً ورسولاً وصاحب رسالة . مما نجد ان كثيراً ممن ليست لهم أقدام راسخة في أبواب

(1) السبحاني:الإلهيات، 4: 29.

(2) ط: المائدة: 6.

(3) ط: مسألة حد شارب الخمر وكيف ان الخليفة الاول لم يعلم بتحريمها، الكليني ت328هـ: الكافي: 7: 132، ط1، 1426هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان 2005م، و ط: المفيد: الارشاد في معرفة حجج الله على العباد: 1: 199: نج: مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث، ط2، رجب 1416هـ، الناشر مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث ، قم، مطبعة مهر - قم، ط: لجصاص، في مسألة حقيقة العدل في أحكام القرآن ، 370هـ: 2: 114، ط2، 2003م، 1424هـ، و ط: الحاكم النيسابوري، مستدرك الحاكم، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان وظ: مستدرك الحاكم، ج4، ص340، وانظر مسألة وحقيقة العدل في المصدرين المذكورين والكتب الفقهية في الميزان وظ: مسألة الطلاق كيف ان الخليفة الثاني لم يأمر بالطلاق ولم ينهى عنه، ط: كنز العمال، ج5، ص116.

(4) نهج البلاغة، قسم الحكم، الرقم 147.

(5) الكافي: 1: 178.

المعارف، يصعب عليهم تصور إنسان مثالي يحمل علوم النبوة وليس بني، ويقوم بوظائفها، الرسالية وليس برسول يحيط بمعارف الشريعة وأحكامها وليس طرفاً⁽¹⁾.

مما تقدم يتبين حقيقة الإمام وكيفية تعيين الخليفة عند الإمامية وبذلك يعلم اختلاف ما يتبنونه مع ما هو المعروف عند المذاهب الإسلامية الأخرى، ومن المعلوم ان كلاً من المعنيين يستدعي لنفسه شروطاً وصفات خاصة والشروط والصفات عند الشيعة الإمامية أكثر مما اتفقت عليه كلمة علماء المذاهب الإسلامية، أهمها احاطته بأصول الشريعة وفروعها، والمعرفة التامة بكتاب الله، وسنة نبيه، وقدرته على دفع الشبهات، وصيانة الدين، ولا تقتصر هذه الشروط عن كونه معصوماً لا يضل في تعليم الامة⁽²⁾.

ان (الإمام) هو خليفة رسول الله يجب ان يمتاز بصفات ومؤهلات تميزهم عن سائر البشر وذلك لأنهم يمثلون القدوة الحسنة ومايمثله منصبهم الخطير امل الامة التي توجه انظارها اليهم.

يذكر الدكتور رشدي عليان لشروط الإمامة⁽³⁾.

انه قد اشترطت المذاهب الاسلامية توفر صفات لمن يتولى الخلافة:

1- ان يكون عالماً بالأحكام الشرعية، عارفاً بالامور السياسية وشؤون الحكم.

2- ان يكون عادلاً تقياً، عفيفاً بالغاً عاقلاً.

3- ان يكن حسن الرأي والتدبير قوياً على القيام باعيان الخلافة جريئاً في تطبيق أحكام الإسلامية لا يخاف من الحق لومة لائم سليم الحواس والاعضاء مما يؤثر في الراي والعمل .

4- ان يكون قرشياً وقد اشترط بعض الاعلام الاجتهاد فلم يكتفوا بمجرد العلم عن طريق التقليد⁽⁴⁾. بينما اشترطت المعتزلة ان يكون بالغاً، عاقلاً، عالماً، فاضلاً، تقياً، ورعاً، عدلاً، شجاعاً، ذا رأي سديد سليم الحواس والاعتقاد مما يؤثر في الرأي والعمل، ولا يشترطون ان يكون قرشياً، بل يجوزونها في كل مسلم ملتزم بالكتاب والسنة قرشياً وغير قرشي، عربياً او غير عربي⁽⁵⁾.

(1) ظ: السبحاني : الالهيات، 4: 38-44.

(2) السبحاني : الالهيات، 4: 45.

(3) عليان: د. رشدي الإسلام والخلافة، 47-48.

(4) ظ: امام الحرمين: الارشاد: 426، و ظ: الباقلائي: التمهيد 384، 385.

(5) ظ: ابن حزم: الفصل في الملل والنحل، ح4، ص89.

أما الزيدية فهم يشترطون ان يكون الإمام قرشياً، فاطمياً، سواء كان حسناً أو حسينياً، يعين الناس شجاعاً يخرج عن الظلم شاهراً سيفه داعياً لنفسه وللحق⁽¹⁾. وهذه أهم الشروط التي ذكرها قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد⁽²⁾.

النتائج:

1- اتضح لي ان القائلين بنظرية الاختيار حينما ركزوا على الصفات النفسية للفرد المراد له ان يتلبس بتمام الخلافة، يتضح انه ليس افضل الموجودين على الاطلاق، بينما نظرية النص عند الامامية يتبين بوضوح، ان الامام شخصية كاريزمية يتمتع بصفات اشد واعمق بحيث تبين لي بانه افضل الموجودين على الاطلاق والاقرب الى صفات النبوة.

ولما كانت الفطرة الانسانية جارية في اختيار الافضل والاكمل والاقرب الى صفات الانبياء. من هذا كله نرى تمسك الامامة بنظرية النص وان الائمة المنصوصين من قبل النبي (ص)، قد جعلوا القيادة للفقيه المستجمع لصفات القيادة، كالذكورة والعقل والاختيار، والحرية، والشجاعة، والعدالة، والتقوى، والاجتهاد والاعلمية، والحياة والورع في دين الله.

2- تظهر الدراسة ان هناك شروط وصفات لكيفية تعيين الخليفة عند الامامية ومنها ان يكون منصوباً عليه بالتنصيب الالهي وعن طريق الوصية من قبل النبي الذي عينه وهي سيرة جاء بها الانبياء السابقين في الديانات السماوية السابقة وكذلك ما جاءت به سيرة رسول الله (ص) حيث تضافرت الروايات ان رسول الله (ص) قد اوصى الى ان عمه علي بن ابي طالب، ومن الصفات الاخرى وكذلك ان يكون معصوماً وان يكون افضل من كل راع من رعيته وان يكون شجاع عالماً.

4- بينما تظهر الدراسة ان كيفية تعيين الخليفة عند المذاهب الاسلامية لم تشترط في تعيين الخليفة التنصيب الالهي بل هو يكون تعيينه عن طريق الاختيار من قبل الامة ولم يشترطوا ايضاً العصمة والوصية الا انهم اشترطوا في صفات لمن يتولى الخلافة منها ان يكون عالماً بالاحكام الشرعية عارفاً بالامور السياسية وشؤون الحكم، وان يكون عادلاً تقياً عفيفاً بالغاً، واشترطوا كذلك ان يكون قرشياً وبعضهم اشترطوا الاجتهاد بينما اشترطت المعتزلة ان يكون بالغاً عاقلاً عالماً فاضلاً تقياً عدلاً شجاعاً ولا يشترطون ان يكون قرشياً في كل مسلماً ملتزم بالكتاب والسنة عربياً او غير عربياً اما الزيدية فهم يشترطون ان يكون الامام قرشياً فاطمياً سواء كان حسناً او حسينياً.

المقارنة:

وفي ختام هذا الفصل وبعد رحلة طويلة وشاقة بين هذه الديانات السماوية الثلاث خلص الباحث الى ان هناك توجد مقارنات بين الديانات الثلاث وهي كالآتي:

(1) ط: المحقق الطوسي: تلخيص الافكار، 180.

(2) القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة، 753.

1- يتبين ان مفهوم الخلافة في الديانة اليهودية واضح بشكل كبير من خلال مفهوم الكهانة ، بينما نجد هذا المفهوم في الديانة المسيحية يبرز بشكل اقل وضوحا، بل ان بعض الفرق عندهم لا تقول بالخلافة اطلاقا ، اما في الاسلام وعلى الرغم من أن الخلافة والإمامة بمفهومها العام ،هي محل قبول جميع المسلمين ،إلا أنه عند التعرض لهذين المفهومين عند كل من الفرق والمذاهب الإسلامية، نجد أن مسألة الخلافة والإمامة كانت محل خلاف ، فما يقوم الامامة المعصومة ويكون ماهيتها، هو كونها استمراراً للنبوة (من دون الوحي) بالنسبة الى الاسلام والأمة، وان ما يقوم الخلافة ويكون ماهيتها هو الوضع السياسي التنظيمي للمجتمع السياسي والدولة، دون ان تتحمل مسؤولية الاسلام والأمة.

2- نجد ان الديانة اليهودية تجعل ان لاهمية الخلافة وضرورتها هي الوسيط بين الناس والرب ، وانها تمثل هداية الناس الى الله تعالى، حيث ان الكهانة العظمى والتي هي تبليغ من الله لموسى بجعل هذا المقام الرفيع لآخيه ان يقوم بتفسير الناموس والشريعة للناس، وهو مقام يشترك مع مقام الامامة عند الامامية، حيث ان للخلافة وضرورتها هي ان يقوم الامام بوجود مقام التصدي للحفاظ على رسالة النبي وهداية الناس الى الله من خلال تفسير الاحكام الشرعية ، وهذا لا يتأتى الا عند اناس معصومين ، والعصمة في الديانة اليهودية ، تكمن في المعاجز والكرامات التي وهبها الله سبحانه للكاهن الاعظم ، بينما اهمية الخلافة عند الفرق والمذاهب الاسلامية الاخرى تكون في جوهرها منصبا سياسيا وتنفيذيا لتطبيق حدود الشريعة، وحفظ مصالح العباد، ومحاربة الاعداء، ولا تقع على عاتق هذا المنصب مسؤولية حفظ لدين، او تفسير ما غمض من حقائق او تبيان حدوده، وتوضيح معالمه، وغير ذلك من الامور المتعلقة بفهم الشريعة وتفهمها، فالقول عندهم بتحمل الخليفة مسؤولية حراسة الدين، انما يقصد به، الدفاع عن وجود الدين ضد أي تهديد سياسي او عسكري يستهدف الاطاحة بالنظام الحاكم، بينما الامامية يعطون لمنصب الخلافة دورا اكثر دينيا مما تعطيه المذاهب الاسلامية وذلك لانها تعتبر الخلافة هي خلافة الهية في الارض ومهمتها استخلاف النبي في وظائفه من هداية البشر، وارشادهم وبيبين لهم المعارف والاحكام ومقاصد الشريعة، ويصون الدين من التحريف، فهو منصب الهية وامتداد للنبوة في وظائفها باستثناء كل ما يتعلق بالوحي، وهي بهذا تكون اسمى من مجرد القيادة والزعامة في امور السياسة والحكم، بينما اهمية الخلافة في الديانة المسيحية غير الموحدة، قد انقسمت الى اراء مختلفة فالكاثوليك يؤكدون ان خليفة المسيح هو ممثل المسيح في الارض، ولولا وجوده لادى ذلك لانحراف التعليم، وتعدد المدارس الفكرية في المسيحية، وخروج اناس يدعون المعرفة ويحرمون الايمان.

الا اننا نجد ان هذا الايمان الذي يكون مهمة الخليفة نجد انه قد أبتى على التحريف لدين الله الذي نزل على السيد المسيح(ع)، من جراء دخول اناس لم يروا السيد المسيح اطلاقا، فغيروا شريعة الله زورا وبهتانا.

ويشترك معهم الفكر الاورثوذكسي، فهو يقول باهمية الخلافة من بعد رفع السيد المسيح والى هذا الوقت، ولكن هذه الاهمية مبنية على اساس واحد هو الايمان بمبدأ الخلاص والتجسد الذي يمثلها السيد المسيح بفدائه ومجيئه الثاني. وهذا ان دل انما يدل على ان الديانة المسيحية تفترق على الديانات جميعا وذلك بجعل ان هناك شفيع واحد ووسيط واحد، ولا يوجد غيره وهؤلاء النواب، انما ينوبونه، فقط لقضايا ادارة الكنيسة والجماعة المسيحية، ولا يمثلون الزعامة الكهنوتية، لان الكاهن الاعظم اي الامام هو المسيح فقط الذي قرب نفسه قربانا واضحة لاجل البشرية، ولا يمثل احد لزعامة دنيوية لان بولس الامور الزمنية بيد الحاكم ولاعلاقة للكنيسة بهذه الامور ، متخذاً مبدا فصل الدين عن السياسة وهو امر خرج عن ماجاءت بها الديانات السماوية ، بينما نجد البروتستانت الذين يذكرون ان لا حاجة للخلافة فجميع المسيحيون يستطيعون ان يكونوا كهنة الرب ويمثلون الكنيسة الجامعة.

بينما نجد ان اتباع السيد المسيح الموحدين، فانهم يجعلون للخلافة اهمية كبيرة، فبعد رفع السيد المسيح كان لابد لتنظم صفوف الجماعة ومنهم الابيونيين وهذا لا يقوم به الا من كان له صفات خاصة، أثبتتها (مؤثرات اكلمنضس)، و(التحقيقات الاكليمنضية) و(إنجيل توما) حيث يذكر المفكرين المسيحيين ، من امثال القمص ميخائيل جرجيس ميخائيل في مذكرات تاريخ الكنيسة المسيحية أن الابيونيين كانوا موجودين بمبادئهم منذ عصر الرسل ولا شك إنهم خلفاء أولئك الأخوة الكذبة .

وفي مخطوطات قمران التي يستشهد فيها الفكر المسيحي لجميع الطوائف الغير موحدة، بقولهم ان بولس هو الذي استفاد من التنظيم الكنسي الموجود عند اهالي قمران.

مما تقدم يتبين ان المثلثون يذكرون أهمية الخلافة ولكن من خلال الايمان المسيحي الخاص بهم وهو ما يسمى بقانون الوديعه وهو الإيمان بفداء السيد المسيح لخلاص البشرية من الخطيئة الأولى، مع الفارق بان الفكر البروتستانتى لا يأخذ بهذه الأهمية، لانه لا يعترف أساساً بخلافة السيد المسيح، وانما يقول ان الجماعة كلهم يمكن ان يكونوا كهنة، وبالتالي لا حاجة لخلافة السيد المسيح.

بينما الموحدون من اتباع السيد المسيح، فانهم ومن خلال ما استشهد به الفكر المسيحي الحاضر، ان هؤلاء كانت لهم تنظيمات خاصة بفعل من معلم الصدق هو خليفة السيد المسيح، ولما علمنا ان هذا يمثل وصي عيسى (ع) وان هؤلاء يعترفون ببشرية السيد المسيح ونيوته، كان من المؤكد ان هؤلاء يجعلون ان للسيد المسيح خليفة يقوم بالحفاظ على الديانة، من خلال هداية الناس وتبليغهم الاحكام الشرعية وغيرها مما يتعلق بالدين الذي جاء به السيد المسيح وهم بهذا فان للخلافة عندهم ذو أهمية كبيرة على جميع الابعاد.

3- نجد ان الأدلة التي استدلت بها الفكر اليهودي على مشروعية الخلافة، تعتمد على التنصيب والجعل والاختيار الإلهي، وقد أبرزتها النصوص التوراتية.

وكذلك اعتمادهم على الأدلة العقلية من خلال الخصائص والسمات الشخصية للخلفاء التي تميزهم عن غيرهم من الافراد وتوهمهم لان يكونوا خلفاء وقادة كما هو الحال عند شاول وداود كبسطة الجسم والشجاعة، والاعلمية، والعقل، والنجدة، وسلامة البدن وغيرها.

ويرى السيد سامي البدري انه عند استعراض كلا التجريبتين البشريتين المسيرة الإسرائيلية والمسيرة الإسماعيلية خلال تلك الفترة من الزمانين يجد الباحث ظاهرة التناظر بينهما في عدة قضايا منها: التناظر بلحاظ شخص النبي المؤسس حيث يوجد تناظر:

أ- في أسماء آباء النبي المؤسس وأسماء أوصيائه⁽¹⁾.

ففي بني اسرائيل النبي المؤسس هو موسى(ع) بن (عم - رام) ومعناه شعب عالي او جماعة شامخة الفرع الشامخ فهو مركب من كلمتين عبريتين:

الأولى: (عم) ومعناها شعب، جماعة.

الثانية: (رام) ومعناها عال، سام.

بن (قهاث) ومعناها الاجتماع والتجميع⁽²⁾.

بن (لاوي) بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم.

وفي أسماء أو ألقاب أوصياء موسى(ع) من ذرية هارون⁽³⁾ نجد شير وشبير بمعنى الحسن والحسين ونجد بقي بمعنى العالم الخبير ونجد في سلسلة ابناءه واحفاده من اسمه صادوقا بمعنى الصادق واخيماصص بمعنى الكاظم وعزريا بمعنى علي، ويوحنان بمعنى الجواد وعزريا بمعنى علي واحيطوب

(1) ظ: التكوين التاريخي لمسيرة بني اسرائيل ومسيرة بني اسماعيل : سامي البدري ، ندوة اقيمت في كلية الاداب / جامعة الكوفة في 2009/3/28 يشير فيها الى التناظر بين القبيلتين من ابناء ابراهيم (ع)، وظ: انظر تاريخ السامريين: مقالة نقلت عن موقع: السامري جرزيم .Samaritans-um.com/page3.html .

(2) ظ: م.ن.

(3) ظ: العهد القديم، سفر الخروج 6: 16-23.

بمعنى الحسن تذكرهم التوراة وتقول (وهؤلاء بنو لاوي جيرشون⁽¹⁾ وقهات ومراري. وبنو قهات عمرايم ويصهار وحبرون وعزيريل وبنو عمرايم هارون وموسى(ع) ومريم. وبنو هارون ناداب وابيهو والعازار وايتامار. والعازار ولد فنحاس وفنحاس ولد ابيشوع وابيشوع ولد بقي وبقي ولد عزي وعزي ولد زرحيا وزرحيا وزرحيا ولد مرايوت ومرايوت ولد امريا وامريا ولد ايحطوب وايحطوب ولد صادوق وصادوق ولد احيماص واهيماص ولد عزريا وعزريا ولد يوحنا ويوحنا ولد عزريا وهو الذي كهن في البيت الذي بناه سليمان باورشليم وعزريا ولد امريا وامريا ولد ايحطوب وايحطوب ولد صادوق وصادوق ولد شلوم وشلوم ولد حلقيا وحلقيا ولد عزريا وعزريا ولد سرايا وسرايا ولد يوصاداق وذهب يوصاداق في الأسر عندما سمح الرب لنبوخذنصر⁽²⁾ بسبي يهودا واورشليم⁽³⁾).

اما عند بني اسماعيل فان النبي الامام ،هو النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (بن واسمه عمرو العلاء ومعناه فرع القبيلة الزاكي او الشامخ او العالي) ابن عبد مناف بن (قصي ولقبه مجمّع لانه جمع القبائل التي تنتسب الى فهر واسكنها حول البيت وبنا دار) (الندوة يجتمعون فيها) (وهو من احفاد لؤي)⁽⁴⁾.

ب- النبي المؤسس له أخ يؤازره مؤازرة خاصة.

ت- النبي المؤسس يدعو للإعلام عن وزارة وخلافة الأخ فالنبي موسى(ع) قد دعى عشيرته بني لاوي كي يعرفوا بان الوزير والأمير وخليفته هو هارون وهكذا فعل رسول الله محمد لأخيه وابن عمه علي بن أبي طالب مع عشيرته بني هاشم عندما دعاهم وذكرهم بان الوزير والخليفة هو علي بن أبي طالب.

والفكر المسيحي، يستند على مشروعية الخلافة من خلال النصوص الانجيلية الا انهم انقسموا في ذلك الى آراء فمنهم من الكاثوليك من قال بان الخليفة هو بطرس لاعترافة ببنوة المسيح، ووجود القران التي تثبت اوليته ورئاسته على باقي الرسل، ويضيفون اما خلافة بطرس فانها تكون للأبء الاولون وللبابا في روما بعد رحيل اخر الرسل والسبب اولية بطرس واستشهاده في روما، بينما الفكر الارثوذكسي يعتبر ان الخليفة هو مرقس، حيث يعتبرون بطرس من ضمن الاخوة المتساويين وليس كخليفة للمسيح، وهؤلاء وان كانوا يعترفون بالخلافة، ولكن ليست الخلافة البطرسيية وانما بالخلافة الرسولية التي يجسدها مرقس.

ويستدل الارثوذكس من خلال الادلة التوراتية الانجيلية والتحقيقات الاكلمنضيسية، نسبة لكتابات اكلمنضس الخليفة الثالث، ويجدون ان الاكليروس هو ضرورة تبين تسلسل الخلافة الرسولية الى هذا الوقت من وقت مرقس الرسول.

(1) احيانا يلفظ جيرشون ، كما في العهد القديم، سفر العدد 3: 17- 18، وحيانا يلفظ جيرشوم، كما في سفر اخبار الايام الاول 5: 27-41.

(2) ظ: الطائي ، نجاح عطاء ،ليال يهودية(هل ذبح البابليون والنصارى والمسلمون اليهود)، ط2، رجب، 1425هـ - 2004م ، دار الهدى لاهياء التراث - لندن ، ص13 ، 32

(3) اخبار الايام الاول 6: 1-16

(4) ظ: التكوين التاريخي لمسيرة بني اسرائيل ومسيرة بني اسماعيل : السيد سامي البدري ، ندوة اقيمت في كلية الاداب / جامعة الكوفة.

بينما الفكر البروتستانتي فإنه يثبت على عكس فكرة الخلافة بالقول بأنه لا يوجد دليل انجيلي على ثبوت مشروعية الخلافة. بل على العكس فإن المسيح هو الوسيط والشفيع الوحيد لمؤمني الكنيسة وهذه الخلافة هي ادارة الكنيسة والجماعة من المؤمنين فهم لم يجعلوا الخلافة باعتبارها قيادة دينية وزمنية بل هي قيادة روحية لا تتضمن الدخول بالامور الزمنية. وهذا ما شاركهم به الفكر الكاثوليكي الا انهم يخرجون عندما يسألون لماذا تصدى البابوات للعمل السياسي كما حصل في عهد لاون الكبير والبابا غريغوري السابع بل ان هذا الرجل تصدى للعمل الدنيوي بعد ان قام باصدار قرارات من خلاله يتم عزل اي انسان يخالف الكنيسة وبالفعل فقد تم عزل هنري الرابع بحرم كنسي اصدده هو بنفسه (البابا غريغوري السابع)، بل انه اصدر الاوامر بالحملة الصليبية على ابناء جلده من المسيحيين الشرقيين. وهكذا فعل البابوات من بعده، لقد قام اكثر البابوات بالقيام بالامور الزمنية من خلال تعيين وعزل الامبراطور نفسه، فلا ينصب الامبراطور الا من خلال البابا عندما يمسحه بيده.

وبهذا التصور فإن الفكر المسيحي يجد ان للخلافة اعتبار خاص الا ان هذا الاعتبار مقارنة بالاديان الاخرى يكون اقل وضوحاً من ناحية الادلة على مشروعيتها.

بينما نجد فكرة مشروعية الخلافة عند المسلمين انها قد انقسمت فيها الرؤى الى فريقين، فالمذاهب الاسلامية عدا الامامية تجعل من مشروعيتها انها فكرة عائمة وغير محددة لشخص معين، فيمكن ان تطلق على الحاكم، كما يمكن ان تطلق على الفقيه، ومن يصلي بالناس، بل ليست هناك اية ابعاد شرعية تعطي خصوصية للامام عندهم، فهو فرد كبقية افراد الرعية تقوده الظروف الى الحكم بطريق الوراثة او الاختيار من قبل اهل الحل والعقد فيصبح امام الامة ويجب على جميع المسلمين ان يدينوا له بالسمع والطاعة وان كان ظالماً.

بينما مشروعية الخلافة عند الفكر الامامي نجدها تعتمد على التنصيب والاختيار الالهي حيث يستندون على الادلة القرآنية السنة الشريفة وكذلك على الأدلة العقلية، وهم بذلك يقتربون من الديانة اليهودية وقليلاً من الديانة المسيحية وكذلك فان الخلافة هي عهد الهي عندهم عهد به الله لابراهيم (ع) وهو ما يشترك معهم الديانة اليهودية.

ث- أما دور الخلافة فإنها تتميز عند الديانة اليهودية لأن الكهانة لها دور في الحفاظ والديمومة على رسالة الانبياء من خلال كون الخلافة لها مهمة تفسير الشريعة وتعليم الناس للأحكام الشرعية فهم جهال عن الامور الدينية فدوره يرتكز على تفسير النصوص والاحكام الشرعية وكذلك فإنه يمثل در الوسيط والشفيع ما بين الناس والرب فلا يمكن ان يتقبل الله سبحانه ال1 ذنبايح والقرايين الا من خلاله ولا يمكن تطهير ذنوب الناس أيضاً الا من خلاله.

وكان بنو اسرائيل يلجأون الى الكاهن الأعظم لاستشاره قبل الخوض في الحروب وفي الاقامة لعلمهم انهم أقرب الى الله وادنى ان يطلعوا على الغيب المحجوب على الدنويين، لذا فان الكاهن الأعظم يعتبر له الدور الأبرز من بين الديانات السماوية الثلاث أما دور الخلافة في الديانة المسيحية فان شأنه يعتبر هو أقل شأن مما هو في الديانة اليهودية حيث ان الدور للخليفة يكمن هي كونها راعية للشعب وتقوم بادارة الكنيسة.

هذا ما يستنتج منه في زمن الرسل وبعد رفع المسيح بالذات أما في زمن الآباء الاولون وتابعيهم من البابوات فان دور الخلافة قد تضمن بالاضافة الى التبشير المسيحي فقد تهيأت الفرص لبعض البابوات ان تصدوا للزعامتين الدينية والزمنية والتاريخ خير دليل على ذلك فما ان سنحت لهم فرصة القيادة حتى جعلوا منها التحكم بمصائر الشعوب.

بينما دور الخلافة في الديانة الاسلامية فقد اختلفت الرؤى عند المذاهب الاسلامية فالفرق الاسلامية ومن خلال البحث والتأمل في أبحاث الامامية والمذاهب الاسلامية المعقودة لشرح المراد من مصطلح (الامامة المعصومة والامام المعصوم) ومصطلح (الخلافة والخليفة) اختلاف جوهري وأساس بين مفهوم (الخلافة والخليفة) عند أهل المذاهب الإسلامية، من حيث المضمون والجوهر ومن حيث المهمة الأساس التي تتصف بالأولوية الأولى في مسؤولياتها ومهام وعمل الإمام المعصوم عند الشيعة والخليفة عند المذاهب الاسلامية. حيث ان هذا الاختلاف بين الفريقين في الامامة المعصومة/الخلافة، ومن ثم في الواجبات والمسؤولية الأساس ذات الأولوية الأولى للإمام المعصوم/والخليفة، يبرر الخلاف السياسي الرئيس بين الفريقين حول قضية الحكم في الاسلام في مرحلة تاريخية تمتد من حين وفاة النبي (ص) الى بداية الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر (ع) سنة (329هـ).

الامامية جعلوا دور الخلافة ان مدار كلام علماء الامامية المعبر عن جهود المعتقد الشيعي الامامي في قضية الامامة المعصومة، هو على ان الامامة المعصومة ممثلة بالأئمة الاثني عشر (ع) امتداد واستمرار للنبوة- من دون الوحي، في مهمة النبوة الأساس، وهي (الاسلام) من حيث تبليغه بما هو عقيدة وشريعة، منزل من عند الله تعالى، وحمايته وحفظه مما هو معرض له من التشويه، والتحريف والزيادة فيه، والنقص منه، وتأويل الجاهلين لعقائده وأحكامه بما يخالف حقيقته، وتفسيره بشرح وبيان ما اقتضت حكمة التشريع اجماله.

ويعتبر الخليفة عند الفرق الاسلامية الأخرى مسؤولاً عن (حراسة الدين) بالاضافة الى (سياسة الدنيا) كما ورد في تعريف الخلافة.

ح- من خلال البحث نجد ان كيفية تنصيب الخليفة في الديانة اليهودية تكون عن طريق تنصيب والاختيار الالهي ، وكذلك فان هناك صفات وشروط لتنصيب الخليفة حددتها الديانة اليهودية ، وهي ان تكون للكائن الاعظم (هارون) وذريته لا يمكن لغير هؤلاء ان يكهونوا للرب كذلك فهناك ادلة من غير الادلة العقلية تعتمد على الادلة العقلية من خلال السمات التي يتصف بها الكاهن الاعظم ، وبهذا فهم يشتركون مع ما يتبناه الفكر الامامي الذي يقول بالتنصيب الالهي لاختيار الخليفة فالخلافة نصبت عليا وذريته عن طريق النصوص من الكتاب والسنة الشريفة والادلة العقلية والاجماع الذي ذكرها علماء الامامية.

ويبدو ان نظرية الوصية قريبة من ديانة بني اسرائيل حيث تشابه الوصية من نبي الله موسى الى نبي الله هارون واستمرت لذريته الى اخر اوصيائه وهو المسيح (ع)، يقول العهد القديم ((تقدم هارون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع ، وتغسلهم بماء وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكون لي ، وتقدم بنيه وتلبسهم اقمصة وتمسحهم كما مسحت اباهم ليكونوا لي ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتاً ابدياً مدى اجيالهم)).

اما عند الديانة المسيحية فانهم لا يختلفون عن سابقهم من حيث التصيغ الالهى لاختيار الخليفة في مرحلة رفع السيد المسيح وكذلك في زمن الالباء الاولون الذين جاؤا من بعد الرسل وخصوصا انهم جعلوا قانونا لذلك وهو قانون الوديعه الذي ذكره بولس لتيموثاوس ، ولكن من بعد زمن هؤلاء اصبح اختيار الخليفة يتم عن طريق مبدا الشورى والاختيار بمعنى ان اختيار البابا يتم عن طريق انتخاب كردينال من ضمن كرادلة العالم حيث يجتمعون في مكان مخصص لاختيار السيد المسيح. فقد اتضح لي ان خليفة المسيح ((البابا)) هو قريب من مفهوم ولاية الفقيه في الوقت الحاضر من ناحية الروحية للشؤون الدينية والدنيوية، وكذلك لترشيح مقامه، فان الطريقة تتم بنفس طريقة الاختيار الا ان مقام الولي الفقيه يخضع لشروط تتبع منهج خط ائمة اهل البيت (ع) الممتد والمستمر لخط الانبياء فهو خاضع لشروط وصفات لا تتوفر عما هي موجودة في اختيار البابا، الذي لا يمت بصلة لمنهج رسل السيد المسيح وبالخصوص الصخرة التي بنى المسيح عليه الكنيسة واعني فيه بطرس (ع)، وانما ابتعد البابا عن الخط الرسالي لبطرس وللسيد المسيح (ع).

خ - ان اهمية وجود الخليفة في الديانة اليهودية هو ان الشعب لايمكنه تقديم القرابين الا بوجود الكاهن الاعظم ولا يمكن ان يعتمد لهذه الوظيفة على غيرهم فهي مخصصة لفلة معينة مختاره ومنصبه من قبل الله ، فالكاهن الاعظم هو الشفيح والوسيط بين الشعب والرب وكذلك فان لوجوده اهمية كبيرة في انه الوحيد الذي له الدور في تبيان المعارف والعلوم التشريعية ، بمعنى ان الكهانة العظمى هي بمثابة حامية الدين وتوضيح رسالة الانبياء وبيان احكام الله وشرائعه وكذلك انه الذي يسعى لنشرها ، فكما ان النبي هو حامل الوحي الالهى فالكاهن الاعظم هو المبين والمنفذ لشرائع السماء ، كذلك فان لوجود الخليفة اهمية في مواجهة الاختلاف ، وكذلك قيادة الناس وولاية الامر والحكومة بينما نجد ان الفكر المسيحي لم يعطي للخليفة مثل تلك الاهمية لوجوده الا انهم اعتبروا الخليفة انهم يقوم مقام السيد المسيح لكنه لا يستطيع ان يكون هو الوسط والشفيح فالشفاعة والوساطة هي للمسيح سلام الله عليه فقط ، بل ان هناك احدى الطوائف المسيحية وهم البروستانت لاتعتبر اهمية لوجود الخليفة لانهم اعتبروا ان الجماعة المؤمنة هي مجموعة تكون في مصاف كهنة الرب فضلا عن ان السيد المسيح هو الكاهن الاعظم الذي قدم نفسه تضحية لخلص البشرية من الخطيئة الاولى وكذلك ذنوب البشر وبالتالي لاحاجة للمؤمنين لتقريب القرابين لان المسيح فداهم وهذا الفداء يضل الى مجيئه الثاني . بينما نجد اهمية وجود الخليفة عند المسلمين انهم لم يختلفوا عليها لكنهم انقسموا في تحديد المهام المتعلقة بدور الخليفة ومهامه والتي تم ذكرها.

الخاتمة

في ختام هذا البحث اضع بين أيديكم الكريمة، النتائج التي توصل اليها الباحث
بالإضافة الى المقترحات:

أولاً: النتائج:

1- تظهر الدراسة ان هناك العديد من المفاهيم التي تدخل ضمن مفهوم الخلافة في الديانة الاسرائيلية ، كالنبوة والملك والقاضي والحاخام فضلا عن الماشيح المنتظر .
2- يبين البحث ان مفهوم الكهانة من اقرب المفاهيم دلالة لمفهوم الخلافة.
لأن للخلافة أهمية كبيرة على جميع الابعاد السياسية منها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية.

3- يتبين من النصوص التوراتية، ومراجعة ما نقل من المفكرين والعلماء والباحثين يستنتج ان هناك ما يؤيد فكرة التنصيب على خلافة النبي موسى(ع) في ديانة بني إسرائيل، فهناك شروط وصفات حددتها التوراة لتسلم القيادة لهذا كان التأهيل لمنصب القيادة يتم بأحد طريقين:
أ- أما التنصيب الإلهي على الحاكم ،وهي فريضة ابدية دهرية مدى اجيالهم .

ب- وهناك طريق آخر لتنصيب الخليفة وهو عن طريق التنصيب الإلهي على صفات الحاكم الاعلى .

- 4- لمنصب الخلافة شروط وصفات، يجب ان تتوفر لمن يكرّس للخلافة(الكهانة العظمى).
- 5- يتبين من خلال النصوص التوراتية ان هناك أدلة على مشروعية الخلافة ،عن طريق التنصيص والاختيار الالهي ومنها انه عندما استدعى الرب موسى(ع)للصعود إلى الجبل من أجل اعطائه وثيقة العهد وتعليم الناموس والوصيه في هذا الحين اوصاه ان ينصب الإمامة من خلال تقريبه لأخيه هارون ،وهناك ادلة ادلة عقلية تتمثل في السمات التي يحملها صاحب المقام الرفيع للكهانة العظمى ،والتي منها السمات العقلية والجسدية والاجتماعية .
- 6- تبين لي ان لوجود الخليفة أهمية كبيرة عند الفكر الديني الإسرائيلي فبوجوده تم تحقيق الوحدة السياسية وتشكيل وتأسيس الدولة الإسرائيلية، كانت بدايتها على موسى(ع)وهارون وقد تم تحقيقها من خلال المصداق الأشد عند يوشع وذلك عند دخوله الأرض المقدسة وهي بذلك تعطي الحاجة إلى قائد جديد يدخل بهم إلى الميراث الأبدي.
- 7- تظهر الدراسة ان لوجود الخليفة أهمية كبيرة ، حيث يعتبر هو المخلص من خلال دوره التكفيري والشفيع لهم.
- 8- يتضح ان فكرة وجود الماشيح عند بني إسرائيل مرتبطة بمصير أمة بعينها، وباب الهداية غير مفتوح للجميع، بل هو خاص بالشعب المختار، اضافة إلى ذلك ان من أهمية وجود المشايح هي ان وصوله يعني عودة الشعب المختار إلى صهيون، أو وصوله إلى أورشليم التي سيحكم منها المشايح.
- 9- تظهر الدراسة انه ورغم ان الكهانة قد اختفت تماما مع هدم الهيكل على يد تيتوس، فان مؤسسة الكهانة استمرت بعد أن أخذت شكلا جديدا هو(الحاخامية)حيث يحل الحاخام محل الكاهن .
- 10- اتضح لي أن هناك اكثر من خليفة في وقت واحد كما هو عند وفاة هارون كانت الخلافة الدينية والدينيوية ليوشع ، الا أن في الوقت نفسه كان الرب قد أشار لموسى(ع)أن ينصب اليعازار ابن هارون عندما حضرت هارون الوفاة ،وهكذا استمر هذا الحال في عصر القضاة ، كانت القيادة الدينية متسلسلة عند ذرية هارون ، وهكذا تستمر (الكهانة العظمى) إلى أن نصل لزمان صموئيل النبي الذي نصّب خليفته ،وهو الملك شاؤول ومن بعده داود ، واستمرت الخلافة الدينية حتى سقوط الدولة الحشمونية، وهكذا استمرت الخلافة على مر العصور حتى زماننا هذا اهتمت كثيراً أن تكون الخلافة الدينية لذرية هارون .
- 11- تبين للباحث ،إن الجوهر الجامع بين اليهودية والمسيحية والإسلام هو تأسيس اللاحق منهم لذاته على السابق ، وتأكيد نبوة الأنبياء (الأوائل) في الديانات الثلاث مجتمعة.
- 12- تظهر الدراسة ومن خلال النصوص الإنجيلية ومن خلال ما يحمله السيد المسيح(ع) من سمات عقلية واجتماعية وحكمة سياسية وقيادية أبرزتها النصوص الإنجيلية ، فضلا عن اختياره للرسول(التلاميذ الاثنى عشر) وجعل هامة الرسل وزعيمهم "بطرس الرسول" هو

الخليفة من بعده ، فالمتتبع للنصوص الإنجيلية ، ومن خلال الأدلة العقلية يجد أن الخلافة في الديانة المسيحية متجسدة في السيد المسيح(ع) بنفسه ،فقد ظهر السيد المسيح وأعلن لليهود وظيفته النبوية والكهنوتية وأخذ يعلم في الهيكل ويقوم بواجبات الكاهن من شفاء الأمراض ، ثم قام بطرد الباعة من الهيكل وقلب مناخذ الصيارفة ومقاعد باعة الحمام ومنع كل من يحمل بضاعة أن يمر من داخل الهيكل .

13- إنَّ القول بأن عيسى هو ابن الإله يناقض أقوالاً كثيرة منسوبة للسيد المسيح(ع) تقول بخلاف ذلك وتدل صراحة بأنه رسول وليس إلهًا ولا ابنًا للإله ولا يشترك مع الإله في اللاهوت، إذ يصرِّح في تلك الأقوال بأنه مرسل وبأنه يعمل لإنجاز إرادة الله.

14- من خلال الأدلة العقلية والعقلية نجد ان الخلافة في الديانة المسيحية متجسدة في السيد المسيح(ع) بنفسه ، فقد ظهر السيد المسيح وأعلن لليهود وظيفته النبوية والكهنوتية.

15- لقد اعطى السيد المسيح(ع) من وقته الكثير ليعدَّ من يخلفه لهذه المهمة (مهمة الخلافة) ،وذلك من خلال سياحته معهم ، وافعاله واقواله لهم ،لذا فان كيفية الاعداد كانت قد مرت بعدة اساليب .

16- أن الفكر المسيحي قد انقسمت فيه الرؤى حول استخلاف السيد المسيح كما هو الحال في عقيدة التوحيد والنبوة، لذا فإن مفهوم الخلافة ينقسم على تعريفين حسب رؤية الذين رأوا بأن السيد المسيح(ع) هو بشر ونبي أرسل من قبل الله ، وهؤلاء يسمون بالموحدين وفريق آخر يعتبرون بأن السيد المسيح هو ابن الله وبالتالي فإنهم يعتقدون بألوهيته ويسمون بالمثلثين .

17- اما اصحاب عقيدة التثليث فانهم اختلفوا الى اراء متعددة منهم من قال ان خليفة المسيح هو بطرس الرسول واثبتوا ذلك من خلال النصوص الانجيلية ومصادرهم الكتابية خصوصا في الزمن الذي جاء قريبا جدا من زمن الرسل ومنها التحقيقات الاكليمنضية، وتاريخ الكنيسة وهي ما تمثله الكنيسة الكاثوليكية، وقسم اخر ادعوا بان الخلافة هي لمقرس الرسول وهو ما يمثله الطائفة الاورثوذكسية ، وهناك فريق ثالث ادعى ان الخلافة انتهت مع اخر الرسل فلا حاجة من بعد هؤلاء لخليفة للرسل لان الكنيسة التي بناها السيد المسيح على صخرته وهو بطرس لا تحتاج الى خليفة وكهنة لان الجماعة المؤمنة المسيحية كلهم مجموعة من الكهنة هذا من جانب ومن جانب اخر ان الوسيط الوحيد والشفيع هو السيد المسيح فلا وسيط ولا شفيع لغيره وبالتالي لا يحتاج المؤمنون الى وساطة بالتقرب الى الله.

18- تظهر الدراسة إن للخلافة في الفكر المسيحي أهمية كبيرة وضرورة حتمية ،لأنه اذا لم يكن هناك وجود للخلافة ، فإن ذلك سوف يؤدي إلى انحراف للتعليم المسيحي ، وسوف تتعدد المدارس الفكرية

- 19- في المسيحية، مما يستنتج خروج أناس يدعون المعرفة ويحرفون الإيمان، لذا فهم يعتقدون أن الخلافة الرسولية مبنية على أساس مشروعية الرسل حينما نصبوا لهم خلفاء من بعدهم.
- يتبين ان للخلافة عند الفكر المسيحي الأرثوذكسي وجود اهمية بالغة لضرورة الخلافة من بعد رفع المسيح (ع) والى هذا الوقت ، فهم يعتقدون أنه عند الرجوع إلى الكتاب المقدس ،وبالذات إلى العهد القديم ، فانهم يجدون أن الله لا يسمح لأي إنسان كان يقوم بممارسة الكهنوت إلا المختارين منه، والمقامين لأداء هذه الوظيفة بطريقة رسمية صحيحة ، لذا فالارثوذكس يرون ان لاهمية الخلافة ان هناك نصوص من العهد القديم والعهد الجديد وهي نصوص دينية مقدسة تبين ضرورة تسلسل الاكليروس من زمن الرسل ومن بعده الاباء الاولين وتابعيهم حتى اولية روما وقيام البابوات الى هذا الوقت، لذا فهم يستدلون عليها من خلال النصوص في العهد القديم والعهد الجديد.
- 20- اما أهمية الخلافة عند اهل التوحيد فهي المحافظة على رسالة المسيح واكمال ديمومتها التي هدفت إلى هداية الانسان وتكامله المعنوي في بعده الفردي والاجتماعي نحو الله والحقيقة والصلاح، فيكون عابدا لله وسائرا مع الحق والحقيقة هو ليس مقتصرنا بني اسرائيل وحدهم، وانما يشمل مستوى الخليقة جمعاء والأرض كلها، وقضى استمرار المسيرة حتى بلوغها الهدف المنشود برعاية قادة ربايين يخلفون السيد المسيح إلى مجيء الديانة الخاتمة، والدليل على ذلك ما اقتبسه الفكر المسيحي في زمن بولس بالتحديد، بان ياخذ ، ويستفاد من التنظيم الكنسي من اهالي قمران ،حيث ان لديهم تنظيم كنسي قد جعل للخليفة اهمية كبيرة من حيث المسؤولية الملقاة على عاتق الامة بالالتزام باوامره وطاعته المترتبة على اتباعه الذي جاء بنص الهي انه واجب الطاعة له،يقول العهد الجديد في((كما أرسلني الأب كذلك أنا أرسلكم)) وفي نص آخر((من سمع منكم فقد سمع مني ... ومن نبذني فقد نبذ الذي أرسلني)).
- 21- يتبين ان هناك ادلة تبين مشروعية الخلافة، حيث ان رسل السيد المسيح كانوا في يوم العنصرة وبعد قيامته، مجتمعين حلّ عليهم الروح القدس فأصابتهم حالة الوحي ، وبالتالي هو عهد من المسيح(ع) لهؤلاء ليحافظوا على الرسالة، والدعوة التي جاء بها.
- 22- يتبين أن الفكر الكاثوليكي يستدل على ان هناك نصوص إنجيلية تبين التنصيب الإلهي على شخصية معينة يكون رأس الكنيسة وأساسها وهذه الكنيسة سيكون خليفتها من بعده "بطرس" مباشرة.
- 23- ان من الادلة على مشروعية الخلافة عند الفكر الارثوذكسي هي ان الخلافة الرسولية من خلالها تستمر وحدة الكنيسة في الروح والفكر والرأي لأن لهم مرجعية ثابتة، وخطورة عدم وجود خلافة هو عدم وجود مرجعية في التعليم وبالتالي يضيع الإيمان.

- 24- يستنتج الباحث على مشروعية الخلافة عند الموحدين من اتباع السيد المسيح عن طريق مخطوطات قمران والتي بينها الباحث في مطلب مفهوم الخلافة والتي وجدت بالقرب من البحر الميت تتحدث عن معلم الصدق مدير الجماعة قمران الذي تنطبق صفاته وحياته على صفات خليفة السيد المسيح بطرس وحياته، ولقد ذكر الفكر المسيحي ان الطائفة الأبيونية تعتقد بأن السيد المسيح بشر وانه نبي، وهذا يعني ان الطائفة الابيونية قد جعلت من بطرس هو الخليفة الشرعي للسيد المسيح، وقد استمر الابيونيين لتنظيم الكنيسة.
- 25- ان للخلافة في الديانة المسيحية ادوارا مهمة تتمثل بقيادة الامة في مهام كثيرة منها الدينية والسياسية والاجتماعية ، والهدف من خلافة السيد المسيح(ع) بواسطة دعوة رسله التي يتزعمهم بطرس ، أن يتمموا عمل المسيح ويعلنوا اسمه ويوصلوا رسالته ، ولكي ينشؤا مؤسسة جديدة في الأرض تتحدى الزمن والموت وكل قوى الجحيم.
- 26- تظهر الدراسة ان بين الفكر الامامي والمذاهب الاسلامية خلافاً جوهرياً مفهوماً في المراد من الإمامة المعصومة عند الشيعة الامامية والمراد من الخلافة عند الفرق الاسلامية الأخرى، حيث ان ما يقوم الإمامة المعصومة ويكون ماهيتها، هو كونها استمراراً للنبوّة (من دون الوحي) بالنسبة الى الاسلام والأمة، وان ما يقوم الخلافة ويكون ماهيتها هو الوضع السياسي التنظيمي للمجتمع السياسي والدولة، دون ان تتحمل مسؤولية الاسلام والأمة. لقد كان النبي محمد (ص) القائد الاعلى للدولة الاسلامية، حيث من خلال سير الاحداث، وصفات وسمات النبي (ص) يجد انه جسّد اعلى مستويات القيادة عبر التاريخ، فاذا كانت هذه القيادة هي قيادة الهية نبوية، فلاشك في ان التأثير والتنسيق وضرب المثل الاعلى في الافعال والاقوال سيكون في اعلى مستوياته لكان شخصية النبي الالهية الكاريزمية.
- 27- ان للخلافة اهمية كبيرة عند جميع الفرق الاسلامية ، فقد أولى الاسلام مسألة القيادة اهمية بالغة، وجعلها من صلب أهدافه وغاياته، وقد تمثلت اول ما تمثلت، بشخصية النبي الكريم محمد (ص)، ثم خلفائه من بعده ، الا انهم اختلفوا في ماهية هذه الخلافة ، فالامامية جعلوا للخلافة ابعاداً مختلفة لاهمية الخلافة .
- 28- اما اهمية الخلافة عند المذاهب الاسلامية فهي عندهم تمثل ان الخليفة يتحمل مسؤولية حراسة الدين، والتي يقصد بها الدفاع عن وجود الدين ضد أي تهديد سياسي أو عسكري يستهدف الإطاحة بالنظام الحاكم، ومن هذا يتوضح ان الإمامية يعطون لمنصب الخلافة دوراً أكثر دينياً مما تعطيه المذاهب الإسلامية الأخرى، وبذلك يظهر الفرق بين الإمامية وباقي المذاهب الإسلامية حيث يعتبر الإمامية ان الإمام هو المبين للشرع وهو كاشف عن ملتبس الدين وغامضه ، كما يعتبرونه صاحب هداية الخلق إلى الحق.

- 29- ومن النتائج المهمة التي توضحت لدي ان الامامية قد تمسكت بنظرية النص التي تنص على الامام (ال خليفة من بعده) وعلى الائمة من اهل البيت، والسبب لانها كانت جارية على سنة الانبياء في استخلاف الاوصياء ذوي الصفات الحميدة والفعال الرشيدة، الذين يجسدون جميع ابعاد الطروحة السماوية، كما جاء بها الانبياء في الديانات السماوية.
- 30- يتبين من الادلة التي يستدل بها الامامية على مشروعية الخلافة أن الإمامة مجعولة وأن الإمام يجب أن يكون معصوماً، وقد استدلوا على ذلك عن طريق النصوص القرآنية وكذلك من السنة النبوية ومن الاجماع ومن الادلة العقلية.
- 31- من خلال البحث والتأمل في أبحاث الامامية والمذاهب الاسلامية المعقودة لشرح المراد من مصطلح (ال امامة المعصومة والامام المعصوم) ومصطلح (الخلافة والخليفة) يجد الباحث ان هناك اختلاف جوهري وأساس بين مفهوم (الخلافة) عند أهل المذاهب الإسلامية، من حيث المضمون والجوهر ومن حيث المهمة الأساس التي تتصف بالأولوية الأولى في مسؤولياتها ومهام وعمل الإمام المعصوم عند الشيعة والخليفة عند المذاهب الاسلامية. حيث ان هذا الاختلاف بين الفريقين في الامامة المعصومة/الخلافة، ومن ثم في الواجبات والمسؤولية الأساس ذات الأولوية الأولى للإمام المعصوم/الخليفة.
- 32- تظهر الدراسة ان الخلافة عند الامامية يكون دورها بحفظ الشرائع وحراستها من الزيادة والنقصان حيث يذكر الباحثون ان هذا واضح في اقتضاء ان يكون جوهر مهمة الامامة هو الجانب التشريعي، حيث ان فعل الامام حجة بما هو صادر عنه ومتعلق بشخصه ومن هنا اعتبار الفعل والتقرير - كالقول - من السنة اللازمة المراعاة والاتباع واما لو كان جوهر الامامة وماهيتها هو الجانب السياسي التنظيمي فان الطاعة ليست (بامر) الشخصي، (وليس لفعله) الشخصي وانما هو للشرع واحكامه لذا فهم يعتبرون ان الخلافة لها القدرة على المعجزات وقد استدلوا على اثبات صدور المعجزات عنهم من خلال القرآن الكريم.
- 33- بينما المذاهب الاسلامية يعتبرون دور الخلافة مهمتها هي المسالة السياسية التنظيمية فقط ومباشرة الحكم السلطوي لا غير. اما المهمة المتصلة بالاسلام في مجال التشريع فهم يرون انها مهمة اكتملت بالنبي (ص) ولم يبق منها شيء لاحد منهم واما في مجال التبليغ والشرح فهي بالنسبة للخليفة مهمة ثانوية لذا فهم اتفقوا على عدم اشتراط النص وعدم اشتراك العصمة وعدم اثبات صدور المعجزات.
- 34- تظهر الدراسة ان هناك شروط وصفات لكيفية تعيين الخليفة عند الامامية ومنها ان يكون منصوباً عليه بالتنصيب الالهي وعن طريق الوصية من قبل النبي الذي عينه وهي سيرة جاء بها الانبياء السابقين في الديانات السماوية السابقة وكذلك ما جاءت به سيرة رسول الله (ص) حيث تضافرت الروايات ان رسول الله (ص) قد اوصى الى ان عمه علي بن ابي

طالب، ومن الصفات الاخرى وكذلك ان يكون معصوما وان يكون افضل من كل راع من رعيته وان يكون شجاع عالما.

35- بينما تظهر الدراسة ان كيفية تعيين الخليفة عند المذاهب الاسلامية لم تشترط في تعيين الخليفة التنصيب الالهي بل هو يكون تعيينه عن طريق الاختيار من قبل الامة ولم يشترطوا ايضا العصمة والوصية الا انهم اشترطوا في صفات لمن يتولى الخلافة منها ان يكون عالما بالاحكام الشرعية عارفا بالامور السياسية وشؤون الحكم، وان يكون عادلا تقيا عفيفا بالغا، واشترطوا كذلك ان يكون قرشيا وبعضهم اشترطوا الاجتهاد بينما اشترطت المعتزلة ان يكون بالغا عاقلا عالما فاضلا تقيا ورعا عدلا شجاعا ولا يشترطون ان يكون قرشيا في كل مسلما ملتزم بالكتاب والسنة عربيا او غير عربيا اما الزيدية فهم يشترطون ان يكون الامام قرشيا فاطميا سواء كان حسنا او حسينيا.

ثانياً: المقترحات:

- 1- عدم التهيب من فتح أبواب الحوار مع اليهود والمسيحيين لتوضيح الحق لهم بأساليب الحكمة والموعظة الحسنة وخصوصاً في هذه الأوقات التي كثرت فيها خطابات الاستسلام والميوعة ممّا يعطي صورة مشوهة لما يجب أن يكون عليه الحوار بين الأديان، مع ضرورة الحذر والتحذير من خطورة دعاوى التقريب بين الأديان على أسس زائفة تلبس الحق بالباطل وتمنع وصول دعوة الحق إلى الناس.
- 2- إن عقيدة التثليث وألوهية المسيح والروح القدس وغيرها من معتقدات الديانة المسيحية المحدثّة هي أفكار طارئة على العقل ولم تكن في النصرانية الأولى، لذا أقترح إلى حدّ ذوي الاختصاصات في الأديان في الجامعات للعناية بدراسة تاريخ المسيحية ومراحل دعوتها الأولى لأنّ ذلك يكشف النقاب عن ملامح العقيدة الحقيقية التي دعا إليها السيد المسيح.
- 3- تكثيف الدراسات المقارنة بين أسس الدين الإسلامي والديانات الأخرى من يهودية ومسيحية وغيرها، وكذلك رصد المستجدات من الاتجاهات الحديثة داخل هذه الأديان والملل ومعرفة أهداف ذلك ووسائلها.
- 4- يحتاج من المؤسسات الاسلامية العلمية منها والتربوية والتراثية في نقد الكتابات المقدسة عند اليهود والمسيحيين الى عناية كبيرة من الدارسين لتوضيح منهجه واتجاهاته النقدية.
- 5- إرسال أساتذة الجامعات وذوي القدرة والكفاءة العلمية لتدعيم الجامعات الإسلامية، والعناية بالأقليات الإسلامية الموجودة في أنحاء متفرقة من العالم، إذ إنّ كثيراً منهم يعانون من الجهل والتأثر والخضوع لأعراف هذه المجتمعات الفاسدة وقوانينها الكافرة.

6- دراسة حركات الاستشراق ودراسة كتابات المستشرقين من أجل الردّ عليها وتقنيدها ما ورد فيها من زور وبهتان وكذب في حق الإسلام والمسلمين، وكذلك الاهتمام بمتابعة حركات المنصرّين ودراسة نشاطاتهم وفضح الأسباب الخفية التي جعلتهم يكتفون نشاطاتهم داخل العالم الإسلامي..

7- لما كان الموقف النقدي ليس بجديد على المسلمين فقد كان القرآن الكريم دليلاً للعلماء المسلمين في جهودهم الخاصة بنقد التوراة والانجيل، فالقرآن الكريم قدم اول صورة نقدية اسلامية للتوراة والانجيل واعطى اصولاً منهجية لنقدها تمكن علماء تاريخ الاديان المسلمون في طريقها من الوصول الى نتائج باهرة في هذا المجال، لذا فمهمة الخروج بهذا التراث الى دائرة الضوء تقع على عاتق علماء المسلمين والمسؤولين من ذوي الاختصاصات العلمية حيث ان هذا النوع من الدراسات لا يهتم به المستشرقون ولا يودون نشره او ترجمته نظراً لما فيه من نقد علمي صريح للتوراة والاناجيل.

8- يجب ترجمة هذا التراث باللغات الاجنبية لما في ذلك من فائدة للاسلام والدعوة اليه.

المصادر والمراجع

✕ المصادر والمراجع :



- ✧ خير ما ابتدأ به هو القرآن الكريم .
- ✧ الاب اميل الحاج البولسي ، القديس بطرس ، ط1 ، 1997 ، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت - لبنان .
- ✧ الأب تادرس افسير يعقوب. شبكة الكنيسة تفسير الكتاب المقدس . تفسير سفر يشوع .
[http www.Gazan.org](http://www.Gazan.org)
- ✧ الأب د. كاميلو باللبن ، تاريخ الكنيسة من فجر المسيحية الى نهاية القرن الخامس عشر، ط1، 2004، منشورات دار شرفيات للنشر والتوزيع.
- ✧ الاب د. يوسف مرقص توما الدومينيكي: حوار اجراه معه الباحث في كلية بابل الحبرية اللاهوت والفلسفة في عينكاوه-اربيل 1/26-2/1 2010.
- ✧ الأب د. يوسف مرقص توما الدومينيكي ، اللاهوت العقائدي للسنوات 1، 2، 3، السنة الثانية، منشورات كاتدرائية يوسف ، بغداد. العراق ، 2000 (د.ت).
- ✧ الأب سليم بسترس ، اللاهوت المسيحي للإنسان المعاصر ، ط3، 1999م ، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، ج1.
- ✧ الأب سليم بسترس ، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ((الفكر المسيحي بين المس واليوم) ، ط3 ، 1999، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان، ج1.
- ✧ الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر (الأسرار والحياة الأبدية) ، ط4 ، 2003، منشورات المكتبة البولسية ، لبنان ، بيروت.
- ✧ الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر " الفكر المسيحي بين الأمس واليوم" ط3 ، 1999، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان.
- ✧ الأب لويس برسوم الفرنسيسكاني ، التاريخ المقدس.
- ✧ الاب لويس مونلوبو ، انبياء العهد القديم ، نقله الى العربية الاب يوسف قوشاشقجي ، ط1، 1991، دار المشرق، ش.م.م، بيروت-لبنان .
- ✧ أبراهام مالمت روحيم تدمور ، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية.

- ❖ الإبراهيمي ، الشيخ قاسم ،مجلة المنهاج، عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية، مقالة أنظمة الحكم ومشروعية النظام ،: العدد 22، ط2 ، السنة السادسة : 1422 هـ . 2001م،رئيس التحرير، بيروت، لبنان، الغدير للدراسات والنشر والتوزيع . حارة حريك، الطريق العام بناية البنك اللبناني السويسري.
- ❖ ابن شهر آشوب، مناقب ال ابي طالب، ت: 588هـ، المطبعة الحيدرية، النجف العراق، 1379 هـ - 1956م.
- ❖ ابن قتيبة، ط1(1420 هـ . 1999م)، الإمامة والسياسة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان.
- ❖ ابن كمونة ،تتقيح الابحاث في الملل الثلاث (اليهودية، المسيحية، الاسلام)، ، ط2، منشورات دار الانصار بيروت - لبنان.
- ❖ ابن منظور ،لسان العرب ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت، 1375 هـ . 1956م، دار صادر للطباعة والنشر .
- ❖ ابن منظور لسان العرب،دارصادر للطباعة والنشر،بيروت، 1388 هـ 1968م،مكتبة صادر.
- ❖ ابن منظور، لسان العرب ، تح: عامر أحمد حيدر، ط1، 1426 هـ . 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،منشورات محمد علي بيضون.
- ❖ ابن هشام ، السيرة النبوية، ج1، ط الحلبي مصر 1375.
- ❖ ابو زهرة ، محمد ، محاضرات في النصرانية، مركز الانماء الحضاري، ط: 1، 2006م.
- ❖ أبو زهرة ،محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية، ط1(د.ت) ، دار الثقافة العربية، القاهرة.
- ❖ أبو زهرة ،محمد ،الشافعي . حياته وعصره:، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ❖ الاحمد ،احمد عيسى ، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم (د.ت).
- ❖ أحمد بن حنبل(ت241هـ) ، مسند أحمد بن حنبل ، ط1، 1413هـ، 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ❖ أحمد شلبي ، مقارنة الأديان، المسيحية، ط10، 1998، منشورات مكتبة النهضة المصرية 9 شارع عدلي، القاهرة.
- ❖ أحمد عمران ، الحقيقة الصعبة في الميزان ، ط1 ، 1415 هـ . 1995م ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، لبنان.
- ❖ الارناؤوطي ، شعيب ومحمد نعيم العرقوسي ،سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ت ح: . مؤسسة الرسالة 1413 هـ ، ط9، ج 18.
- ❖ الأشعري ، أبي الحسن علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح:

- ❖ الأشعري ،أبي الحسن علي بن إسماعيل ، الإبانة عن أصول الديانة: تح: بشير محمد عيون، ط5، 1424 هـ . 2004م، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ساحة الحجاز ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ط11981م.
- ❖ الأصفهاني ، الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تح: صفوان عدنان داودي ، طبعة دار القلم، دمشق ، 1412 هـ . 1992م.
- ❖ الامدي، سيف الدين، ت: 613، غاية المرام في علم الكلام، تح: احمد فريد المزدي، منشورات محمد علي بيضون، بيروت - لبنان، ط: 1، 1424 هـ، 2004م.
- ❖ أمين، أحمد، فجر الإسلام، ط7، 1374 هـ . 1955م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة.
- ❖ الأيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد(ت656هـ)، المواقف في علم الكلام، مع شرحه للجرجاني، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1907.
- ❖ الباقلاني ت403 هـ ، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة:، ط1، 2005م-1426هـ.
- ❖ الباقلاني، أبي بكر (ت403هـ) التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة : ، تح: الخضري وأبو زيد.
- ❖ الباقلاني، ابي بكر محمد بن الطيب، ت: 403 هـ ، تمهيد، تح: احمد فريد المزدي، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1426 هـ - 2005م.
- ❖ باول، اينوك، تطور الإنجيل (المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود) ،ترجمة أحمد بيث ، ط1، 1424 هـ . 2003 م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع .
- ❖ البدري ، السيد سامي ،مجلة ميقات الحج، مقالة بعنوان (دعوة ابراهيم واسماعيل عند رفع القواعد من البيت)، العدد الأول 1415 هـ، طهران، إيران.
- ❖ البدري السيد سامي ، التكوين التاريخي لمسيرة بني اسرائيل ومسيرة بني اسماعيل ،ندوة اقيمت في كلية الاداب / جامعة الكوفة في 2009/3/28.
- ❖ بدوي ، د. ثروت، أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى، منشورات، دار النهضة العربية، 1967، القاهرة (د.ت).
- ❖ البغدادي(ت429هـ)، عبد القاهر ، أصول الدين ، تح: أحمد شمس الدين . 309، ط1، 1423 هـ . 2002م، منشورات محمد علي بيضون، نشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- ❖ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، ت: 429هـ، الفرق بين الفرق، تح: لجنة احياء التراث العربي في دار دار الافاق الجديدة، دار الجليل، دار الافاق الجديدة، بيروت لبنان، 1408 هـ - 1987م.

- ❖ ابن حنبل ، الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد (ت241هـ)، فضائل أهل البيت (ع) من كتاب فضائل الصحابة، تح: محمد كاظم المحمودي ، ط1 . 1425هـ . 2004م ، الناشر، المجمع العالمي بين المذاهب الإسلامية . مديرية النشر والمطبوعات ، مطبعة فجر الإسلام، الجمهورية الإسلامية في إيران . طهران.
- ❖ ابن خلدون ،عبد الرحمن ،مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي: 2: 735، ط2، طبع لجنة البيان العربي(د.ت).
- ❖ ابن كمونة ، تتقيح الابحاث للملث الثلاث (اليهودية -المسيحية-الاسلام).
- ❖ بوكاي ، موريس ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ترجمة ونشر دار المعارف بمصر (د. ت).
- ❖ الترمذي،أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ت: 543، صحيح الترمذي،ج:2، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان،ط:1، 1418هـ - 1997م.
- ❖ ج. لورتس ، تاريخ الكنيسة (الفرنسية) باريس 1955 .
- ❖ جاد المنفلوطي،المسيحية في العصورالوسطى(سلسلةتاريخ المسيحية - 2) ، الكنيسة الاسقفية القاهرة، دار الجليل (د.ت).
- ❖ جاكى هايم، بولس وتحريف المسيحية، ط1،تعريب سميرة الزين، 1991م.
- ❖ جامعة الفاتيكان، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية عربيه عن اللغة اللاتينية الأصلية المتروبوليت حبيب باشا ،المطران كيرلس سليم بسترس ،المطران يوحنا منصور ،الأب حنا الفاخوري،النص الأصلي اللاتيني ، دار الفاتيكان للنشر ،حاضرة الفاتيكان، 1977.الترجمة العربية، المكبة العربية البولسية ،جونيه، لبنان 1999.
- ❖ جان ماري تيار ،اسقف روما ، ترجمة الأب جورج خوام ، البوليسي، ط1، 1987 ، منشورات المكتبة البوليسية ، بيروت ، لبنان.
- ❖ جريغز ، هـ. ر ، أسس النظرية السياسية ، ترجمة عبد الكريم أحمد ، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة(د.ت).
- ❖ الجصاص، مسألة حقيقة العدل في أحكام القرآن 370هـ: ج2، ط2، 2003م، 1424هـ.
- ❖ جعفر هادي حسن ،الدونمة بين اليهود والإسلام ، منشورات الوراق للنشر .
- ❖ الجهني، د.مانع بن حماد ،الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، 1424هـ،2003م،منشورات ،دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ الجوزي، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم، تح: د. سهيل زكار، ج: 5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1415هـ - 1995م.

- ❖ الجوهرى : الصحاح : حققه وطبعه شهاب الدين أبو عمرو ، ط1، 1418هـ . 1998م، ط2، 1424هـ . 2003م، دار الفكر ، بيروت، لبنان: 2: 1832.
- ❖ الحائري، السيد كاظم ،الإمامة وقيادة الأمة ، ط1، 1416هـ . 1995م، مطبعة باقري ، من اصدارات مكتب آية الله السيد كاظم الحائري.
- ❖ الحافظ ، طبقات الحفاظ، الذهبي 2، ط: ترجمة احمد المنقولة من طبقات ابن السبكي المطبوعة في آخر الجزء الاول في مسنده، طبقات الذهبي .
- ❖ الحافظ الطبري (694هـ) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القرب: منشورات مكتبة دار التربية ، بغداد ، شارع المتنبي .
- ❖ الحاكم، المستدرک، دار الکتب العلمیة، بیروت لبنان.
- ❖ الحداد ، الارشمندریت، یوسف درة، تاریخ المسيحية في الإنجيل بحسب (لوقا) ، ط2 ، 1990، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان.
- ❖ الحداد یوسف درة الحداد، تاریخ المسيحية في سفر اعمال الرسل، ط2، 1990، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان.
- ❖ الحداد، یوسف درة، القرآن دعوة نصرانية، المكتبة البولسية،بیروت، 1986، ط2.
- ❖ الحداد، یوسف درة، مصادر الوحي الإلهي ، المطبعة البولسية ، 1967(د. د. ط).
- ❖ الحر العاملي ،وسائل الشيعة، ت1104هـ، تح: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ، كتاب الطهارة، ابواب مقدمات العبادات، ط2 1424هـ، 2003م، منشورات: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، بيروت - لبنان.
- ❖ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ط1، قم، مؤسسة ال البيت (ع)، 1414هـ.
- ❖ الحريري ، أبو موسى، قس ونبي، (د. ط) ، بيروت، 1984.
- ❖ حسن ابطحي ، المصلح الغيبي والحكومة العالمية الواحدة ، ترجمة السيد هادي السليمانى، ط2، 1424هـ2003م، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت-لبنان.
- ❖ حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ، الاسكندرية ، 1977 .
- ❖ حسن، د. جعفر هادي اليهود الحسيديم نشأتهم، تاريخهم ، عقائدهم ، تقاليدهم ، ، ط1، 1415هـ . 1994م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق . حلبوني.
- ❖ الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة 1968.
- ❖ حفني، عبد المنعم، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ط1 ، 1410هـ . 1980م.
- ❖ الحكيم ،السيد محمد باقر، الامامة واهل البيت(ع)النظرية والاستدلال، ط1.
- ❖ الحلبي، علي بن برهان الدين، ت: 1044هـ ،السيرة الحلبية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

- ❖ الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تح:حسن زاده الأعلمي ، ط9،1422هـ،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ،قم.
- ❖ حنا، دراسات توراتية، ط2،2006م، دار (رام) ،للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا- دمشق.
- ❖ خالد حسن،موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، ط1 ، معهد الإنماء العربي، بيروت.
- ❖ الخامنئي، كتاب الولاية، ط1، بيروت، دار الهادي، 1994.
- ❖ الخضري ، محمد ،أصول الفقه ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: 1424 هـ . 2004م.
- ❖ الخطيب ،عبد الكريم ،الخلافة والإمامة ديانة وسياسة ، ط1، 1383 هـ . 1963م، دار الكتاب العربي . مصر.
- ❖ خليفة د. محمد حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية ، الناشر : دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع(القاهرة) .
- ❖ خوان داثيو معجم البابوات ، نقله للعربية انطوان سعيد خاطر، ط1 ، 2001 ، منشورات دار الشرق ، بيروت.
- ❖ الخور أسقف بيوس قاشا ، أضواء على المجامع الكنسية ، ط1، 2006، منشورات مطبعة الديوان - بغداد.
- ❖ الخور أسقف بيوس قاشا، أضواء على المجامع الكنسية: ، ط1، 2006، منشورات مطبعة الديوان - بغداد.
- ❖ الخوري الفيغالي، دراسات ببلييه -17، في رحاب الكتاب العهد الأول: ط1- 1998، منشورات المكتبة البولسية، بيروت- لبنان.
- ❖ الخوري بولس الفغالي ، المدخل الى الكتاب المقدس، ط1، 1994.
- ❖ الخوري بولس الفغالي :المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، ط1، 2003، المكتبة البولسية، جمعية الكتاب المقدس، بيروت- لبنان.
- ❖ الخوري بولس الفغالي المدخل إلى الكتاب المقدس (المجموعة الكتابية) ، ط2، 1995،
- ❖ الخوري بولس الفغالي المدخل إلى الكتاب المقدس (المجموعة الكتابية) : 2 : 318 ، ط1، 1995، منشورات المكتبة البولسية، بيروت- لبنان.
- ❖ الخوري بولس الفغالي في رحاب الكتاب ، العهد الأول، دراسات ببلييه الرابطة الكتابية ، ط1، 1998، مؤسسة دكاش للطباعة . لبنان، منشورات المكتبة البولسية ، جونية ، لبنان ، جمعيات الكتاب المقدس، بيروت . لبنان.
- ❖ الخوري بولس الفيغالي المدخل إلى الكتاب المقدس (المجموعة الكتابية): من الشريعة إلى الأنبياء، ط1، 1995، منشورات المكتبة البولسية، لبنان - بيروت.

- ❖ خياطة ،نهاد الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام ،ط2 ،2004 ،دار الأوائل ،دمشق.
- ❖ الدينوري ، ابن قتيبة ،الإمامة والسياسة: (ت276هـ) :تح: طه محمد الزيني: 1 : 18، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- ❖ الرازي ،الأربعين في أصول الدين.
- ❖ الرازي ت604هـ ، تفسير الفخر الرازي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، ط1، بيروت، للثقافة والعلوم المركز العربي مادة وئد.
- ❖ الرحيم،محمد عطاء ،عيسى نبي الإسلام، ترجمة فهمي شما، دمشق ،1990.
- ❖ ردهلنج ، الكنز المرصود في قواعد التلمود: الفصل الأول، ترجمة من الفرنسية : يوسف حنا نصر الله.
- ❖ رستم، د.اسد ، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، بيروت ، المكتبة البوليسية، 1988.
- ❖ الرهبانية اليسوعية الكتاب المقدس الألف باء والياء : ط 7 بولس باسيم دار المشرق ش م . م الاشرافية بيروت لبنان 2004.
- ❖ الرهبانية اليسوعية، الكتاب المقدس، ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان، ط4، 1995، دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط .
- ❖ زكار، أ.د.سهيل ، المحذوف من التوراة كاملة،ط1، 1426هـ - 2006م،دار قتيبة،للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ زكي شنودة ،المجتمع اليهودي.
- ❖ زيدان، يوسف ، اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، ط2، 2010 ، دار الشروق ، القاهرة، مصر.
- ❖ سايبوس ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة مرتضى داود ، ط3، 1998 ، منشورات مكتبة المحبة ، القاهرة.
- ❖ السبحاني ،جعفر ، الالهيات، بقلم حسن محمد مكي العاملي ، ط5، 1423هـ.ق، مؤسسة الإمام الصادق، مطبعة الاعتماد-قم.
- ❖ السبحاني، مفاهيم القرآن ، ط1413،4هـ،مؤسسة الإمام الصادق،قم، مطبعة مهر.
- ❖ السبزواري ،السيد عبد الأعلى، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1402 هـ . 1982م.
- ❖ سعد زغلول عبد الحميد، الأنبياء والمنتبئون قبل ظهور الاسلام، (عالم الفكر)، مجلد 12 عدد4، الكويت.

- ❖ سعيد ايوب ، ابتلاءات الامم ، تأملات في الطريق إلى المسيح الدجال والمهدي المنتظر في اليهودية والمسيحية والإسلام ،سلسلة الرحلة الى الثقلين (31) إعداد مركز الأبحاث العقائدية.
- ❖ سعيد أيوب، ابتلاءات الأمم، ط1، 1416 هـ . 1995 ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ سعيد أيوب، ابتلاءات الامم، ط2، 1419 هـ - 1999م، مصر- القاهرة ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- ❖ سفنسكايا، أ.س.المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية(خفايا القرون الاولى)، ترجمة د.حسان ميخائيل اسحاق، ط2 ، 2007 ، منشورات دار علاء الدين، دمشق.
- ❖ سليم حسن، مصر القديمة، مطبعة جامعة فؤاد الأول القاهرة، 1952.
- ❖ السموال بن يحيى بن عباس المغربي ت570 تح: عبد الوهاب طويلة بذل المجهود في أفهام اليهود، ط1، 1410هـ-1989م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، حلبوتي.
- ❖ سميت، د.هوستن، تعريب سعيد رستم، اديان العالم، دراسة روحية تحليلية معمقة لاديان العالم توضح فلسفة تعاليمها البروفسور والناسك الروحي، ط1، 1426هـ/2005م دار الجسور الثقافية حلب- سوريا.
- ❖ سميث، وليم، والدكتور سميث "تعريف السنهدين" قاموس الكتاب المقدس.
- ❖ سميث،مركز الثقافة الشرقية- القاهرة، 1954، من بحث مقدم من الدكتور رمضان عبد الكريم.
- ❖ السند، محمد، اسس النظام السياسي عند الامامية، وهي تقارير كتبها الشيخ محمد حسن الرضوي الناشر: باقيات، مطبعة سرور، قم - ايران، ط: 1، 1426هـ.
- ❖ السواح، فراس ، الرحمن والشيطان ، دمشق ، 2000.
- ❖ سيغال، م.ص، حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، ترجمة الدكتور حسن ظاظا بيروت 1967 .
- ❖ سيرغي، توكاريف ، الاديان في تاريخ شعوب العالم ترجمة د. احمد م. فاضل: 521، ط1، 1998، منشورات الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ السيوطي(ت911هـ) ، جلال الدين، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تح: صلاح بن محمد بن عويضة ، ط1، 1417هـ . 1996م.، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.
- ❖ السيوطي، د. خالد، عصمة الأنبياء في الديانات الثلاثة.
- ❖ شارل، جينبير، المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، صيدا، لبنان.
- ❖ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، ط:مؤسسة أهل البيت بيروت، 1407هـ . 1986م).
- ❖ الشريف المرتضى ت436هـ، الشافي الامامة ، السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط2، 1426هـ-2006م، منشورات مؤسسة الصادق (ع) للطباعة والنشر، طهران- ايران.

- ❖ الشريف المرتضى، علم الهدى ، تنزيه الأنبياء ، منشورات الشريف الرضي ، قم . إيران .
- ❖ شفيق محمد، العلوم السلوكية، الاسكندرية، مكتبة الجامعة الحديثة 1999م.
- ❖ شفيق، محمد، العلوم السلوكية ، ط1، الاسكندرية،مكتب الجامعي الحديث، 1999.
- ❖ شلبي، د. أحمد، اليهودية ، ط13، ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، 9 شارع عدلي باشا بالقاهرة .
- ❖ الشمري، رؤوف أحمد محمد ، الشريف المرتضى متكلماً ، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة كلية الفقه، 1992 .
- ❖ شمس الدين الشيخ محمد مهدي ،نظام الحكم والإدارة في الإسلام ، ط3، 1412هـ . 1992م، دار الثقافة للطباعة والنشر، إيران، قم.
- ❖ شنودة، زكي ، المجتمع اليهودي ، ط5 ، طبعة مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ❖ الشهرستاني(ت548هـ) ، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل ، ط1، 1368هـ . 1948م ، مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق . مطبعة حجازي بالقاهرة.
- ❖ الشيخ البلاغي، موسوعة العلامة البلاغي، ط1، 1428هـ 2007م مركز العلوم والثقافة الإسلامية قسم إحياء التراث الإسلامي.
- ❖ الشيخ علي بوسليمان ، نظرية القيادة عند اليهود ، ط1، 2002م.
- ❖ صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي.
- ❖ الصدر، محمد باقر، النبوة الخاتمة، بيروت ، دار المنتظر، 1985م.
- ❖ الصدوق: علل الشرائع، ت 381، ط1، 1329هـ، منشورات: الشريف الرضي .
- ❖ الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، ت: 381هـ عيون اخبار الرضا ، المطبعة الحيدرية ، النجف - العراق، 1390هـ - 1970م.
- ❖ صعب، أديب، الأديان الحية نشأتها وتطورها، ط3، 2005، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان.
- ❖ صلاح فضل:نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1980م.
- ❖ صموئيل انتجر،اليهود من البلدان الاسلام ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد مايو ، 1995 .
- ❖ الطالقاني ، الملا نظر علي ، كاشف الأسرار ، المقالة الثانية، الفصل الرابع .
- ❖ الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ،تح:الشيخ حسين الأعلمي،ط1(1417هـ . 1997م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت شارع المطار قرب كلية الهندسة،ملك الأعلمي.
- ❖ الطبراني، الحافظ القاسم، المعجم الكبير(ت360هـ)، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ج1، ط2، 1422هـ . 2002م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ❖ الطبري ، عماد الدين بن محمد (ت504هـ) ، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت .

- ❖ الطبقات الكبرى: ابن سعد : تح: محمد عبد القادر عطا: ج2، ط1، 1410 هـ . 1999م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ❖ السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي ت911هـ، 1: 221، ط2، 2004م- 1424هـ، منشورات محمد علي بيضون نشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان.
- ❖ الطهراني ، محمد الحسين الحسيني ، معرفة الإمام :: 2: 3 . 4 ، ط1 ، 1416 هـ . 1996م، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان ، ج2.
- ❖ الطوسي ،تفسير التبيان، تح: أحمد حبيب .
- ❖ الطوسي ،نصير الدين ،كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، شرح الحلبي، ط1، 1399هـ- 1979م منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت -لبنان.
- ❖ الطوسي(ت460هـ) ، التبيان في تفسير القرآن، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة، ط1 ، 1417هـ.
- ❖ الطوسي(ت460هـ) ، تلخيص الشافي ، ط1 ، مؤسسة انتشارات المجتبي ، مطبعة المعراج 1383 هـ ش.
- ❖ الطوسي(ت460هـ)، الشيخ محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1399 هـ . 1979م.
- ❖ الطوسي، الخواجة نصير الدين، تلخيص الموصل، ط2، 1405 هـ . 1985م، دار الاضواء ، لبنان.
- ❖ الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ت: 460هـ، دار الاضواء، بيروت - لبنان، ط: 2، 1406 هـ - 1986م.
- ❖ طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، ط1، 1428 هـ - 2007م، مغالطات اليهود وردّها من واقع اسفارهم، دار القلم، دمشق.
- ❖ العابدي، مخطوطات البحر الميث، ظ: دار الثقافة والفنون،عمان 1967م.
- ❖ عاشور ،عبد الفتاح ،تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ، ط5، 1972، مكتبة الانجلوا المصرية - القاهرة، منشورات دار الطباعة الحديثة.
- ❖ العاملّي، عبد الحسين شرف الدين ، المراجعات، تح: حسين الراضي، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم - ايران، ط: 2، 1414هـ.
- ❖ العاملّي، هشام شري،الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة ، ط1، 1420 هـ . 1999م، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت،لبنان.

- ❖ عبد اسعيد ، محمد فايز ، الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، 1983، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- ❖ عبد الرزاق أحمد قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مطبوعات دار التراث بالقاهرة.
- ❖ عبد السميع، د. عماد علي عبد السميع، الاسلام واليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين.
- ❖ عبد العليم، د. مصطفى كمال، د. سيد فرج راشد اليهود في العالم القديم، ط1، 1416هـ-1995م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- ❖ عبد الغني عبود، اليهود واليهودية والاسلام: ط دار الفكر العربي القاهرة ط1 1982.
- ❖ عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، 1972، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دار الطباعة الحديثة.
- ❖ عبد الكريم احمد، مبادئ التنظيم السياسي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1975.
- ❖ عبد الوهاب أحمد ، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام، ط1 ، 1399 ، 1979م، منشورات مكتبة وهبة ، القاهرة.
- ❖ عبود ، د. عبد الغني ، اليهود واليهودية والاسلام : 39، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1982.
- ❖ العذاري، سيد سعيد ،تولي الإمام (وحدة التعيين وتعدديه الاجتهاد)، ط2، 1425هـ-2004م، الناشر، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، مطبعة محد.
- ❖ العسكري، مرتضى ، معالم المدرسين، بيروت مؤسسة النعمان 1990م.
- ❖ العقاد ، عباس محمود، عبقرية الصديق، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان(د.ت).
- ❖ العقاد، عباس ، حياة المسيح ، 1957 ،(د.ت).
- ❖ العلامة الحلي ،النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ت413، 37، دار الاضواء (د.ت).
- ❖ العلامة الحلي ت726 هـ ، الرسالة السعدية ، ، تح: عبد الحسين محمد علي بقال ط1 المحققة، 1413هـ، 1992م، دار الصفوة، بيروت-لبنان.
- ❖ العلامة الحلي(ت726هـ)، الألفين ، تح: حسين الأعلمي ، ط3، 1982 . 1402م. منشوات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .لبنان.
- ❖ علي بو سلمان، اسس علم الكلام اليهودي، ط1، بيروت، دار العلم، مادة نيهر.
- ❖ علي بوسلمان: نظرية القيادة في الاسلام.
- ❖ علي داود جابر، بطرس بين المسيحية والاسلام ، ط1، 1422 هـ . 200م ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ علي مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ (محاولة في اعادة بناء العقائد)، ط1،

- 1993، دار التتوير للطباعة والنشر والتوزيع .
- ❖ عليان ،د.رشدي ،الإسلام والخلافة، ط1، 1396هـ . 1976م، مطبعة دار السلام، بغداد.
- ❖ عمارة، محمد ،الإسلام وفلسفة الحكم (المعتزلة وأصول الحكم) ، ط2، بغداد ، 1984م ، مؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- ❖ عمارة،محمد، المعتزلة واصول الحكم،ط2، بغداد 1984، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- ❖ عون، ميشير باسيل، مقالات لاهوتية، بيروت، المكتبة البوليسية، 1997.
- ❖ عيسوي، عبد الرحمن، دراسات في علم النفس الاجتماعي دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).
- ❖ غرديه ، وقنواتي ، فلسفة الفكر الديني، ترجمة ،د.صبحي الصالح ،والاب د.فريد جبر ط2، 1979، دار العلم للملايين ،بيروت.
- ❖ الغزالي، ابي حامد، ت: 505هـ، الاقتصاد في الاعتقاد، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، 2002م.
- ❖ غيزا فيرم، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ترجمة أ.د . سهيل زكار، ط1، 1426هـ . 2006م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان.
- ❖ فراس السواح، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، دمشق، دار علاء الدين، ط1، 1995.
- ❖ فياض، النصارى والمنصوري، نبيل فياض ن ونور الدين المنصوري ، ط2، دار حرمون، حمص ، 1998.
- ❖ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة . تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة (د.ت).
- ❖ قاسم ،اسعد ازمة الخلافة والامامة وآثارها المعاصرة، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1418هـ - 1997م.
- ❖ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة: ط1، 1422هـ ، 2001م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان.
- ❖ قدح، د.محمود عبد الرحمن ، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة مقتبس من شبكة المعلومات الدولية ، الانترنت، موقع:
- ❖ القطيفي، ضياء السيد عدنان ، الولاية التكوينية بين القرآن والسنة: ، ط1، 1426هـ . 2005م، مطبعة مسرور ، إيران ، قم .
- ❖ القلعي(ت630هـ) ، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ،تح: إبراهيم يوسف مصطفى، ط1، 1405هـ . 1985م، مكتبة المنار الزرقاء . الأردن، شارع الفاروق.

- ❖ القلقشندي (ت821هـ) ،مآثر الأنافة في عالم الخلافة.
- ❖ القمي ، شاذان بن جبريل (ت725هـ)، الفضائل ، تح، محمود البديري ، ط1، 1381هـ ش ،الناشر: استانة مقدسة ، قم، مطبعة التوحيد.
- ❖ الكليني ت328هـ ، الكافي، ط1، 1426هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان 2005م.
- ❖ كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق، تح: علي أكبر غفاري ، ط4، 14 22هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ❖ كمال الصليبي خفايا التوراة .
- ❖ كودتوا، ج ،لمحات في فن القيادة:، 12.
- ❖ الكوفي ت: 332هـ، ابي العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، الفضائل، الناشر: الدليل، قم - ايران، ط: 1، 1421هـ.
- ❖ لجنة مؤلفين:ترجمة: نيافة المطران الصونيوس نجيب لجنة التعريب المكونة من الآباء والأساتذة: معجم اللاهوت الكتابي: 774، ط5، 2004، دارالمشرق، ش. م.م ،بيروت- لبنان.
- ❖ لجنة مؤلفين، قاموس الكتاب المقدس: ط 6 ، مكتبة المشعل ، بيروت، 1981.
- ❖ لجنة مؤلفين، معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة بإشراف لجنة يتأسهم نيافة المطران لصونيوس نجيب.
- ❖ لجنة من المؤلفين، قاموس الكتاب المقدس ، ط1، دار الثقافة بالاتفاق مع الرابطة الانجيليين بالقاهرة 1995.
- ❖ لويس جنز برج ،أساطير اليهود: ، ترجمة حسن حمدي السماحي، ط1 2007، دار الكتاب العربي دمشق، القاهرة.
- ❖ لويس جينزيرج اساطير اليهود: ، ترجمة: حسن السماحي.
- ❖ الماوردي ، أبو الحسن، الأحكام السلطانية والولايات الدينية:المطبعة المحمودية، مصر(د.ت).
- ❖ الماوردي ، أبو الحسن، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1386هـ . 1966م.
- ❖ الماوردي ت450م هـ ، الأحكام السلطانية، 6، ط1، 1380هـ، 1960م شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ❖ الماوردي، أبي الحسن البصري البغدادي (ت450هـ) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: تح: القاضي نبيل جباوي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع(د.ت).
- ❖ المجمع الفاتيكانى الثانى، دساتير - قرارات بيانات ،ترجمة الاب حنا الفاخوري، ط2، 2004، منشورات المكتبة البوليسية.

- ❖ مجموعة علماء معجم اللاهوت الكتابي ، ط5، 2004 ، دار المشرق ، بيروت، لبنان.
- ❖ مجموعة مؤلفين من أساقفة كنيسة ألمانية ،المسيحية في عقائدها(التعليم المسيحي الكاثوليكي للبالغين)ترجمة المطران كيرلس سليم، ط1، 1998م، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان.
- ❖ مجموعة مؤلفين، المرشد إلى الكتاب المقدس، بيروت، 1996.
- ❖ مجموعة من الاباء والمؤمنين ،التفسير للكتاب المقدس، ، ط4، 2002، القاهرة-مصر.
- ❖ مجموعة من العلماء ، معجم اللاهوت الكتابي، مادة سلطة، ط5 ، 2004 ، دار المشرق ، ش.م.م ، بيروت.
- ❖ مجموعة من المؤلفين ، الكتاب المقدس (الالف باء والياء) من الاباء، ط 7، 2004م، دار المشرق، ش.م.م ، بيروت- لبنان.
- ❖ مجموعة من المؤلفين ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، منشورات المكتبة البولسية، جوبيه 1999، رقم 188.
- ❖ مجموعة من المؤلفين ، معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة لجنة يتراسهم نيافة المطران انطونيوس نجيب، ط5، 2004، دار المشرق.
- ❖ محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي، تاج العروس، تح: علي شيري: 12: 184، 1994م، منشورات دار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
- ❖ المحقق الطوسي ، تلخيص الافكار .
- ❖ محمد بحر عبد المجيد - اليهودية: ط مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة - سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - العدد 20 - 1422هـ-2001م.
- ❖ محمد يحيى، قصة اسلام الكاتبة الامريكية اليهودية سابقاً المهتدية مريم جميلة، منشورات: المختار الاسلامي- القاهرة 1985م.
- ❖ محي الدين، محمد عبد الحميد ، ط1 ، 1369 هـ . 1950م، مكتبة النهضة المصرية.
- ❖ مريم جميلة ، رحلتي من الكفر الى الايمان ترجمة، د. محمد يحيى، المختار الاسلامي- القاهرة 1985م.
- ❖ المسعودي ، اثبات الوصية 39 . 90، ط2: 1424هـ / 2003م، مطبعة صدر . قم . إيران . مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.
- ❖ المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين، ت: 345هـ، التتبيه والاشراف، المكتبة العصرية، بغداد - العراق، 1357هـ - 1938م.
- ❖ المسعودي، تنبيه الاشراف، دي جوي لندن، 1894م.
- ❖ مسلم، الجامع الصحيح: ، منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت.
- ❖ المسيري، د. عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، الشروق، القاهرة

- 1999م .
- ❖ المسييري، د. عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ط5 ، (القاهرة_2009)، دار الشروق.
- ❖ المشوفي، عبد الله، موقف الاسلام والكنيسة من العلم، مكتبة المدار، الاردن، الزرقاء، ط1، 1982.
- ❖ المطران كيرلس سليم بسترس، والأب يوحنا الفاخوري، والأب جوزيف البوليسي، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط1، 2001، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت، لبنان.
- ❖ المطران: يوسف الدبس، تاريخ الشعوب المشرقية: المطبعة المارونية بيروت1898.
- ❖ المظفر، الشيخ محمد حسن (ت1301هـ)، دلائل الصدق لنهج الحق، تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط1، 1426، مطبعة ستارة ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث . قم . .
- ❖ المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط،: باب الخاء، 1 (د.ت).
- ❖ المفيد ، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات ، ط2، 1382 هـ، مطابع مؤسسة انتشارات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، مؤسسة الأبحاث الإسلامية .
- ❖ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: تح: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط2، رجب 1416هـ، الناشر مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم، مطبعة مهر - قم.
- ❖ منشورات المكتبة البولسية، بيروت- لبنان.
- ❖ موريس بوكاي ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.
- ❖ الشيخ البلاغي ، موسوعة العلامة البلاغي: تح: اسعد الطيب: ط1: مطبعة الباقرى، قم، ايران، 1428هـ/2007م.
- ❖ قواسمة، د. أحمد حسن، زيد موسى، ابو زيد، موسوعة الفرق في الاديان السماوية الثلاثة، المسيحية واليهودية أبو زيد114 ط1 ، 2009م-1430هـ.
- ❖ مفرح، طوني، موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الاوسط: ، ط1، 1995م، دار نوبيليس.
- ❖ الموسوي اللاري ، مجتبي ، دروس في الإمام والقيادة، ترجمة كمال السيد، 14، ط1، 1419هـ-1998م.
- ❖ الموسوي اللاري، مجتبي، دراسة في أسس الإسلام: ترجمة كمال السيد، 1418 هـ . 1998م، مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم، الجمهورية الإسلامية في إيران.
- ❖ خالد ، حسن ،موقف الإسلام من الوثنية، واليهودية والنصرانية، ط1 ، معهد نماء العربي ، بيروت، 1986.
- ❖ الميانجي ، علي الاحمدي،مواقف الشيعة،مؤسسة النشر الاسلامي،قم-ايران، ط: 2، 1422هـ.
- ❖ ميخائيل ضومط : توما الاكويني دراسة ومختارات : المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1956.
- ❖ نجاح عطاء الطائي ،ليلال يهودية(هل ذبح البابليون والنصارى والمسلمون

- اليهود) ط2، رجب، 1425هـ - 2004م ، دار الهدى لآحياء التراث - لندن.
- ❖ نجيب جرجيس، تفسير سفر اللاويين ، ط ، مدارس الاحد القاهرة ط1، 1998م.
- ❖ نهج الحق وكشف الصدق ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة. بيروت . لبنان ، 1982م.
- ❖ نور الدين خليل، قاموس الاديان الكبرى الثلاث (اليهودية_المسيحية_الاسلام) ، تح: نور الدين خليل ، ط2008، منشورات مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الاسكندرية .
- ❖ النووي، محي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف، ت: 686، شرح صحيح مسلم النووي، دار القلم، بيروت - لبنان، ط: 1.
- ❖ الهيثمي ، الصواعق المحرقة ، احمد بن حجر، ت: 974هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1420هـ، 1999م.
- ❖ هريوت لوثير ، كل الرسل في الكتاب المقدس: ط1، 2003 دارالثقافة-البانوراما- القاهرة.
- ❖ هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، ط1، 2004م. منشورات بسان للنشر والتوزيع والاعلام.
- ❖ الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، ت: 975هـ ، كنز العمال، تح: محمود عمر الدمياطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2، 1424هـ - 2004م.
- ❖ الهيثمي ت807هـ ، علي بن بكر، الزوائد.
- ❖ وليم مارش: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، بيروت : مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، 1973م.
- ❖ وليم ماكدونالد ، تفسير الكتاب المقدس لمؤمن ، طبع بمطبعة الأخوة بجزيرة بدران . مصر ، منشورات دار الأخوة للنشر (د.ت).
- ❖ وليم ماكدونالد ، تفسير الكتاب المقدس لمؤمن، طبع بمطبعة الأخوة بجزيرة بدران . مصر ، منشورات دار الأخوة للنشر (د.ت).
- ❖ وهبي ، وليم، دائرة المعارف الكتابية، تح: بياوي ، ط1 ، دار الثقافة ، القاهرة.
- ❖ يسوع والإنجيل المفقود، مقتبس من شبكة الأنترنت ، موقع شبكة اللادينيين ،
- ❖ يعقوب ، أحمد حسين ، النظام السياسي في الإسلام، ط2، رمضان 1412هـ ، مطبعة الصدر، قم المقدسة، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر .
- ❖ اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تاريخ اليعقوبي، ، تح: عبد الامير مهنا، ط1، 1993م-1413هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
- ❖ يوساسي القيصري(ت240م) ، تاريخ الكنيسة ، الكتاب الثالث ، ترجمة القمص مرقس داود، ط3، 1998 ، مكتبة المحبة ، القاهرة.

❖ يوسايس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة مرقس داود ، ك 3 ، مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة ، أحمد بهي الدين الخربوطلي.

❖ البحوث المنشورة:

❖ شبكة الانترنت، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: www.moqatel.com

❖ شبكة المعلومات ، الأنترنت، مقال بعنوان الكنيسة الروسية تصف موقف الكنيسة الكاثوليكية في وثيقة مجمع عقيدة الإيمان بـ(الموقف الصادق على لسان المترولوجيا (سمولنسك)،

وكالينغراد وكيرك، مقتبس من موقع: <http://www.Zenit.Org/article>

❖ شبكة المعلومات الأنترنت ، مقتبس من موقع ويكيبيديا موقع :

<http://www.pawfeghali.org>

❖ شبكة الكنيسة، الكتاب المقدس، الكتاب المقدس ترجمة سميث وفاندايك، مقتبس من موقع:

<http://www.pawfeghali.org>

❖ عزت اندراوس ، موسوعة تاريخ أقباط مصر (history copitic) ، مقالة بعنوان : محمد

يعتق العقيدة الأبيونية، مقتبس من شبكة المعلومات الأنترنت، موقع:

<http://www.pawfeghali.org>

❖ موقع الخوري بولس الفيغالي، المدخل الى الكتاب المقدس: الفصل العاشر (الاستعداد لاقتسام

ارض الوعد). <http://www.pawfeghali.org>

❖ موقع المتحف السامريّ ((جرزيم))، مقالة بعنوان: (تاريخ السامريين). Samaritans-
[um.com/page.html](http://www.samaritans-um.com/page.html)

❖ نيافة الانبا رفائيل ، الخلافة الرسولية في الفكر الأرثوذكسي، سلسلة مرقسيات (16) ، تقديم

الأسقف إبراهيم ميخائيل، مقتبس من شبكة المعلومات، الأنترنت، موقع:

<http://www.vupload.net.facebook.com>.

❖ موقع (رجال الدين) في حياة الإسرائيليين(الحاخامات وأثرهم في حياة اليهود مقتبس من موقع

<http://www.coptichistory.org/new-page.htm>

❖ مجلة الفكر المسيحي العنوان الالكتروني :

info@alfikr-almasihi.com

- ❖ آل برات د. ريشارد، بناء الفكر اللاهوتي، الدرس الرابع، مقتبس من شبكة المعلومات الأنترنيت: <http://WWW.thirdmi.org/seeinary>.
- ❖ الانبا انمريغوريس، علم اللاهوت المقارن مقتبس من شبكة الأنترنيت ،
موقع: www.thirdmi.org
- ❖ عبد الأحد داود ،الانجيل والصليب ، شبكة المعلومات، الانترنت، مقتبس من موقع: منتديات جازان الثقافية،
<http://www.Gazan.org>.
- ❖ القمص فليثاوس، إبراهيم ، الخلافة الرسولية (نبذة تبين ضرورة تسلسل الاكليروس من وقت المسيح بدون انقطاع ، مقتبس من شبكة المعلومات الانترنت،
موقع: [Http://www shared.com](http://www.shared.com)
- ❖ القمص ميخائيل جرجيس ميخائيل ، مذكرات في تاريخ الكنيسة المسيحية ، مقتبس من موقع: <http://sti-takla.org>
- ❖ ميخائيل ضومط، توما الاكوييني دراسة ومختارات 1983م – 1430هـ مقتبس من موقع مكتبة الملك فهد الوطنية.
[Www.kfupm.edu.sa](http://www.kfupm.edu.sa)
- ❖ نيافة الأنبا رافائيل ، الخلافة الرسولية في الفكر الأرثوذكسي ، مقتبس من شبكة المعلومات الأنترنيت، موقع: <http://ii.www.Orthodox.org>.
- ❖ عماد عبد المسيح مفهوم الكهنوت الكتابي، شبكة المعلومات ، الأنترنيت ، مقتبس من موقع: <http://www.ArthoHour.com.org>.

حوارات ولقاءات

- ❖ الاب د. مشير عون، حقا له بعنوان ((هوية الإنسان المسيحية والإسلام والعلمانية))(بحث مقارن))، ((الإسلام والمسيحية)) بحث في نظام القيم المعاصرة، ط1، 1424 هـ - 2003م، منشورات دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، معهد الدراسات الإسلامي للمعارف الحكيمية.

❖ الأب فادي القس ليون نسان: محاضر متخصص في اللاهوت والفلسفة المسيحية في كلية بابل الحبرية للاهوت في عينكاره - أربيل - أجرى الباحث عدة لقاءات مع الاساندفو التخصصيين في اللاهوت والفلسفة المسيحيين ولمدة خمسة أيام من 27 - 31 / 1 / 2010 ومنهم الأب د. يوسف توما، والأب جنان: والأب سامي والعنوان البريدي لا بونا فادي هو:

Fadilion2004@hotmail.com



University of Kufa

College of Al-Fekh

Department of Al-Fekh

Prophet's Succession in the three Religions

A thesis submitted

**The council of the college of turisprudence university of
Kufa in partiol Fulfillment of the requirement for M. A.
degree in shoria and Islamic Sciehces.**

By

Fadhil Ashoor Abdul-Kareem Al-Taghluby

Supervised by

Dr. Waleed Abdul- Hameed Faraj Allah

2010 A.D

1431H.D

Abstract

The study of the concept of the prophet's succession in three religions has to define succession's concept in the religious Israel thought, religious Christian thought and Islamic religious thought, the aim is to agate whether there is a succession and leadership in the three religions, if there is, so its an approach to the legality succession of prophet moses, jesus and Mohammed

(p.u.h), or the whole iden will be concaled to study this subject means to study the essence of the heavenly question that depend on proving the religious and earthly life theory since the prophet were sent to prepare people to God's order and revelation so they were also sent to lead societies. Hence the study tried to reveal whether the prophet's leadership is restricted to the doctrinal and moral aspects or it means the real succession, Christianity support the first opinion, and the researcher tried, pore or deny that for the three religions.

The researcher faced money problems especially regarding the resources.

The researcher nature involved to divide it into three chapters according to the three religions, preceded by an introduction and apreface referring to the succeion stages for the three religions. The conclusion includes the most important results.

"Succession in the religion of Israel" is the title of the tirst chapter which includes two topics the succession, its concept, importance and legality by using the mental and rerbal proof, ending with the roke of succession on the subjective aspect of the comporo live studies where the researcher depends on the evidences. The Israel thought, from the old testament (Torah) and the works of modern and late Isra'el thinkers.

The second topic deals with (the successor, his nomination, importance and role).

The title of the second chapter is prophets succession in Christianity, it follows the same methodology of the first chapter which the third chapter that entitled "prophets succession in Islam" follows.

The researcher gat asset of results such as:-

- 1- via studying the mental and verbal evidences of the old and new testaments texts as well as the quaint text there is a divine text for the succession of the three prophets in the three religions.
- 2- Succession in the three religions is a divine covenant to his good servants, and though the oppressors had presented those good servants their divine right, yet succession is the basic authority to lead people towards the spiritual perfectness, hence succession is a universal Imamah for the whole human beings, not for special folk or group.